



مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء السابع

حسن بن موسى الصفار



مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح



الجزء السابع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: 1438هـ - 2017م

أطراف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس: ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail: Atyaf.qatif@gmail.com



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَتَمَامِ عِدَّةِ الْمُرْسَلِينَ
وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَصَحْبِهِ
الْمُتَّبِعِينَ.



غالبًا ما يسود أجواء الأوساط الدينية قلق وخوف على الدين من أعدائه الخارجيين.

■ فهناك قلق من الأديان المنافسة، كاليهودية والنصرانية، ومن نشاطهم التبشيري، وخططهم لمحاصرة انتشار الإسلام، وزعزعة الثقة به في نفوس أبنائه.

■ وهناك قلق من التوجهات المادية العلمانية، وتأثيرها في إبعاد الناس عن الدين، بدعوى انتهاء صلاحيته، وإغناء العلم والمعرفة عنه، وعزله في حدود الجوانب الروحية الفردية، دون دخالته في شؤون تنظيم الحياة.

■ وهناك قلق من القوى العالمية الكبرى، التي ترى الدين عقبة في طريق تحقيق نفوذها ومطامعها في بلاد المسلمين، فتتآمر وتعمل للقضاء عليه.

وإذا كان القلق مبررًا في بعض جوانبه من هذه التحديات الخارجية، فإننا نعتقد أنّ القلق الأخطر على الدين ينبعث من التحديات داخل الساحة الدينية.

فقد تقلّصت وانحسرت معظم الأخطار الخارجية على الدين؛ لأنّ الدين فرض وجوده وبقوة على ساحات المجتمعات البشرية، خلافًا لتوقعات الماديين والحدائثيين بانتهاء عصر الدين، وحلول العلم والتكنولوجيا بديلاً عنه، لكن التقدم العلمي والتقني مع كلّ ما قدّم من الخدمات الكبيرة لتطوير حياة الإنسان المعيشية، إلّا أنه عاجز عن

ملء الفراغ القيمي والروحي، هذا الفراغ الذي ينزع المعنى من حياة الإنسان ويحولها إلى عبث وضياح.

وقد فشلت كل محاولات عزل الدين وفصله عن المجال العمومي، وتقزيمه في إطار دائرة الإيمان الفردي، وعاد الدين هوية وشعارًا لمختلف المجتمعات، وعلى مختلف جبهات النزاع والصراع.

وكما يرى أحد المفكرين الغربيين ريجيس دوبري: «أنه لم يعد الدين أفيون الشعوب، بل أصبح (فيتامينها) ومخلصها من كل أشكال السيطرة والاستلاب والاستغلال»^(١).

وإذا كان حضور الدين لافتًا في واقع المجتمعات المعاصرة بشتى ألوان انتماءاتها الدينية، فإن هذا الحضور أكثر وضوحًا في واقع المجتمعات الإسلامية، مما يعطي الثقة والاطمئنان بقوة الدين وتجدر نفوذه وتأثيره، ويبدد مشاعر القلق والخوف عليه من مؤامرات الأعداء.

لكنّ الداخل الديني هو ما يجب أن يبعث القلق الشديد على الدين.

■ فهناك جهات تمارس التطرف والإرهاب باسم الدين، وتشوّه صورة الإسلام أمام الرأي العام العالمي، بأكثر مما قد تقوم به جهات معادية تعمل على تشويه الإسلام من خارجه.

■ وهناك مؤسسات دينية عميقة تكرّس الجمود والتخلف في الفهم الديني، وتمانع أيّ اجتهاد يبذل لعصرنته وأنستته، بحيث يستوعب تطورات الحياة، ويواكب تقدم العلم والمعرفة، وتصرّ هذه المؤسسات على تقديم الفكر والتشريع الديني كما أنتجته أفهام السابقين، ضمن ظروف عصرهم وبيئتهم،

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ٣ نوفمبر ٢٠١٦م، معنى عودة الديني.

مما يوقع المسلمين في أزمة تناقض وصدام بين الالتزام بالدين، وبين الأخذ بمكتسبات الحضارة ونتائج تطورات المعرفة والخبرة الإنسانية، في إدارة شؤون الحياة.

هذا التناقض يدفع قسمًا من أبناء الأمة للعيش خارج العصر والتاريخ، ويصيب قسمًا آخر باضطراب وارتباك في إدارة حياته، ويزعزع ثقة الأجيال الصاعدة بجدارة الدين لقيادة المجتمع المعاصر.

■ وهناك حالات النزاع والاحتراب التي تسود معظم أرجاء الساحة الدينية، على أرضية الاختلاف المذهبي، أو تنوع التوجّهات الفكرية، أو تعدّد الحركات والأحزاب السياسية، وقد يحصل الانقسام في المجتمع الديني بسبب خصومة شخصية، وتنافس مصلحي بين زعامتين دينيتين، تدفعان أتباعهما لمعركة طاحنة تحت شعارات ومبررات دينية.

هذه الظواهر وأمثالها هي مصادر الخطر والقلق على الدين من داخله، أكثر مما هي العوامل الخارجية.

وعلى الغيورين على مصلحة الدين والأمة أن يوجّهوا اهتمامهم لمعالجة هذه المشكلات، ليرتقوا بواقع الساحة الدينية إلى مستوى الأهداف الإسلامية الكبرى، بدل أن يعيشوا أو هام المؤامرات الخارجية، وينشغلوا بالحديث عن مكائد الأعداء.

إن القرآن الكريم يوجّهنا إلى أن الداخل هو منبع المصائب والمشاكل، وأن الأعداء الخارجيين يستفيدون من الثغرات ومناطق الضعف والخلل في واقع الأمة، يقول تعالى تعقيباً على النكسة التي أصابت المسلمين في معركة أحد: ﴿أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٦٥]، وفي مورد آخر يقول تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٠].

إلى عشرات الآيات الكريمة، التي تؤكد أنّ قوة الإنسان وضعفه نتاج لواقعه الذاتي، وجهده العملي، قبل أيّ مؤثّر خارجي آخر.

من هنا تأتي أهمية تسليط الأضواء على مناطق الضعف الذاتية في السّاحة الدينية، من أجل تلمّس المعالجة وتوخيّ الحلول.

والكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم، هو الجزء السّابع من موسوعة «مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح»، يضمّ خطباً وكتابات وحوارات تنطلق في مجملها من هذه الخلفية، وتلفت النظر إلى منابع القلق والخطر في داخل الحالة الدينية، مع الاجتهاد في تقديم حلول ومعالجات، وهي تمثل جهدي المتواضع في مجال الخطابة والكتابة لعام ١٤٣٦ هـ، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرينا الحقّ حقّاً ويرزقنا اتّباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

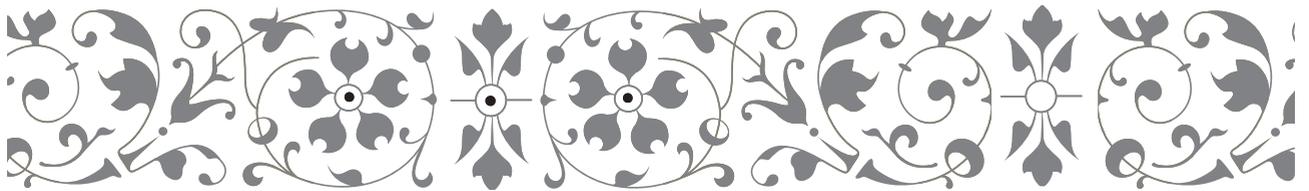
حسن الصفار

1 ربيع الأول 1438 هـ

30 نوفمبر 2016 م



نُطْبُ الْجُمُعَةِ



الخطبة الأولى



تدريب التحريض الطائفي..

متى يتحقق؟

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٥٣]

تلعب الثقافة السائدة في أيّ مجتمع، دورًا أساسًا في رسم مسار العلاقات الاجتماعية. ذلك أنّ العلاقة بين مختلف المكونات والفئات، في أيّ مجتمع، أمر خاضع إلى لون الثقافة السائدة في المجتمع، فمتى ما كانت تلك الثقافة تبشر بالمحبة، وتدعو إلى الاحترام المتبادل، فسينعكس ذلك إيجابًا واستقرارًا في شكل العلاقة بين أبناء ومكونات ذلك المجتمع، ومتى ما جرى العكس، وصارت الثقافة السائدة قائمة على أساس إثارة الضغائن والأحقاد والتحقير للآخر، فإنها من الطبيعي أن تخلق أجواء العداوة المتبادلة، وتحفز على الاحتراب والنزاع والفرقة.

وتنطلق الثقافة الموجهة لمسار العلاقات المجتمعية من أربعة مصادر أساسية، تبدأ من داخل العائلة والمدرسة والخطاب الديني، إضافة إلى وسائل الإعلام. فكيفما وجهت العائلة أبناءها في النظر إلى الآخرين، والتعامل معهم، كانت العائلة بذلك تساهم في تشكيل وصناعة الثقافة العامة في المجتمع. والحال نفسه يجري على مناهج التعليم، فأينما اتجهت المناهج الدراسية في أيّ مجتمع، اتجهت معها بوصلة العلاقات المجتمعية، فإن كانت تلك المناهج

تدفع الطلاب المختلفين في انتماءاتهم، إلى نمط إيجابي في العلاقة فيما بينهم، فستجعلهم يحترمون بعضهم بعضًا، أما إذا كانت المناهج تربيهم باتجاه آخر، فإنّ من الطبيعي أن تكون العلاقة بين الطلاب على نحو مختلف.

ثم يأتي دور الخطاب الديني، فلا يخفى على أحد ما لهذا الخطاب من تأثير متعاظم، وهو المتمثل في سيل الفتاوى والخطب من على مختلف المنابر، فهل يبشر هذا الخطاب بالمحبة، ويدفع الناس إلى الاحترام المتبادل؟ أم أنّ هذا الخطاب يجهد في تعبئة الناس بعضهم ضدّ بعض؟

والحال نفسه مع وسائل الإعلام، التي يتأثر عامة الناس بما تنشر من توجّهات وآراء وتحليلات، فهل تخدم الوحدة والتآلف، أم تدعو إلى العداوة والتنافر؟.

إنّ جميع ما سبق يمثل اللاعب الأساس، في خلق الثقافة السائدة في كلّ مجتمع من المجتمعات.

ثقافة المحبة والاحترام المتبادل

إنّ التعاليم الإسلامية تؤكد أشدّ التأكيد على ثقافة المحبة والاحترام، بين مختلف مكوّنات وفئات المجتمع. وكم في القرآن الكريم من آيات تدعو الناس إلى النظر إلى بعضهم بعضًا، نظرة إنسانية صرفة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾. هكذا يؤكد القرآن الكريم الثقافة التي تنشر وتعزز الاحترام المتبادل بين الناس.

ولعلّ الآية الأشدّ صراحة في هذا الصدد ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ

لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠٠﴾، واللافت أن الخطاب في الآية الكريمة لم يكن موجَّهًا للمسلمين وحدهم، ولا لأيِّ فئة بعينها، وإنما جاء موجَّهًا لعامة الخلق بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾، ذلك أن غرض الآية إرساء منهج في العلاقة بين المجتمعات الإنسانية، على أن يكون هذا المنهج والخطاب المتبادل بين البشر، ليس قائمًا على الكلام الحسن وحسب، وإنما يقوم على اعتماد الخطاب الأحسن، أي الأكثر حسناً. وتعلل الآية سبب اعتماد هذا النهج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾، ومضمون ذلك أن الشيطان يقف على أهبة الاستعداد دائماً لإفساد العلاقة بين البشر، وإثارة العداوة والبغضاء والاحتراب بينهم، ولا شيء أسرع في إفساد العلاقة بين الناس من الخطاب العام فيما بينهم، فإن كان خطاباً تعبويًا تحريضيًا، فإنه بذلك يفتح الباب واسعاً لإنجاح خطط ومآرب الشيطان، وفي مقابل ذلك إذا كان الخطاب خطاب تسامح ومحبة واحترام، فإن ذلك أكثر ما يفشل خطط الشيطان في الإفساد وتخريب العلاقات الاجتماعية.

يقول المفسِّرون: إن الآية الكريمة جاءت في سياق العلاقة بين المكونات الاجتماعية المختلفة، على تعدد انتماءاتها وتوجَّهاتها. فقد أورد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في «الميزان في تفسير القرآن» في تفسير الآية ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: «يظهر أن المؤمنين قبل الهجرة ربما كانوا يحاورون المشركين فيغلظون لهم في القول ويخاشنونهم بالكلام، وربما جبهوهم بأنهم أهل النار، وأنهم معشر المؤمنين أهل الجنة، ببركة من النبي ﷺ، فكان ذلك يهيج المشركين عليهم، ويزيد في عداوتهم، ويبعثهم إلى المبالغة في فتنتهم وتعذيبهم، وإيذاء النبي ﷺ، والعناد مع الحق. فأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن

يأمرهم بقول التي هي أحسن»^(١)، وبذلك جاء الأمر الإلهي، وهو سبيل التخاطب والدعوة إلى طريق الهدى.

إنّ الله سبحانه مع سابق علمه باختلاف المؤمنين عن المشركين، إلا أنه مع ذلك يدعو المؤمنين إلى النأي عن فتح المجال للشيطان، لبيث العداوة بين الفئتين. كما ينسحب ذات الأمر على الفئات المختلفة ذات الانتماء الديني الواحد، وذلك حينما يكون هنالك اختلاف في الفكر أو الموقف السياسي، عندها ينبغي أن يكون الخطاب إيجابياً، وفي هذا الصدد، يروى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام، وذلك في ذروة الخلاف الفكري والسياسي والحربي بين المعسكرين، لكن علياً عليه السلام خاطب أصحابه قائلاً: «إِنِّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتُم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن العي والعدوان من لهج به»^(٢). هكذا تؤكد التعاليم الدينية أن تكون الثقافة السائدة في المجتمع ثقافة محفزة على التسامح، وفي منأى عن تعبئة كل طرفٍ ضد الآخر.

قوانين رادعة للتحريض

إلى ذلك، شرّع الإسلام قوانين، ووضع عقوبات لردع المتجاوزين على الآخرين في خطابهم. فالى جانب التوجيه والوعظ الأخلاقي إزاء النأي عن بثّ العداوة والبغضاء تجاه الآخرين، جاء الإسلام بتشريعات تردع المتجاوزين في كلامهم ضد الآخرين، فقد شرع الإسلام قانوناً لتجريم ومعاينة من يسيء إلى

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١١٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٢٠٦.

غيره، ومن أمثلة ذلك؛ ما ورد من حدّ القذف، فأَيُّما أحد اتَّهم آخر بالانحراف الأخلاقي الجنسي، ولم يأت بأربعة شهداء على صدق مزاعمه، فإن للحاكم الشرعي أن يقيم عليه الحدّ. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾، فـقـذـف الأخرين بالانحراف الأخلاقي، لا يمكن شرعاً أن يمرّ مرور الكرام، ولا يكفي لمواجهة هذا الأمر إسداء النصيحة للمسيء، وإنما توقع عليه العقوبة الرادعة المتمثلة بالجلد.

والأمر سيّان، سواءً كان اتّهام فردٍ واحد بالانحراف، أو اتّهام جماعة من الناس بذات الفعل. فقد روي عن جميل بن دراج، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل افتري على قوم جماعة فقال: «إن أتوا به مجتمعين ضرب حدّاً واحداً، وإن أتوا به متفرقين ضرب لكل واحد منهم حدّاً»^(١)، وبذلك يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ المفتري على الجماعة زوراً وبهتاناً، يمكن أن تقيم عليه الجماعة دعوى واحدة فينال جزاءه مرة واحدة، أما حينما يقيم عليه كلّ فرد منهم دعوى منفصلة، فإنّ للحاكم الشرعي أن يقيم عليه الحدّ في كلّ دعوى بمفردها، بمعزل عن الدعاوى الأخرى. ويقول الفقهاء^(٢) إنّ عقوبة القذف لا بُدَّ وأن تأخذ طريقها للتنفيذ سواء كان محلّ القذف مسلماً أم غير مسلم.

وفي مناسبة أخرى، سئل الإمام الصادق عليه السلام «عن رجل سبّ رجلاً بغير قذف يعرض به، هل يُجلد؟ قال: عليه تعزير»^(٣). والتعزير كما هو معلوم، هي العقوبة غير المنصوص عليها في الشريعة، وللقاضي أن يرى العقوبة المناسبة لردع المسيء، من سجن أو جلد أو غرامة مالية. كلّ ذلك حتى لا تكون كرامة الناس مستباحة، ولا تكون حقوقهم المعنوية مهدورة.

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ١٠، ص ٦٨، حديث ٢٥٤.

(٢) آية الله الشيخ محمد أصف محسني. حدود الشريعة (المحرمات)، ج ١، ص ٥٧٠.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٢٤٠، حديث ٣.

كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قضى أمير المؤمنين عليه السلام في رجل دعا آخر: ابن المجنون، فقال له الآخر: أنت ابن المجنون، فأمر الأول أن يجلد صاحبه عشرين جلدة، وقال: اعلم أنه مستعقب (مستحق) مثلها عشرين، فلما جلده أعطى المجلود السوط فجلده عشرين»^(١). وعن أبي حنيفة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل قال لآخر: يا فاسق، فقال: لا حدّ عليه ويُعزّر»^(٢). وعن الباقر عليه السلام أنه قال: «قضى أمير المؤمنين عليه السلام في الهجاء التعزير»^(٣).

استقرار المجتمعات المتحضرة

إنّ المجتمعات المتحضرة تُحترم فيها كرامة الناس. فلا يفسح المجال ولا يترك أيّ أحدٍ يتهم الآخرين في أخلاقهم ودينهم، ويمضي في تعبئة الناس ضدّ بعضهم بعضاً. كما لا ينبغي أن تقف المسألة عند حدود التوجيه والتحذير، وإنما ينبغي أن تكون هناك عقوبة رادعة ضد من يعتدي على الحقوق المعنوية للآخرين، فهذا هو فحوى التشريعات الإسلامية الواردة في شأن الحدود وأحكام التعزير، ضمن جميع المذاهب الإسلامية.

لقد اتّجهت المجتمعات الحديثة نحو سنّ القوانين القاضية بتجريم الحُصّ على الكراهية، وإثارة العنصرية. فأيّما بلد من البلدان التي تزخر بالتنوع السياسي، القومي، العرقي، الديني، لا تسمح بأيّ حالٍ بأن تهدر كرامة أيّ مكّون من مكّوناتها، بالتحريض أو اتّهام هذا المكّون بمختلف ألوان التهم، ذلك أنّ القانون يجرم على نحو قاطع التحريض على الكراهية، وهذا أمر مرتبط بصميم المصلحة الوطنية للدول، واستقرار المجتمعات. ومردّد ذلك، إلى أن فسح المجال أمام التحريض والتعبئة، سيقود إلى العنف والاحتراب والنزاع.

(١) الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٢٠٣، حديث ٣٤٥٦٨.

(٢) تهذيب الأحكام، ج ١٠، ص ٨٠، حديث ٣١٤.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٢٨، ص ٢٠٤، حديث ٣٤٥٧٠.

وناهيك عن الدول المتقدمة، فقد اتجهت دول عربية نحو سنّ قوانين لتجريم التحريض وإثارة الكراهية والعنصرية. ومن ذلك دولة الكويت التي أصدر أميرها مرسوماً برقم ١٩ لسنة ٢٠١٢ في شأن حماية الوحدة الوطنية، ونصّت المادة الأولى من المرسوم على التالي: «يحظر القيام أو الدعوة أو الحُصّ بأيّ وسيلة من وسائل التعبير.. على كراهية أو ازدراء أيّ فئة من فئات المجتمع، أو إثارة الفتن الطائفية، أو القبلية، أو نشر الأفكار الداعية إلى تفوق أيّ عرق أو جماعة أو لون أو أصل أو مذهب ديني أو جنس أو نسب، أو التحريض على عمل من أعمال العنف لهذا الغرض..»^(١).

كما أصدر الأردن قانوناً للعقوبات، جاء في المادة ١٥٠ منه، بشأن «الجرائم التي تنال من الوحدة الوطنية، أو تعكّر الصفاء بين عناصر الأمة»، وتعتبر المادة نفسها أن «كلّ كتابة أو خطاب أو عمل يقصد منه أو ينتج عنه إثارة النعرات المذهبية أو العنصرية أو الحُصّ على النزاع بين الطوائف ومختلف عناصر الأمة، يعاقب عليه بالحبس مدة ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبغرامة لا تزيد على خمسين ديناراً»^(٢).

إنّ بلدان المنطقة أحوج ما تكون لقوانين تجرّم الحُصّ على الكراهية، وإثارة العنصرية. وتتضاعف أهمية هذا الأمر في هذا الوقت، الذي يشهد تفجّراً في الغرائز العنصرية والطائفية، التي باتت تتوسل كلّ الوسائل والأساليب التي تزيد من أوار التعبئة، وتقاذف التهم بين هذه الجهة وتلك.

لا يصحّ أبداً أن تترك الساحة مسرحاً للمحرضين والمعبئين ضدّ مكونات أساسية في المجتمع والوطن، لأنّ هذا يساهم في خلق الأرضية للاحتراب والعنف.

إنّ جميع بلداننا في حاجة لمثل هذه القوانين الرادعة. وبعد أن حدث الاعتداء الإرهابي الأثم على حسينية المصطفى في قرية الدالوة ليلة العاشر من المحرم

(١) صحيفة الراي الكويتية، الاثنين ٢٢ أكتوبر ٢٠١٢م، كما صدر في الجريدة الرسمية «الكويت اليوم» في عددها رقم ١١٠٢.

(٢) صحيفة الدستور الأردنية، الأحد، ٣١ مايو/ أيار، ٢٠١٥م.

١٤٣٦هـ، تعالت الأصوات مرة أخرى من مختلف أرجاء الوطن ومن مختلف الاتجاهات، داعية إلى الإسراع في سنّ قانون يجرّم التحريض على الكراهية، فلقد تأخرت بلادنا كثيرًا على هذا الصعيد، وهذا التأخير كان بلا شك من العوامل التي ساعدت وهيأت الأرضية لمثل هذا الحادث الأليم. إننا نأمل أن يتجاوز وطننا هذه المشكلة، وأن يشرّع القوانين التي تحمي وتحفظ الوحدة الوطنية.



حتى نقف صفاً واحداً أمام الإرهاب

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «قال رسول الله
عليه السلام: عجباً للمؤمن، لا يقضي الله عليه
قضاءً إلا كان خيراً له، سرّه أوساه»^(١).

يتطلع جميع البشر أفراداً وجماعات، إلى العيش في ظلّ الأمن والطمأنينة والرفاه. وهذا تطلّع مشروع، غير أنّ للحياة طبيعتها ومعادلاتها التي شاءتها الإرادة الإلهية، حيث يكون الإنسان فيها معرّضاً لشتّى أنواع الابتلاءات، مما يعيق تحقيق بعض آمانيته وتطلعاته. من هنا يأتي السؤال، عن الكيفية التي ينبغي أن يتصرف فيها الفرد أو المجتمع، حينما يجري تعويق تطلّعه نحو الأمن والطمأنينة والرفاه، وتعريضه للاعتداءات المؤلمة والحوادث الخطيرة.

هنا قد يستولي اليأس والقلق على النفوس، فتصبح الدنيا سوداء قاتمة في أنظارهم. وربما قادت هذه الحالة إلى تصرفات وردود فعل غير سوية، وهذا أشدّ ما يضرّ بهؤلاء الناس ويعين غيرهم عليهم، فلا يعودون قادرين على ابتداء المعالجات الصحيحة، والمخارج السليمة من المآزق والمشاكل التي تعترضهم.

العقلانية لمواجهة المشكلات

إنّ من أهمّ معطيات الدين أنه يمنح الإنسان الثقة بالنفس، والطمأنينة والأمل،

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥١، حديث ١٠٣.

انطلاقاً من الإيمان بالله تعالى، واعتماد مرجعية التعقل حيال التعامل مع المشاكل والحوادث، واعتبار ذلك من صميم طبيعة الحياة، التي ينبغي مواجهة تحدياتها، عن طريق إثارة العقل وإعمال التفكير، لا من خلال تحفيز الغرائز وإثارة الانفعالات، التي لن تزيد سوى إذكاء المشاكل وتأجيج أوارها، عوضاً عن التبصير بطرق المعالجة وسبل الخروج. يقول تعالى في هذا الصدد: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وبذلك يواجه الإنسان المؤمن المشاكل بقلب مطمئن، فيمضي في البحث عن ضوء الأمل حتى في نفق المصائب والمشاكل.

لقد مثلت واقعة عاشوراء معيناً لا ينضب، إزاء سبل التعامل مع أسوأ المصائب وأمضها. ولعل نظرة عابرة لبعض مواقف الإمام الحسين (ع) وأهل بيته (ع)، نجد فيها أشد ما يثير الإعجاب والدهشة، من المثالية العالية التي واجهوا بها المصائب التي حلّت عليهم في ذلك اليوم المؤلم. ومن ذلك، حين سأل والي الكوفة عبيدالله بن زياد العقيلة زينب (ع) بُعِدَ حادثة الطف مباشرة، واستشهاد الإمام الحسين (ع) والعشرات من أبنائه وأنصاره، يسألها متهمكماً: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟، لتجيبه (ع) على نحو أبعد ما يكون عن اليأس والإحباط والهزيمة، وإنما بلغة الواثق المطمئن، بقولها: «ما رأيتُ إلا جميلاً»^(١). هذا هو منطق الإيمان والثقة والأمل، والتفكير العقلاني في مواجهة المشكلة، وهي العوامل التي تقود المؤمن إلى الطريق السواء.

إن الله تعالى يدعو الإنسان إلى البحث عن المردودات الإيجابية حتى من بين ركام الأزمات والشدائد، يقول سبحانه: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، ويقول تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. إن ذلك لا يعني بأي حالٍ ألا يتألم الإنسان وألا ينزعج من المشاكل، فهذا خلاف الطبيعة البشرية، إلا أنّ السؤال هنا، هو عن كيفية مواجهة الحوادث وطبيعة ردّ الفعل عليها، فالمؤمن في أوقات الشدائد لا ينبغي أن يخرج في ردود أفعاله عن إطار العقل والحكمة. ولقد

(١) أحمد بن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ج ٥، ص ١٢٢.

تناول هذه الصفة أمير المؤمنين عليه السلام، في إحدى كلماته الخالدة في توصيفه للمؤمنين المتقين، بقوله: إن المؤمن «في الهزاهز وقور»^(١)، فالمؤمن وفقاً للإمام عليه السلام يبقى وقوراً متزناً منضباً في مواقفه، حتى في غمرة الاضطرابات والهزات، فلا يندفع أبداً خلف غرائزه وانفعالاته.

الاعتداء الإرهابي في الدالوة

إن موقف المجتمع تجاه الاعتداء الإرهابي الآثم الذي وقع في قرية الدالوة بالأحساء، ليلة العاشر من المحرم، وراح ضحيته ثمانية شهداء، يقدم مصداقاً من مصاديق مواقف الوقار التي يتميز بها المؤمنون المتقون. فلا شك أن هذه الحادثة مثلت فاجعة مؤلمة، ذلك أنها المرة الأولى التي تشهد فيها المنطقة مثل هذا الاعتداء البشع، الذي طال ثلثة من المؤمنين الأبرياء، ممن كانوا يمارسون شعائرهم الدينية، ويتقربون إلى الله بإحياء ذكرى سبط رسول الله صلى الله عليه وآله أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

ومع فقد المنطقة ثمانية شهداء أعزّاء، التحقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، وجرح العديدين غيرهم، ناهيك عن حالة الرعب التي انتشرت جرّاء الحادثة المفاجئة، أدركت الجميع مع ذلك طمأنينة الإيمان، فجاءت ردود الفعل في غاية الحكمة والعقلانية والاعتدال، ليضربوا أروع الأمثلة في الصفاء والوعي الوطني، حتى نال أهلنا المؤمنون في الأحساء بذلك إعجاب وتقدير نظرائهم في الوطن والعالم؛ لما أظهروا من التعاطي الإيجابي مع هذه الفاجعة المروعة الأليمة. لقد أثبت أهلنا في الأحساء ما كان معروفاً عن تاريخهم وسيرة أتباع أهل البيت عليهم السلام.

كان ردّ فعل أهلنا في الأحساء على فاجعة الدالوة، انعكاساً لتربية أهل البيت عليهم السلام ومدرسة عاشوراء. وقد برزت تجليات ذلك من خلال الإصرار على وحدة الصف، وإدانة المعتدي الظالم، دون تعميم ولا انجرار خلف الفتنة، لقد جاءت هذه الحادثة

(١) بحار الأنوار. ج ٦٤، ص ٢٩٤، حديث ١٨.

لتوقظ الضمير الوطني، وتثير الوجدان الإنساني، ولتنبه إلى خطورة ما تقوم به بعض الجهات والقوى في بلادنا، من إمعان في التجيش والتعبئة الطائفية، وممارسة التمييز والاقصاء.

إنّ هذه الحادثة رغم فظاعتها، نأمل أن يجعل الله فيها للمجتمع وللوطن بأجمعه خيراً كثيراً، ذلك أنّ الحالة الطائفية، لا تنعكس أضرارها على من يقع عليهم الحيف فحسب، بقدر ما تضرّ الوطن برمّته، حكومة وشعباً، فهذه الممارسات العدوانية هي ما يخلق أرضية النزاع والاحتراب، وتقويض الوحدة الوطنية، وهذا تحديداً ما يريده أعداء الدين والوطن.

معالجة ملف الطائفية في البلاد

لذلك يحذونا الأمل أن يكون الاعتداء الإرهابي في الدالوة مفتاحاً لمعالجة ملف الحالة الطائفية في البلاد. وبحمد الله جاء تعامل الدولة مع الحادثة تعاملًا جيّدًا ومشكورًا، وعلى غرار ذلك جاءت ردود الفعل متضامنة من جميع أرجاء الوطن، فقد هبّ الوطن كلّهُ، من شماله إلى جنوبه، ومن غربه إلى شرقه، ومن جميع المشارب والانتماءات والتوجهات، ليعلنوا عن تضامنهم ومواساتهم وتعاطفهم مع ضحايا الاعتداء الآثم. كما كان للمؤسسة الدينية موقف مشكور، عبر عنه مفتي المملكة وهيئة كبار العلماء ومختلف الكتّاب، وقد قدّر الجميع الموقف الرائع الذي ظهر به أهالي الأحساء بُعيدَ الحادثة، وهذا ما ينمّ عن انتباهة أدركت الجميع، حول مدى خطورة المسألة الطائفية.

وبهذا يبدو أنّ الأجواء باتت مهيبّة، والفرصة سانحة، لشرع الدولة وأخذ زمام المبادرة، في معالجة الملف الطائفي الذي تأخرت معالجة الكثير من الجوانب فيه، حتى يتجاوز وطننا حالات التجيش والتعبئة الطائفية، وممارسات التمييز والاقصاء.

إنّ تعرض بلادنا للاستهداف والهجمات المتكررة من الجماعات الإرهابية في

الآونة الأخيرة، يجعل من المسارعة في معالجة الملف الطائفي في البلاد مسألة جوهرية؛ لأنّ الوطن أحوج ما يكون للوقوف صفًّا واحدًا في مواجهة الإرهاب، من خلال التعامل مع جميع المواطنين على قدم المساواة، في الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص، فلا يتمتع بعضهم بالامتيازات فيما يشكّي الآخر الغبن الواقع عليه، يجب أن يقف الجميع صفًّا واحدًا في مواجهة الإرهاب وصدّ العدوان، وبذلك نجعل من هذا الاعتداء الوحشي منعطفًا إيجابيًا في تاريخ البلاد.

الخطبة الأولى



معطيات الدعاء ووسائل القنوط

جاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «المؤمن
من دعائه على ثلاث: إِمَّا أَنْ يَدْخُرَ لَهُ، وَإِمَّا
أَنْ يَعْجَلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ بِلَاءَ يَرِيدُ أَنْ
يَصِيبَهُ»^(١).

يُعَدُّ توثيق الصلة بين العباد والخالق تعالى مهمة أساس من مهام الأنبياء والقادة الإلهيين. ذلك أنها تعكس حقيقة قائمة، مفادها أنّ الإنسان مخلوق لله، وأمره بيده سبحانه، وهو مرتبط في كل تفاصيل حياته ووجوده بالله، فالتأكيد على هذه الصلة، إنما هو تجلية وإظهار لحقيقة واقعة، مهما غفل الإنسان عنها.

كما أنّ صلة الإنسان بربه تعبّر عن حاجة نفسية روحية، هو ذاته أحوج ما يكون لها، فهو المحتاج أولاً وأخيراً للصلة بربه وخالقه، لما تتقاذفه من أمواج التحديات والمشاكل والضغوطات المختلفة. من هنا يحتاج إلى منبع يرجع إليه ويستلهم منه، لكي يكون صامداً ثابتاً أمام مشاكل الحياة وضغوطاتها، وليس هناك من منبع أهم وأفضل من الاتصال بالله سبحانه وتعالى. وحيثما تعمّقت صلة الإنسان بربه كان أقدر على مواجهة الضغوط والأزمات، لما في ذلك من لجوء واثكاء على القوة المطلقة القادرة المهيمنة على الكون والحياة، وهذا ما يمنح الإنسان الصمود والثقة والاطمئنان.

(١) تحف العقول، ص ٢٨٠.

وتمثل الأزمات الشديدة أكثر الأوقات التي يحتاج فيها الإنسان إلى التواصل مع الله سبحانه وتعالى. حيث لا يحتاج الإنسان في الشدائد إلى من يذكره بربه، إذ يكفي الشعور بالأزمة، وتزايد الضغط والتحدّي، إلى الاندفاع واللجوء ذاتياً نحو خالقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا..﴾، ومضمون الآية الشريفة: أنه عندما تنزل بالإنسان النازلة، فإنه يندفع بذاته للبحث عمّن يلجأ إليه، في سبيل الخروج من تلك النازلة، فلا يجد أقرب إليه من الله سبحانه وتعالى.

الاتصال بالله وضبط السلوك

إنّ الاتصال بالله تعالى عامل أساس في ضبط مسيرة الإنسان وسلوكه. فالإنسان عرضة على نحو دائم لسيطرة الشهوات، والاستسلام للرغبات غير المنضبطة، لتأتي حينها الصلة بالخالق تعالى فتبعث في نفسه الجانب المقابل للنزعات الشهوانية، ألا وهو جانب القيم والميول الفطرية الوجدانية الخيرة.

ويعتبر الدعاء من أبرز وسائل التواصل المباشر مع الله جلت قدرته. إذ يقوم الدعاء، أكثر من أيّ عبادة أخرى، بمهمة تعزيز التواصل بين العبد وربه، لما ينطوي عليه من شعور عميق بحاجته إلى ربه، وإدراكه وتسليمه التام بأنّ كافة الأمور بيده سبحانه. من هنا كان الدعاء من أهمّ العبادات، وضمن هذا السياق نفهم ما ورد عن رسول الله ﷺ حين قال: «الدعاء منجّ العباد»^(١)، أي إنّ الدعاء يمثل جوهر العبادة، وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «أحبّ الأعمال في الأرض إلى الله الدعاء»^(٢)؛ لأنّ الدعاء يعني في جوهره التعبير عن صميم الحاجة، وإدراك الأهمية للصلة بالخالق تعالى.

لقد شددت مختلف الشرائع السماوية على الاهتمام بالدعاء. ولطالما ورد الحثّ

(١) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

على توجه الإنسان إلى بارئه بالدعاء في كل حين، وعند كل شأن من شؤونه، وقد ورد في الحديث القدسي عنه تعالى مخاطبًا أحد الأنبياء: «يا موسى، سلني كل ما تحتاج إليه حتى علف شاتك، وملح عجنيك»^(١)، وذلك في إشارة إلى أهمية التعلق به تعالى في أصغر الأمور وأكبرها، التي لا يتسنى للإنسان بلوغها إلا بقدرة الله سبحانه ورحمته، حتى وإن كان بمقدار استنشاق الهواء!، لذلك لا بُدَّ أن يستحضر الإنسان في نفسه هذه الحالة دائمًا وأبدًا.

زين العابدين وأدعيته الملهمة

لقد كان الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام من القادة الإلهيين، الذين اهتموا أشدَّ الاهتمام بمسألة الدعاء. وهذا لا ينتقص على أيِّ نحوٍ من اهتمام سائر الأنبياء والأئمة والأولياء بالدعاء، غير أن ظروف كلِّ نبيٍّ أو إمامٍ ربما تدفع باتجاه إبراز بُعدٍ مُعيَّن من الأبعاد، وقد برز الدعاء كأحد أبرز الأبعاد في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام. لذلك ترك الإمام للأمة بل للبشرية من بعده تراثاً روحياً عظيماً، متمثلاً في الأدعية الرائعة المروية عنه عليه السلام، ومن أبرزها أدعية الصحيفة السجادية.

وقد احتوت الصحيفة السجادية على أغراض وأبعاد روحية متعددة. فهناك الأدعية التي غرضها التقرب من الله تعالى ونيل رضاه ومغفرته ورحمته، وهناك في الصحيفة من الأدعية التي غرضها تحصيل المكاسب الأخروية، لينال الإنسان المقام الرفيع والنعيم الكبير الذي أعدّه الله تعالى للمتقين في الآخرة. حيث يتوسل الإنسان المؤمن بالدعاء، مدرِّكاً أن ما يتحصل عليه برحمة الله ولطفه، هو أكثر مما يناله ويستحقه عن جدارة واستحقاق لقاء عمله، ذلك أنه مهما عمل العبد يبقى مقصراً تجاه خالقه عزَّ وجلَّ، ولا ينال أعظم جوائزهِ في الآخرة إلا برحمة الله وجوده وكرمه.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٠٣.

كما تنطوي الصحيفة على غرض ثالث من أغراض الدعاء، وهو بُعد السمو في آفاق الفضائل والمكارم، وذلك ما يبدو جلياً في العديد من الأدعية، سيما دعاء مكارم الأخلاق، الذي حوّل القيم الأخلاقية إلى مطالب ينبغي للإنسان السعي إلى تحصيلها، وطلب توفيق الخالق جلّت قدرته لها، الأمر الذي يعزز دون شك اندفاع المرء باتجاه تلك القيم.

كما حفلت أغراض الدعاء في الصحيفة السجادية بجانب الاهتمام بالمصلحة العامة. وخاصة تلك المتعلقة بأوضاع الأمة وأحوال البشرية كافة، على غرار الدعاء لأهل الثغور ومن فقراته: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَآيِدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَّتِكَ»^(١)، وهذه بأجمعها من أغراض المصلحة العامة.

إلى ذلك ورد في أدعية الصحيفة أيضاً أغراض متعلقة بمعالجة المشاكل الطارئة التي قد تتاب الإنسان في مختلف مفاصل حياته، من حالات المرض، وقضاء الحاجات، وحلّ المشاكل، وما إلى ذلك من أغراض ينبغي أن يتوجه فيها الإنسان إلى بارئه لتحقيق خير، أو دفع بلاء.

استعجال إجابة الدعاء

ليس من العيب أن يلجأ الإنسان إلى خالقه، لسؤاله تعالى تحقيق جميع مطالبه بالملق. بل العكس هو الصحيح، حيث يحبّ سبحانه وتعالى الذين يلجأون إليه في كل صغيرة وكبيرة، لما في ذلك من تعزيز العبودية، والخضوع لله تعالى في نفس الإنسان.

غير أنّ من أشدّ الأمور خطورة، هو إمكانية انسياب وساوس الشيطان لنفس

(١) الصحيفة السجادية، وكان من دعائه ﷺ لأهل الثغور، ص ١٢٤.

الإنسان، ذلك أنه قد لا يلمس تحقق بعض مطالبه المتعلقة بمصالح عاجلة وآنية، كأن يكون المرء واقعاً تحت ضغط الحاجة الملحة، أو الكربة الشديدة، أو المرض العضال، ليتجه حينها إلى الإلحاح والمبالغة في الدعاء، مستعجلاً لحلّ مشكلته، وتحقيق مطالبه، وفي حال تأخر الإجابة، تحضر في هذه اللحظة تحديداً وساوس الشيطان، التي ربما بلغت بالإنسان حدّ التشكيك في صدق وتحقق الوعد الإلهي، الوارد في الآية الكريمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، أو الوسواس التي ربما أصيب معها الإنسان باليأس جرّاء تأخر الاستجابة.

ومما يحضرني في هذا الصدد، قول مريض زرته ذات مرة، وعندما دعوت له الله تعالى بالشفاء العاجل، أعرب صراحة عن يأسه، قائلاً بأنه لا يظنّ أنّ ثمة فرصة للشفاء مع هذا المرض!. وهذا للأسف باب من أبواب اليأس والقنوط من رحمة الله، وما للإنسان وذاك، فهل المرض والشفاء بيده هو حتى يقنط عندما تعجزه الحيلة!، أو ليس كلّ ذلك بيد ربّ العالمين؟ ولطالما رأى الناس من حالات الشفاء من الأمراض المهلكة، لدى من شارفوا على الموت، مما لا يُعدّ ولا يحصى، وذلك عندما اقتضت حكمة الله أن يظهر قدرته أمام عباده. فلا مفرّ من المصائب، إلا أنّ الله تعالى برحمته يستنقذ الإنسان منها، وهذا مما لم يعد يخفى على الناس.

لقد اتّجه الإمام زين العابدين عليه السلام إلى قطع الطريق على وساوس الشيطان التي قد تنتاب الداعين لله سبحانه. فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «المؤمن من دعائه على ثلاث، إمّا أن يُدخّر له، وإمّا أن يُعجلّ له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه»^(١)، وبذلك يقرّر الإمام عليه السلام أن الدعاء سيعود على الإنسان بالمكاسب في جميع الحالات، ومهما كان شكل النتيجة التي يجنيها الإنسان من وراء ذلك. فبحسب الإمام عليه السلام أن الدعاء على ثلاثة أوجه:

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٣٨، حديث ١٨.

أولها إن لم تظهر الاستجابة لدعاء الإنسان عاجلاً، فهو مدّخر له، أي إنه سبحانه يدّخر لعباده من الإجابة ما هو خير لهم من ذلك، وبذلك يكون الدعاء هنا أشبه ما يكون بالرصيد المحفوظ للإنسان عند الله تعالى، إن على صعيد الحاجات الدنيوية أم العوائد الأخروية. لأنّ الله وحده أعلم بمختلف جوانب المصلحة والمنفعة في حياة العباد، ويده تعالى أن يحقق هذا أو ويدّخر ذلك.

والوجه الآخر، هو أن يعجل الخالق سبحانه الإجابة، فيحقق للعبد مراده ويستجيب لطلبه. أما الوجه الثالث، فقد تقتضي الحكمة الإلهية ألا يحقق الخالق تعالى مراد العبد عاجلاً، إلا أنّه في مقابل ذلك قد يدفع عنه البلاء الذي يوشك أن يحقق به.



التسامح.. القيمة الغائبة في

مجتمعاتنا

﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الأنعام، الآيات: ١٠٦-١٠٨].

يحمل مفهوم التسامح في عصرنا الراهن بُعداً إنسانياً، مضمونه الأساس القبول بالتعددية والتنوع على كافة المستويات. وذلك ما ينسحب بطبيعة الحال على القبول بمختلف أشكال التعدد في الأديان والمذاهب والاتجاهات والمدارس الفكرية، على أن يترافق ذلك مع التعايش والاحترام المتبادل، بين أتباع هذه العقائد والاتجاهات المختلفة. فالتسامح بمعناه المتداول اليوم هو القبول بالآخرين واحترامهم، بغض الطرف عن عقائدهم وآرائهم.

مفهوم التسامح في تاريخ أوروبا

وقد تبلور مفهوم التسامح في أوروبا، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، إبان المواجهة المحترمة مع الكنيسة بمختلف بمذاهبها. فقد كانت تسعى مختلف

الكنائس إلى فرض عقيدتها على الناس، وإقصاء ومعاقبة أصحاب العقائد الأخرى المغايرة لها. فكلّ كنيسة كانت ترى أن عقيدتها هي العقيدة الحقّة، وأنّ جميع ما عداها من الكنائس إنّما هم على باطل وأهل ضلال، وتبعاً لذلك منحت كلّ كنيسة لنفسها الحقّ في فرض رؤيتها على الناس طوعاً أو كرهاً، والويل كلّ الويل لمن يأبى الاستجابة لها، بما يصل إلى حدّ الإحراق حيّاً بتهمة الكفر والهرطقة، وقد نال عشرات الآلاف من الناس هذا المصير الأسود على يد رجال الكنيسة.

ونظراً للثمن الباهظ الذي دفعه المفكرون في أوروبا، فضلاً عن عامة الناس، نتيجة تسلّط الكنيسة على رقابهم، فقد شكّل ذلك باعثاً نحو قيام حراك فكري وفلسفيّ في السّاحة الأوروبية، على أيدي مفكري عصر التنوير، لينتهي بهم الأمر إلى بلورة مفهوم التسامح، الذي ينطوي في جوهره انعدام الأحقية لأيّ طرف، كائنًا من كان، كنائس أو أفرادًا، في أن يفرض آراءه على الآخرين، وغاية ما هناك أن تتاح للجميع فرصة التعبير عن الرأي، وسيان بعدها في أن يقبل الناس الأخذ بهذا الرأي أو الإعراض عنه. وبذلك نشأ مفهوم التسامح ضمن أجواء التسلط الكنسي المقيت، حتى أصبح هذا المفهوم شيئاً فشيئاً أمرًا واقعًا في المجتمعات الغربية.

عوامل نجاح مفهوم التسامح

لقد ساهمت مجموعة من العوامل على نحوٍ كبير في نجاح مفهوم التسامح في أوروبا. ويأتي على رأس هذه العوامل؛ قيام دولة المواطنة، والفصل بين السياسة والكنيسة. فبعد قرون طويلة من تحالف الكنيسة مع السلطة السياسية، ذلك التحالف الذي خوّل القيصر حقّ تولّي الشأن البشري، فيما أتاح للكنيسة الهيمنة على الجانب الروحي، قامت بعدها دولة المواطنة، ومحورها أنّ الحكومة ليست سوى جهاز لتسيير مصالح المواطنين وحمايتهم، وتوفير الخدمات لهم، ولا شأن للسلطة السياسية بأديان وعقائد وآراء المواطنين، الذين لهم وحدهم حقّ اختيار عقائدهم وآرائهم. إنّ

قيام دولة المواطنة هو الذي ساهم في تحويل مفهوم التسامح إلى حقيقة واقعة في المجتمعات الغربية.

أما العامل الثاني الذي ساهم في نجاح مفهوم التسامح؛ هو إقرار مبادئ حقوق الإنسان. تلك المبادئ التي تعني الاعتراف لكل إنسان بحريته في كل ما يتصل باختياراته الفكرية والعقدية والسياسية، وأنه لا يجوز النيل من أي إنسان على خلفية لونه أو دينه أو رأيه. عندما أقرت المجتمعات الغربية مبادئ حقوق الإنسان في أعقاب الثورة الفرنسية، والثورة الأمريكية بعد ذلك، وأقرتها الأمم المتحدة في وقت لاحق، ساهم جميع ذلك في إنجاح مفهوم المواطنة.

وجاء نشر ثقافة التعددية واحترام الآخر باعتباره العامل الثالث في نجاح مفهوم التسامح. وقد أخذت ثقافة التعددية طريقها ضمن مناهج التعليم، ووسائل الإعلام، والخطاب العام، وهذا بأجمعه ساهم في تعزيز مبدأ التسامح في الفضاء العام. ولا عبرة لبعض الحالات الشاذة التي قد تخرق القاعدة. ولعل أبرز مثال على ذلك، هو استضافة تلك المجتمعات لملايين من العرب والمسلمين الهاربين، من أجواء البطش والقمع السياسي والحروب الأهلية في بلادهم، ليجدوا هناك متسعاً كبيراً في ممارسة حياتهم السياسية والدينية والاجتماعية، ولعل أكثرهم تابع خبير سماح إحدى الكنائس الأمريكية للمسلمين بإقامة صلاة الجمعة تحت قبة الكنيسة نفسها، تعبيراً عن الاحترام للإسلام والمسلمين!

غياب التسامح في مجتمعاتنا

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا تزال تفتقد قيمة التسامح في حياتها. وإذا كان هناك من مفارقة كبيرة، فهي أن منطقتنا العربية طالما وصفت بمهد الديانات، فقد كانت مهبطاً لجميع الديانات السماوية؛ اليهودية والنصرانية والإسلام، لكنها باتت تفتقر للتسامح الديني بدرجة كبيرة. ولعل سبب غياب التسامح في مجتمعاتنا ذات التاريخ الديني الضارب في القدم، لا يخرج عن اثنين؛ الاستبداد السياسي، والاستعمار

الأجنبي، اللذين ساهما، على نحوٍ أو آخر، في تحويل الدين أو المذهب إلى جزء من الهوية، فالناس كلما شعروا بأدنى تهديد أو مساس بهويتهم، ازدادوا تشبُّهًا بأهدابها. من هنا تشكّلت في مجتمعاتنا ما يمكن أن نصفها بالعقدة الدينية، التي غالبًا ما يصاحبها التعصّب والتنازع والاحتراب الديني، الذي ربما تتمظهر - في حدّها الأدنى - في الجدل الديني والمذهبي العقيم، الذي لا يكاد يخلو منه منبر أو خطاب ديني، خطاب لا يكاد يغادر الانشغال بجدلية قلنا وقالوا، والاستماتة في إثبات أننا وحدنا أهل الجنة وغيرنا في النار!. فيما قد تصل هذه العقدة الدينية إلى أقصى درجاتها المتمثلة في تصاعد أعمال الإرهاب والنزاعات الدموية الناشئة في كثير من مناطق عالمنا العربي. فمتى تتجاوز مجتمعاتنا الدينية نزعة التعصّب لتعيش حالة التسامح؟.

إنّ سبل الخروج من حالة التعصّب الديني، وإرساء حالة التسامح في مجتمعاتنا، لا تنفك بأيّ حالٍ عن ضرورة قيام دولة المواطنة، واحترام حقوق الإنسان. ذلك أنه ما لم تقم دولة المواطنة، فسيبقى الباب مشرعاً أمام التعصّب الديني والمذهبي، وما لم يكن هنالك إقرار لمبادئ حقوق الإنسان، فستستمر حالات انتهاك حقوق الإنسان، من خلال فرض رأي أو مذهب وعقيدة معينة على سائر الناس، والتضييق على أصحاب الأديان والعقائد الأخرى، ومنعهم من إقامة شعائرهم الدينية.

نزعة التعصّب

وعلى النقيض من حالة التسامح، تسود في مجتمعاتنا نزعة التعصّب الديني. فهناك وسط كلّ جماعة دينية اتجاه نحو زرع الكراهية، وشحن الأتباع بسوداوية تجاه المخالف السبيء، المتمسك بالباطل، الذي لا مصير له سوى جهنم!. هذه النزعة تجاه شيطنة الآخرين، هي غالبًا ما تزرع بذور التعصّب والنزاع والاحتراب الديني بين الناس، سيما إذا عمد المتعصّبون إلى الاتّكاء على أحداث التاريخ بكامل حمولته السلبية، وتجيير التراث الديني لإسباغ الصبغة الدينية على ثقافة التطرف، كلّ ذلك في سبيل خدمة وتعزيز النزعة التعصّبية.

إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة تراثها الديني، للخروج من حالة التعصب. ولعلّ قراءة فاحصة للنصوص الدينية، ربما تفاجئ المتديّنين المتعصبين، لما فيها من نهى قاطع عن الانشغال أو التدخل في عقائد الآخرين، وكلّ ما يطلب من المؤمن فعله، أنه إذا وجد فرصة لدعوة الآخرين للإسلام، فليدعهم شريطة أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالترشق واستخدام الشتم والسبّ، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، هذا على مستوى الدعوة. أما على مستوى الدخول في الجدل والنقاشات مع أهل الأديان والمذاهب الأخرى، فذلك أيضًا مشروط بالمجادلة بالتي هي أحسن، تبعًا لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، فهذا هو منهج الشريعة، وما عدا ذلك لا صلة له بالدين.

لقد نصّب بعض المتديّنين المتعصبين أنفسهم شرطة على آراء وتوجّهات خلق الله. وهذا أبعد ما يكون عن الدين، فالدين في حقيقته منزّه عن حالات التبعيّة والحضّ على الكراهية، وإثارة الأحقاد، ضد الآخرين الذين لا يوافقوننا الرأي. وما شأن المتعصبين باعتناق زيد من الناس هذا الدين أو تلك العقيدة؟، وما الذي يعينهم إن تبنّى عمرو مذهبًا أو عقيدة أخرى؟ وما دخلهم في تبنّي فلان هذا الرأي، أو رفض إعلان لتلك الفكرة؟، هل هم وكلاء على خلق الله؟ أم أنهم أشدّ حرصًا على الدين من الخالق سبحانه، وقد خاطب نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾!

لا وصاية لأحد على أفكار الناس

هناك منظومة عمادها العشرات، ولربما المئات، من الآيات التي تصبّ في اتجاه نبذ التعصب الديني. والغريب أن المتعصبين يطوون عنها كسحًا، ويشبّثون بوضع

آيات منتزعة من سياقها. أو لم يقرأ هؤلاء الآية الكريمة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، أوليس مضمون ذلك أن إكراه الناس على الخضوع لرأي ديني معين أمر مرفوض جملة وتفصيلاً!، علماً أن هذه الآية جزء من آية الكرسي التي يتواتر الاستحباب في قراءتها في العديد من الأوراد، والتي تكمل بقوله تعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

وقد جاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾، وتشير الآية إلى الاكتفاء بالتبليغ والنأي تماماً عن نزعة التدخل لإرشاد الناس عنوة. نعم، إذا ما أتيحت الفرصة للدعوة وعرض جوانب الدين على النحو المناسب، وبالتقيد بالضوابط التي حددها الشرع، فللمرء أن يفعل ذلك. وبخلافه تنهى الشريعة نهياً قاطعاً عن منازعة الآخرين، تحت مزاعم الدعوة للدين، وما هي إلا الأناية التي يسعى من خلالها البعض للتسلط على آراء وأفكار الناس.

حقيقة الأمر، أنه ليس من شأن أحد التدخل في آراء وعقائد الآخرين تحت أي ذريعة كانت. تماماً كما أن الإنسان لا دخل له بما يأكل أو يشرب الآخرون، كذلك الأمر فيما يتعلق بالقناعات والعقائد والأفكار، فلا مدخلية لأحد في هذا الشأن من قريب أو بعيد.

إن هذا ما توجه إليه الشريعة، وتصرح به الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. وفي ذات السياق، وردت روايات كثيرة، منها ما رواه أبو بصير قال: «قلت لأبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام أدعو الناس إلى ما في يدي؟، قال لا، قلت إن استرشدني أحد أرشده، قال نعم، إن استرشدك فأرشدته، فإن استزادك فزده، وإن جاحدك فجاحده»^(١)، ومضمون ذلك أن المرء ليس مطلوباً منه دعوة الآخرين لاعتناق ما يؤمن به، أما إذا طلب الآخرون منه إرشادهم فإن عليه إرشادهم وحسب، فإذا طلبوا زيادة في الإرشاد فله أن يفعل، ولينأى عن ذلك متى ما لمس من الآخرين الجحود.

وعن ثابت بن سعيد قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «يا ثابت، ما لكم وللناس، كُفُّوا

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٩١، حديث ٢١٣١٨.

عن الناس ولا تدعوا أحداً إلى أمركم، فوالله لو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبداً يريد الله ضلّالته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أنّ أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هدايته ما استطاعوا أن يضلّوه، كُفّوا عن الناس ولا يقول أحد: عمي وأخي وابن عمي وجاري، فإنّ الله إذا أراد بعبد خيراً طيّب روحه، فلا يسمع معروفاً إلا عرفه، ولا منكراً إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره»^(١). ويقوله ﷺ: «ما لكم وللناس، كُفّوا عن الناس» كأنما يستنكر ﷺ على بعض شيعته التدخّل في عقائد الناس!. هذه الروايات جاءت ضمن سياق اندفاع بعض أصحاب الأئمة تجاه دعوة الناس لمذهب أهل البيت.

إنّ أئمة أهل البيت ﷺ ليسوا في وارد منع الدعوة إلى الخير، بقدر ما هم أحرص على النأي عن صناعة التوتر والأزمات، وتخريب الوضع الاجتماعي. فالدعوة والتبشير بالآراء والعقائد إذا جاءت ضمن سياقها الطبيعي المناسب فهي أمر مرحّب به، وعلى النقيض من ذلك إذا جاءت ضمن سياق النزاع والاحتراب، فذلك أمر مرفوض جملة وتفصيلاً.

لقد ابتلي الإسلام بثلة من المتعصّبين، الذين يريدون فرض تدبّينهم وقناعاتهم على الآخرين طوعاً أو كرهاً. والغريب أنّ هذه الحالة الإكراهية السيئة انسحبت حتى على الداخل المذهبي نفسه، حتى باتت منابر رئيسة تبدّد أوقات الناس في استعراض الجدالات العقيمة التي أكل عليها الدهر وشرب، في انصراف تامّ عمّا يهمّ الناس ويحفظ حياتهم ويصلح معيشتهم.

(١) الكافي، ج ١، ص ١٦٥.

الخطبة الأولى



تجليات المروءة في شخصية الإنسان

سئل الإمام الحسن عليه السلام عن المروءة؟ فقال:
«شخّ الرجل على دينه، وإصلاحه ماله،
وقيامه بالحقوق»^(١).

تتجسّد الأديان السماوية من حيث الجوهر في انبعاث الصفات والمعاني الإنسانية عند البشر، أكثر من تمثلها في حزمة من الطقوس والعقائد. ومن أبرز الصفات التي تدفع التعاليم الدينية نحو تمثلها معنوياً وسلوكياً هي صفة «المروءة».

والمروءة عند الفرد تعني الحالة الإنسانية في أجلى صورها، حيث تتمثل المروءة في الصفات الأساسية التي ينبغي أن يتحلّى بها الإنسان بما هو إنسان، من أمارات الخير، وصفات الكمال.

والمروءة كما هو واضح لا تبعد كثيراً في اشتقاقها اللغوي عن معنى المرء، أي الإنسان، فقد استخدم القرآن الكريم مفردة المرء في معادل نوعي لمفردة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾، وجاءت مفردة المرء في الآيتين بمعنى الإنسان.

وتعني المروءة في جوهرها تلك الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان بمقتضى إنسانيته. تلك الإنسانية التي جاءت الأديان من أجل بعثها عند البشر. لذلك ورد عن

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٣٥، حديث ١٥١٨٩.

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا خير في دين ليس له مروءة»^(١)، وجاء عنه عليه السلام أنه قال: «المروءة اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن»^(٢)، كما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «لا دين لمن لا مروءة له»^(٣)، ومضمون ذلك أن التدين ليس مجرد التزام أداء الطقوس والمعتقدات، وإنما هو بعث للمعاني الإنسانية في قلب الإنسان، وترجمتها إلى سلوك خارجي.

التمسك بالدين

وهناك سلسلة من التجليات الواقعية للمروءة في حياة الأفراد، يشير الإمام الحسن بن علي عليه السلام عند سؤاله عن المروءة إلى جانب منها، بقوله عليه السلام في تعريف المروءة أنها: «شح الرجل على دينه، وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق»، ويتناول الشح الأول، أي شح الرجل على دينه، المدى الذي يذهب إليه الإنسان في التزام المبادئ الدينية الكبرى، باعتبارها سلوكاً أصيلاً في شخصيته، لا يمكن بأي حال أن يتخلى عنها تحت أي ظرف، ترغيباً أو ترهيباً، والنأي عن المتاجرة بتلك المبادئ تبعاً لتقلب الظروف، وتغيّر اتجاه المصالح الخاصة.

ومن المعروف أنّ «الشح» في مجال المال هو انعدام الرغبة في إنفاقه، كذلك جاءت عبارة «شح الرجل على دينه» في كلمة الإمام عليه السلام، بمعنى المحافظة على الدين بكلّ أبعاده وجوانبه، والحرص على عدم التفريط في الدين، على أي نحوٍ من الأنحاء، وهذا أهمّ تجلٍّ من تجليات المروءة.

إنّ بعض الناس لا يترددون في إبراز مظاهر التزامهم الديني، لكنهم في لحظة زمنية ما يظهرون الوجه الآخر من شخصياتهم. عندما تصطدم مبادئ الدين مع أهوائهم

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٧١، حكمة ٤٠.

(٢) المصدر نفسه، رقم ١٩٢١.

(٣) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ١٦، ص ٤٩٧، حديث ١٢.

وشهواتهم ومصالحهم، فإنهم سرعان ما يتنازلون عن مبادئهم الدينية.

وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في المقاربة بين التزام المبادئ والتفريط فيها تبعاً للمصلحة الدنيوية أنه قال: «وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ»^(١)، وهذا عين التمسك بالدين والنأي عن التفريط في المبادئ، أمام الاغراءات والشهوات، وقال (عليه السلام) في كلمة أخرى: «قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحِيلَةَ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدْعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيحَةَ لَهُ فِي الدِّينِ»^(٢)، ومعنى ذلك أن صاحب الخبرة والحيلة قد يقف على ثغرات كثيرة، ربما يحقق من خلالها مصالح ذاتية، بتجاوز أوامر الله تعالى، أو الجرأة على نواهيه سبحانه، فيعرض عن تحصيل تلك المصالح وهو ليس بغافل عنها، بل عالم بها، ومدرك لقيمتها المادية التي يراها ماثلة أمامه رأي العين، لكنه في حقيقة الأمر لا يريد تجاوز أوامر الله من أجل تحقيق مصالح آنية، وهنا تحديداً يتجلى الاختبار الحقيقي، فيما إذا كان المرء متمسكاً بمبادئه، شحيحاً على دينه، أم أنه من أولئك النهازين للمطامع، ولو على حساب دينهم ومبادئهم.

أين يتجلى الالتزام الديني؟

ومما يُذكر في هذا الشأن ما كتبه أحد المسلمين الملتزمين، بقوله إنه تعلم الالتزام الديني من امرأة أجنبية غير ملتزمة أخلاقياً. ثم يشرح قائلاً إنه ارتبط بتلك السيدة في علاقة عاطفية، رغم كونه متزوجاً، وذات يوم وبينما هو معها إذ دخل وقت الصلاة، فاستأذنها مدة خمس دقائق حتى يؤدي الصلاة، فسألته تلك المرأة عما يفعل، فقال إنه رجل مسلم ملتزم، والإسلام يوجب عليه أداء الصلاة في وقتها، لذلك يريد تأدية الصلاة، يقول الرجل إن المرأة بادرت به بالسؤال حينئذٍ، بقولها: وماذا يقول دينك في

(١) نهج البلاغة، خطبة (٢٢٤).

(٢) المصدر نفسه، خطبة ٤١.

أمر خيانتك الزوجية التي أنت بصددها؟، فوقع عليه الكلام كالصاعقة، كمن كان نائمًا فاستيقظ فزعًا، فأخذ يحدث نفسه بأن الله الذي أمر بالصلاة، هو جلّ شأنه الذي نهى عن الفاحشة، فبدأ عندها يُسائل نفسه، عما إذا كان التزامه الديني يمثل التزامًا حقيقيًا أم أنه بخلاف ذلك.

وحقيقة الأمر أنّ أكثر ما تظهر فيه قيمة شحّ الرجل على دينه، عندما تتراءى له مصلحة أو تلوح أمامه شهوة، أو يطمع في رغبة. فحين يراد من موظف أن يتواطأ على زميل بريء من زملائه، مقابل أن يحظى بترقية وظيفية ما، هنا يظهر حقيقة الالتزام الديني.

وقد نمى لعلمي في هذا السياق أنّ أحد المؤمنين عُرض عليه الحصول على نصيب وافر من قطعة أرض شاسعة، في حال شارك في الاستحواذ على تلك الأرض من غير وجه حق، فأدركه الوازع الديني، ورفض المشاركة في ذلك، فسئل عن سبب تفويته لتلك الفرصة، وما إذا كان يجهل قيمة المكسب الذي ستدره عليه تلك الأرض، فأجاب بأنه يدرك ذلك جيّدًا، لكنه يأبى أن يدخل هذا المدخل غير الشرعي، وهذا هو المعنى الحقيقي لشحّ الرجل على دينه، وهذا أحد أكثر مظاهر المروءة جلاءً.

إدارة الشأن الاقتصادي

ويتمثل التجلّي الثاني للمروءة، في التوجه إلى إصلاح الوضع الاقتصادي الخاص. فإذا امتلك الإنسان الثروة والأموال، فسيكون بإزاء امتحان جادّ لمروءته، من خلال إظهار حسن التصرف والتدبير الجيّد، فليس من المروءة التراخي والتكاسل في إدارة الأموال الخاصة، بتركها عرضة للضياع والاختلاس على يد الآخرين. إن الإهمال في إدارة المال الخاص أمر مخالف للمروءة، فمن لا يهتم بإصلاح ماله فإنه مفتقد للمروءة، بحسب تعبير الإمام الحسن (عليه السلام)، ذلك أنّ الثروات الخاصة التي حباها الله الفرد، إنما هي أمانة ينبغي إظهار حسن التصرف بها، وتجنب هدرها وتبذيرها، بما

يشمل ذلك سبل استثمارها، وطرق الإنفاق منها، مما يدخل في نطاق إصلاح المال. إنَّ التعاليم الدينية التي تلزم الانسان العقيدة الصحيحة، وتدعوه إلى العبادة المخلصة، هي التعاليم نفسها التي تطالبه بإظهار السلوك الحياتي الرشيد. إنَّ تضييع الأموال نتيجة الإهمال أمر لا يدعو للفخر مطلقاً، ولن يفيد المهمل لثروته التبجح في المجالس مفتخراً بأن المال المهدر عبثاً لا يعني له شيئاً، فذلك خلاف المروءة.

أداء حقوق الآخرين

أما التجلي الثالث للمروءة، فهو قيام الإنسان بأداء حقوق الآخرين عليه. ومن ذلك حقوق الوالدين والزوج والأبناء والجيران والعاملين المستأجرين، وحقوق سائر الناس، هذا ما يؤكده الإمام الحسن عليه السلام كمظهر أبرز لمروءة الانسان.

وجاء في هذا المورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَكَافُؤاً فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً وَ لَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ»^(١)، ومما ورد في هذا الشأن تحت عنوان: (من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق) ما روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عباده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس»^(٢). وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزّ وجلّ»^(٣)؛ لأن المطلوب أداء حقوق الناس في كلّ مجالٍ من المجالات المادية والمعنوية.

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

(٢) الكافي. ج ٢، ص ٩٩، حديث ٣٠.

(٣) الشيخ الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٢٧، حديث ٢.



كيف نواجه العنف ضد المرأة؟

أورد ابن عساكر عن عليّ عليه السلام عنه عليه السلام:
«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي،
ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهنّ إلا
لئيم»^(١).

شاءت الحكمة الإلهية أن يتصف كلُّ من الرجل والمرأة بصفات متفاوتة، وأن يضطلعاً بأدوار مختلفة في هذه الحياة. ومن ذلك أن تظهر سمات القوة والخشونة في شخصية الرجل، وأن يتجلّى العطف والحنان في شخصية المرأة. ذلك لأن طبيعة دور الرجل في الحياة تتطلب جانباً من القوة الجسدية، وطباعاً أقرب إلى الصلابة والخشونة.

أما طبيعة الدور الإنساني العظيم الذي تقوم به الأنثى في الحياة، فيقتضى أن تكون شخصيتها ممتلئة بالعطف والحنان والنعومة، وهذا الجانب العاطفي تحديداً هو ما يحتاجه الذكر من شقّه الآخر، أي الأنثى، بدءاً من اللحظة التي يتكون جنيناً في رحمها، لتتحمل عندها آلام الحمل، ثم مخاض الولادة الخطير، ذلك المخاض الذي لو خيرت أيّ امرأة تكابده بين حياتها وحيات مولودها، لآثرت معظم الأمّهات حياة وليدها على نفسها.

إنّ الحنان الذي يتغذّى منه الإنسان مع حليب أمه، حين تحوطه بأحضانها، وتفديه

(١) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ج ١٣، ص ٣١٣.

بنفسها، وتغمره برعايتها، ليلاً ونهاراً، هو ذات الحنان والعطف الذي يحتاجه الرجل من المرأة، حتى يبنيا معاً حياة زوجية سعيدة، حيث تجتذبه بنعومتها وعطفها وحبها، وذلك بأجمعه ما ينبغي أن يكون محلّ تقدير الرجل.

إلا أنه وعلى العكس من ذلك، كانت هذه الرقة والحالة العاطفية عند المرأة في الكثير من الأحيان دافعاً لاستقواء الرجل عليها، ولعلّ ذلك انعكاساً لطبيعة الإنسان عند الشعور بالقوة تجاه من هم أضعف منه، حيث يجد في ذلك إغراءً وتشجيعاً على الاعتداء والتجاوز على حقوق الآخرين، وهذا عين ما نجده من تعسف السلطات بحق الشعوب، وتجبرّ الأغنياء على الفقراء، وتعتت أرباب العمل على العاملين، في مصداق للآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى﴾.

لا زالت المرأة تعاني العنف

ورغم التقدم الهائل الذي شهدته البشرية، إلا أنّ المرأة لا تزال محلاً للعنف والعدوان الصادر عن الرجل. مع تطور أوضاع المرأة في العصر الراهن، على نحو مغاير لمعظم فترات التاريخ، بحيث لم تعد المرأة اليوم كما كانت بالأمس، سيما وقد امتلكت كثيراً من مقومات القوة التي كان ينفرد بها الرجل، على مرّ العصور، فقد أصبح بيدها المال والعلم والمكانة الاجتماعية والوظيفية، وبالرغم من كلّ ذلك لم تتجاوز المرأة بعد حالة المعاناة من العنف والعدوان الصادر عن الرجل.

ولعلّ أبرز دليل على ذلك هو إعلان منظمة الأمم المتحدة يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام، باعتباره يوماً دولياً للقضاء على العنف ضد المرأة، حيث لا تزال تعتبر المرأة ضحية العنف والعدوان على شخصيتها وحقوقها في معظم دول العالم.

واللافت أنّ الإحصاءات الأمامية، بحسب شعبة السكان في الأمم المتحدة، تشير إلى أنّ النساء يمثلن ٧, ٤٩ بالمئة من تعداد السكان العالمي، أي إنهنّ يمثلن أقلّ من نصف البشرية بنسبة ضئيلة، لكنهن مع ذلك كنّ ولا زلن يمثلن النسبة العظمى من

ضحايا العنف، في الدول النامية والدول المتقدمة على حدٍ سواء.

فقد أشارت الإحصاءات الصادرة عن الأمم المتحدة بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة، إلى أرقام مزعجة، ففي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، تتعرض امرأة للضرب على يد زوجها أو شريكها كل ١٥ ثانية، وفي روسيا تتعرض ٣٦٠٠ امرأة للضرب يومياً على أيدي أزواجهنّ.

لماذا تضطهد المرأة؟

هناك جملة من الأسباب تقف خلف تزايد حالات الاعتداء والعنف ضد المرأة. فبالإضافة إلى تفشي حالة الاستقواء الجسدي على المرأة عند الرجال عامة، هناك أيضاً ثقافة شائعة عند كثير من المجتمعات تبرّر هيمنة الرجل على المرأة، لمجرد كونها امرأة وحسب.

والأنكى من ذلك حين تسبغ الصبغة الدينية لحالة الهيمنة الذكورية على المرأة في المجتمعات المحافظة، مع أنّ الدين لا يقبل بالظلم على أيّ نحوٍ كان، بل العكس هو الصحيح، فالدين يدعو لتقدير المرأة واحترامها.

فقد أورد ابن عساكر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهنّ إلا لئيم»^(١). واللافت أنّ القناعات السائدة وسط النساء أنفسهن قد تشكل عاملاً آخر من عوامل انتشار العنف ضد المرأة، فقد أشارت الإحصاءات إلى أن ٥٠ بالمئة من النساء في العالم يعتقدن أنّ العنف المرتكب ضدهنّ من قبل الرجل هو عنف مبرّر، ما يعني القبول ضمناً بالوقوع ضحية للعنف المرتكب بحقهن، وذلك بالنظر إلى نمط التربية النفسية والمجتمعية اللائي درجن عليها.

(١) تاريخ دمشق، ج ١٣، ص ٣١٣.

لابد من تغيير ثقافي

لقد آن الأوان لأن تتغير ثقافة القبول بوقوع المرأة ضحية العنف، تحت غطاء أو آخر، في مختلف المجتمعات. ولعل من وسائل التغيير على هذا الصعيد، أن يجري تصحيح الثقافة الدينية الشائعة، من خلال إثارة النصوص الدينية الصحيحة التي تحترم كيان المرأة، وتوصي بها خيرًا، وكم في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة من النصوص التي تشيد بمكانة المرأة، طفلة وأختًا وزوجة وأمًّا؟ لكنّ النصوص الأكثر انتشارًا هي التي تدعم المزيد من هيمنة الرجل على المرأة، مع ما يصاحب تلك النصوص من ترجمة متعسفة، وعلى النحو الذي يخدم حالة الاستقواء على المرأة، ومن ذلك الآية الكريمة ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾، إلى جانب الروايات الواردة في هذا السياق، من قبيل «لو كنت أمر أحدًا بالسجود لأحدٍ، لأمرت المرأة بالسجود لزوجها».

في مقابل ذلك يجري تجاهل كثير من النصوص الأخرى التي تؤكد مكانة المرأة، ومن ذلك النص الوارد عن النبي ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»^(١)، و: «تحت أقدام الأمهات، روضة من رياض الجنة»^(٢)، وفي رواية أخرى: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك»^(٣)، وفي صحيح مسلم: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ قَالَ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ»^(٤) أوليست هذه الأم هي نفسها المرأة التي يجري تبرير الهيمنة عليها بكلّ السبل.

وقد ورد في السياق نصوص كثيرة تحض على حسن التعامل مع الزوجة، والنهي عن إيذائها، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإن الله عزّ وجلّ ورسوله بريئان

(١) المتقي الهندي، كنز العمال، ج ١٦، ص ٤٦١، حديث ٤٥٤٣٩.

(٢) مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٥، ص ١٨١، باب ٧٠، حديث ٤.

(٣) وسائل الشريعة، ج ٢١، ص ٤٩١، حديث ٢٧٦٧٠.

(٤) صحيح مسلم، كتاب البرّ والصّلة والأدب، حديث ٢٥٤٨.

ممن أضربَ بامرأة حتى تختلع منه»^(١)، أي إنَّ الله سبحانه ورسوله بريئان ممن يضربَ بامرأته حتى يلجئها إلى طلب الطلاق منه، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعجب ممن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها»^(٢)، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ النساء عند الرجال لا يملكن لأنفسهنَّ خيرًا ولا نفعًا، وإنهنَّ أمانة الله عندكم فلا تضاروهنَّ ولا تعضلوهنَّ»^(٣).

هنا يمكن القول إنَّه لا عبرة للحالات القليلة الشاذة التي تكون فيها المرأة هي المعتدية على الزوج، فلا يمكن تبرير حالات الاعتداء على المرأة بوجود نسبة من حالات الاعتداء الصادرة عن بعض النساء ضدَّ أزواجهن. إنَّ مجتمعاتنا الإسلامية في أمس الحاجة للثقافة التي تعيد للمرأة كرامتها. سيِّما وقد أصبحت مظاهر إيذاء المرأة، والعنف الأسري في مجتمعاتنا، تنال من سمعة ديننا الحنيف، وتشوِّه صورته على مستوى العالم.

حتى نعرف قدرها

ولغرض إدراك قيمة المرأة واحترام مكانتها، ينبغي فهم أدوارها العظيمة في الحياة. ويذكر في هذا السياق أنَّ مستشفى صينيًّا عرض القيام بتجربة مصطنعة، على رجال متطوعين، توضح مدى المعاناة والآلام التي تتاب المرأة، أثناء المخاض والولادة، وقد استجاب للتجربة نحو ١٠٠ رجل، وتم وضع أجهزة فوق منطقة البطن عندهم، بحيث تحدث الأجهزة صدمات كهربائية مشابهة لآلام الولادة، لمدة تتراوح بين خمس وعشر دقائق، وكانت تلك كافية للتسبب بأوجاع مبرحة، تجعل المتطوع يتلوى ألمًا، حتى إنَّ أحد المتطوعين لم يستطع تحمل الآلام لأكثر من دقيقة إلى دقيقتين فقط، وانسحب من التجربة، ويقول القائمون على التجربة إنَّ أكثر المتطوعين

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ٢٨٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٤٩، حديث ٣٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٢٦.

لم يستطيعوا تحمل آلام التجربة المصطنعة، مع أنّها لا يمكن أن تضاهي آلام الولادة الحقيقية^(١). ينبغي للرجل أن يدرك حجم الألم الذي تكبّده زوجته لتنجب له أطفالاً، فهي بين الحمل والولادة كانت في حقيقة الأمر بين الحياة والموت، هذا إن لم تكن شارفت على الموت فعلاً، فكيف للرجل أن يكافئها على صنيعها هذا.

إنّ قسوة الأزواج على زوجاتهم تترك أثرها السلبي والدائم في نفوس الأبناء. ويؤكد تقرير علمي نفسي أنّ علاقة الرجل بأبنائه تتأثر إلى حدّ كبير بعلاقته بزوجه أمّ أطفاله، ويعلل التقرير بأن الأولاد الصغار الذين يرون أباهم يسيء معاملتهم بالضرب والاهانة، فإنّ انعكاس ذلك يكون مدمّراً على نفسيّتهم ومشاعرهم؛ لكونهم يرون أمّهم التي يعتبرونها ملجأهم الأخير في تلك الحالة المزريّة.

وتشير الإحصاءات إلى أنّ نسبة كبيرة من الأبناء الذين يكرهون آباءهم وقد يُسيئون إليهم، إنما يفعلون ذلك نتيجة لرد فعلهم على ما رأوه من سوء معاملته الآباء لأمّهم، ولا تفسير لتصرف الأبناء إلاّ بأنه نوع من الانتقام اللاواعي من تصرف الأب بحقّ أمّهم، ويضيف التقرير أنه بالرغم من اعتقاد بعض الآباء أنّ زوجاتهم هن من يقمن بزرع كراهية الأبناء لهم، إلاّ أنّ ذلك الاعتقاد خاطئ جملة وتفصيلاً، فما يلحظه الأبناء من سوء معاملته الأب لأمّهم هو الذي يزرع شيئاً من الكراهية في نفوسهم تجاه الأب.

ولطالما سمعنا من الأبناء حتى العقلاء والمتديّنين منهم ممن يأتون على سيرة آبائهم الراحلين بالإشادة، إلاّ أنّهم لا يملكون مع ذلك إلاّ التصريح بمرارة عن مأخذهم على قسوة الأب على أمّهم، وكأنّ ذلك الجرح النفسي يأبى أن يندمل في نفوسهم. لذلك ينبغي للأب الذي يحبّ أبنائه ويريد إكرامهم، أن يضع في اعتباره أنّ تعامله مع زوجته أمّهم له دور كبير في إشعار الأبناء بالكرامة والتقدير.

علينا جميعاً بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على العنف ضدّ المرأة، أن نستذكر

(١) صحيفة الرياض، الاثنين ١٧ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ١٠ نوفمبر ٢٠١٤م، العدد ١٦٩٤٠.

جهود أمهاتنا، وأن نستمطر لهنّ الرحمات. وأن نقابل جهود وأتعب زوجاتنا بالتقدير، وأن نحترم مشاعر بناتنا، كما يعلمنا الدين، وتربينا تعاليم النبي ﷺ الذي كان مضرب المثل في التعامل الحسن مع زوجاته وبناته، ذلك التعامل الذي ينبغي أن نفتدي به وهو القائل ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

الخطبة الأولى



ذوي الاحتياجات الخاصة.. سؤال الأخلاق والتنمية

عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون وتُنصرون بضعفائكم»^(١).

لا يكاد يخلو مجتمع بشري من فئة ذوي الاحتياجات الخاصة. فهناك شريحة في كل مجتمع، يعاني أفرادها من ضعف، أو فقد لبعض القدرات في قواهم الجسمية، أو ادراكاتهم العقلية، نتيجة الإعاقة الطارئة أو العيوب الخلقية، الأمر الذي يؤدي إلى تعويق حركتهم الطبيعية في الحياة، لذلك يوصف أفراد هذه الفئة بالمعوقين، أو ما بات يطلق عليهم في عصرنا الراهن بذوي الاحتياجات الخاصة.

وإن كان هناك من حكمة في وجود فئة ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع، فإنما لتذكير الأسوياء الذين يمثلون الأغلبية الساحقة، بنعم الله سبحانه التي أسبغها عليهم، فهم يتمتعون باكمال القوى الجسمية والعقلية، فيما يرون بين ظهرانيهم من فقدوا بعض قدراتهم. لذلك ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «من نظر إلى ذي عاهة، أو من قد مثل به، أو صاحب بلاء، فليقل سرًّا في نفسه من غير أن يسمعه: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، ولو شاء لفعل بي ذلك»^(٢)، يردّد ذلك الدعاء سرًّا في نفسه، حتى يتذكر نعمة الله عليه، وكي لا يشعر المعاق بالمهانة.

(١) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٢، ص ٥٦٤، حديث ١٧٠٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٢١٧، حديث ٢.

التحدي والامتحان الأخلاقي

إنّ وجود فئة ذوي الاحتياجات الخاصة يمثل تحديًا وامتحانًا للمجتمع المحيط بهم. وذلك لجهة الكيفية التي ستتعامل بها الأسرة، كما سائر الناس، مع أفراد هذه الفئة، هل ياترى يحسنون التصرف معهم؟ وينبغي أن يفكر المجتمع الواعي في اجتياز هذا الامتحان على أحسن وجه.

المعاقون جزء لا يتجزأ من مجتمعنا البشري، وإن ابتلوا بنقص في بعض قدراتهم، فإنّ ذلك لا يخرجهم من كونهم بشرًا كسائر الناس، وهم شركاء مع الأسوياء في حقّ الحياة، والتمتع بخيراتها، فالخيرات التي أوجدها الخالق تعالى، لم يجعلها للأسوياء فقط، وإنما هي لكلّ البشر، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، أي إنّ سبحانه خلق الأرض لكافة البشر، فإذا كان الشخص المعوق غير قادر على الوصول إلى حقوقه، نتيجة عجزه الجسدي أو العقلي، فإن المجتمع مسؤول عن توفير حقوقه وتلبية احتياجاته. وإذا كان هناك من معيار لتجسيد القيم والأخلاق في المجتمع، فإنه سيكون في شكل التعامل الاجتماعي مع فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، فإذا ما أحسن المجتمع التعامل مع هذه الفئة الضعيفة، فإنه سيكون أقرب إلى القيم الإنسانية النبيلة.

لقد أولت الشريعة اهتمامًا كبيرًا بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة. وقد وردت في هذا الشأن العديد من النصوص، ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما تُرَزَقون وتُنصرون بضعفائكم»، إذا شاء العباد التقرب من خالقهم عزّ وجلّ، فإن الوسيلة إلى ذلك هي الاهتمام بالضعفاء في قدراتهم، العاجزين عن إدارة حياتهم، فالمهتمون بالضعفاء، والإعاقة من أجلى صور الضعف، هؤلاء يستحقون توفيق الله ونصره لهم، وأن يفيض عليهم الخير والنعم.

هل يمكن تقليل الإعاقات؟

تشير التقارير الدولية إلى ارتفاع ملحوظ في نسب ذوي الاحتياجات الخاصة، على

المستوى العالمي. ومن أسباب ذلك ارتفاع متوسط عمر البشر في العالم، والشيخوخة سبب من أسباب الإعاقة، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾، إلى جانب تصاعد نسب الأمراض المزمنة، وارتفاع أعداد الحوادث المرورية العنيفة، وكذلك جرحى الحروب وأحداث العنف، إلى جانب ضحايا الكوارث الطبيعية، وهذه بأجمعها مسببات رئيسة لتصاعد نسب المعوقين في مختلف المجتمعات البشرية. حتى إن بعض التقارير باتت تشير إلى وجود معاق واحد جسمياً أو عقلياً من بين كل عشرة أشخاص في العالم، بل وتذهب بعض التقارير إلى القول إن هناك نحو مليار إنسان معاق، من أصل سبعة مليارات نسمة، هو تعداد البشرية في عصرنا الراهن. وحقيقة الأمر أن هناك إمكانية كبيرة لخفض نسب الإعاقة في العالم، فيما لو تضافرت الجهود، ووضعت الخطط. وذلك من خلال معالجة مسببات الإعاقة، ومنها الإصابة بالأمراض الوراثية، التي يمكن الحد منها في حال التزام إجراء الفحوص الطبية الشاملة للمقبلين على الزواج، بغرض الوقوف طبياً على مدى ملاءمة الراغبين في الزواج من بعضهم بعضاً، خاصة مع تقدم علم الجينات والهندسة الوراثية.

كما أن تقديم الرعاية الطبية للنساء الحوامل، وتوفيرها أثناء الولادة، إلى جانب رعاية المواليد في سن مبكرة، كل ذلك يوفر على البشرية الكثير من حالات الإعاقة؛ لأن بعض حالات الإعاقة تنشأ نتيجة قصور الرعاية أثناء الحمل، أو خلال الولادة، أو إهمال رعاية المواليد الجدد. لذلك غالباً ما تقل نسب الإعاقة في الدول المتقدمة التي تتميز بتقديم الرعاية الطبية الملائمة للنساء الحوامل والأطفال، فيما تتضاعف الإصابة في الدول النامية، التي تحتضن ما يزيد على ٨٠ بالمئة من المعاقين في العالم، البالغ عددهم مليار معاق، فيما لا تتجاوز نسبة المعاقين سقف الـ ٢٠ بالمئة في الدول المتقدمة، والسبب وراء ذلك هو اهتمام الدول المتقدمة بمعالجة أسباب الإعاقة بين سكانها، من خلال الرعاية الطبية الجيدة، وتشديد أنظمة المرور للحد من نسب الحوادث المرورية العنيفة، إلى جانب الاستعداد الجيد لمواجهة الكوارث الطبيعية،

وجميع هذه العوامل تساهم دون شك في خفض نسب الإعاقة إلى الحد الأدنى.

مسؤولية الأسرة والمجتمع

وبمناسبة اليوم العالمي للمعاقين (الثالث من ديسمبر)، الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٨٢، لا بُدَّ من الإشارة إلى مسؤولية الأسرة والمجتمع تجاه شريحة المعوقين. حيث تشير الإحصاءات على المستوى المحلي إلى أرقام مذهلة، حول وجود ما يربو على المليون ونصف المليون معاق في المملكة. وهذا ما يلقي على كاهل الجميع مسؤولية أكبر تجاه الاهتمام بأفراد هذه الفئة، بدءاً من الأسرة التي تحتضن المعاق، والتي عليها تعزيز حالة الرضا بقضاء الله وقدره، والتسليم لأمره سبحانه، إلى جانب اعتبار ذلك امتحاناً لا بُدَّ من اجتيازه والنجاح فيه وذلك عبر الأمور التالية:

الأمر الأول: من الخطأ البالغ إصابة الأسرة بحالة من الضجر والتذمر عند ولادة طفل معاق لها، والحال أن ذلك مورد جليّ من موارد الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره، والذي لا يكتمل إلا من خلال تطبيع العلاقة مع الفرد المعاق في الأسرة.

الأمر الثاني: من الواجب النأي التام عن ممارسة القسوة والتشنج، وإيقاع العقاب على الشخص المعاق عقلياً أو جسمياً، وإنما المطلوب تقدير الوضع الخاص وغير الطبيعي لأفراد هذه الفئة، لجهة الحالة النفسية، وارتباك المشاعر، والتصرف غير السوي، قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾، والمعاق في حقيقة الأمر هو شخص مريض، وذلك ما يفرض على أفراد الأسرة أن يضاعفوا الاهتمام به، وهو لم يختر الإصابة بالإعاقة من تلقاء نفسه، فلا ينبغي القسوة عليه أو إيذاؤه، فذلك حرام شرعاً، بل هو من أشدّ الحرام؛ لأنّ ظلم أفراد هذه الفئة

مصدق من مصاديق «ظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»^(١). «ظلمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ» كما ورد في نهج البلاغة^(٢).

الأمر الثالث: وهو أمرٌ ينبغي الالتفات إليه داخل الأسرة وخارجها إزاء فئة المعاقين، وهو ضرورة تشجيع الشخص المعاق، ورفع معنوياته، ومنحه الفرصة لتفجير طاقاته. وذلك بخلاف ما كان سائدًا في أزمان ماضية، عندما كان يُعاب الشخص المعاق، ويتحول إلى مادة للسخرية، والتعرض للتوبيخ والإهانة.

الأمر الرابع: ضرورة تأهيل المعاقين في المراكز المتخصصة. لكي يتسنى لأفراد هذه الفئة فرصة النمو والتطور، سيّما وأن هناك في وقتنا الراهن برامج لتأهيل المعاقين، وإكسابهم المهارات الحياتية المختلفة، وتحسين قدراتهم، وقد كشفت التجارب عن مدى فاعلية مراكز التأهيل على هذا الصّعيد. من هنا ينبغي للأسر التي تحتضن أشخاصًا من ذوي الاحتياجات الخاصة، أن تلحقهم بهذه المراكز التخصصية، كما ينبغي للجهات الرسمية والمجتمع أن يولوا اهتمامًا أكبر لإنشاء مثل هذه المراكز ودعمها، فهي حاجة ملحة، وضرورة إنسانية.

الأمر الخامس: ضرورة الالتفات إلى أنّ الإعانات المادية المخصصة للمعاقين، هي حقّ لهم وحدهم، ولا ينبغي للأسرة أن تتصرف فيها إلا لمصلحة المعاق نفسه. إنّ من الخطأ أن تعتمد بعض الأسر إلى استغلال الإعانة الرسمية المخصصة للفرد المعاق في صرفها على شؤون الأسرة الأخرى، بما في ذلك اعتبارها مصاريف زائدة يمكن استغلالها في السفر للحج أو العمرة، أو ما أشبه ذلك. هذه

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٣١، حديث ٥.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ٣١.

المبالغ مخصصة للصرف على المعاق حصراً، ولا يجوز شرعاً صرفها إلا في مصلحته فقط، فإذا ما صرفت الأسرة من هذه المعونة على أيّ شأنٍ أسريّ آخر، فإنها تكون ضامنة لهذا المبلغ، كالدين في ذمتهم والمتوجب عليهم أداءه للمعاق.

وأخيراً، ينبغي أن تولي الشركات والمؤسسات الوطنية اهتماماً أكبر لفئة ذوي الاحتياجات الخاصة. وذلك من خلال استقطابهم وتدريبهم وتوظيفهم على الوظائف المناسبة لهم، سيّما وأن كثيراً من المعوقين يستطيعون أداء كثيرٍ من الأعمال الإدارية والمكتبية. وتشجيعاً على هذا الأمر حرصت وزارة العمل على اعتبار توظيف الشخص المعاق موازياً لتوظيف أربعة مواطنين، ضمن احتساب نسب السعودة المتوجب تحقيقها وفقاً لقانون العمل. وهذا ما ينبغي أن يدفع المؤسسات الوطنية إلى الاهتمام على نحو أكبر بتوظيف فئة المعوقين، وإتاحة فرص العمل الحقيقية لهم، وليس على سبيل التوظيف الوهمي، كما هو حاصل في بعض المؤسسات للأسف، خاصة وأن التوجه العالمي يسير باتجاه دمج الأشخاص المعوقين بالمجتمع، على النقيض مما يتوهم البعض من أنّ ابقاء الشخص المعاق في منزله هو أكثر راحة له، وليت هؤلاء يعلمون أنّ الراحة النفسية للمعاق، إنما تكمن في إشعار المجتمع له بأنّ له قيمة، وأنّ له دوراً، يمكن أن يقوم به كسائر الناس.



العمل الأهلّي.. نحو تطوير الوعي والتشريعات

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق
عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله من نفع
عيال الله»^(١).

ليس هناك عمل يجعل المرء أقرب من الله، وأكثر محبة عنده، يضاهي خدمة
الناس. فأن ينخرط الإنسان في مجال العمل التطوعي لخدمة الآخرين، فذلك وفقاً
للنصوص الدينية أفضل عمل يمكن أن يقربه إلى الله ويجعله محبوباً عنده سبحانه
وتعالى. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الخلق عيال الله فأحبّ الخلق إلى الله
من نفع عيال الله»، وورد عنه ﷺ أنه قال: «أحبّ عباد الله إلى الله جلّ جلاله أنفعهم
لعباده»^(٢)، وقال رجل لرسول الله ﷺ: «أحبّ أن أكون خير الناس، فقال ﷺ: «خير
الناس من ينفع الناس فكن نافعاً لهم»^(٣)، كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خير
الناس من تحمّل مؤونة الناس»^(٤)، إنّ جميع النصوص السابقة تؤكّد حقيقة واحدة،
وهي أنّ من أفضل الصفات والقربات هي خدمة الناس، والانخراط فيما بات يعرف
اليوم بمجال العمل التطوعي.

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦٤، حديث ٦.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٥٢، حديث ١١٠.

(٣) كنز العمال، ج ١٦، ص ١٢٨، حديث ٤٤١٥٤.

(٤) علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٢٣٩.

كل البشر عيال الله

وينطوي التوصيف النبوي للناس بأنهم عيال الله على مضامين عميقة. إن الحديث يشير على نحو قاطع بأن جميع الخلق هم عيال الله، وكما أنه لا يكاد يوجد باعث وجداني على الفرحة أكثر من أن يجد الإنسان الآخرين يحسنون إلى عائلته والمقربين منه، احترامًا وتقديرًا لشخصيته، فكذلك الحال مع الخالق سبحانه وتعالى، فليس أحبّ عنده عزّ وجلّ من أن يرى من يحب ويخدم عباده، الذين هم عياله وفقًا للحديث الشريف.

تجسيد القيم الفاضلة

وتمثل خدمة الناس تطوعياً تجسيدا للقيم الفاضلة، حيث تتجلى في العمل التطوعي قيم الرحمة والإحسان والإصلاح والعدل. وتحمل خدمة الناس تطوعياً دلالات عميقة على طهارة القلب، وطيب النفس، وتجاوز الإنسان للأنانية الضيقة، والشحّ والأضغان والأحقاد، فليس هناك من طريق أوسع لخدمة الناس من تجاوز الشحّ النفسي والأنانية، وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وإذا كانت غاية المؤمنين المتديّنين نيل رضا الخالق تعالى، فإنّ السبيل إلى ذلك أن يتحول مجتمعهم ساحة للتنافس في العمل التطوعي والخدمة الاجتماعية. بأن ينزل الجميع إلى مضمار المنافسة والتسابق نحو خدمة الناس.

وعلى النقيض من ذلك، إذا ما وجدنا أنّ اللجان الأهلية والجمعيات الخيرية تستجدي أبناء المجتمع للاشتراك في عضويتها، وتتمنى عليهم الترشح للقيام بأعبائها، وترجوهم الحضور والمشاركة في لقاءاتها وجمعياتها العمومية، فلا معنى لذلك سوى أنّ هذا المجتمع يعاني الفقر في ثقافته الدينية والإنسانية على حدّ سواء، وهي التي يجب أن تحرك سلوكه ومشاعره، هذا هو لبّ المشكلة.

مجتمعاتنا ومحدودية النشاط التطوعي

ومع كلّ التقدير للأنشطة الاجتماعية القائمة في مجتمعاتنا، إلا أنّها تعدّ قليلة قياساً إلى ما ينبغي أن يكون عليه الحال. سيما ونحن نتحدث عن مجتمعات متديّنة، تعجّ نصوصها الدينية بالمضامين التي تعتبر مساعدة الناس من أفضل القربات، مما لا يتناسب بأيّ حال مع ضعف الأنشطة القائمة على الأرض، كما لا يقارن بالإقبال الكبير على الأعمال التطوعية في المجتمعات الأخرى، تلك المجتمعات التي تصنفها أوساطنا بأنها مجتمعات مادية.

ويبدو الإقبال على الأعمال التطوعية شديد الضعف قياساً على حجم الحاجات في مجتمعاتنا، التي لا تزال تفتقر إلى البنى المجتمعية، ويلزمها تغطية كثير من الحاجات، وهذا يعني الحاجة ليس إلى المئات بل إلى الآلاف من الجمعيات واللجان والمؤسسات الأهلية التطوعية. وبمناسبة اليوم العالمي للتطوع الذي أقرته الأمم المتحدة في الخامس من ديسمبر من كلّ عام، ندعو أنفسنا ومجتمعاتنا إلى الارتقاء إلى مستوى أفضل في مجال العمل التطوعي، والإقبال على الأعمال الاجتماعية الخيرية.

تشريعات مساعدة للعمل الأهلي

لقد تحول العمل التطوعي في عصرنا الراهن إلى عمل مؤسسي وجماعي أكثر من كونه عملاً فردياً. ذلك أن العمل الجماعي أكثر جدوى وتأثيراً، من خلال انضمام الفرد للعمل في جمعية تطوعية، أو يقوم بتأسيس جمعية تطوعية للخدمة في أيّ شأنٍ من الشؤون الاجتماعية.

ولا بُدّ من الإقرار بأنّ العمل الأهلي التطوعي في مجتمعاتنا لا يزال يخضع لقيود رسمية صارمة. في غياب التشريعات المشجعة على العمل التطوعي، التي تفسح المجال واسعاً أمام العمل الأهلي، والسماح بإنشاء منظمات المجتمع المدني. فلم

يعد مقبولاً تعليق طلبات إنشاء الجمعيات الخيرية في بعض البلديات والقرى لمجرد كونها قرى صغيرة، وما الضير في أن تفتح الجمعيات في البلديات والقرى الصغيرة، ولماذا تلحق بقرى أخرى، أو ليس وجود جمعية خاصة بكل قرية يمثل فرصة لتفجير طاقات أبناء البلدة ومشاركة كفاءات المنطقة في معالجة أوضاعها؟.

ينبغي فتح المجال أمام انطلاق منظمات المجتمع المدني على كل الصُّعد، وفي مختلف المجالات؛ الخيرية والفنون والثقافة والبيئة والمعرفة وغيرها.

إن الجمعيات والمؤسسات الأهلية في المملكة، لا تزال عند حدودها الدنيا، قياساً على البلاد الأخرى الأصغر منها مساحة، والأقل سكاناً. فبحسب موقع وزارة الشؤون الاجتماعية على الإنترنت، يوجد في المملكة نحو ٦٥٠ جمعية خيرية، و١٢٠ مؤسسة خيرية، منها ٤٠ جمعية نسائية، ولنا أن نتخيل أن هذه الكيانات التي لا يكاد يصل مجموعها إلى ١٠٠٠ كيان، منوط بها خدمة ٢٩ مليون نسمة هم إجمالي السكان. في حين نجد في العاصمة اللبنانية بيروت وحدها ما يربو على ٨٥٣ جمعية، أي ما يتجاوز عدد الجمعيات العاملة في أراضي المملكة برمتها، مع أن سكان مدينة بيروت لا يكاد يتجاوز ٤٠٠ ألف نسمة، ناهيك عن وجود أكثر من ٢٠٠٠ جمعية هي إجمالي عدد الجمعيات الخيرية العاملة في لبنان. وكذلك الحال في الأردن الذي يتراوح سكانه بين الستة إلى سبعة ملايين نسمة، نجد فيه أكثر من ١٣٣٩ جمعية أهلية عاملة. من هنا تنبع الحاجة إلى تشريعات تتيح مرونة أكبر حيال إنشاء منظمات المجتمع المدني، وإتاحة الفرصة على نحو أوسع لعمل الجمعيات الأهلية في البلاد.

إن قيام منظمات المجتمعات المدني يُعدّ عاملاً حيويّاً لأمن واستقرار المجتمع. وذلك بالنظر إلى تلهف الشباب لقيام كيانات يعبرون من خلالها عن أنفسهم، ويفجّرون فيها طاقاتهم، ويصرفون عبرها فائض الوقت والجهد الذي عندهم، ولا شك بأن قيام مؤسسات المجتمع المدني سيكون أحد أبرز المجالات التي تستوعب كل ذلك، فيتحوّل الشباب عندها إلى قوى منتجة مفيدة، عوضاً عن أن يكونوا قوة

تخريبية لأمن المجتمع. من هنا يكون تسهيل قيام الجمعيات التطوعية في أي مجال من المجالات، تحت سقف القانون، عنصراً بالغ الفائدة لأمن واستقرار البلاد.

ثقافة العمل التطوعي

غير أن مجتمعاتنا لا تزال في حاجة ماسة لثقافة العمل التطوعي. فقياساً على الثقافة المحفزة على البرامج العبادية والشعائرية، لا تحظى المجالات الاجتماعية الإنسانية بذات القدر من الاهتمام، والحال أنه ينبغي الموازنة بين الجانبين، وعدم إغفال جانب لصالح آخر.

إذ من غير المفهوم مثلاً أن يتخطي الكثيرون العقبات الرسمية من أجل أداء فريضة الحج المستحبة مراراً وتكراراً، في حين تستجديهم الجمعيات الخيرية من أجل مد يد العون، وبالكاد تلقى الاستجابة المتواضعة. فإذا كان أداء الحج المستحب طمعاً في رضا الله، فإن رضا الله يتحقق في خدمة الناس، من خلال الجمعية الخيرية، أو النادي الرياضي، أو سائر المؤسسات التطوعية، وما يدريك لعل الثواب في العمل الخيري التطوعي يفوق بمراحل ثواب الحج والزيارة، والمجالس الدينية، بل وسائر الأعمال المستحبة.

ولا نقول ذلك من باب التقليل من شأن الأعمال العبادية، فوجود مختلف الأنشطة الدينية أمر مطلوب، لما توفره من الزخم الروحي المعنوي لأبناء المجتمع، لكن ينبغي في الوقت نفسه ألا يجري إغفال الخدمة الاجتماعية.

هناك نصوص دينية كثيرة تذهب إلى ترجيح كفة الأعمال الاجتماعية على حساب الأعمال العبادية. بل ويذهب بعضها إلى حد اعتبار إسداء خدمة اجتماعية تسد رمق إنسان وتلبي حاجته لهي أعظم ثواباً من ألف حجة إلى بيت الله الحرام. وقد روي في هذا الصدد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحبّ الناس إلى الله عزّ وجلّ أنفعهم للناس، وأحبّ الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه

دينا أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إليّ من اعتكاف في هذا المسجد شهراً»^(١)، وبعملية حسابية بسيطة يشير ﷺ إلى أنّ السعي في حاجة مؤمن واحد فقط، هي أحبّ وأفضل من الاعتكاف على العبادة في المسجد النبوي نفسه شهراً كاملاً، مع ما في ذلك من عظيم الثواب. نحن في أمس الحاجة إلى ضحّ المزيد من الثقافة المحفزة على العمل التطوعي.

أخلاقيات العمل الجمعي

وختاماً، لا بُدّ من الإشارة إلى ملاحظتين مهمتين تتعلّقان بمجال العمل التطوعي: **الملاحظة الأولى:** على العاملين في هذا المجال التحلّي بروح الانسجام في عملهم، من خلال تجاوز الخلافات والانقسامات، سيما وأن من فوائد العمل التطوعي هو تقوية الروابط، وأن يتعلم الناس كيف يتعاملون مع بعضهم بعضاً. إنّ الخلافات التي قد تنشأ أحياناً بين بعض العاملين في الجمعيات الخيرية، أو الأندية الرياضية، أو اللجان الأهلية، غالباً ما تكشف عن ضعف في أخلاقيات العمل الجمعي. وذلك ما ينبغي أن يتم تجاوزه بأن يجعل الجميع الاختلاف فيما بينهم اختلافاً منضبطاً، فإذا ما أراد أحد أن يستقيل من المؤسسة الأهلية التي يعمل بها مثلاً، فليس هناك من داعٍ لأن يسيء إلى زملائه، ويحول الاستقالة إلى أزمة ومناسبة لتقاذف التهم مع الآخرين، وإنما المطلوب اتباع قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

الملاحظة الثانية: ضرورة أن يكتسب العاملون في مجال العمل التطوعي المناعة ضدّ تشويه السمعة. إذ من المؤسف أنه مع حاجة مجتمعنا الماسّة لجميع الطاقات العاملة في الشأن العام، إلا أنّ هنالك صنفاً من الناس ممن لا شغل لهم سوى تناول العاملين في الخدمة والشأن العام في أحاديثهم، من خلال النيل من هذا والكتابة ضدّ ذلك، فعوضاً عن المساهمة في العمل، تجدهم يتخصّصون في التجريح في العاملين

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٨، ص ١٩١.

في الشأن العام، سواء السياسي، أو الاجتماعي، أو الديني والثقافي.

وحتى لا يلتبس الأمر، نحن لا نقصد الوقوف في وجه النقد البناء الإيجابي الذي ينبغي أن يشق طريقه على شتى الصعد، وإنما نحن بإزاء صنف من الأشخاص ينبشون في نيات الناس فيشككون فيها، فمن السهولة عندهم بمكان رمي شخص عامل بتهمة حبّ البروز على سبيل المثال، وما يدري هؤلاء بما في قلوب الناس، وهذا ما يذكرنا بقول النبي ﷺ: «أَفَلَا شَقَّقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ»^(١). وماذا عنك أنت يا صاحب الاتهام، هل تجد نفسك في قمة الإخلاص عندما تنال من الآخرين، وتشوه سمعتهم، عبر مختلف وسائل التواصل الاجتماعي؟، أم هي النزعة المغالية في الإساءة للناس؟ على العاملين في المجال التطوعي أن يتسموا بالمناعة تجاه هذه الحالة، وألا يتأثروا ولا ينزعجوا، فمن يريد العمل في الشأن العام فإنّ عليه أن يستعد لدفع هذه الضريبة، فلن يُسكت عنهم أبداً، هناك دائماً المادح والقادح، وهناك المتربصون والحساد وكارهوا النجاح، الذين يغيظهم أن يجدوا الناجحين أمامهم.

ولنتذكر دائماً قول المفكر الأمريكي ألبرت هوبارد: «لكي تتجنب النقد، لا تعمل شيئاً، ولا تقل شيئاً، ولا تكن شيئاً»، وبمعنى آخر، من لا يريد أن يطاله النقد فليبق شيئاً مركوناً مهماً بلا أيّ دور، حينها لن يطاله النقد. غير أن الإنسان مطالب أمام خالقه ودينه ووعيه بأن يتحمل المسؤولية تجاه المجتمع.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث ١٥٨.



حين تحترم نفسك

ورد عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «مَنْ اسْتَعْفَرَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَنْدَمْ فَقَدْ اسْتَهْرَأَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ التَّوْفِيقَ وَلَمْ يَجْتَهِدْ فَقَدْ اسْتَهْرَأَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ اسْتَحْزَمَ وَلَمْ يَحْذَرْ فَقَدْ اسْتَهْرَأَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى الشَّدَائِدِ فَقَدْ اسْتَهْرَأَ بِنَفْسِهِ، وَمَنْ تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ وَلَمْ يَتْرِكِ الشَّهَوَاتِ فَقَدْ اسْتَهْرَأَ بِنَفْسِهِ»^(١).

يُعدّ احترام النفس ركيزة أساسية عند الإنسان السوي، فهو لا يقبل الاستهزاء لنفسه على أيّ نحوٍ كان. والهزؤ أو الهزو لغة: هو التحقير أو الإهانة، فالاستهزاء بشيءٍ أو أحدٍ يعني إبداء الاحتقار والإهانة له. والإنسان السوي كما يرفض أن يحتقره أو يستهزئ به الآخرون، فهو من باب أولى لا يحتقر نفسه ولا يهزأ بها، وكذلك الحال عندما ينأى بنفسه عن احتقار الآخرين أو الاستهزاء بهم، فإنّ الأولى ألاّ يوجّه الإهانة والاستهزاء إلى نفسه.

وقد تناول الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام بعض المظاهر والممارسات التي لا معنى لها سوى استهزاء مرتكبيها بنفسه.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٥٦، حديث ١١.

الاستغفار دون ندم

الحالة الأولى: هي الاستغفار باللسان، مع عدم الندم على الذنب في القلب، ذلك أنّ الاستغفار في جوهره لا يتأتى إلا بعد الإدراك الداخلي لحقيقة الذنب، ومن ثم الاعتذار عنه أمام الله سبحانه وتعالى، مع إضمار النية الصادقة في تركه والنفور منه، وعدم العودة إليه مطلقاً. فإذا ما اكتفى المذنب بالاستغفار اللفظي، مع إضمار النية في العودة لارتكاب ذات الذنب، فإن ذلك هو عين الاستهزاء بالنفس.

وللشخص أن يتخيّل نفسه وقد أخطأ على شخص آخر، فاعتذر منه ثم عاد لارتكاب الخطأ نفسه بحق الشخص ذاته، فهل أبقى المخطئ لنفسه باباً لقبول العذر مرة أخرى، أم أنّ اعتذاره لا يعدو كونه استهزاءً وسخريةً من الآخرين، كذلك الحال في تصرف الإنسان مع ذاته.

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُ الاستِغْفَارِ عِنْدَ اللَّهِ الإِقْلَاعُ وَالنَّدَمُ»^(١)، وعن الإمام الرضا عليه السلام: «الْمُسْتَعْفِرُ مِنْ ذَنْبٍ وَيَفْعَلُهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ»^(٢)، وهل ثمة ذنب أكثر سوءاً من الاستهزاء بالله جلّ شأنه؟.

طلب التوفيق بغير اجتهاد

الحالة الثانية: طلب التوفيق من الله بدون الاجتهاد والعمل. فقد تكون عند الإنسان غاية يريد تحقيقها، فيسأل الله أن يحقّق له تلك الغاية، فإن كان جاداً في طلبه ذاك، فإنّ من المتوقع منه أن يسعى ويجتهد في سبيل تحقيقه، لا أن يبقى متسمراً مكانه دون حراك أو سعي، فلا معنى لذلك سوى غياب الجدية في تحقيق الغاية التي يريد، وذلك نوع من الاستهزاء بالنفس.

(١) حكم النبيّ الأعظم، محمد الريشهري، ج ٥، ص ٥٩٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢، ص ٥٠٤، حديث ٣.

إن الغايات والمطالب، لا تُنال بمجرد إلقائها على كاهل السماء، ليقوم ربّ العالمين بإنجازها نيابة عن العبد، بل على النقيض من ذلك، فالنصوص الدينية تتضمن تأكيداً متكرراً على محورية السعي في حياة الإنسان، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، فالأمنيات وحدها لا يمكن أن تحقق الآمال.

وأبعد من ذلك، فالإنسان لن يحقق مراده متى ما اقتصر على الدعاء، دونما بذل جهد في سبيل تحقيق ما يريد من الله قضاءه له. قال تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾، فلا استجابة من الله مشروطة بالإيمان والعمل الصالح باتجاه الغاية المطلوبة، وجاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَمْسَةٌ لَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ.. وَرَجُلٌ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي وَلَمْ يَطْلُبْ»^(١)، وقد ورد عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال: «الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ»^(٢).

وورد في الكافي عن كليب الصيداوي أنه قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ادْعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِي فِي الرِّزْقِ فَقَدِ التَّائِتُ^(٣) عَلَيَّ أُمُورِي. فَأَجَابَنِي مُسْرِعًا: لَا، أَخْرُجْ فَاطْلُبْ^(٤)، وورد في الكافي أيضًا عن أيوب الهروي، قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ أَقْبَلَ الْعَلَاءُ بْنُ كَامِلٍ، فَجَلَسَ قُدَّامَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي فِي دَعَاةٍ، فَقَالَ: «لَا ادْعُو لَكَ، اطْلُبْ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٥)، ومضمون تلك الآيات والروايات أنّ الله سبحانه إنما يستجيب الدعاء للمؤمن العامل الساعي نحو تحقيق مطالبه.

ويلعب الدعاء دورًا محوريًا في تصويب الطريق، وتذليل العقبات، أمام الساعين

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٢، ص ٥، حديث ٢٢.

(٢) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم ٣٣٧.

(٣) التائت عليه الأمور: التبست واختلطت.

(٤) الكافي، ج ٥، ص ٧٩، حديث ١١.

(٥) الكافي، ج ٥، ص ٧٨، حديث ٣.

والعاملين المجتهدين، نحو تحقيق أهدافهم. ومردّ ذلك إلى أنّ حركة الانسان العامل تحتاج إلى أن تكون في الاتجاه الصائب، والمكان المناسب، وهنا تحديداً يأتي دور الدعاء.

فللدعاء دور كبير في رفع العوائق من أمام الإنسان العامل المجتهد، وأن تكون جهوده مبدولة في موقعها المناسب. فلربما يرمي الإنسان إلى البحث عن جهة أو شخص لقضاء أمر معيّن، كالبحث عن وظيفة جيدة، أو الحصول على العلاج الطبي المناسب، فتارة يذوق الأمرين في العثور على الجهة المناسبة، وتارة أخرى ينجح في العثور على الجهة المناسبة دونما عناء كبير، وقد يكون الفارق في الحالتين دعاء العبد وسؤاله ربّ العالمين بأن يسهل أموره ويفتح الأبواب أمامه.

ويبقى الأصل قائماً في أن يمضي الإنسان في السعي والحركة، ويترك الباقي على ربّ العباد، وقد قيل: «منك الحركة ومن الله البركة»، فإنّ كان الإنسان يسأل الله التوفيق من غير سعي، ومن دون أن يبذل كلّ جهده فهذا في الواقع إنما يستهزئ بنفسه.

الحزم مع أخذ الحذر

الحالة الثالثة: البحث عن تحقيق الحزم والقوة، مع التفريط في الحذر، وأخذ الاحتياطات، وسدّ الثغرات. حيث جاء في حديث الإمام الرضا عليه السلام: «... ومن استحزم ولم يحذر فقد استهزأ بنفسه»، ويأتي فعل استحزم بمعنى الرغبة في الظهور بمظهر الحزم والقوة، والاندفاع الواثق نحو أداء العمل، غير أنّ هذا الاندفاع لا ينبغي أن يكون على حساب الحذر، وإهمال نقاط الضعف، والتعرض للوقوع في المطبات.

بوابة الجنة تحمّل الشدائد

الحالة الرابعة: رغبة المؤمنين في الجنة، وخلاصهم من النار، وإمكانية أن تتحول هذه الرغبة إلى استهزاء بالنفس. فقد جاء في الرواية نفسها عنه عليه السلام: «.. ومن سأل الله

الجنة ولم يصبر على الشدائد فقد استهزأ بنفسه، ومن تعوّد بالله من النار ولم يترك شهوات الدنيا فقد استهزأ بنفسه».

والواقع أنّ غالب الناس ربما يلحّون في السؤال على الله سبحانه بأن يدخلهم الجنة، وأن يستنقذهم من النار، غير أنّ دخول الجنة لا ينبغي أن يكون مجرد أمنية، وإنما على الانسان أن يعلم بأن دخول الجنة لا بدّ له من ثمن، وأعلى أثمان الجنة هو تحمّل الشدائد، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبِأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٤].

ويتوجب على من يسأل الله الجنة أن يدفع الثمن، الذي يكمن على وجه الخصوص في تحمل الشدائد والصبر على المصائب. وكذلك الحال مع من يسأل الله النجاة من النار، فثمن ذلك ألا يسترسل مع رغباته وشهواته. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^(١)، وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الْجَنَّةُ مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، حديث ٢٨٢٢.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٨٩، حديث ٧.



زيارة الأربعين: التحدي والتعبير عن الهوية

جاء بسندٍ معتبرٍ عن حنان بن سدير عن
أبي عبد الله عليه السلام قال: «زُورُوا الْحُسَيْنَ، وَلَا
تَجْفُوهُ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

يجتذب مشهد الزحف المليوني لزيارة الأربعين الأنظار عبر العالم، لكونه حدثاً
مثيراً للدهشة، بالنظر لاعتبارات كثيرة. فبالرغم من أن المنطقة العربية باتت أكثر
المناطق جذباً للاهتمام لما تشهده من صراعات سياسية محتدمة، وأحداث عنف
دموية، وبؤر الإرهاب الناشطة فيها، وانعكاس جميع ذلك على الوضع العالمي، إلا
أن مشهد الزحف المليوني لزيارة الأربعين فرض حضوره منافساً لجميع الأحداث
الملتهبة في المنطقة.

هذا الحدث السنوي الضخم الذي لا مثيل له في تاريخ المنطقة، ربما كان
الأضخم في العالم بالنظر للمخاطر الأمنية المحيطة، فالعراق لم يعد في العقد الأخير
بلداً مستقراً آمناً، بقدر ما بات ساحة مفتوحة لمعركة ضروس مع أعتى القوى الإرهابية
والإجرامية، التي سيطرت على نحو ثلث مساحة العراق، وأدمت كل مناطق العراق،
فلا يكاد يمرّ يوم واحد إلا وهناك أعمال إجرامية ترتكبها هذه العصابات الإرهابية.

ومع هذه المخاطر الكبيرة، والوضع الأمني المضطرب، يزحف ملايين الناس

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٢٠١، حديث ٢.

لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، هذا ليس أمراً سهلاً، سيّما في ظلّ اهتراء البنية التحتية للتنمية، جرّاء الحروب الطويلة في العراق، وعدم توفر الخدمات القادرة على استيعاب هذه الحشود الكبيرة.

وقد تبلغ الدهشة منتهاها مع الأرقام المليونية التي تقدّر أعداد الحشود المتجهة إلى كربلاء، بين خمسة ملايين إلى نحو ٢٠ مليوناً. ولو أخذنا بالحدّ الأدنى من التقديرات، أي بضعة ملايين من المشاركين، لبقِيَ ذلك رقماً كبيراً، ويكفي أن نتذكر بأنّ هذا العدد يتجاوز بكثير عدد المعتمرين والحجاج في ذروة موسم الحج، مع كون الحج فريضة إلهية واجبة لا تقاس بزيارة الأربعين.

ومع هذه الأعداد الكبيرة المتجهة إلى كربلاء مشياً على الأقدام في معظمها، إلّا أنّ حركة الحشود البشرية التي تمتد إلى عشرات الكيلومترات، في ظلّ أحوال جوية متقلبة من البرد والمطر، تمضي بانسيابية مثيرة للدهشة، لا نكاد نشهد مع ذلك مشاكل خطيرة، ولا صراعات ولا نقاط خلل كبيرة. بل على العكس من ذلك، يجري بجهود أهلية توفير كلّ سبل الراحة لهذه الحشود المليونية من طعام وشراب وخدمات لم يخطر على البال إمكانية توفرها، ليس أقلها توفر خدمة المساج والتدليك لأقدام المشاة الزائرين التي أنهكها المشي الطويل. ناهيك عن البهجة التي تعتلي وجوه الناس وهم يؤدّون مراسيم الزيارة، كما يظهر من خلال المقابلات التلفزيونية التي تُجرى معهم، وكما يتحدثون هم عند عودتهم إلى ديارهم.

وفي حين درجت وسائل الإعلام العربية الرسمية على تجاهل هذا المشهد المليوني الكبير، الذي قلّ نظيره في العالم، تتسابق وسائل الإعلام الدولية إلى تغطية أحداثه، ولفت الأنظار إليه، وغنيّ عن القول إنّ الناس باتت لهم نوافذهم المباشرة على العالم، فلم تعدّ حبيسة الإعلام الرسمي العربي، وإنما بات المتابع العادي على تماسّ مباشر مع كلّ أحداث العالم على مدار الساعة.

ظاهرة فريدة تستحق التأمل

إنّ مشاهد زيارة الأربعين تستحقّ التأمل والتحليل طويلاً من قبل الباحثين، لتفسير هذه الحالة المجتمعية الفريدة. إذ يعكس هذا الزحف المليوني تفاعل المجتمع مع موروته الديني وتمسّكه به، حيث يقبل الناس على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) شوقاً وطلباً للأجر والثواب. وهناك في هذا الصدد عشرات النصوص الدينية ضمن تراث أهل البيت تتناول زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، ومن ذلك ما جاء بسندٍ معتبر عن حنان بن سدير قال، قال لي أبو عبدالله الإمام جعفر الصادق (عليه السلام): «زُورُوا الْحُسَيْنَ، وَلَا تَجْفُوهُ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، وتوجب تلك النصوص في مجملها الاطمئنان والوثوق في اهتمام أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بهذه الشعيرة، وحثهم شيعتهم عليها. وفي هذا الشأن يقول المحقق في علم الحديث الشيخ آصف محسني في مصنّفه مشرعة بحار الأنوار: «واعلم أن الروايات الواردة في ثواب زيارة الحسين (عليه السلام) وخواصها كثيرة جداً، حتى إذا فرزنا منها ما رواه الغلاة والضعفاء، لكان فيما بقي مما رواه الثقات والموثقون كمية كبيرة فوق ما يحتاج إليه في حصول القطع بصدور جملة منها من الأئمة (عليهم السلام)»^(١).

ومن الواضح أنّ اهتمام أئمة أهل البيت بقضية الإمام الحسين مرتبط على نحو وثيق بطبيعة الدور المميز الذي قام به (عليه السلام)، في الثورة على الباطل، ومواجهة الاستبداد، والدفاع عن حرّيات الدين وكرامة الأمة، هذا الدور المميز هو الذي يفسّر توالي النصوص الدينية التي توجه الناس نحو زيارته، وإحياء ذكره، والتذكير بقضيته (عليه السلام). فقد أخذت مظلومية الإمام الحسين حيزاً كبيراً في فضاء تراث أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك نظير ما تحمّل (عليه السلام) في يوم عاشوراء من آلام عظيمة، في نفسه أولاً، ومن ثم في أسرته وأصحابه. هذه الآلام والتضحيات الكبيرة، هي التي استحقّ بموجبها (عليه السلام) أن يعوّضه الله سبحانه على هذا النحو من الاهتمام الكبير، الذي يجعل ملايين الأفتدة من الناس تهوي إليه وتعشقه، وتحيي ذكره، وتزحف نحو مرقد الشريف.

(١) مشرعة بحار الأنوار. ج ٢، ص ٤٧٨.

التمسك بالهوية والتعبير عن الذات

كما تكشف مشاهد زيارة الأربعين، عن إرادة مجتمعية ثابتة في التمسك بالهوية، والتعبير عن الذات. وكما هو معلوم فقد طال القمع والتهميش والإقصاء الطويل مختلف الهويات الفرعية، الدينية منها والقومية والثقافية في عالمنا العربي، لصالح الهوية الأوحده المهيمنة على الواقع السياسي، إلى أن وجدت بعض الشعوب والمجتمعات في هذا العصر فرصة التعبير عن ذاتها وهويتها. وقد نال الموالون لأهل البيت حصة الأسد من القمع الديني والسياسي، فجاءت مناسبة الأربعين لتكشف عن أوجه من التعبير عن الهوية المقموعة، التي عانت طويلاً من الإقصاء، بمختلف الوسائل والأساليب.

إنّ من حقّ كلّ المجتمعات التعبير عن ذاتها وهويتها، بانتهاج السبل الحضارية. غير أنّ هناك من لا يجد طريقاً للتعبير عن هويته إلاّ من خلال الاعتداء على الآخرين، وهذا عين ما يقترفه الإرهابيون من اعتداءات وحشية بحقّ الأبرياء، مبرّرين إرهابهم بأنّ لهم قضية مشروعة وحقوقاً يسعون لانتزاعها، من هذه الفئة أو تلك الجماعة، لكن السؤال الذي يطرح نفسه، لو سلمنا بوجود قضية محقّقة لدى طرف من الأطراف، فهل يكون السعي من أجلها من خلال الإرهاب والإجرام والاعتداء على الأمنين؟

إنّ النضال من أجل قضية عادلة، وحقوق مشروعة، بالتوسل بالوسائل الإجرامية، يُعدّ أكبر إساءة لتلك القضية، وإن كان هؤلاء الإرهابيون يتظاهرون بحرقه قلب على الإسلام، وإقامة الشريعة، وإحياء الدين، فهل السبيل إلى ذلك عبر جثث الأبرياء؟ أو ليس هذا أبلغ إساءة للدين؟

في مقابل ذلك، هناك أسلوب آخر للتعبير عن الهوية، قوامه انتهاج الأسلوب السلمي الحضاري، وهذا عين ما يمارسه عشاق أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فالموالون لأهل البيت عليهم السلام يمارسون حقّهم في التعبير عن هويتهم، ويثبتون حضورهم ووجودهم،

من خلال السبل الحضارية وحدها، وهو ذات النهج الذي سار عليه أئمة آل البيت وأتباعهم عبر التاريخ، وقد دفعوا ثمن ذلك غالياً، فكم تحملوا عبر تاريخهم من آلام وتضحيات كبيرة، في سبيل إقامة وتعظيم هذه الشعائر، وهم لا يزالون وسيبقون مصرّين على هذا النهج.



أخلاق الرسول بين الناس والاتبهار

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم، الآية: ٤].

ثمة تركيز إلهي لافت للنظر حول جانب محدّد من عظمة النبي الأكرم ﷺ وهو الجانب المتمثل في الأخلاق العظيمة التي تخلّق بها ﷺ. فمما لا شك فيه أنّ رسول الله ﷺ كان عظيمًا في كلّ جوانب الخير والكمال، فهو عظيم في عبادته ونسكه، وفي مكانته عند الله، كما في إنجازه التاريخي، غير أنه في مقام الإطراء والتقدير للنبي ﷺ لم يركز سبحانه تعالى على شيء من تلك الجوانب، بقدر ما ركز من بين كلّ جوانب العظمة عنده ﷺ على جانب محدّد، وأولاه الأهمية القصوى، ألا وهو عظمته في جانب الأخلاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وهنا يأتي السؤال عن مغزى الإشادة الإلهية بالجانب الأخلاقي عند نبيّه ﷺ على وجه التحديد؟

الأخلاق أولا

أولاً: يبدو أنه تعالى أراد من الإشادة بأخلاق نبيّه ﷺ لفت النظر إلى أهمية العظمة في هذا المجال. وأنّ العظمة مهما بلغ شأوها في سائر المجالات، لا تداني فضل وأهمية العظمة في مجال الأخلاق. فلو أنّ إنساناً كان عظيمًا في علمه ومعرفته، لكنه في الوقت ذاته كان سيئًا في أخلاقه، فإنّ تميّزه العلمي لا يعوّض بأيّ حالٍ عن سوء أخلاقه، وكذلك الحال مع من يكون عظيمًا في عبادته ونسكه، إلّا أنه سيء الخلق،

عندها لا يكون لهذه العبادة أية قيمة تذكر.

وبذلك تغدو العظمة في مجال الأخلاق، هي الأهم من بين سائر المجالات الأخرى، وإذا كان هناك من هو جامع للعظمة في أكثر من مجال، فإن عظمته في مجال الأخلاق هي الأولى بالاهتمام والتركيز. لذلك ركّز الله سبحانه وتعالى على عظمة نبيه ﷺ في هذا المجال، حتى إنه ﷺ لخص أهداف بعثته، وجوهر رسالته، في إتمام مكارم الأخلاق، في قوله ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

إن النصوص الدينية تشير بوضوح إلى أنه لا قيمة للعظمة في سائر الجوانب، في ظلّ تدني أخلاق المرء. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَا يُوضَعُ فِي مِيزَانِ امْرِئٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢)، إن الصلاة والصيام وسائر أشكال العبادة، لا تعدل بمجموعها خصلة هي حسن الخلق، فلا شيء على الإطلاق أفضل من الأخلاق الحسنة. وقال أمير المؤمنين عليّ بن طالب ﷺ: «رُبَّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُلُقُهُ»^(٣)، إن الإنسان قد يمتلك مقومات العزة والعظمة، لولا أن أخلاقه السيئة تجعل منه ذليلاً وغير محترم ولا محبوباً بين الناس. كما روي عن الإمام الحسن بن عليّ ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَحْسَنَ الْحَسَنِ الْخُلُقِ الْحَسَنِ»^(٤)، فالتفوق والتميز في هذا المجال هو الأولى من التميز في سائر المجالات الأخرى.

الافتداء بالأخلاق النبوية

ثانياً: توجيه الأمة إلى دراسة أخلاق نبيّها، والافتداء بها. وقد جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾. إن على الأمة أن تولي المجال الأخلاقي في سيرة نبيّها الأكرم، وأئمتها الأطهار، الاهتمام الأكبر، لا لغرض التبجيل والانبهار

(١) بحار الأنوار، ج ١٦، ص ٢١٠، السنن الكبرى، البيهقي، ج ١٠، ص ١٩٢.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٩٩، (باب حسن الخلق)، حديث ٢.

(٣) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١، ص ٣٠٠.

(٤) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٩، أحسن الحسن، خصلة ١٠٢.

فحسب، ذلك أن كثيراً من المسلمين درجوا على إبداء الإعجاب والانبهار، كلما ذكرت فضيلة أو مكرمة أو موقف أخلاقي لرسول الله ﷺ، وليس هذا هو المطلوب، بل المطلوب أولاً وأخيراً الاقتداء بالنبوي، والتأسي بأخلاقه، بخلاف ما هو سائد عند بعض الأوساط التي ترى في أخلاق النبي مثلاً علياً لا يمكن بلوغها، والجواب على هؤلاء؛ أولم يبعث الرسول ﷺ لكي يقتدي به الناس!

إنه ينبغي لكل فرد في الأمة أن يتأسى بأخلاق رسول الله ﷺ، خاصة أولئك الذين يتبوؤون مواقع القيادة والتأثير، من الحكّام، والعلماء، والقادة الاجتماعيين والإداريين. لقد تناولت كتب التاريخ والسيرة النبوية سبلاً من المرويات والمواقف حول عظمة أخلاق النبي الأكرم ﷺ. ومن تلك النماذج، ما رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي»^(١)، فبالقدر الذي يهتم فيه الإنسان بجماله وأناقة مظهره، عليه أن يهتم بجمال أخلاقه وأناقة جوهره المعنوي.

وعن أنس أنه قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، وفي لفظ: إحدى عشرة سنة، وأنا ابن ثمان سنين، في السفر والحضر، والله ما قال لي: أف قط، ولا شيء صنعت لم صنعت هذا هكذا، ولا شيء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا؟ ولا شيء صنعت: أسأت صنعه، أو لبس ما صنعت، ولا عاب علي شيئاً قط، ولا أمرني بأمر فتوانيت عنه، أو ضيعت فلامني، ولا لامني أحد من أهله إلا قال دعوه، فلو قدر أو قال قضي أن يكون كان»^(٢)، وهذا ما يظهر إلى أي حد بلغت أخلاقه وسجاياه ﷺ بحيث لم يظهر التبرم ولا التأفف من خادمه ولو لمرة واحدة طيلة عشر سنين، كما لم يكن معاتباً ولا لؤماً!، وفي ذلك رسالة لنا حول كيفية تعاملنا مع السائقين والخدم العاملين في منازلنا.

(١) الأذكار النووية، يحيى بن شرف النووي، ص ٣٠٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد، الصالح الشامي، ج ٧، ص ٧.

ومما روي في عظمة أخلاقه ﷺ ما رواه أبو داود عن أنس أنه قال: «مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَلْتَمَعَ أُذُنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنْحِي رَأْسَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْحِي رَأْسَهُ، وَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَخَذَ بِيَدِهِ فَتَرَكَ يَدَهُ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَدْعُ يَدَهُ»^(١)، أي إنه ﷺ لم يعرض قط، ولم ينح رأسه عن أحد جاء يحدثه في أذنه سرًا، حتى يكمل محدثه قول ما يريد، ولم يترك ﷺ يد أحد جاء يصحبه أو يسلم عليه، حتى يبادر الآخر لنزع يده من يد النبي.

مدرسة في التربية

ومما روي في عظمة أخلاق النبي الأكرم ﷺ ما جاء في رواية لأحد الأصحاب أنه قال: «بَيْنَا أَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، قَالَ: فَحَدَّثَنِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَأَتُكَلِّأُهُ، مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ قَالَ: فَضْرَبَ الْقَوْمُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُسَكِّتُونَنِي، قُلْتُ: مَا لَكُمْ تُسَكِّتُونَنِي؟ لَكِنِّي سَكَّتُ، قَالَ: فَلَمَّا انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، وَاللَّهِ مَا ضَرَبَنِي، وَلَا كَهْرَنِي، وَلَا سَبَبَنِي، وَلَكِنْ قَالَ: «إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ»^(٢).

وعن أنس قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا اسْتَقْبَلَهُ الرَّجُلُ فَصَافَحَهُ لَا يَنْزِعُ يَدَهُ مِنْ يَدِهِ، حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِعُ، وَلَا يَصْرِفُ وَجْهَهُ حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَصْرِفُهُ، وَلَمْ يَرِ مُقَدِّمًا رُكْبَتَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ جَلِيسٍ لَهُ»^(٣). وروي عن أنس أيضًا أنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَذْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن العشرة، ج ٥، ص ٢٧٣، حديث رقم ٤٧٩٤.

(٢) صحيح سنن النسائي، كتاب السهو، باب الكلام في الصلاة، ج ١، ص ٣٩٢، حديث ١٢١٧.

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ج ٣، ص ٣٧٨، حديث ٢٤٩٠.

جَبَذْتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ^(١).

لقد كان رسول ﷺ يجيب دعوة العبد، ويعود المريض. وروى مسلم، قال
الأصحاب بعد أن اشتد أذى المشركين على رسول الله ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ عَلَيَّ
الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»^(٢). وعن أنس: «كَانَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ إِذَا فَقَدَ الرَّجُلَ مِنْ إِخْوَانِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ غَائِبًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ كَانَ
شَاهِدًا زَارَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ»^(٣). وهكذا تمتلئ كتب التاريخ والسيرة بتراث كبير
ونماذج مفصلة عن عظمة أخلاقه ﷺ.

على الأمة أن تستقي من المعين الأخلاقي العظيم لنبينا ﷺ. وذلك لأهمية التحلي
بالأخلاق الكريمة، التي لا قيمة للإنسان بدونها، مهما كانت لديه من مقومات القوة،
فكل المقومات لا تعوّض الإنسان عن الاهتمام بحسن الخلق، ورفي التعامل مع
الآخرين. والحقيقة الأخرى، هي أنّ هذه الأخلاق العظيمة الواردة في سيرته ﷺ لا
ينبغي أن تذكر لمجرد الانبهار والتمجيد وحسب، وإنما ينبغي أن تكون محوراً للتأسي
والاقتداء.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البرود والحبرة والشملة، ج ٤، ص ٤٦، حديث رقم ٥٨٠٩.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم ٢٥٩٩.

(٣) كنز العمال، ج ٧، ص ١٥٣، حديث ٨٤٨٣١.



استقلالية الرأي والتعايش الاجتماعي

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا
لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا
بَصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ
لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾

[سورة سبأ، الآية: ٤٦].

تدفع الطبيعة الاجتماعية للإنسان نحو التكيف والتوافق ضمن المحيط الاجتماعي الذي يتواجد فيه، إن على مستوى الفكر أو الموقف أو السلوك. وتزداد حالة التكيف الفردي مع المجتمع إلحاحًا وعلى نحو أكبر ضمن المجتمعات التقليدية، حيث يميل الفرد إلى تقبل الأفكار السائدة، ويتخذ ذات المواقف الاجتماعية المقررة، مقابل أي طرف وإزاء أي حدث أو قضية، كما ويمارس نفس السلوك المألوف، متقيّدًا بالأعراف والتقاليد الاجتماعية الصارمة.

دوافع التكيف الاجتماعي

من هنا يأتي السؤال عن مغزى الرغبة الفردية في التكيف مع المجتمع؟

والجواب عن ذلك:

الدافع الأول: أنّ التكيف الاجتماعي معزز أساس للشعور بالانتماء للمجتمع. ذلك أنّ توافق الفرد مع محيطه المجتمعي، وتطابق آرائه في الوسط الذي يتواجد فيه،

يشعره بأنه جزء من هذا المجموع، كما يشعره باحتضان المجتمع له، فيكون بذلك جزءاً من مجتمعه غير منفصل عنه.

الدافع الثاني: توفير عناء التفكير وتقليب الآراء، سيّما وأن أغلب الناس يتّسمون بالكسل، فلا يميلون إلى تشغيل عقولهم، وإعمال أذهانهم، حيث قد يتطلب ذلك جهداً فكرياً وبحثاً عميقاً، وهرباً من ذلك ينزع الغالبية نحو تبني الرأي السائد في المجتمع، والأخذ به جاهزاً معلباً. وهذا ما يذكّرنا بالقصة التراثية التي رأى فيها أعرابي جماعة من الناس يضربون شخصاً، فدخل بينهم وصار يضرب الرجل أيضاً، بل كان أشدهم عليه، وبعد أن فرغ سُئل عن سبب ضربه الرجل، فقال: رأيت الناس يفعلون ذلك ففعلت، ولا بُدَّ أن هناك سبباً لا أعرفه دفعهم لضربه. وهكذا ينأى الناس في الأغلب عن البحث والتدقيق في مختلف المسائل، فيكتفون بتلقّف الرأي السائد في المجتمع.

الدافع الثالث: الرغبة في تجنب الصدام والتنافر مع المحيط الاجتماعي. فعلى خلاف المجتمعات الحديثة التي تسود فيها حرية التعبير عن الرأي، والتي تكون فيها حالة التنافر نتيجة اختلاف الرأي أقلّ حدّة، تنزع المجتمعات التقليدية نحو الصدام، وفرض الحصار والعزلة، على كلّ من يتبنى رأياً مغايراً للرأي المجتمع، وهذا ما لا يودّ الأفراد في هذه المجتمعات أن يتعرضوا إليه، ونتيجة لذلك تجدهم أكثر ميلاً للتوافق مع المجتمع على طريقة «حشر مع الناس عيد»، فهم مع الموقف السائد والرأي الغالب.

وظيفة التفكير

إنّ على الإنسان أن يُعمل فكره، وأن يفحص الأفكار والمواقف والسلوكيات السائدة في مجتمعه، لمعرفة ما إذا كانت صحيحة وموافقة للحق والخير، أو ليس هناك إمكانية لأن تكون تلك السلوكيات غير سليمة، والمواقف باطلة، والآراء خاطئة، أو ليس ذلك كله أمراً وارداً ولا ينفيه أحد؟. من هنا، يبقى الاختيار عائداً للإنسان

وحده، في أن يستسلم ويخضع لكل ما هو سائد في مجتمعه، أو أن يعمل فكره ويتخذ هو الرأي الذي يراه صائبًا على ضوء عقله، وهدى فطرته، وعلى أساس المبادئ التي يؤمن بها!

على الإنسان أن ينأى بنفسه عن التبعية والانقياد للآخرين في مواقفه، إزاء القضايا المصيرية خاصة. سيما تلك القضايا التي تترتب عليها آثار كبيرة في الدنيا، ويسأل المرء عنها ويحاسب عليها في الآخرة. فلا يصح للإنسان أن يكون في القضايا المصيرية منقادًا للآخرين، على غرار ما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٢٣]، أو الآية الكريمة ﴿وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [سورة المدثر، الآية: ٤٥]. إن هذا النوع من التبعية العمياء مرفوض قطعًا، وإنما ينبغي للإنسان أن يفكر في مختلف القضايا بمعزل عن الأجواء الاجتماعية السائدة.

إن الله سبحانه وتعالى دعا الناس على لسان نبيه إلى التفكير المستقل، بعيدًا عن المؤثرات الاجتماعية الضاغطة. فقد جاء النبي ﷺ برسالة من الله، فانبرى الرأي الاجتماعي الغالب لمخالفة الرسالة، فكانوا يتهمونه ﷺ بالسحر والجنون والكذب وسائر التهم الجائرة، فرأى غالب الناس أنفسهم خانعين مستسلمين للسلبية الاجتماعية السائدة، فأوحى الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، أي إنه ﷺ شرع في وعظهم، والمعلوم أن أسلوب الموعدة يرافقه الحنو والرأفة، وعظهم ﷺ بالإنفراد بأنفسهم، أو ليتحاور كل اثنين اثنين منهم، تحريًا للموضوعية بمعزل عن الصخب الاجتماعي، والمواقف الانفعالية السائدة، التي تغطي على المجتمعات في أوقات المحن والصراعات الفئوية، وتؤثر على نحو مباشر على عقل وتفكير الإنسان، وتصيب مواقفه وآراءه إزاء مختلف القضايا.

وتمضي الآية الكريمة في القول على لسان النبي: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾، أي أن يكون قصدكم وغايتكم من التفكير والبحث هو الوصول إلى الحق. والأهم أن جوهر الآية

الكرامة يشير على الانسان بألا يسترسل خلف مجتمعه في اتخاذ المواقف، والمصيرية منها على نحو خاص، ذلك أن حالة الاسترسال لا تعفي الإنسان من المحاسبة أمام الله سبحانه وتعالى، ما دام قادرًا على البحث والتفكير.

رفض التبعية العمياء

لقد شددت النصوص الدينية على النأي عن التبعية العمياء للمجتمع. فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»^(١)، ومضمون قوله ﷺ أن يتبع الإنسان مجتمعه في الجوانب الإيجابية السليمة وحسب، ولكن في حالات الظلم والانحراف لا يصح أبدًا أن يستسلم المرء للحالة السائدة، وإنما ينبغي أن ينأى بنفسه تمامًا عن ذلك الوضع. وجاء عن الإمام موسى الكاظم ﷺ أنه قال: «لَا تَكُنْ إِمَّعَةً. قُلْتُ: وَمَا الْإِمَّعَةُ؟ قَالَ: لَا تَقُلْ: أَنَا مَعَ النَّاسِ، وَأَنَا كَوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هُمَا نَجْدَانِ: نَجْدٌ خَيْرٌ وَنَجْدٌ شَرٌّ، فَلَا يَكُنْ نَجْدُ الشَّرِّ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ نَجْدِ الْخَيْرِ»^(٢).

لا للانفصال عن المجتمع

وأكثر الناس حاجة إلى النأي عن التبعية للآراء السائدة هم المصلحون الرساليون والعاملون النهضويون. فالذين يريدون النهوض بمجتمعاتهم لا يستطيعون مجاراة الآراء السائدة؛ لأنهم يدركون جيدًا أن سبب الانحراف والتخلف القائم إنما يعود إلى تلك الآراء، وهم إنما جاؤوا لكي يُغيروا من الأمر الواقع، وهم معنيون بمقتضى رسالتهم بالتصدّي للواقع المتخلف لمجتمعاتهم، وهذا تحديدًا ما كان يقوم به الأنبياء، الذين خالفوا مجتمعاتهم، والأصح أن مجتمعاتهم هي التي خالفتهم، قال

(١) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٣، ص ١١٤، حديث ٢٠٠٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٢٥، حديث ٢٩.

تعالى: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [سورة

المائدة، الآية: ٧٠].

إن أصحاب الرسالة معنيون بتحمّل عواقب سعيهم نحو الإصلاح، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٩]، ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا...﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٤]، فالنبي ﷺ على يقين بأن مصير المصلحين غالبًا ما يكون التعرّض للحصار والإيذاء والعزل الاجتماعي، وهذا عين ما عايشه ﷺ في مكة المكرمة، حتى ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما أُوذِيَ نبيٌّ مثل ما أُوذِيَ»^(١)، إلا أنّ جميع ذلك من مقتضيات تبليغ الرسالة، وكذلك هو نهج الأئمة والمصلحين الخيّرين في كلّ المجتمعات.

غير أنّ هناك حقيقة ينبغي ألا يغفل عنها المصلحون، وهي الالتزام بنهج التعايش، والمخالطة الاجتماعية. ذلك أنّ المصلحين وأصحاب الرأي المختلف، لا ينبغي أن يسعوا نحو الصدام مع مجتمعاتهم، حتى مع تمسّكهم بآرائهم، والتبشير بها، كلّما سنحت الفرصة لذلك، كما أنّهم في الوقت عينه لا ينبغي أن ينسحبوا من السّاحة ويعتزلوا الناس.

هناك نصوصٌ دينية كثيرة تؤكّد أهمية أن يكون أصحاب الأفكار الإصلاحية، والتوجهات النهضوية، حاضرين ومخالطين للناس في مجتمعاتهم، يدارونهم ويجاملونهم، ويجهدون في الوصول بآرائهم وأفكارهم إلى مدارك عقول الناس، لا أن ينغلقوا على ذواتهم ويهجروا مجتمعاتهم. وفي ذلك مهمّة مزدوجة، يحمي من خلالها الرسالي مصلحه الذاتية من جهة، ومن جهة أخرى يقوم على خدمة رسالته، وهذا ما لا يمكن أن يتحقق في حال الابتعاد والعزلة عن المجتمع.

(١) بحار الأنوار، ج ٣٩، ص ٥٦، وفي كنز العمال، ج ٣، ص ١٣٠، حديث ٥٨١٨: (ما أُوذِيَ أحدٌ مثل ما أُوذِيَ).

وفي هذا الشأن يقول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «خَالِطُوا النَّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ، وَزَايِلُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١)، يعني أن يلتزم الإنسان المصلح برأيه الصحيح، دون تبعية لسلوكيات وآراء الناس، فيما ينبغي في الوقت عينه أن تستمر المعاشة والمخالطة العامة لهم. ومما قيل في هذا السياق: «كن في الناس ولا تكن مع الناس»، فالمطلوب أن يعاشر المرء أبناء مجتمعه، إلا أنه لا ينبغي أن ينساق خلف آرائهم وأفكارهم غير السليمة، وهكذا يجمع الانسان بين التزام الحق وبين التعايش والتكيف مع مجتمعه.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٤٣.

أعياد الميلاد والمؤثر الديني.

روي عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال:
«يا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، لِي إِلَيْكُمْ حَاجَةٌ،
أَقْضُوهَا لِي. قَالُوا: فَضَيْتَ حَاجَتَكَ يَا رُوحَ
اللَّهِ، فَقَامَ فَغَسَلَ أَيْدِيَهُمْ، فَقَالُوا: كُنَّا
نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا يَا رُوحَ اللَّهِ! فَقَالَ: إِنَّ أَحَقَّ
النَّاسِ بِالْخِدْمَةِ الْعَالِمُ، إِنَّمَا تَوَاضَعْتُ
هَكَذَا لِكَيْمَا تَتَوَاضَعُوا بَعْدِي فِي النَّاسِ
كَتَوَاضَعِي لَكُمْ. بِالتَّوَاضُعِ تَعْمُرُ الْحِكْمَةَ
لَا بِالتَّكَبُّرِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّهْلِ يَنْبُتُ الزَّرْعُ
لَا فِي الْجَبَلِ»^(١).

درجت شعوب العالم على الاحتفاء مطلع السنة الميلادية الجديدة، بذكرى ميلاد نبيّ الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. حتى بات ميلاد السيّد المسيح المناسبة التاريخية الأبرز في حياة البشر، وبات التاريخ الميلادي هو التاريخ المعتمد عالمياً. وبصرف النظر عن مدى الدقة في تزامن التاريخ المعتمد مع تاريخ الميلاد الفعلي للسيّد المسيح، ففي ذلك نقاش كما في سائر المناسبات التاريخية الأخرى، بما في ذلك الإسلامية منها، وكذلك بصرف النظر عن التفاصيل المتداولة لميلاد السيّد المسيح، التي تناولها القرآن الكريم مفصلاً، حيث تناول القرآن بالتفصيل قصّة ولادة نبيّين فقط دون سائر

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٧، حديث ٦.

الأنبياء، هما نبي الله موسى ﷺ ونبي الله عيسى ﷺ، وبعيدًا - مرة أخرى - عن تقاليد وأشكال الاحتفاء بأعياد الميلاد، فلكلّ مجتمع تقاليده وأعرافه الدينية والاجتماعية، نقول بصرف النظر عن جميع ذلك، يمكن النظر للاحتفاء السنوي العالمي بذكرى ميلاد نبيّ من الأنبياء، وهو السيّد المسيح ﷺ، باعتباره مؤشّرًا ودليلاً على عمق الميل الديني في نفوس بني البشر، بالرغم من كلّ مظاهر الحضارة المادية الجارفة، ورغم ما مرّ على البشرية من عظماء آخرين، علماء ومفكرين ومكتشفين!. وهنا تحضرني مقولة أحد المفكرين من أنّ «الإنسان كائن ديني»، حيث لا يستغني في كينونته عن الميول والتوجّهات الدينية، فهو أمر متجذّر في حياة البشر.

لم تكن الثورة على الدين في الغرب

وينبغي النظر إلى الثورة على الكنيسة في الغرب، باعتبارها ثورة على الاستبداد الديني حصراً، لا ثورة على أصل الدين. ذلك أنه ربما شاع تصوّرٌ بعد تلك الثورة العارمة، من أنّ قطيعة ستجري بين تلك الشعوب وبين هويتها الدينية، غير أنّ ما حصل هو العكس من ذلك، فقد ثار الناس على الاستبداد الديني، والقيود الدينية الصارمة، التي وضعها رجال الكنيسة على الناس طويلاً، لكن الناس في مقابل ذلك عادوا لعمقهم الديني المتجذّر في النفوس، فالشعوب التي ثارت على الكنيسة لم تنسلخ من الدين تماماً.

إنّ المجتمعات الغربية في توجّهها العام، لا تزال تنزع نحو الحفاظ على الهوية الدينية العامة، كما في الاحتفاء بأعياد الميلاد. وإلّا ماذا يعني أن يحتفلوا بميلاد النبي عيسى ويتنسبون إليه، ويعتبرون الصليب شعاراً وهويّة لهم، في إشارة إلى ما يعتقدونه من صلب السيّد المسيح. إنّ هذا يدلّ قطعاً على الميل الديني، كما يدلّ على أنّ كلّ الأمواج العاتية المناوئة للدين، لم تفلح في اقتلاع الجذور الدينية في نفوس تلك الشعوب. وبالرغم من الحريات المطلقة، وغياب القدسية للأديان، وإخضاع

مجمل المنظومة الدينية للمناقشة والبحث، والتشكيك العلمي بها، بما يصل إلى حدّ التشكيك في الإنجيل، وفي أصل وجود السيّد المسيح نفسه، ناهيك عن النقد الشديد للكنيسة، وما يصدر من ممارسات منحرفة لرجال الكنيسة، التي أثارت ضجة كبيرة في السنوات الأخيرة في أوروبا وأمريكا. غير أنّ الناس لا يزالون متمسكين بهويّتهم الدينية. وهذا ما يعطينا الثقة والاطمئنان بأنّ الأديان أقوى وأعمق في نفوس البشر من أن تقتلها أو تهزّها الموجات التشكيكية أو المتمردة.

قداسة المسيح في الإسلام

إنّ المسيح عيسى بن مريم ﷺ شخصية مقدّسة عند المسلمين. بل إنّ تقديسه واحترامه ﷺ جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية، وللسيد المسيح وأمه العذراء مريم بنت عمران ﷺ قداسة خاصة في القرآن الكريم، حتى إنّ سورة خاصة سمّيت بسورة مريم، فضلاً عن عشرات الآيات الأخرى التي تناولت طرفاً من سيرتهما ومناقبهما ﷺ.

ونحن نؤمن إيماناً مطلقاً بما قرّره القرآن الكريم في تناوله للسيد المسيح، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١]، تماماً كما نؤمن ونقدّس سائر الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٥]. وبالتالي، فإنّ الاحتفال بميلاد نبيّ من الأنبياء العظام، ومن الخمسة أولي العزم، أمر لا يخرج بأيّ حالٍ عن دائرة الدين، وإنّ باتت المناسبة جزءاً من الهوية الدينية لأمة معينة، فلكلّ أمة هويتها وشعائرها وتقاليدها، وبالرغم من أنّنا لا ندعو للذوبان في شعائر وتقاليد الأمم الأخرى، إلّا أنّ ديننا الحنيف لا يمنع من التفاعل مع أتباع الديانات الأخرى في مناسباتهم الدينية والاجتماعية، على العكس مما يدعو إليه بعض المسلمين المتمزّتين من القطيعة التامة مع أتباع الأديان الأخرى.

هؤلاء المتزمتون يقفون عادة خلف الجدل المتكرر سنويًا حول عدم جواز تهنئة المسيحيين في أعياد الميلاد، وهنا يأتي السؤال عن المانع من ذلك!. حيث لا وجه شرعيًا لمنع تبادل التهنة والتبريكات مع الأصدقاء والزملاء والعمّال المسيحيين، وإدخال السرور على أنفسهم بهذه المناسبة، بل العكس هو الصحيح، فالنصوص الدينية العامة التي تحض على القسط والبر بأهل الكتاب، تدفع بهذا الاتجاه، كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ﴾، وهذا ما يفتي به كبار مراجع الدين، كما ورد في فتوى المرجع الديني السيد علي السيستاني حفظه الله ما نصّه: «يجوز تهنئة الكتابيين من يهود ومسيحيين وغيرهم، وكذلك غير الكتابيين من الكفار بالمناسبات التي يحتفلون بها، أمثال: عيد رأس السنة الميلادية، وعيد ميلاد السيّد المسيح ﷺ، وعيد الفصح»^(١).

من توجيهات النبي عيسى بن مريم

ونحن نعيش ذكرى أعياد الميلاد، لا بأس أن نقتبس شذرات من توجيهات النبي عيسى بن مريم ﷺ. فقد نقل لنا أئمة أهل البيت ﷺ عن النبي عيسى جملة من المواعظ والتوجيهات والحكم.

ومن ذلك ما روي أن نبيّ الله عيسى بن مريم ﷺ قال: «يا معشرَ الحَواريّين، لي إليكم حاجةٌ، إقضوها لي. قالوا: قُضيت حاجتُك يا روحَ الله، فقامَ فغَسَلَ أقدامَهُمْ، فقالوا: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا يا روحَ الله! فقال: إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِالْخِدْمَةِ الْعَالِمُ، إِنَّمَا تَوَاضَعْتُ هَكَذَا لِكَيْمَّا تَتَوَاضَعُوا بَعْدِي فِي النَّاسِ كَتَوَاضَعِي لَكُمْ. بِالتَّوَضُّعِ تَعْمُرُ الْحِكْمَةُ لَا بِالتَّكْبُرِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّهْلِ يَنْبُتُ الزَّرْعُ لَا فِي الْجَبَلِ».

والحواري لغّة، من الحور، أي شدة البياض، وأصبحت تطلق صفة الحواري على الصاحب والصديق الصفي القريب في محبته وإخلاصه، وقد درج استخدام المصطلح

(١) كتاب الفقه للمغتربين، المرجع الديني السيد السيستاني، ص ٢٢٠، مسألة ٣٠٨.

في وصف المحيطين بالأنبياء والأئمة والأولياء، فصاروا يوصفون بحواريي الأنبياء، وحواريي الأئمة، وهم أولئك الصفوة من التلاميذ الذين التفوا حول هذا النبي أو ذاك الإمام. وحواريو النبي عيسى ﷺ وفقاً للمصادر المسيحية والإسلامية كانوا اثني عشر حوارياً فقط، وقد طلب منهم ﷺ أن يغسل أقدامهم، فردوا عليه بأنهم هم الأولى في أن يغسلوا قدمه؛ لأنه أستاذهم ومعلمهم ومربيهم، فأجابهم بذلك التوجيه.

التواضع خلق عظيم

إنّ التواضع خلق عظيم يجتذب القلوب والنفوس. فالمرء إذا عاشر إنساناً متواضعاً، فإنه سيشعر بالانجذاب تلقائياً نحوه، يتعلّق بمحبّته، ويألف الاقتراب منه، ويكون أقرب ما يكون للتأثر به. من هنا وردت النصوص الكثيرة حول التواضع، فقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «عَلَيْكَ بِالتَّوَّاضِعِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ»^(١)، فإذا كان الناس يتعبّدون بالصلاة والصيام والحجّ والزيارة والدعاء، فإن الإمام ﷺ يرشدهم إلى أنّ خلق التواضع هو من أعظم أنواع العبادات.

وحين يجري الحديث عن التواضع، فلا يعني ذلك أن نخصّ الناس الأبعدين بالتواضع وحسب، وإنما يشمل ذلك التواضع لأقرب الناس من الإنسان، من الزوج والأبناء والأخوة، فلا ينبغي أن يتعامل الزوج مع زوجته على نحو التعالي والتكبر، وليطرد من داخله أدنى شعور يختلجه، فيوحي إليه أنه الأفضل والأرفع منها، وعلى هذا النحو ينبغي للمرء التعامل مع سائر الدوائر الاجتماعية المحيطة.

وقد وردت في خصلة التواضع جملة من النصوص الدينية. من ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال لبعض أصحابه: «مَالِي لَا أَرَى عَلَيْكُمْ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ، قَالُوا وَمَا حَلَاوَةُ الْعِبَادَةِ؟ قَالَ: التَّوَّاضِعُ»^(٢)، ومضمون ذلك أنّ الذي يصلي ويظهر الخضوع لله

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١١٩، حديث ٥.

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج ١، ص ٣١٢.

تعالى، ينبغي أن ينعكس ذلك في تعامله مع عباد الله، فيكون متواضعاً أمامهم. وإذا كان التواضع مطلوباً من كلِّ أحدٍ، ومع كلِّ أحدٍ، فإنه أشدَّ إلحاحاً على من يريد التأثير والتوجيه للآخرين، فالأب الذي يريد التأثير على أبنائه، سيكون تأثيره عليهم أبلغ متى ما كان متواضعاً، وكذلك الحال مع عالم الدين الذي يعمل على توجيه الناس، فإنَّ كلامه سيكون أنفذ في نفوسهم متى كان متواضعاً، وعلى غرار ذلك المعلم الذي يمارس التربية والتعليم ينبغي أن يتَّسم كلامه وسلوكه بالتواضع، متى ما أراد التأثير في تلاميذه. وقد ورد عن عليٍّ عليه السلام أنه قال: «تَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ الْعِلْمَ وَلِمَنْ تُعَلِّمُونَهُ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ»^(١)، لا ينبغي للعالم أن يكون متجبراً متغطرساً متكبراً على الناس، وإنما ينبغي أن يكون متواضعاً، حتى يستطيع توجيه الناس من جهة، ومن جهة أخرى، حتى يجسّد القيم التي يبشّر بها، ويحدّث الناس عنها.

(١) مشكاة الأنوار، الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٢٤٢.



﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ
أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾

[سورة الإسراء، الآية: ٨٤].

لكل فردٍ أو جماعة من أبناء البشر طبيعة وشخصية خاصة، فكما أنّ لكل إنسان شكلاً خارجياً، فإنّ له صورة داخلية، تتمثل في أفكاره ومشاعره وأحاسيسه، هذه الصورة الداخلية هي التي تسيّر الإنسان، وتوجّه ممارساته الخارجية، التي هي في الحقيقة انعكاس لصورته الداخلية، فالإنسان إنّما يتحرك بتأثير من العوامل الفكرية والنفسية في أعماقه. وهذا منيع اختلاف الناس في تصرّفاتهم وممارساتهم، فإذا كانت لدى الإنسان شخصية عقلانية هادئة، فإنه يواجه المشاكل بروية وموضوعية، وعلى النقيض من ذلك إذا كانت شخصيته الداخلية انفعالية، فإنه سيواجه المشاكل بانفعالية وارتجال.

ولعلّ معنى الآية الكريمة ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾، هو أنّ كلّ على إنسان يعمل وفق طبيعته وجبلته النفسية الداخلية، غير أنه لا ينبغي أن يتبادر إلى الأذهان بأنّ معنى ذلك أنّ الإنسان مجبر على تصرّفات، وأنّ طبائع شخصيته الداخلية سالبة لإرادته، فليس الأمر كذلك، فالملكات الأخلاقية ملكات مكتسبة، تأتي من خلال ترويض النفس وتعويدها، وللإنسان دور حاسم في صناعة شخصيته الداخلية.

وللمفسّرين منحى آخر في تفسير معنى «الشاكلة» الوارد في الآية الكريمة، وهو

معنى الطريقة أو المذهب. فلكل إنسان أو جماعة طريقتهم ومذهبهم الذي يسرون عليه في هذه الحياة، نتيجة الوراثة، والنشأة والبيئة الاجتماعية المحيطة، فتكون «شاكلتهم» نتيجة لجميع ذلك.

فالآية الكريمة تشير على نحو محدد، إلى أن الناس يسرون ضمن الطريقة أو الدين الذي تربوا ونشأوا عليه. وقد ورد عن صالح بن الحكم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول - وقد سئل عن الصلاة في البيع والكنائس - فقال: صلَّ فيها، فقد رأيتها ما أنظفها! قال: قلت: أصلي فيها وإن كانوا يصلون فيها؟ فقال: أما تقرأ القرآن ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ صلَّ إلى القبلة ودعهم^(١)، فالإمام الصادق عليه السلام لا يرى بأساً في أن يصلِّي المسلم بصلاته في حال كان في بيع اليهود وكنائس المسيحيين، كما يشيد الإمام ويمتدح نظافة تلك البيع والكنائس.

ومما يذكر في هذا الشأن أن هناك باباً في كتب الحديث تحت عنوان باب جواز الصلاة في الكنائس والبيع^(٢)، على أنه ينبغي الالتفات هنا إلى مفردة الجواز وليس الاستحباب، فالأخير مقصور على الصلاة في المسجد وحسب، والحديث هنا متعلق بما إذا حضر وقت الصلاة وكان المسلم متواجداً في كنيسة مثلاً، فحينها لا مبرر شرعياً يحتم الابتعاد عن الصلاة في الكنيسة، فهي مكان عبادة لفئة تتعبد بدينها، والمسلم يتعبد بدينه.

التعايش مع الديانات الأخرى

إن تعاطي المسلم مع وجود الديانات والمذاهب الأخرى ينبغي أن يكون أمراً طبيعياً. فهذا التفسير هو ما يمكن أن يستوحى من الآية الكريمة ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ﴾، أي أن يجري تطبيع وجود العقائد الأخرى في ذهنية الإنسان المسلم، فلا

(١) بحار الأنوار، ج ٨٠، ص ٣٣٠، حديث ٢.

(٢) وسائل الشيعة باب جواز اتخاذ البيع والكنائس مساجد، ج ٥، ص ٢١١.

يرى وجود تلك العقائد أمرًا غير مقبول، أو مخالفًا لطبيعة الأشياء، أو أنه مما ينبغي مواجهته والتصدي إليه، بل على العكس من ذلك، ينبغي النظر للمسألة من زاوية واقعية، كما لدى المسلم مذهب وطريقة ومكان عبادة، فلآخرين أيضًا ذات الأمور تمامًا، وأن كل ما هو مطلوب أن يعمل المرء على طريقته، وليدع الآخرين على طريقته. وهذا ما يؤسس لفكرة ونهج التسامح الديني، بأن ينأى المسلم عن النفور والانزعاج من وجود أتباع المذاهب والديانات الأخرى، مهما خالفوه في المعتقد.

إن من المحزن الحديث عن الأقليات الدينية في المجتمع الإسلامي؛ لأن الإنسان في وطنه، مسلمًا أم غير مسلم، ضمن هذا المذهب أو ذاك، لا ينبغي أن يكون عنوانًا لأقلية أو أكثرية، وإنما ينبغي أن يكون مفهوم المواطنة هو المعيار الأساس.

لقد أكد الإسلام بشدة رعاية حقوق الأقليات الدينية في بلاد المسلمين. فعلى مدى التاريخ الإسلامي لم يكن وجود الأقليات الدينية من اليهود والمسيحيين والمجوس في بلاد المسلمين أمرًا غير مألوف، في يوم من الأيام، ولم يدع الشرع ولا العقل يومًا إلى إخراجهم، ولا قتالهم، ولا إجبارهم على تغيير دينهم، ما داموا مواطنين مسالمين. حيث أنه من غير الممكن ولا المقبول قسر الناس ولا إكراههم في الدين، وهذا صريح القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وقد خاطب تعالى نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، فهؤلاء الناس لهم دينهم وطريقتهم، ولا ينبغي بأي حال إكراههم على شيء غيره.

غاية ما هناك أن للمسلم أن يبشر بدينه، وأن يدعو الآخرين لاعتناق الإسلام، لكن ذلك لا يكون بسوى الحوار والجدال والتي هي أحسن، فإن قبلوا فأهلاً وسهلاً، وإن لم يقبلوا فلا شأن لأحد بهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾، فليس على المسلم تجاه غير المسلم أكثر من الدعوة والتي هي أحسن. لهذا أكد الإسلام رعاية حقوق أتباع الديانات الأخرى في المجتمع الإسلامي.

الاعتداء على الأقليات عدواناً على رسول الله

لقد ساهمت اعتداءات عناصر التيار المتطرف المنتسب للإسلام، على أتباع الأقليات الدينية في الشرق الأوسط، في جعل مسألة وجود هذه الأقليات قضية مثارة وأمرًا محرّجًا. فقد سجّلت على مدى الأعوام الأخيرة، سلسلة اعتداءات وحشية، على المسيحيين، والإيزديين، وسائر الأقليات والمذاهب الأخرى، في العراق وسوريا ومصر. ومن المعلوم أن هذا التوجّه المتشدّد لا يُعبّر عن حقيقة أحكام ومفاهيم الدين، بقدر ما يُعبّر عن التطرف المنسوب زعمًا للدين، والدين منه براء.

إنّ رسول الله ﷺ عبّر عن عميق احترامه لأتباع الديانات الأخرى، ومن ذلك ما ورد من تعهد نبوي في الرسالة التي بعثها ﷺ لأساقفة نجران وجاء فيه: «إِنَّ لَهُمْ عَلَى مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ مِنْ بَيْعِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ وَرَهْبَانِيَّتِهِمْ، وَجَوَارِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا يُغَيِّرُ أَسْفُفَ عَنْ أَسْفُفِيَّتِهِ، وَلَا رَاهِبٌ عَنْ رَهْبَانِيَّتِهِ، وَلَا كَاهِنٌ عَنْ كَهَانَتِهِ، وَلَا يُغَيِّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ، وَلَا سُلْطَانِهِمْ وَلَا شَيْءٍ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ غَيْرَ مُثْقَلِينَ بِظُلْمٍ وَلَا ظَالِمِينَ»^(١)، وكذلك كان القرآن الكريم صريحًا في الدعوة إلى التعايش وحسن التعامل مع أتباع الديانات الأخرى، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ٨].

بل ذهب رسول الله ﷺ أبعد من ذلك، حين اعتبر الاعتداء على أتباع الديانات الأخرى ضمن المجتمع الإسلامي، اعتداءً شخصيًا عليه وإساءة له ﷺ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢)، فهل هناك احترام وحصانة لأتباع الديانات

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ١، ص ٢٦٤.

(٢) سنن أبو داود، كتاب الخراج والإمارة (باب تعشير أهل الذمة)، حديث ٣٠٤٧.

الأخرى أكثر من ذلك؟ وعلى هذا المنوال سار علماء الإسلام في الحثّ على الاحترام وحسن التعامل مع من يوصفون في كتب التراث بأهل الذمّة، وفقاً للاصطلاح القديم. ومن أسفٍ نقول: إنّ صورة الشرق الأوسط الذي طالما احتضن الأقليات الدينية تكاد تتغيّر، بفعل الإبادة والتهجير على يد المجموعات المتطرفة. فلطالما احتضن المسلمون في المنطقة أتباع الديانات الأخرى، وقدّموا أروع الصور الإنسانية في التعامل معهم، إلّا أنّ المنطقة تكاد تفقد هذه الميزة، وقد أوردت الإحصاءات أنّ نسبة المسيحيين في الشرق الأوسط كانت تبلغ في سنة ١٩١٤م، أي قبل مئة عام، حوالي ١٥ بالمئة من نسبة السكان، في حين تقلّصت هذه النسبة لتصل في سنة ٢٠١٤م إلى خمسة بالمئة فقط. ولعلّ جانباً من أسباب تضاؤل العدد هو الهجرة الطوعية بحثاً عن مستقبل أفضل، وهذا ليس موضوع نقاشنا، إنّما ينصبّ النقاش في النسبة التي تتعرّض للتهجير القسري، بسبب الضغوط التي تمارسها الجماعات الدينية المتطرفة.

جمال الشرق بتنوعه الديني

إنّ انحسار وجود الأقليات الدينية، وأبرزها الوجود المسيحي في الشرق الأوسط، والعالم الإسلامي، يُعدّ مؤشراً سيئاً، ينال من صورة الإسلام وسمعة المسلمين. لذلك يغدو من المهم الحفاظ على الوجود المسيحي، والأقليات الدينية المختلفة في المنطقة. وذلك من منطلق أنّ وجودهم أمر مرتبط بصميم حقّهم الطبيعي، قبل أيّ شيء آخر، فهم يتواجدون في بلادهم التي ولدوا وعاشوا فيها، كما عاش فيها أجدادهم من قبل، وليس لأحدٍ أن يخرجهم من ديارهم بغير حقّ، فالعراقي المسيحي هو عراقي قبل أن يكون مسيحياً، وكذلك الحال مع المسيحي السوري والمصري، فهما أبناء سوريا ومصر، قبل أن يكونا أيّ شيءٍ آخر، من هنا يغدو حقّهم الطبيعي في البقاء والعيش في بلادهم أمراً غير خاضع للنقاش، ولا وجه مطلقاً للإساءة إليهم، فضلاً عن الضغط أو الاعتداء عليهم وتهجيرهم، فذلك عين الظلم والعدوان.

إنّ وجود الأقليات الدينية في المنطقة يبرز جانباً من قيمة التسامح، ويُجسّد مفهوم المواطنة، وما أوجنا لتأكيد هذا المفهوم، بأن يجري التعامل مع كلّ مواطنٍ باعتباره مواطناً وحسب، بعيداً عن انتمائه الديني والمذهبي.

كما يمثل وجود الأقليات الدينية في المنطقة إثراءً ثقافياً ومعرفياً، فوجودهم بين شعوب المنطقة، يمثل جسراً للحوار الثقافي والديني، بين مختلف الديانات والثقافات، فلا تخلو أمة من الناس من جوانب مضيئة في ثقافتهم، تمثل بذلك إثراءً لثقافة الأمة.

كما يمثل وجود الأقليات الدينية، والمسيحية منها بصورة خاصة، نافذة على المجتمعات المسيحية في العالم، الأمر الذي يساعد الأمة في خدمة قضاياها المصيرية، فكم هو من المهم أن يدافع العرب المسيحيون عن قضية فلسطين، التي هي قضية الأمة وقضيتهم؛ لأنّ جذورهم مرتبطة بهذه المنطقة، ومصيرهم متعلّق بها.

الخطبة الأولى



تشجيع التراجع عن الخطأ

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة المائدة، الآية: 39].

لا حدود لرحمة الله بعباده، وغفرانه لذنوبهم، وتجاوزه عن أفعالهم. إذ بخلاف تعاطي البشر مع بعضهم بعضاً، حيث يغضب الواحد أيما غضب حين يواجهه أحداً بالإساءة، ويسعى إلى ردّ الإساءة إلى صاحبها، كما هو السلوك الشائع، المنطلق من غريزة حبّ الذات والدفاع عنها.

لكن هناك من الأشخاص من تتسع صدورهم، وتتسامى أخلاقهم فيقابلون الإساءة بالصفح، ولا يردون على الإساءة بالإساءة، وإن كان حقّ الردّ مشروعاً بالنسبة لهم، غير أنّ هذه الفئة من الناس ذات المناقبية العالية، ربما كان لديها في الغالب سقف محدود لتجاوز الإساءة والصفح عنها، فقد يصفح الإنسان عمّن أساء إليه مرة ومرتين وثلاث، لكن مع تكرّر الإساءة من شخص تجاه آخر، فإنّ استعداد الأخير للصفح والعفو يزداد انخفاضاً، وربما تلاشى تماماً مع تكرر الإساءة.

إنّ هذا ما يجعلنا ندرك مدى عظمة الله تعالى، وسعة رحمته بعباده، حين يستوعبهم بلطفه دونما حدود أو قيود، مهما كان مستوى تكرر صدور الإساءة، فإذا ما أذنب العبد، ثم تاب وندم على ما فرّط في جنب الله، قبل منه تعالى توبته، وإذا ما عاد إلى الذنب ثانية ثم تاب وندم، عاد عليه تعالى بالتوبة مرة أخرى، وكذا الحال لو تكرّر ذلك ألف مرة، فلا حدود لعفو الله ورحمته.

رحمة واسعة تحتضن العباد

إنَّ باب التوبة مفتوح على مصراعيه، ورحمة الله واسعة تحتضن العبد، وتستقبله، مهما بلغ وتكرر صدور الإساءة من طرفه. وهذا ما تؤكده جملة من النصوص الدينية، التي تشجّع العبد على التوبة والتراجع عن الخطأ، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغِ»^(١)، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ حَتَّىٰ لَوْ جَاءَتْ فِي آخِرِ لِحَظَاتِ حَيَاتِهِمْ، بَلْ وَإِلَى اللَّحْظَةِ الَّتِي تَسْبِقُ خُرُوجَ الرُّوحِ عَنِ الْجَسَدِ.

ويكفي أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى، يعلن عن محبته للتائبين، والمقلعين عن ذنوبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾، وتأتي محبة الله هنا حتى لو كان العبد للتو قد عصى خالقه، وارتكب الذنب، ثم تاب عنه، فالله ليس بصدد العفو عن عبده المذنب وحسب، وإنما يعلن سبحانه فوق ذلك عن محبته لهذا العبد التائب.

وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(٢)، وجاء في حديث نبوي آخر يقرب الصورة إلى أذهان العباد، ويظهر مدى سعة رحمة الخالق جلّ وعلا، حيث قال ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضالّ الواجد، ومن الظمآن الوارد»^(٣)، ولنا أن نتصوّر عظيم الفرحة التي تتاب قلب العقيم الذي يرزق بولد بعد عمر طويل، فالله تعالى لا يقل فرحاً بتوبة عبده من فرح هذا ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾.

والحال نفسه مع الشخص التائب في عمق الصحراء، حيث مصيره على المحك، فكيف تكون فرحته حين يعثر على جماعته، أو ليس يرى أنه قد عادت له الحياة، وقد ولد من جديد؟ ويمضي التشبيه النبوي في وصف قبول وفرح الخالق تعالى بتوبة عبده

(١) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٤، ص ٣٨٥، حديث ٣٥٣٧.

(٢) صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، ج ٣، ص ٣٨٢، حديث ٣٤٤٦.

(٣) كنز العمال، ج ٤، ص ٢٠٥، حديث ١٠١٦٥.

كفرح الظمآن الذي يجد الماء بعد ظمأً طويلاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾.

كيف تتحقق التوبة؟

لا بُدَّ من التذكير بأنَّ التوبة لا تتحقق بمجرد التلفُّظ بعبارات الاستغفار. وإنما يبقى أمر قبول التوبة مشروطاً بأمرين:

الأول: أن تنبع التوبة عن شعور حقيقي في أعماق الإنسان بالندم، والعزم على الإقلاع عن الذنب والمعصية، وإدراك فعلي لعظم ما اقترفه العبد من معصية وذنوب.

الثاني: تلافي التائب لآثار الذنوب والأخطاء التي اقترفها، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فالإصلاح الوارد في الآية هو إصلاح آثار وتداعيات الذنوب والمعاصي، وخاصة تلك المرتبطة بحقوق الناس، فإذا ما أخطأ شخص بحق آخر، فلا يكفي أن يتلفَّظ بعبارات الاستغفار وكفى، وإنما على المخطئ أن يعيد الحق للشخص المعتدى عليه، سواء كان حقاً مادياً أو معنوياً. كما تعني لفظة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الواردة في الآية الكريمة، أن يتجه الإنسان التائب إلى إصلاح نفسه، وأن يحيطها بأجواء الخير والصلاح، حتى تكون توبته توبة حقيقية مقبولة، ويحظى بموجبها بمحبة الله تعالى.

لقد شاءت الحكمة الإلهية أن يبقى باب التوبة مشرعاً على الدوام. وذلك انطلاقاً من أمرين:

الأمر الأول: معرفة الخالق لطبيعة الإنسان، وأنَّ هذا الإنسان كثيراً ما يضعف أمام شهواته وأهوائه، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾، كما سبق في علمه سبحانه أن الإنسان إذا ندم وأدرك خطأه مرة، فإنَّ ذلك لا يعني بالضرورة أن إرادته تلك باتت أكثر

صلافة من ذي قبل، على نحو يعصمه من الوقوع في الخطأ مرة أخرى، ولأنه يعلم بطبيعة عباده، فلذلك يستوعبهم بلطفه ورحمته.

الأمر الثاني: طبيعة الصفات الإلهية، فمن صفاته سبحانه أنه الغفور، الرحمن، الرحيم، أولسنا نجد عند مفتتح كل سورة قرآنية قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم، ولعل منشأ ذلك أن هاتين الصفتين تحديداً، هما مما يشيعان الأمل والرجاء في نفوس عباد الله، مهما كانت أخطاؤهم وذنوبهم التي غرقوا فيها، تحت تأثير شهواتهم وأهوائهم.

الدرس الأخلاقي

إنّ في قبوله تعالى التوبة عن عباده، أعظم درس أخلاقي يزجيه الخالق سبحانه للناس كافة. فالى جانب الحماس والاندفاع نحو التوبة، وإدراكنا بأنّ الله تعالى يقبل التوبة، ويسع العباد برحمته بالغاً ما بلغت أخطاؤهم وذنوبهم، ينبغي أن نستفيد إلى جانب ذلك درساً أخلاقياً عظيماً، مفاده أنّ الإنسان في تعامله مع من هم حوله، وخاصة إذا كان في موضع القيادة، فإنّ عليه أن يتخلق بأخلاق الله، فهؤلاء الدعاة الذين يدعون الناس إلى الله، ويوجهونهم نحو الدين، عليهم أن يتخلّقوا بهذا الخلق، فيفتحون أمام الناس أبواب الأمل والرجاء، لا أن يكونوا قساة يبتون القنوط واليأس في قلوب الناس، مهما أمعنوا في انحرافهم، فإنّ الدعاة إلى الله ينبغي أن يتعاطوا معهم بشفقة ورحمة، تماماً كما كان يفعل الأنبياء والأئمة مع أقوامهم، حيث لم يكونوا يتعاملون مع العصاة بغلظة وقسوة، مهما بلغت معاصيهم.

ولعلّ خير مثال على ذلك، ما جاء في تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع الحرّ بن يزيد الرياحي، الذي جمع به في الطريق الى كربلاء، وأوقعه في وسط معسكر الأعداء إبّان واقعة الطفّ، وبمجرد أن أقبل الحرّ وخاطب الإمام عليه السلام قائلاً: «وأيّ تائبٍ إلى الله تعالى ممّا صنعتُ، فترى لي من ذلك توبةً؟»، سرعان ما أجابه عليه السلام: «نعم، يتوبُ الله عليك»^(١)، إنّ على الدعاة إلى الله أن يتخلّقوا بهذا الخلق.

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ٢ ص ١٠٠.

كما أنّ على الأهل أيضًا أن يحذوا هذا الحذو، وخاصّة في هذا الزمن، الذي يواجه فيه الأبناء والبنات تحديات صعبة، فهم يواجهون ضغوطاً غير مسبوقه، لم تعيشها الأجيال السابقة، هذه الأجواء التي يعيش ضمنها الأبناء والبنات، ربما دفعتهم للوقوع في بعض الأخطاء والمخالفات، وهنا ينبغي للعائلة أن تستوعب أبناءها، فلا يواجهونهم بقسوة وغلظة، مهما كانت الأخطاء التي وقعوا فيها؛ لأنّ مواجعتهم بغلظة ربما دفعتهم لارتكاب ما هو أشدّ.

ولعلّ ذلك ما يفسر جانباً من أسباب هروب بعض الأبناء والبنات من عوائلهم، لعدم اتّساع صدر العائلة لاستيعاب أخطاء أولادها، الأمر الذي يقود إلى نتائج وخيمة على الجميع. من هنا ينبغي أن تتخلق العائلة بأخلاق الله في التعامل مع أخطاء أبنائها، فكما أنّ الله يفتح باب التوبة لعباده دائماً وأبداً، فكذلك العائلة أيضًا ينبغي أن تكون أبواب العودة والتراجع عن الخطأ مشرعة أمام أبنائها وبناتها.

احتضان المذنبين

وأخيراً، ينبغي للمجتمع الديني أن يستقطب العصاة والمذنبين. ذلك أنّ الأوساط الدينية ربما تجنح نحو نبذ الذين ترى في مسلكهم انحرافاً، ولو فكّر أحد المخطئين أن يأتي للمسجد ذات يوم، فمن الصعب أحياناً أن يجد له مكاناً في الوسط المسجدي. بل قد يُنظر إليه بارتياح وبعين شزراء، والحال أنّ الأوساط الدينية ينبغي أن تحتضن هؤلاء التائبين، وأن تظهر الفرحة بعودتهم إلى طريق الله، تماماً كما هي فرحة الخالق عزّ وجلّ بذلك، فالمطلوب أن يتخلق الجميع بأخلاق الله، حتى نشجّع المخطئين على التراجع عن الخطأ، وإلا فإنّ التعامل المنفرّ مع هؤلاء سيكون عاملاً مثبّطاً للعزيمة، لمن كان عندهم رغبة أو نية في التوبة والعودة عن طريق الانحراف. هذا هو الدرس الأخلاقي الذي يجب أن نستقيه من النصوص الدينية، في تأكيدها على سعة رحمة الله، وقبوله التوبة عن عباده.



التشييع ورعاية الانسجام في الامة

ورد عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والأجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار. فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم وأشهدوا جنائزهم وعودوا مراضهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي، فبسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زينا ولا تكونوا شينا، جروا إلينا كل مودة وأنفخوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهل، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك»^(١).

ثمة توجيهات متكررة ومشددة، من أئمة أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم، بشأن حسن العلاقة مع محيطهم الاجتماعي. ولا يكاد يخلو تراث إمام من الأئمة من توصيات وتوجيهات في هذا السياق، حتى إنهم عليهم السلام شرعوا لشيعتهم أن يتجاوزوا بعض الأحكام الشرعية، متى ما كان الالتزام بذلك الحكم يسبب مشكلة للمكلف ضمن المحيط الإسلامي الذي يعيش فيه، وذلك ضمن تأكيدهم على الالتزام بأحكام التقيّة.

فعلى النقيض من تشنيع البعض على الشيعة لجهة تبنيهم مفهوم التقيّة، يمكن اعتبار أحكام التقيّة من مفاخر مذهب أهل البيت، لا عيباً يشنّع به عليهم، وذلك لأنّ غرض التقيّة الحقيقي هو دفع الفرد نحو الانسجام التام مع محيطه الاجتماعي الإسلامي، وألا يعيش حالة التنافر مع هذا المحيط، وهذا أمر يُفخر به. سيّما وقد قسم الفقهاء التقيّة إلى موردين: مورد التقيّة الاضطرارية، وهي التي تأتي نتيجة وجود خطر ماحق على المكلف، فيما لو قال قولاً أو عمل عملاً وفق عقيدته، والثاني مورد التقيّة المداراتية، وهي التي تجوز حتى في ظلّ انعدام الخطر، في حدود النأي عن أيّ قولٍ أو فعل ربما قاد إلى حدوث التنافر وتخريب التعايش. وهذا ما يشير إلى حرص أئمة أهل البيت على توفّر أجواء الانسجام والتآلف في الأمة الإسلامية، بحيث لا يؤدي مجرد الاختلاف في فكرة، أو رأي فقهي، إلى التنافر.

إنّ من المفترض أن تكون الأمة مستوعبة لأجواء الاختلاف الفكري والعقدي، ومن المعلوم أنّ الأجواء الطبيعية هي التي تتيح الفرصة لأن يعلن الجميع عن أفكارهم، ويلتزمون أحكامهم الشرعية التي يؤمنون بها. ولكن ما عسى يفعل المؤمنون إذا كانوا يعيشون في أجواء لم ترتق بعد إلى هذا المستوى، جرّاء التعرض للقمع والضغط، ومواجهة الأحادية المذهبية المسيطرة، كما هو الحال في أغلب العصور التي كان يعيش فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم؟

الاقْتداء بأخلاق الأئمة

من هنا يأتي الدافع الأساس لتوجيهات أئمة أهل البيت عليهم السلام في أن يقتدي بها شيعتهم. سيّما وأن أهل البيت كانوا يتربعون على القمة في الأخلاق والتعامل بالتي هي أحسن حتى مع المسيئين لهم، ولعلّ من أغرب ما نراه أن يسهب البعض في الحديث نظرياً عن أخلاق ومناقبيات أئمة أهل البيت، لكن هؤلاء المتحدّثين ربما كانوا أبعد ما يكونون عن تلك الأخلاق والمناقبيات ساعة الممارسة الواقعية، خاصة

وأن أروع تجليات مناقبيات أئمة أهل البيت هي في تعاملهم مع المسيئين لهم! وقد ورد في هذا السياق عن أبي بكر الحضرمي، وهو من أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «إني أراك لو سمعت إنساناً يشتم علياً فاستطعت أن تقطع أنفه، فعلت؟ قلت: نعم. قال: فلا تفعل! ثم قال: إني لأسمع الرجل يسب علياً وأستتر منه بالسارية، فإذا فرغ آتيته فصافحته»^(١). ومضمون رسالة الإمام الباقر عليه السلام لكل شيعي متحمس يوشك أن ينفلت ويفقد سيطرته على أعصابه، أن أئمتك عليهم السلام لم يكونوا هكذا، وإنما كانوا عليهم السلام على درجة عالية من ضبط الأعصاب والأخلاقيات العالية، وهم يريدون من شيعتهم أن يقتدوا بهم، ويكونوا على هذا النحو أيضاً.

ويريد أئمة أهل البيت عليهم السلام من شيعتهم أن يكونوا حملة رسالتهم إلى الناس. ولا يمكن لصاحب غلظة، وأخلاق جافة، أن يقوم بحمل رسالة سامية، حتى لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه، لذلك خاطب تعالى نبيه الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقَلْبٌ لَّأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. إن أئمة أهل البيت يريدون من شيعتهم أن يصلوا إلى عقول وقلوب الناس، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالتمثل بأفضل الأخلاق وأحسن الآداب.

لقد أدرك أئمة أهل البيت الآثار المترتبة على أجواء القمع التي يعيشها شيعتهم. وما قد ينعكس على نفوسهم من توتر وانفعال، فهم بشر يتأثرون بما يجري عليهم وما يدور حولهم، فإذا ما ووجهوا بقمع واضطهاد، أو تمييز طائفي، فإن جميع ذلك مما يساهم في استفزازهم ودفعهم نحو الانتقام والرد على الإساءة، لكنهم عليهم السلام لا يريدون لشيعتهم أن يستجيبوا لأجواء الاستفزاز، بل يريدون منهم ضبط أعصابهم إلى أقصى الحدود.

وصية الأئمة حسن التعايش

وتتضمن أمهات كتب الشيعة عشرات الروايات الصحيحة التي تتحدث عن حسن العشرة مع الآخرين، غير أن ما يجري في واقع الحال من قبل بعض المتطرفين هو

(١) المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج ١، ص ٢٦٠.

التجاهل التام لهذه التوجيهات الأخلاقية المتكررة وذات الأسانيد الصحيحة، لصالح نصوص أخرى، إن صحَّ سند بعضها، فقد تكون ضمن ظروف استثنائية. فقد جاء عن الحسين بن سعيد عن أبي علي في حديث قال: «قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام): إن لنا إمامًا نخالفه وهو يبغض أصحابنا كلهم، فقال (عليه السلام): ما عليك من قوله، والله إن كنت صادقًا، لأنك أحقُّ بالمسجد منه، فكن أول داخل وآخر خارج وأحسن خلقك مع الناس وقل خيرا»^(١)، وبذلك يحث الإمام الصادق أصحابه على ملازمة الصلاة خلف امام المسجد، وإبداء حسن الخلق وإن كان هذا الإمام ينضح بالبغض لهم. وهذا ما ينسجم تمامًا مع توجيهات القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

إن أئمة أهل البيت طالما أكدوا أهمية ضبط الأعصاب وهم يدركون كل الإدراك ما يعيشه شيعتهم من أجواء استفزازية. والغريب أن بعض الناس حين تنهاتهم عن الدخول في المظاهرات الطائفية يجيبونك بإلقاء المسؤولية على الطرف الآخر، وأن أولئك هم البادئون، أولم يكن الأئمة يرون ويعلمون عن هذه الاستفزازات القبيحة التي طالت شيعتهم في زمانهم، وقد كانت بأضعاف ما هي عليه في هذه العصور!، لكنهم (عليهم السلام) مع ذلك لم يطلقوا العنان للانفعالات عند أتباعهم وشيعتهم وإنما قيّدوهم بأخلاق الدين والرسالة.

حالات الغلو والمزايدة

لقد أدرك أئمة أهل البيت أن هناك من الأتباع من تتتابهم حالات من المزايدة على حُبهم، والاندفاع نحو الغلو فيهم (عليهم السلام). ولربما كانت هذه ظاهرة اجتماعية طبيعية تتعرض لها كل المجتمعات الدينية، من خروج مغالين مزايديين يتبنون بعض القناعات والأفكار المغالية، ويسعون لكسب الأتباع، وتحقيق المكانة الاجتماعية، ولا شيء

(١) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٣٠٠، حديث ٦.

يجتذب الأتباع أكثر من دغدغة المشاعر، ولا سبيل أسرع من المزايدة على الآخرين، حتى لو كان على حساب صورة مذهب أهل البيت ومصلح شيعتهم.

وهذا ما تحدّث عنه الأئمة عليهم السلام، فقد ورد في عيون أخبار الرضا أن الإمام الرضا عليه السلام خاطب أحد أصحابه، وهو إبراهيم بن أبي محمود، قال: «يا ابن أبي محمود، إن مخالفتنا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفروا شيعتنا، ونسبواهم إلى القول برؤوسنا. وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(١).

وأورد الطبرسي في الاحتجاج كتاباً خرج عن صاحب الزمان عليه السلام كتبه لمحمد بن علي بن هلال الكرخي ردّاً على الغلاة قال: «يا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ، قَدْ آذَانَا جُهَلَاءَ الشَّيْعَةِ وَحُمَقَاؤُهُمْ، وَمَنْ دِينُهُ جَنَاحُ الْبَعُوضَةِ أَرْحَحُ مِنْهُ»^(٢)، فهناك بحسب الرواية جهلاء من أتباع أهل البيت يؤذون أهل البيت بجهلهم، وهناك من الأتباع من لديهم من العلم شيء لكنهم حمقى، لا يحسنون وضع الأمور في نصابها، أما الصنف الثالث فهم ممن لا دين لهم رغم ما يظهرون من مزايدة وغلو، وأمثال هؤلاء وفقاً للرواية لا يعدل تدبيرهم وزن جناح بعوضة، غير أنّهم شديداً الأذى لأهل البيت نتيجة المزايدة في حبّهم، وعلى النحو الذي يثير عليهم الأعداء.

وفي توجيهه للإمام الصادق عليه السلام أورده الطوسي في الأمالي، ونقله المجلسي في بحار الأنوار، أنه قال: «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شر خلق الله»^(٣)، وذلك لما يعلمه الإمام عليه السلام من الحماس والاندفاع الكبير الذي ينتاب الشباب، فتراهم سرعان ما ينجرون خلف الدعوات الانفعالية والعاطفية.

(١) عيون أخبار الرضا عليهم السلام، ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٦، ص ٢٢٥.

التطرف من الجانبين وقود الفتنة

إنّ الأمة الإسلامية باتت تعيش ظرفاً خطيراً وحساساً في هذا العصر. وهناك إرادة حيثية لإسقاط الأمة في أتون الحروب الطائفية المذهبية، وليس هناك من وقود أشدّ فتكاً، لاستدامة هذه الحروب، من وجود ثلة من المتطرفين على هذا الجانب، وما يناظرها على الجانب الآخر. فإذا خرج من بين أهل السنة إرهابيون متطرفون يكفرون الشيعة ويسفكون دماءهم، فلا بُدّ من أن يخرج لدى الشيعة من يحترف الاستفزاز لأهل السنة، لإعطاء المبررات للتوجّهات الإرهابية والمتطرفة.

إنّ من الصحيح أنّ الجماعات الإرهابية كانت ولا تزال قائمة، لكن استدامة ولوغها في الحرب الطائفية تتطلب وقوداً، ولا شيء أَمْضى من بروز التطرف في جانب، ورد الفعل من الجانب الآخر، لتغرق الأمة بعدها في أحوال الطائفية. إنّ على الواعين من أبناء الأمة، من السنة والشيعة، أن يتّقوا الله، وأن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه ما يجري من نزاع طائفي مدمر، وأن يضعوا حدّاً للتطرف من الجانبين، وأن ينشروا فكر التسامح والألفة والمحبة بين أبناء الأمة، وأن ينأوا بأنفسهم عن الاستجابة للاستفزازات. لا شكّ بأنّ الطريق شائك وعر، والعقبات كثيرة، لكن ثواب الله والأمل والثقة به سبحانه هو زاد المخلصين.

جاء عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في وصيته لشيخته أنه قال: «أوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم والأجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار. فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، صلوا في عشائرهم وأشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإنّ الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا شيعي، فيسرني ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كلّ مودة، وادفعوا عنا كلّ قبيح، فإنّه ما قيل فينا من حسنٍ فنحنُ أهلُهُ، وما قيل فينا من سوءٍ فما نحنُ كذلك»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٧٢، حديث ١٢.

الخطبة الأولى



العلاقات الاجتماعية بين الرحمة والقسوة

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح،
الآية: ٢٩].

ولد النبي الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ وسط ظروف بالغة القسوة من الناحية الاجتماعية والبيئية. فقد كانت مجتمعات الجزيرة العربية تعيش وضعاً تغلب عليه أجواء الشدة والقسوة، وتندر فيه مظاهر الرقة والرحمة، ويعود ذلك في جانب منه إلى الطبيعة القاسية التي نشأوا فيها، حيث الصحراء الجافة، ولهيب الشمس الحارقة، والمياه الشحيحة. ويأتي فوق ذلك، النظام القبلي الصارم، الذي يلقي بثقل تقاليدهِ وأعرافهِ على أفراد تلك المجتمعات. وبذلك وجدت تلك المجتمعات نفسها بين مطرقة الطبيعة وسندان القبيلة.

وقد ساهم انتشار الفقر، ومحدودية المراعي، في اتخاذ الحروب منهجاً حياتياً، ومورداً أساسياً للارتزاق، حيث تستحوذ القبيلة المنتصرة على المغنم، فيما تسحق القبيلة المغلوبة. ومن المعروف أنّ الحروب تساهم في تعزيز سلوكيات الشدة والغلظة والعنف، لذلك باتت القوة هي القيمة العليا في تلك المجتمعات. من هنا نشأت عندهم نزعة تفضيل الذكور على الإناث؛ لاعتبارهم الذكور رصيذاً يضاف إلى قوتهم، ينفعهم وقت الحرب والقتال، بينما كانوا يكرهون البنات؛ لأنهن كنّ عبئاً عليهم، لما يستلزم من الدفاع عنهنّ وقت المعركة. وحتى أسماء الأشخاص كانت من وحي حياة الخشونة والصراع، مثل: أسد وليث وضرغام وعقاب وصقر وصخر

وحجر وحنظلة.

وكذلك كان حال المجتمعات غير العربية المجاورة، كالروم والفرس، فقد كانوا يعيشون تحت قسوة الاستبداد والطبقية لنظامي القياصرة والأكاسرة، مع تفاوت في بعض الجوانب بينهم وبين العرب. وقد أبصر نبينا محمد بن عبدالله ﷺ النور وسط هذه الأجواء الاجتماعية الصارمة والبيئة القاسية.

الرحمة عنوان الرسالة

لقد اختاره الله تعالى منقداً للبشرية من واقعها المزري، وجعل الرحمة العنوان الأبرز لرسالته؛ لأن الرحمة كانت المسألة الغائبة التي تفتقدها المجتمعات البشرية عامة، على نحو أحال حياتها إلى شقاء وجحيم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وقد وصف نفسه ﷺ بقوله: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(١)، وقد ركز الإسلام على مسألة الرحمة، وبالرغم من أن لله الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهو الخالق والرازق والمهيمن والقوي..، إلا أنه تعالى اختار لنفسه صفة الرحمة، فجاءت سور القرآن الكريم بادئةً بيسم الله الرحمن الرحيم، صفتان مشتقتان من الرحمة، علاوة على وجود أكثر من ٣٠٠ آية قرآنية تناولت الرحمة الإلهية بالعباد، للتأكيد على قيمة الرحمة. وقد جاء رسول الله ﷺ لبعث قيمة التراحم بين الناس، وطَيَّ صفحة الجفاء والغلظة والقسوة فيما بينهم.

وقد وردت عنه ﷺ أحاديث كثيرة في تعزيز قيمة الرحمة بين العباد. قال ﷺ: «لا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»^(٢)، وجاء في حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٣)، وبذلك وضع أساس المجتمع الإسلامي على قاعدة الرحمة. من هنا نجد الآية الكريمة عندما تأتي

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ج ١، ص ٨٠٣، حديث ٤٩٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التوحيد، ج ٤، ص ٤٣٨، حديث ٧٣٧٦.

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٣، ص ٧٥، حديث ١٩٢٤.

على وصف الذين حول رسول الله ﷺ فإنها تصفهم بأنهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، تأكيداً على قيمة الرحمة، باعتبارها قيمة عليا في حياة المجتمع الإيماني، الذي ينبغي أن يقوم على التراحم لا القسوة والجفاء. وقد درجت آي الذكر الحكيم على دعوة الناس إلى انتهاج سبيل الرحمة، وتعزيز مسلك التراحم فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾، فمن أبرز صفات المجتمع الإيماني هو التواصي بالرحمة فيما بينهم.

مظاهر التراحم بين الناس

وهناك مظاهر وتجليات بارزة تطبع حياة المجتمع الذي تشيع فيه قيمة الرحمة والتراحم. والمظهر الأول: هي النظرة الرحيمة للناس تجاه بعضهم بعضاً، فهناك مجتمعات ينظر أفرادها لبعضهم نظرة رحيمة، فيما تكون النظرة بين الناس في مجتمعات أخرى نظرة قاسية، فهؤلاء لا يكاد يرون بعضهم إلا من خلال منظار القسوة والشدة. ويتجسد أحد التجليات في تفسير تصرفات الناس ومواقفهم، فالمجتمع المتراحم يحسن الظن في أفرادهِ، فحينما يرى أحدهم موقفاً أو تصرفاً، أو يسمع كلاماً عن طرف آخر، فإنَّ صاحب الظن الحسن يميل إلى تفهّم الأمر، ويلتمس العذر لإخوانه، فحسن الظن يُعدّ علامة بارزة في المجتمعات المتراحمة. أما إذا ساد سوء الظن في المجتمع فإنَّ الأغلب هو الجنوح نحو سوء التفسير لتصرفات ومواقف الآخرين، حتى لو كانت بالغة الحسن، ومن السهولة بمكان قلب الحقائق في هذه الأجواء، بأن يقال عن صاحب الكلام الطيب بأنَّ كلامه سيء، ولا يُعبّر عن حقيقة موقفه، وليس خارجاً من قلبه، وإنَّما للتظاهر والمجاملة، هكذا حين تسود بين الناس سوء الظنون، فإنَّهم يصبحون قاسين على بعضهم بعضاً في انطباعاتهم، وتفسيرهم لأعمال ومواقف بعضهم بعضاً.

وتحفل النصوص الدينية بالكثير من الموارد التي تحضّ على الظن الحسن، وتحذّر بشدة من الوقوع في سوء الظن. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا

مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١﴾، وقال رسول الله ﷺ: «اطْلُبْ لِأَخِيكَ عُذْرًا، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَهُ عُذْرًا فَالْتَمِسْ لَهُ عُذْرًا»^(١)، ذلك أنه في أجواء التراحم يجهد الإنسان في اجتراح العذر لنظيره الإنسان، فيما لو ظنَّ فيه التقصير في أمر من الأمور، والميل إلى خفض سقف التوقعات من جانب أخيه، على النقيض مما يجري في أجواء القسوة حيث يعلي الناس من سقف توقعاتهم تجاه بعضهم.

لين الخطاب لغة التراحم

المظهر الثاني من مظاهر التراحم في المجتمع لين الخطاب فيما بينهم. واستخدام لغة الاحترام والتقدير المتبادل، بخلاف المجتمع الذي تسوده القسوة والغلظة، والذي تكون فيه لغة التخاطب لغة فظة ملؤها الفحش والاتهام والطعن والتجريح والتسقيط، وهذا أبعد ما يكون عن الرحمة.

ومما يروى في هذا السياق، أنّ رجلاً أخذ بلجام دابة رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، أيّ الأعمال أفضل، قال ﷺ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِطْيَابُ الْكَلَامِ»^(٢). فالرسول ﷺ يعتبر الكلام الطيب مع الناس وعن الناس من أفضل الأعمال. وورد عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ بَدِيءٍ قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يُبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ فِيهِ»^(٣)، إنّ الإنسان عندما يكون بديئاً في تخاطبه مع الآخرين، لا يستحقّ الجنة. وما عسى ينفع الإنسان البديء التخفي خلف ألف حجاب، على غرار ما يجري من التخفي خلف الأسماء المستعارة في وسائل التواصل الاجتماعي للنيل من الناس بأقذع الكلام وأكثره فحشاً، فأمثال هؤلاء وإن تخفوا عن العباد، فهل تخفي أفعالهم على ربّ العباد، وهل يا ترى تحجب الأسماء المستعارة عنهم العقوبة في يوم الحساب؟ ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «سِلَاحُ اللَّئَامِ، قُبْحُ الْكَلَامِ»^(٤)، فالشخص اللئيم حين تعجزه

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٩٧، حديث ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧١، ص ٣٦١، حديث ٧.

(٣) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص ٥٠١.

(٤) القندوزي، ينباع المودة لذوي القربى، ج ٣، ص ١٥٩.

الحجة، فلا سلاح لديه إلا قبح الكلام. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثلاثٌ من أبوابِ البرِّ: سَخَاءُ النَّفْسِ، وَطَيْبُ الْكَلَامِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذَى»^(١).

التعامل الرحيم

المظهر الثالث للتعامل الرحيم مع الآخرين. بدءًا من أفراد الأسرة والأصدقاء والجيران، ولا ينتهي بالناس المختلفين معنا في الرأي والمصلحة، والعاملين تحت أيدينا، فقد يكون التعامل رحيمًا، موافقًا للقيم والضوابط الأخلاقية، وتجسيدًا للآية الكريمة ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وعلى النقيض من ذلك، قد يكون التعامل قاسيًا عنيفًا، ما يعني غياب الرحمة والتراحم، وقد ورد في حديث عنه عليه السلام أنه قال: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ بَابَ رِفْقٍ»^(٢)، إنَّ العائلة التي يتعامل أفرادها مع بعضهم تعامل رفق، يحيون حياة طيبة.

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: «مَا اصْطَحَبَ اثْنَانِ إِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَجْرًا وَأَحَبُّهُمَا إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ»^(٣). كما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ»^(٤).

لقد كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدرسة في الرحمة والرفق بمن حوله صغارًا وكبارًا، قريبين وبعيدين. وعلينا ونحن نحتفي بميلاد نبي الرحمة أن نهتم بتجسيد هذه الصفة، وأن نتفقدها في نفوسنا وسلوكنا وتعاملنا مع من حولنا، حتى نكون ممن وصفهم الله بأنهم رحماء بينهم، فمن يتحلون بالرحمة مقامهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٢٥.

(٢) كنز العمال، ج ٣، ص ٥٣، حديث ٥٤٥٦.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٦٦٩، حديث ٣.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، ج ٣، ص ١١٦، حديث ٢٠١٣.



منهجية الاستقطاب ومنهجية التنفير

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ
فَطَّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

هناك منهجيتان ونمطان من السلوك يحكمان تعامل الإنسان مع الآخرين؛ منهجية الجذب والاستقطاب، ومنهجية التنفير والإبعاد. حيث تؤدي منهجية الاستقطاب إلى احتواء الإنسان لمن هم حوله، فيجتذبهم ويحبونه وينشدون إليه، مما يمنحه فرصة التعاون والانسجام معهم، والتأثير فيهم. وهناك في المقابل المنهجية الأخرى، بأن يكون للفرد نمط من السلوك المستفز والمنقر، الذي يؤدي إلى ابتعاد الناس عنه، ويفقد أي إمكانية في التعاون معهم أو التأثير فيهم.

رافعة الإنجاز النبوي

لقد كان رسول الله ﷺ يتربّع على القمة على صعيد المنهجية الأولى، وبالرغم من أنه ﷺ جاء بدعوة ورسالة كان من الصعب قبولها في مجتمعه؛ لأنها تخالف ما ألفوه وعاشوا عليه حقبةً زمنيةً طويلةً، تشرّبت نفوسهم بتقاليدها وأعرافها، وارتبطت مصالحهم بها، ناهيك عن وجود مراكز القوى في ذلك المجتمع، المتمثلة في الزعامات القبلية صاحبة النفوذ والتأثير المتعاضم، بحكم النظام القبلي الصارم، إلا أن رسول الله ﷺ استطاع وخلال وقت قياسي أن ييسط جناح دعوته في ذلك المجتمع.

وهذا الإنجاز النبوي رغم المعاناة الكبيرة التي واجهها ﷺ، يُعدّ إنجازًا خارقًا بكلّ المقاييس، على مستوى التحولات الكبرى التي تقع في حياة البشرية، فلا تكاد تجد دعوة دينية ولا عقيدة كانت أسرع في النجاح والانتصار كما حصل على يد رسول الله ﷺ، فقد أحدث نقلة اجتماعية كبرى، أعاد خلالها صياغة نفوس الناس وسلوكهم وأخلاقهم. وما من تفسير لذلك، سوى ما أورده القرآن الكريم، الذي أشار إلى أنّ السلاح الأمضى، وعامل النجاح الرئيس، يتمثل في المنهجية التي اتّخذها رسول الله ﷺ في التعامل مع مجتمعه، حيث قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، فقد اتّسمت منهجيته وشخصيته ﷺ بلبين العريكة، مما ساهم في اجتذاب الناس إليه، وفتح الطريق أمام إحداث التأثير الأقوى في نفوسهم، وتمكين محبّته والولاء له في قلوبهم.

إنّ منهجية الجذب والاستقطاب التي اتّبعها رسول الله ﷺ هي التي أحدثت زلزالاً اجتماعياً لا مثيل له في تاريخ البشر. وإنّه من المثير للإعجاب، عند قراءة السيرة النبوية، أن نجد التحول الدراماتيكي في نفوس وسلوك أفراد ذلك المجتمع، الذين كانت تغلب عليهم الغلظة والجفاء، ليتحولوا بعد ذلك إلى أناس ودودين وديعين، حتى باتوا يتبرّكون بكل شيء يرتبط برسول الله ﷺ، فيفقدونه بأنفسهم، ويطيعونه فيما يأمرهم.

جاذبية التعامل

من هنا جاء التشديد النبوي على ضرورة تحلّي الإنسان المسلم باللين في تعامله مع مختلف الناس، وأن يكون سلوكه جاذباً لا منفراً لمن حوله. ولعلّه من الملاحظ كيف تستولي المسلكية المنفّرة على تصرفات بعض الناس، ومما أتذكره في هذا الشأن، عندما كنّا في سفر، وفور خروجنا من المطار، لاحظنا سائق سيارة أجرة يرفض أن يقلّ أحد الأشخاص، ويعتذر بأنه لا يريد أن يخرج في مشوار، فأقلّت ذلك الشخص سيارة

أخرى، وما إن غادر المكان حتى دعانا سائق سيارة الأجرة هذا ليقلنا إلى وجهتنا، فتساءلنا عن سبب اعتذاره عن الخروج مع ذلك الشخص منذ قليل، وهاهو الآن يدعونا للركوب في سيارته، فأوضح السائق بأنه سبق وأن أقل ذلك الشخص في مشوار سابق فأذاه بسوء خلقه، لذلك لا يريد إركابه معه مرة ثانية، حتى لو بقي دون عمل!.

إنّ ما يجري في كثير من الأحيان أن يتممّص بعض الناس سلوكاً منفراً، فلا يطيق أحد أن يقترب منهم بتاتاً. فقد يكون هناك مدير سيء الخلق في مؤسّسة عامة، فيتمنى عندها الموظفون أن يغادروا تلك المؤسّسة بأيّ صورة من الصور، نتيجة وجود ذلك الشخص المنفّر فيها. والحال نفسه مع المعلمين في المدارس العامة، فبعض هؤلاء مسؤولون عن مشاكل بعض الطلاب السلوكية، نتيجة النزعة المنفّرة عند هؤلاء المعلمين، وغياب روحية الاستقطاب في شخصياتهم. ولا نستغرب لو امتد ذلك إلى روضات الأطفال، فلربما وجدنا طفلاً يرفض الذهاب إلى الروضة، وعند البحث عن سبب عزوفه، نجد أنّ المريية المسؤولة عنه في الروضة تفتقد المنهجية الرقيقة الجاذبة للطفل.

ينبغي للآباء أن يكونوا جاذبين لأبنائهم، مستقطبين لهم، من خلال طريقة تعاملهم معهم، والحال نفسه مع المعلمين والمديرين والمسؤولين، والقادة في مختلف المجالات.

وعلى كلّ إنسان أن يتفقد صفة الجاذبية والاستقطاب في نفسه ليتأكد ما إذا كانت مسلكيته مستقطبة أم منفّرة، جاذبة للآخرين، أم طاردة لهم؟ وقد ورد عن النبي ﷺ الحثّ على اللين في التعامل مع الناس، روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»^(١)، فالنبي يشير بوضوح إلى أنّ اللين في شخصية الفرد يمثل تذكرة عبور للنجاة من النار في يوم الحساب.

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٠٠، حديث ٣٩٣٨.

مجتمعات جاذبة وأخرى منفرة

إنّ المسلكية الجاذبة أو المنفرة تنطبق على المجتمعات كما تنطبق على الأفراد. فهناك مجتمعات يرتاح الناس في التعامل معها، لما تعطيه عن نفسها من انطباع ايجابي، نتيجة منهجيتها السلوكية الراقية مع بعضها والآخرين، وهناك مجتمعات على النقيض من ذلك تمامًا.

ولتقريب الفكرة، ربما يلاحظ أكثرنا عند الحديث عن توظيف العاملين الوافدين، أنّ هناك انطباعًا عامًا إزاء تفضيل العامل من جنسيات معينة، على حساب جنسيات أخرى، وغالبًا ما يكون سبب الأفضلية هنا، هو الشائع عن أفراد ذلك المجتمع من التزام الأمانة، والجديّة والانضباط، في مقابل الانطباع العام عن غياب هذه الصفات في أفراد مجتمع آخر. وأراد النبي ﷺ أن تتحلى أمته بالصورة الناصعة، والسمعة الحسنة، لكي تكون جاذبة لبقية الأمم.

من هنا نفهم قول النبي ﷺ إذا أراد أن يبعث أحد أصحابه في بعض أمره: «بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»^(١)، وفي ذلك توجيه نبوي صريح نحو التزام الخلق الجاذب المستقطب للناس، بالخطاب والسلوك والمعاملة الحسنة.

لقد حقق رسول الله ﷺ ما حقق نتيجة التزامه منهجية الجاذبية واللين حتى مع أعدائه. ومما يذكر في هذا الشأن، ما أخرجه مسلم في صحيحه: «أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَقْتُولَةً، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»^(٢). فهو ﷺ لم يَرْضَ بأن تقتل امرأة واحدة من معسكر الأعداء، فضلًا عن أنه كان يمنع المسلمين من قتل الأسرى، وكان ﷺ يقول: «لَا تَقْتُلُوا أَسِيرًا»^(٣). وقد غضب ﷺ عندما

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، حديث ١٧٣٢.

(٢) المصدر السابق، حديث ١٧٤٤. وفي رواية أخرى (فنهى).

(٣) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٥٨.

خالف أحد الأصحاب وصيته وقتل أحد الأسرى، وذلك في حادثة مشهورة وقعت يوم حنين، حين كان المسلمون يقاتلون المشركين فيقتلون ويأسرون منهم، حتى إذا ارتفع النهار، فأمر رسول الله ﷺ بالكفّ عن القتال، وقال: لا يقتل أسير من القوم، وكانت قبيلة هديل التي تقاتل في صفّ العدو قد بعثت عيناً يقال له ابن الأكوخ ليتجسس على معسكر المسلمين، وعلم رسول الله ﷺ بذلك، وقد وقع هذا الجاسوس في الأسر، فمرّ به أحد الأصحاب، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار، وقال: هذا عدوّ الله الذي كان علينا عيناً، ها هو أسير فاقتله، فضرب الأنصاري عنقه، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فكره وأنكر ذلك، وقال: ألم أمركم ألا تقتلوا أسيراً. هذا التعامل الإنساني حتى مع الأعداء، ترك انطباعاً مؤثراً في نفوس الناس، فصاروا يدخلون في دين الله أفواجاً.

في المقابل، وعلى النقيض من المنهجية النبوية الجاذبة، ظهرت في الأمة في الآونة الأخيرة مجاميع إرهابية متوحّشة، شوّهت صورة الإسلام ولطخت سمعة المسلمين في العالم. فقد ابتلي المسلمون في عصرنا الراهن بكارثة كبرى متمثلة في ظهور هذه الجماعات التي تزعم الانتماء للإسلام، وترتكب الفظائع والجرائم البشعة باسم الدين. ولعلّ آخر هذه الأفعال ما ارتكبه هذه الجهات المتطرفة من حادثة إجرامية في العاصمة الفرنسية باريس، بالاعتداء على إحدى الصحف بسبب إساءتها للإسلام، وإيقاع عدد من القتلى من محرري ورسامي الكاريكاتير في الصحيفة^(١). وفي الوقت الذي ندين الإساءة للإسلام على يد هؤلاء الرسامين، برسمهم صوراً ساخرة مشوّهة عن رسول الله ﷺ، لكننا نعتبر أنّ التشويه الذي يطال النبي ﷺ والإسلام نتيجة هذه الأفعال الإرهابية الإجرامية، هو أعظم بأضعاف مضاعفة من التشويه الناتج عن تلك الرسوم أو الكتابات الساخرة.

(١) مجلة شارلي إبدو. وقع الهجوم يوم ٧/١/٢٠١٥م، قتل خلاله مسلّحان ١٢ شخصاً من بينهم خمسة من أبرز رسامي الكاريكاتير في الصحيفة، وهدفوا أثناء مغادرتهم المكتب أنهم «انتقموا للنبي محمد».

وسرعان ما رأينا بعد هذا الاعتداء، كم من الهجمات التي تعرّضت لها المساجد في فرنسا، وكيف سعّرت الحادثة المظاهرات المناهضة للإسلام والمسلمين في ألمانيا، علماً بأنّ هذه المجتمعات احتضنت المسلمين، ومنحتهم فرص العيش الكريم، وحقّ ممارسة حرياتهم الدينية دونما قيود، وعلى نحو لم يتوفر لهم حتى في بلادهم الإسلامية. غير أنّ هذه الاعتداءات الوحشية التي تجري باسم الإسلام، تخلق ردود فعل ضدّ الإسلام والمسلمين.

وعلى غرار هذا الاعتداء، تابعنا هذا الأسبوع الاعتداء الآثم الذي قامت به جهات إرهابية على مركز حدودي في عرعر بشمال المملكة، حيث فجر إرهابي نفسه مما أدى إلى استشهاد ثلاثة من جنود حرس الحدود وإصابة اثنين^(١). فبأيّ عذرٍ وأيّ تفسيرٍ يرتكب هؤلاء هذه الأفعال الإجرامية؟ وهل يا ترى تستقطب هذه النزعة الإجرامية الناس إلى الإسلام، أم أنّها أكبر منقّر من الدين.

وأخشى ما نخشاه هو ألاّ تنفّر هذه الجرائم الوحشية، غير المسلمين من الإسلام وحسب، وإنما تنذر بتغيير شبابنا المسلمين من دينهم. فقد كانت تنتشر بين المسلمين فيما سبق شعارات المطالبة بحكم الشريعة الإسلامية، أما اليوم فقد باتت هذه الشعارات مخيفة إلى أبعد الحدود، في أذهان كثير من المسلمين فضلاً عن غيرهم؛ لأنّهم رأوا بأمّ أعينهم هذه النماذج المتوحشة التي ترتكب الفظائع باسم الإسلام.

ونحن نحتمي بذكرى ميلاد رسول الله ﷺ ليس لنا إلاّ أن نشكو إلى الله، وإلى رسول الله ﷺ، ما ينال دينه وأمتّه من هذه الممارسات النكراء، على يد الجماعات الإرهابية المنتسبة زعمًا للإسلام. كما ندعو المسلمين إلى تحمّل المسؤولية والتبرؤ من هذه التوجّهات ومحاصرتها، حتى تكفى البشرية شرّها.

(١) جريدة اليوم، الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ الموافق ٦ يناير ٢٠١٥م العدد ١٥١٨٠.

الخطبة الأولى



المصلدون لا تزعجهم الانهايات

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال في بعض خطبه: «أيها الناس، اعلموا أنه ليس يعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا يحكيم من رضي ببناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، وقد ر كل امرئ ما يحسن»^(١).

إن من طبيعة النفس البشرية أن تتأثر بكلام الناس عنها سلباً أو إيجاباً. فهي تتراح عند تلقي عبارات الثناء والإطراء، وتتأذى عند سماع الإساءة والهجاء، ومرد ذلك إلى أن مصلح الإنسان مرتبطة على نحو كبير بمحيطه الاجتماعي، فإذا كانت سمعته حسنة، فهذا ما يخدم مصلحه، وعلى النقيض من ذلك إذا كانت سمعته سيئة، فسيعرقل ذلك مسيرته ومصلحه، وعلاقاته الاجتماعية، لذلك يهتم الإنسان بما يقوله الناس عنه. ومن ناحية أخرى، فإن الإنسان كتلة من الأحاسيس والمشاعر، وبطبيعة الحال تتعش أحاسيسه ومشاعره في حالة التشجيع والثناء من المحيطين به، في مقابل ذلك تتأذى مشاعره إذا واجه إساءات من المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه.

فمن الطبيعي إذاً أن ينزعج المرء ويتألم نفسياً نتيجة تلقي التهم والدعايات المغرضة، لقاء موقف صادق من قضية من القضايا، غير أنه لا ينبغي أن يقوده ذلك إلى التنصل والانصراف عن قضايا المحققة.

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ٢.

الأنبياء يتأثرون ويتألمون

ليس هناك أحدٌ مستثنى من الانزعاج والتألم عند تلقي التهم والإساءات، بما في ذلك الأنبياء والأئمة والأولياء. فهؤلاء العظماء تتأثر نفوسهم إلى حدٍّ بالكلام عنهم وعليهم، حتى وإن كانوا معصومين لكنهم يقعون بشرًا، لهم أحاسيس ومشاعر كسائر البشر. فالأنبياء يتأذون إذا ما واجهوا الإساءة، وإذا ما واجهوا الكلام الحسن فإنهم يرتاحون إليه، هذا مقتضى النفس البشرية. وإن لم تكن لهم مصالح ذاتية يخشون عليها من كلام الناس، فإن لهم مصالح رسالية متعلقة بتبليغ رسالاتهم للبشرية، وقد يتحول كلام الناس ضدَّهم عائقًا وحاجزًا أمام التفاعل مع رسالاتهم.

وقد سرد القرآن الكريم وقائع من حياة الأنبياء، أظهر فيها الأثر الذي تركته التهم والدعايات المغرضة الموجهة لهم ضمن محيطهم الاجتماعي. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾، وتشير الآية بوضوح إلى الأذى الذي نال موسى ﷺ، نتيجة اختلاق قومه بني إسرائيل التهم والإشاعات عليه ﷺ، ويقول المفسرون إن الآية تحكي عن وفاة نبي الله هارون أخي موسى ﷺ وهما في طريقهما إلى الجبل، فأشاع بنو إسرائيل بأن موسى هو المتسبب في موت أخيه حتى يخلو له الجو، فبرأه تعالى من تلك التهمة وأظهر الحقيقة لقومه.

وذكر مفسرون آخرون مناسبة أخرى للآية، وهي عندما عمد قارون، ﴿كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾، إلى الاتفاق مع بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل، على توجيه الاتهام إلى نبي الله موسى ﷺ بأنه مارس الزنى معها، لذلك كان الاتهام مؤذيًا له ﷺ، لكن الله برأه وأظهر الحقيقة أمام الناس. ومع إدراك موسى ﷺ التام لبراءته من التهمة، ومع كونه نبيًا من أنبياء أولي العزم، إلا أنه ﷺ تأذى من الكلام الذي نال منه، بغير وجه حق. كما تناول القرآن الكريم مقدار الأذى الذي طال رسول الله ﷺ جرَّاء سوق

الاتهامات ضده. قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾، وبذلك نخلص إلى أن الأنبياء والأئمة والأولياء ليسوا بمنأى عن الأذى النفسي الذي ينتابهم جرّاء التهم الموجهة لهم بغير حق.

الاستقامة الرسالية رغم الأذى

لكن الفارق الجوهرى أن تأثرهم وألمهم النفسي ﷺ لا يدفعهم نحو التنصل من مسؤولياتهم الرسالية. وهذا تحديداً ما يمكن استنتاجه من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ حين قال في بعض خطبه: «أيها الناس، اعلّموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا بحكيم من رضي ببناء الجاهل عليه، الناس أبناء ما يحسنون، وقدّر كلّ امرئ ما يحسن»، إن من الواقعي جداً أن يتألم العاقل ويتأذى من تلقي الإساءة من الآخرين، ولكن من غير الصحيح أن يدفعه هذا الألم والأذى إلى الانصراف عن الحق، والتخلي عن أفكاره التي يؤمن بها، لمجرد أن الناس قد تكلموا ضده. ينبغي ألا يتخلى الإنسان عن مسؤولياته وواجباته، عندما يواجه نقداً أو تناله جملة من الاتهامات والافتراءات، وألا يفقد الثقة في نفسه، وبما هو مقتنع به، ذلك أنه ربما شكك الإنسان في نفسه وأفكاره والنهج الذي يسير عليه، نتيجة لكثرة الكلام والاتهامات التي تنال منه؛ لأنه ينبغي للإنسان أن يخضع نفسه، ويحاكم أفكاره، على أساس المعايير الصحيحة، وليس تبعاً لأقوال الناس، أو مجاراة لمستوى رضاهم عنه، فالناس ليسوا مقياساً للحق.

ومعنى الانزعاج في كلمة الإمام ﷺ «ليس بعاقل من انزعج» هو الاضطراب، وهو نقيض الاستقرار. فالعاقل وإن كان يتأذى من القيل والقال في حقه، إلا أنه لا ينبغي أن يقع في حالة الاضطراب، على نحوٍ يغير مواقفه، ويتنازل عن مبادئه، ويفقد الثقة في نفسه، فحينئذٍ لا يكون عاقلاً؛ لأنه حكّم كلام الناس وتنازل عن حكم عقله. ويمضي ﷺ في القول أن «الناس أبناء ما يحسنون، وقدّر كلّ امرئ ما يحسن»، وكأنّ

الإمام عليه السلام يريد أن يقول، إن الكفاءة الذاتية هي المعيار الذي يحتكم إليه، لا كلام الناس، فلو أن الناس تكلموا عن شخص بسوء، وهو على خلاف ما يزعمون، وكان على قدر كبير من الكفاءة، فحينئذ لا بُدَّ وأن يركن المرء إلى كفاءته الذاتية رغمًا عن أقوال الناس.

والحال نفسها إذا ألقى الناس على مسامع أحدهم، ألوان الإطراء وأشكال المديح، فلن يزيده ذلك مثقال ذرة في كفاءته. ومما ورد في وصايا الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم أنه قال: «لو كان في يدك جَوْزَةٌ وَقَالَ النَّاسُ: فِي يَدِكَ لُؤْلُؤَةٌ، مَا كَانَ يَنْفَعُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا جَوْزَةٌ؟»، وَلَوْ كَانَ فِي يَدِكَ لُؤْلُؤَةٌ وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّهَا جَوْزَةٌ، مَا ضَرَّكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لُؤْلُؤَةٌ؟»^(١)، فالمعيار ليس كلام الناس، وإنما المعيار أن يثق المرء بذاته، ويحافظ على رباطة جأشه، ويستخدم المعايير الصحيحة في اختيار فكرته، وتشكيل رأيه، وبلورة موقفه، عندها فليطوِّ كشحًا عن كلام الناس. ولا يضطرب، ولا ينتابه القلق، ولا يتنازل عن موقفه، ويتخلَّى عن مسؤولياته، وإن كان من حقّه أن يتألم وأن يتأثر نفسيًّا من الأباطيل التي تروج ضده.

ولعلَّ أشدَّ ما يصيب المرء من الأذى حين تدبَّج الأكاذيب ضده تديبًا يلتبس على الآخرين، فلا يميزون الحقَّ من الباطل فيها. وهذا ما أشار له أمير المؤمنين في قوله: «ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه»، والزور لغة هو الكذب المنمَّق، الذي ينطلي على الناس فيحسبونه صدقًا، فليس كلُّ الكذب زورًا، فهناك الكذب المكشوف، أما الكلام الزور فهو الكذب المحبوك حبكًا، على نحو ينطلي على أغلب الناس. ومنه جاء التزوير، فتزوير الوثائق والعملات النقدية على سبيل المثال، غالبًا ما يأتي على نحو المطابقة للوثيقة أو العملة الأصلية، ولا يمكن أن ينكشف التزوير إلا مع شدة التأمل والتدقيق.

(١) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٣٦.

وكذلك الحال مع الآراء والمواقف والأفكار، التي من الطبيعي أن يظهر من يخطئها ويعارضها بشدة، وهذا مما لا مشاحة فيه، غير أن ما يجري أحياناً هو الاختلاق واصطناع التهم من نسج الخيال، وهذا هو الزور بعينه، وهو من أسوأ ما يواجهه الإنسان. لذلك عدّ الله تعالى قول الزور من أقبح الأعمال، وقرنه بعبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، فلا يجوز تحت أي مبرر تلفيق التهم وقذف الآخرين بها جُزافاً، فوزر ذلك وزر عبادة الأصنام. وقد أخرج البخاري ومسلم عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ - أَوْ قَوْلُ الزُّورِ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ»^(١)، وبذلك يجعل التصنيف النبوي قول الزور على درجة أعلى وأشدّ فداحة من الشرك والقتل والعقوق.

لا تشترك في ترويح الاتهامات

إنّ الله تعالى لم يَنْهَ المؤمنين عن قول الزور وحسب، وإنما نهاهم، علاوة على ذلك، عن شهادة الزور ضدّ الآخرين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وفي معنى ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ ذهب مفسّرون إلى تفسير ذلك بالنأي عن قول شهادة الزور، في حين ذهب مفسّرون آخرون، إلى تفسير ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ بالنأي عن الحضور في محضر يقال فيه كلام الزور، وهذا الرأي يتناسب مع سياق الآية الكريمة ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، فالشهود هو الحضور والاستماع للزور، مقابل المرور مرور الكرام على مجالس الزور. فالإنسان المؤمن ليس فقط من ينأى بنفسه عن قول الزور، وكيل التهم، وسوق الكلام على عواهنه بحقّ الناس، وإنما عليه فوق ذلك ألا يحضر مجالس الزور التي يدور فيها مثل ذلك الكلام القبيح.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب

بيان الكبائر وأكبرها، حديث ٨٧.

ومن مصاديق النأي عن شهادة الزور في عصرنا الراهن نأي الإنسان بنفسه عن ترويح الأباطيل بحق الآخرين. سيّما ونحن نعيش عصراً تنوعت فيه فرص التعبير عن الرأي، وبات المجال مفتوحاً لأيّ كان، لقول ما شاء فيمن شاء، حقاً أم باطلاً، فامتلاّت وسائل التواصل الاجتماعي بجبال من التّرّهات على عباد الله، طعنًا في هذا الطرف، ونيلاً من تلك الجهة. لذلك يغدو من مصاديق قوله تعالى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، ألاّ يشارك الإنسان في ترويح الأباطيل على عباد الله، من خلال النشر، وإعادة النشر، لتلك الأباطيل، والافتراءات، والتّهم المختلفة، عبر الصفحات الخاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، أو إعادة النشر عبر برامج المحادثة الجماعية في أجهزة الهواتف الذكية، فالوقوع في هذا مصداق واضح لمخالفة قوله تعالى: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾. ينبغي للإنسان أن يتقي الله وينأى عن قول الزور وشهادة الزور؛ لأنه مسؤول أمام الله تعالى.

كما أنّ ذلك ليس صيانة لشخص زيد أو كرامة لعمرو، بقدر ما يُراد من ذلك الحفاظ على صفاء ونقاء الأجواء الاجتماعية، فالمجتمع الذي تعجّ أجواؤه بالاتّهامات المتبادلة، تكون جلّ اهتمامات أفراده منحرفة، فلا يعود مجتمعاً صالحاً، ناهيك عن أنه ربما دخلت أطراف مشبوهة تغدّي هذه الممارسات، وتساهم في صبّ الزيت على النار؛ لأنّ من مصلحة هذه الأطراف أن ينشغل المجتمع في تبادل السُّباب والشتائم، وتشويه السمعة بين هذا الطرف وذاك. ومن الواضح جدّاً أن غرض الكثير مما تنشره بعض الحسابات والمعرّفات الإلكترونية هو إشغال الناس ببعضهم بعضاً، وأن يفقدوا الثقة في بعضهم بعضاً، وأن يحطّموا رموزهم المحلية بأيديهم، وعلى الإنسان الواعي ألاّ يكون شريكاً في خطط الأعداء، ولعبة تحركه أيديهم من حيث لا يعلم.



من يُوَجِّج صراع الحضارات

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

يواجه العالم مخاطر حقيقية تُهدّد حالة التعدد الثقافي والحضاري الذي يميّز المجتمعات البشرية. وذلك رغم ما يمتاز به عصرنا الراهن من ميزات عظيمة، كان ينبغي أن تعزّز الأمن والسلام في العالم، وأن تجعل الشعوب أقدر على التعاون فيما بينها. ومن تلك الميزات:

أولاً: تقدّم العلم والمعرفة على المستوى العالمي، ما يقتضي أن يكون الناس أكثر قدرة على التعاون؛ لأنّ الجهل من بواعث الخلاف والنزاع.

ثانياً: تطلّع مختلف الشعوب نحو التنمية والمزيد من التقدم التكنولوجي والاقتصادي، ومقتضى ذلك أن تندفع المجتمعات بصورة أكبر نحو الانفتاح على بعضها، وتمتين سبل التعاون والتكامل فيما بينها.

ثالثاً: انتشار القيم الإنسانية ومفاهيم حقوق الإنسان، من قيم العدالة والحرية والمساواة، وقيام مؤسسات دولية في سبيل حماية هذه القيم، إضافة إلى تشكّل الوعي العام لدى المجتمع البشري حيال هذه القيم، على نحو أكثر بكثير من أيّ عصرٍ مضى. ومع وجود هذه الميزات وغيرها، التي من المفترض أن تسود

معها حالة الأمن والسلام، غير أن العالم يشهد أخطارًا كبيرة تهدد العلاقة بين المجتمعات والشعوب، خاصة على صعيد تنوعها الثقافي والحضاري.

صدام الحضارات قيد التنفيذ

وقد برزت أواخر القرن العشرين إمارات الخطر، ونذر النزاعات والحروب، التي تُهدد مستقبل المنطقة والعالم. فمنذ بدايات العقد الأخير من القرن العشرين، جرى الترويج لنظرية صراع الحضارات، التي أطلقها السياسي الأمريكي الشهير صموئيل هنتنغتون، وهو سياسي يهودي متنفذ في مراكز صنع القرار الأمريكي، وقد نشر نظريته في البداية على هيئة مقال في العام ١٩٩٣، ثم توسع في المقالة وطبعها كتابًا سنة ١٩٩٧، وما لبث الكتاب أن أصبح من أكثر الكتب مبيعًا في الغرب، وترجم إلى مختلف اللغات. وتتلخص نظرية الكاتب في أنّ الصراعات البشرية المقبلة لن تقوم على أسس الصراع والنفوذ الاقتصادي أو السياسي أو الجغرافي، وإنما ستجري الانقسامات وتشتعل الحروب على أساس الاختلاف الثقافي والحضاري، وأنّ أتباع كلّ حضارة سيكونون أكثر اندفاعًا وحمية تجاه الحضارات الأخرى.

كان من الواضح أنّ انبثاق وترويج نظرية صراع الحضارات، لم يأت من قبيل التنبؤ والتحليل، بل كان أمرًا مقصودًا، وإشارة إلى مخطط موضوع يجري تفعيله. وكان محورا الصراع المخطط له، هما الحضارتان الأكثر تماسًا في هذا العصر؛ الحضارة الغربية المتألفة والمتقدمة علميًا وتكنولوجيًا، والحضارة الإسلامية التي تشهد نهوضًا وتطلّعًا لدى أجيالها الشابة على وجه التحديد، والتي بدأت ملامحها بعد حقب طويلة من الاستعمار الأجنبي، ونظم الاستبداد السياسي في الأمة. وكان من المفترض أن يكون هناك تلاقٍ وتلاقح بين الحضارة الإسلامية التي تتحرك عواملها داخليًا، من خلال الدعوات لتحكيم قيم الإسلام، وبين الحضارة الغربية المادية المتألفة صناعيًا وتكنولوجيًا، والمحتاجة إلى ما يسد الفراغ الروحي والقيمي فيها، وهذا ما كان يتوفر في الفكر والثقافة الإسلامية.

وبعيداً عن الاستغراق في نظرية المؤامرة، ومن خلال الرصد لمجريات الأحداث، يمكن القول إنَّ هناك من تنبّه إلى وجود إمكانية نظرية، لقيام تكامل من نوع ما بين الحضارتين الغربية والإسلامية، فأراد عوضاً عن ذلك أن يخلق الشقاق والصدام بين الحضارتين، والتمتهم المتورط على هذا الصعيد هي الصهيونية العالمية بصورة خاصة.

الصهيونية وإذكاء الصراع

وللحديث عن خلفية وأسباب ظهور نظرية صدام الحضارات، ينبغي أن نضع في الاعتبار أن أكثر ما يخشاه الصهاينة، هو أن يجري التفاهم بين الغرب والمسلمين. فالصهاينة الذين يحتلون أرض فلسطين منذ منتصف القرن العشرين، دخلوا في مواجهة مكشوفة مع الأمة الإسلامية، كانوا يعلمون علم اليقين، أنّهم إن لم يدخلوا على خطّ العلاقة بين الطرفين الإسلامي والغربي، فإنّ الشعوب الغربية ستكون أكثر تقبلاً للثقافة الإسلامية، وأكثر ميلاً للتعاطف مع المسلمين، والوقوف في وجه الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية.

فلا يمكن لأيّ عاقلٍ من أيّ ملّةٍ كان، أن يقبل احتلال أراضي الغير وظلمهم وممارسة الجور عليهم. وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار، إدراك الصهاينة بأنّهم لو بقوا وحدهم في مواجهة الحقّ العربي والإسلامي، فلن يستطيعوا أن يستمروا طويلاً في هذا الصراع، فضلاً عن أن يتعزّز نفوذهم في المنطقة العربية والإسلامية. من هنا فقد رأوا أن من مصلحتهم الدفع باتجاه الصدام والصراع بين المسلمين والغرب، فهذا الصراع يخدم إسرائيل والصهيونية العالمية من خلفها على نحوٍ كبير، لذلك عملوا بجِدٍّ على تأجيج هذا الصراع. وكما سبقت الإشارة، فإنّ منشأ نظرية صراع الحضارات مفكّر يهودي، وأكثر من رحّب بها وروّجها هو الإعلام الخاضع للنفوذ الصهيوني.

ولقد عملت الصهيونية للتأسيس للصراع الغربي الإسلامي في اتجاهين. الاتجاه

الأول جاء من خلال تشجيع التطرف الديني في أوساط المسلمين، ويتحمّل المسلمون أنفسهم قسطاً أساساً من المسؤولية على هذا الصعيد، فقد كانت الأرضية جاهزة لبروز التطرف، خاصة مع وجود القابلية في التراث الديني عند بعض المدارس السائدة في الأمة الإسلامية، لتحويل التطرف إلى أعمال عنف ضد الآخر.

وجاء الاحتلال السوفييتي لأفغانستان في ثمانينيات القرن الماضي، ليوفّر فرصة لتوجه الآلاف من الشباب المسلمين لأفغانستان، لمواجهة الشيوعيين والجهاد ضدّ السوفييت، فكانت المخابرات الأمريكية والغربية والإقليمية جاهزة لانتهاز هذه الفرصة، فعملوا على بعث الفكر المتطرف الذي كان إلى ذلك الوقت في حالة كمون في قلب التراث الإسلامي، فأنعشوا آراء التطرف، ودعموها في أوساط هؤلاء الشباب المسلم، ونجحت أجهزة المخابرات منذ ذلك الوقت في إنشاء واختراق تنظيمات متطرفة، تمارس شتى أعمال الإرهاب والإجرام، ولا تتردد في استباحة الحرمات، وارتكاب أبشع الجرائم بحق الأبرياء في البلاد الإسلامية والعالم، تحت عنوان الجهاد في سبيل الله، وهكذا استمرّ تفرّخ هذه التنظيمات المتشدّدة. ولا يمكننا أن ننظر ببراءة إلى ملايسات نشوء هذه التنظيمات الإرهابية، واستمرارها بقوة، خاصة مع توفّرها على مختلف القدرات، من الموارد المالية، والسلاح والإعلام، وبعد أن كانوا يقيمون في كهوف أفغانستان وباكستان، باتوا اليوم يسيطرون على مساحات شاسعة في قلب منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما لا يمكن أن يجري من دون دعم وتشجيع، من الصهيونية العالمية التي تستهدف قلب الأمة والمنطقة.

تخويف الغرب من الإسلام

أما الاتجاه الثاني الذي لعبت على وتره الصهيونية العالمية، فهو تخويف المجتمعات الغربية من الإسلام. فقد عملت الصهيونية حثيثاً على إثارة القلق البالغ من الإسلام وسط الشعوب الغربية، ولا شك بأنّ الممارسات الإرهابية كفيّلة بأن تثير

القلق والانزعاج من الإسلام والمسلمين، المنتشرين في أنحاء أوروبا والعالم، حتى بات الإسلام أحد أسرع الأديان انتشارًا في تلك المجتمعات.

من هنا تمّ الدفع ببعض الجهات والأشخاص للجهر بالإساءة للإسلام، والمقدّسات الإسلامية، وقد بتنا نجد بين الفينة والأخرى كتابًا، صحيفة، مجلة كاريكاتور، برنامجًا تلفزيونيًا، أو فيلمًا مسيئًا للإسلام. ومن الواضح جيّدًا دور الخبرات الإعلامية والنفسية الضليعة في فهم النفسية الإسلامية ذات العاطفة الجياشة، والقابلة للاستفزاز السريع، خاصة فيما يرتبط بكرامة النبي محمد ﷺ وسائر المقدّسات الإسلامية، فعملت الصهيونية على العزف على وتر استفزاز عواطف المسلمين، وجرح مشاعرهم على نحو دائم. ضمن هذا السياق جاءت الإساءة الأخيرة للرسول ﷺ على صفحات المجلة الفرنسية الساخرة «شارلي ايدو»، وجاء بعدها الهجوم الإرهابي الذي أسقط عددًا من محرّري ورسامي المجلة.

هذا السيناريو هو تحديدًا ما تريده الصهيونية. السيناريو الذي يبدأ باستفزاز مشاعر المسلمين، ليأتي بعدها هذا النوع من الاعتداءات الوحشية!. وبالرغم مما أبداه المسلمون من تعاطف كبير مع ضحايا الاعتداء، وإعلان المواقف المستنكرة من مختلف الجهات ضدّ هذا العمل الوحشي، والمشاركة في تشييع الضحايا، لكن المجلة أصرت على الصدور بعدد جديد انطوى على إساءة أكبر للنبي ﷺ، طبع في خمسة ملايين نسخة، وترجم إلى عدة لغات، ونفذت من الأسواق سريعًا، هذا بعد أن كانت المجلة فيما سبق حادثة الاعتداء الإرهابي تطبع ٦٠ ألف نسخة بالكاد تستوعبها السوق!. وهذا دليل واضح على الإصرار على بقاء حالة الاستفزاز للمسلمين، وأن يتأجج التناقض والصدام بين المسلمين والغرب؛ لأنّ المستفيد الأول من حالة الصراع هذه إسرائيل، والصهيونية العالمية، واليمين المسيحي المتطرف.

التحلي باليقظة وضبط النفس

إنّ على أبناء الأمة الإسلامية التحلي باليقظة، والتزام أعلى درجات ضبط النفس. سيّما ونحن بإزاء حالات استفزاز وإساءات متعمّدة متكررة، فلا ينبغي أن نكون هدفًا سهلاً لها، فالعاقل هو الذي يفشل خطط الأعداء، ولا يعطيهم فرصة النجاح.

ولعلّ أكثر من ينبغي أن يلتفت لهذه الحقيقة، هم أولئك الذين يتسلحون بسلاح الفتاوى الدينية، والآراء والنصوص التراثية، لتبرير المواجهة مع الآخر لمجرد الاستجابة للاستفزاز.

إنّ مواجهة الاستفزاز عند الإنسان المؤمن ينبغي ألاّ تخرج عن النهج القرآني المتمثل في الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، فهذا النهج القرآني في مواجهة الاستفزاز هو الأنسب على الإطلاق، وعلى كلّ الصُّعد، بما في ذلك الاستفزازات الطائفية على المستوى المذهبي فيما بين المسلمين أنفسهم، خاصة بين السنة والشيعة، فما يجري في الكثير من الأحيان لا يعدو عن كونه استفزازًا متعمّدًا، من طرفٍ إلى طرفٍ آخر.

ولتقريب الصورة داخليًا، نجد الكثير من أبناء المذاهب الإسلامية يذهبون إلى زيارة النبي ﷺ، وبقية الغرقد في المدينة المنورة، حيث قبور الصحابة، وأئمة أهل البيت، وزوجات النبي، غير أنّ الجميع يعلم أنه ونتيجة للاختلاف المذهبي، فإنّ هناك في المدينة المنورة، من يتربّص بالزائرين للقبض عليهم، بذريعة ارتكاب البدع الدينية، والشرك عند زيارتهم القبور، فإذا كان جلُّ الزوّار يعلمون بهذه الحقيقة، فلا ينبغي أن يعطوا لأولئك الفرصة باستجابتهم للاستفزاز.

إنّ المطلوب أن يكون الناس واعين فلا يقعون في مصيدة الاستفزاز، وما عسى يفيد الجدل والنقاش العقيم مع أولئك المستفزّين، الذين يجدون في عملهم فريضة دينية، والذين ربما كان الجدل معهم سببًا في وقوع مشكلة لا داعي لها، كما هو حاصل

فعلياً بين فترة وأخرى. إنَّ المطلوب من المؤمنين أن يتجنبوا الاستجابة للاستفزاز تماماً، فهذا ما يدعونا إليه القرآن الكريم، والنبى ﷺ وأئمة المسلمين، ومراجع الدين، ولا يتصورن أحدهم أن من البطولة الاستجابة لمصيدة الاستفزاز، فذلك ربما كان نوعاً من الطيش والتهور والحماسة. من هنا على الإنسان المؤمن أن يكون يقظاً واعياً متحلياً بدرجة عالية من الانضباط تجاه الاستفزات الواردة من خارج الأمة على الصّعيد الديني، و من داخل الأمة على الصّعيد المذهبي.

وبالعودة إلى البعد العالمي، ينبغي للأمة، شعوباً وحكوماتٍ وفاعليات، أن يقوموا بدور أكبر من أجل وضع حدٍّ للإساءة للمقدسات الدينية. وهذا ما يتطلب تعاوناً وتحركاً سياسياً واسعاً تقوم به الدول الإسلامية، ومختلف القوى العالمية الواعية بما تمتلك من طاقات وقدرات، لتجاوز أجواء الاستفزاز الديني، ومواجهة آثار وأضرار صدام الحضارات.



مدكمة الضمير والوجدان

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ
بِالتُّفْسِ اللُّؤَامَةِ﴾ [سورة القيامة، الآيتان: ١-٢].

لا سبيل لأن يفلت الإنسان المخطئ من العقاب على نحو مطلق. فإذا ما أخطأ المرء وظلم أحداً من الناس، قريباً كان أم بعيداً، فلربما أفلت من المحاسبة والعقاب، إمّا لشدة تخفيه، وعدم اطلاع أحدٍ على جرمه وظلمه، وإمّا لقوة نفوذه، خاصة في المجتمعات التي تسودها المحسوبة والفساد، أو لضعف في الطرف الآخر الذي وقع الظلم عليه. غير أنّ هذا التفلّت من العقوبة القانونية لا يعني الهروب من حكم العدالة على نحو مطلق، وإلى النهاية، ومردّ ذلك إلى وجود مفرزتين لا يستطيع الإنسان أن يفلت منهما مهما كان، المفرزة الأولى هي محكمة الضمير والوجدان، أمّا الثانية فهي الوقوف بين يدي الله حتماً في نهاية المطاف.

تأنيب الضمير

أودع الله تعالى في أعماق نفس الإنسان ضميراً ووجداناً يدعوه إلى الخير، ويحدّره من الشرّ. فإذا ما سار بخلافها وظلم أحداً، أو اعتدى على حقّ أحدٍ، فإنّ هذه القوة في أعماقه التي يطلق عليها قوة الضمير، لا بُدّ أن تستيقظ في يوم ما، وتوجّه العقوبة للإنسان عن طريق التأنيب والتوبيخ الذاتي، فيعاني إثر ذلك ما يطلق عليه عذاب الضمير، الذي يبقى يوخز الإنسان من داخله، حتى وإن بدا على ظاهر حياته

الهناء والراحة، فإنَّ في أعماقه نارًا تضطرم نتيجة شدة التأنيب ووخز الضمير.

قد تَرَيْنُ المصالح، وتتراكم الرغبات المادية على قلب وضمير الإنسان، فيكون في حالة خمول وسبات إلى حين. لكن هذا الضمير سرعان ما يستيقظ في يوم ما، فيعيش الإنسان إثر ذلك العذاب والألم في داخل نفسه، نتيجة ما ارتكب من جرم وخطأ، وما مارس بحق الآخرين من جور وعدوان.

وتعرف قوة الضمير في علم النفس، بأنَّها «جهاز نفسي تقييمي متعلق بالأنَا. تقوم بدفع الإنسان نحو تقييم ومحاسبة نفسه بنفسه، وإصدار الحكم عليها». وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى كلماته حين قال عليه السلام: «كَمْ مِنْ شَهْوَةٍ سَاعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْنَاً طَوِيلاً»^(١)، ولعلَّ من مصاديق هذا الحزن الطويل عذاب الضمير وتوبيخ الوجدان.

ولربما لاحظنا على بعض المقصّرين بحقّ والديهم أو أحدهما، حين تعتربهم نوبة من يقظة الضمير، فتراهم يلومون أنفسهم على تقصيرهم في جنب أبويهم، وهذا تحديداً هو تأنيب وعذاب الضمير الذي سيظلُّ يوخز المقصّر والظالم ما دام على قيد الحياة. وقد يعتدي أحد الزوجين على حقوق الآخر، فتطوي الأيام ذاك الاعتداء، إلى أن يستيقظ الضمير ذات يوم لينهش دواخل الإنسان تأنيباً وتقريعاً، ويزداد وخز الضمير حدّة حين يكون الطرف المعتدى عليه قد فارق الحياة. وهكذا الحال مع حالات الاعتداء على مختلف الناس. ومما يحضرني في هذا الشأن، أنّ شخصاً أعرفه قد جاوز السبعين عاماً، وكان قبل وفاته بسنوات بيدي لي قلقاً؛ لأنه وأثناء وجوده في الحج قبل أكثر من خمسين سنة اشترى حطباً من عند حطاب، إلا أنه توانى في دفع المال للحطّاب، حتى توارى ذلك الحطّاب دون أن يعطيه قيمة الحطب، التي ربما لا تتجاوز بضعة ريالات وفقاً لأسعار تلك الأيام، يقول لي الرجل إنّه بات يعيش عذاباً نفسياً وتأنيب ضمير أفضّ مضجعه طويلاً؛ لأنه فوّت على ذلك الفقير حقّه.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٤٥١، حديث ١.

إنّ الضمير يمثل محكمة داخلية مقرّها أعماق نفس الإنسان، لا مفرّ من مواجهتها. ولا يستثنى من مواجهتها أحد، حتى الطغاة والجبابرة الذين يمارسون البطش والقمع بحقّ الناس.

ومما يروي التاريخ أنّ الطاغية المعروف الحجاج بن يوسف الثقفي، حينما قتل الصحابي الجليل سعيد بن جبير، لم تطل حياته من بعده، فكان بين الفينة والأخرى يفزع من نومه وهو يصيح: مالي ولسعيد بن جبير؟^(١)، فهذه المحكمة تنبع من أعماق الناس، لا كالمحاكم الخارجية التي يمكن التفلّت منها على نحوٍ أو آخر.

وهناك شواهد كثيرة على هذا الصّعيد، ومن ذلك ما تناوله وسائل الإعلام الأمريكية عن ظاهرة الانتحار في أوساط الجنود الأمريكيين، خاصة أولئك الذين شاركوا في حربي أفغانستان والعراق، حيث بلغ عدد المنتحرين منهم ٦٢٥٦ جندياً^(٢)، وهي الظاهرة الموضوعه قيد الدراسة منذ زمن، وقد كُتبت حولها أبحاث ودراسات، وعقدت بشأنها ندوات. وقد أظهرت الدراسات التي بحثت دوافع الانتحار عند هؤلاء الجنود، أنّ أكثرهم إما باسروا أعمال القتل استجابة لأوامر قادة العمليات، أو شهدوا ارتكاب فظائع أثناء تأدية الخدمة. غير أنّ ما جرى أنّ هؤلاء الجنود، وبعد عودتهم للديار، بدأوا في التفكير، ولم تفارق رؤوسهم تلك الفظائع، بل تحولت إلى كوابيس دائمة، كما يروي كثير منهم، ونتيجة لشدّة ما يتتابهون من عذاب الضمير، فإنّ بعضهم أصيب بأمراض نفسية، فيما لم يتردد آخرون في الإقدام على الانتحار.

من هنا، على الإنسان أن يحسب حساباً لقوة الضمير والوجدان الكامنة في أعماقه. كما أنّ عليه أن يتذكر جيّداً، إذا همّ بالاعتداء أو النيل من أحدٍ، أنه سيدفع لقاء ذلك ثمناً غالياً، فقد لا يستطيع الطرف الضحية الاقتصاص لنفسه من المعتدي عليه، لكن قد ينبعث القصاص العادل من أعماق الظالم نفسه، وأمام محكمة ضميره ووجدانه.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٩، ص ١١٥.

(٢) <http://www.cbsnews.com/news/the-veteran-suicide-epidemic>

الوقوف بين يدي الله

أما المفردة الثانية أمام منع الإفلات من العقاب، فهي الوقوف بين يدي الله تعالى في نهاية المطاف. فقد يفلت المرء من المحاسبة في الحياة الدنيا، نتيجة تبرئة نفسه على نحوٍ أو آخر، وربما لعجز المظلوم عن إثبات ظلامته، لكن ماذا يفعل المعتدي حين يقف بين يدي الله تعالى.

إنّ القرآن الكريم يذكر بحقيقة وجود المحكمتين والمفرزتين أنفتي الذكر. وذلك في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾، قال بعض المفسرين في تفسير الآيتين، أنّ (لا) الواردة فيهما ربما جاءت زائدة، وبذلك يكون مقتضى الآية ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فيما ذهب مفسرون إلى أنّ (لا) هنا جاءت نافية، ومعنى ذلك أن الموضوع أوضح وأكبر من أن يُقسَم عليه. وقد تناولت الآية الكريمة: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المحكمة الأولى وموعدها القيامة ولقاء الله عزّ وجلّ، فيما تناولت الآية الأخرى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ المحكمة الثانية، وهي محكمة الضمير داخل النفس، أي اشتغال القوة النفسية على تأنيب وتوبيخ الإنسان حين يرتكب الخطأ.

وقد أوردت النصوص الدينية جوانب عديدة من شدة التدقيق والمحاسبة على مظالم العباد في يوم الحساب. ومما روي أن رسول الله ﷺ كان يتحدث يوماً مع أصحابه فقال: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ سَبْعُ عَقَبَاتٍ، أَهْوَنُهَا الْمَوْتُ، وَأَصْعَبُهَا الْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، إِذَا تَعَلَّقَ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ»^(١). ولا يظنّ أحدٌ بأنّ المقصود بالظالمين هنا أولئك الحكام الظلمة وحسب، إنّما قد يكون أيّ شخص عادي في مصافّ الظالمين، حين يضطهد ابنه أو يجور على زوجته، أو يظلم العامل الذي تحت سلطته، فهذا كلّ من الظلم ومما يجعل المظلوم يتعلّق بالظالم في يوم الحساب طالباً بحقّه.

(١) كنز العمال، ج ٣، ص ٥٠٣، حديث ٧٦٢٥.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، قال: «قَنْطَرَةٌ عَلَى الصِّرَاطِ لَا يَجُوزُهَا عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ»^(١)، إنَّ أَحَدًا لَنْ يَجُوزَ تِلْكَ الْعُقْبَةَ عَلَى الصِّرَاطِ وَفِي رِقْبَتِهِ مَظْلَمَةٌ لِأَحَدٍ، صَغِيرَةٌ كَانَتْ أَمْ كَبِيرَةٌ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ صَاحِبَ الْحَقِّ حَقَّهُ مِنْهُ. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ اللَّهَ تَعَالَى: «أَقْسَمَ قَسَمًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يَجُوزُنِي ظَلْمٌ ظَالِمٍ»^(٢).

من هنا على الإنسان أن يكون حذرًا يقظًا لئلا يقع في ظلم أحد، على المستوى المادي أو المعنوي، حتى لا يدفع الثمن غاليًا، من تعذيب وتأنيب ضميره ساعة يستيقظ، وعند وقوفه بين يدي سبحانه وتعالى.

(١) بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٦، حديث ٦.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٤٣، حديث ١.



الخطاب المسيء والتبريرات المرفوضة

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٨٣].

لا يجادل أحدٌ في أنّ حسن التخابط مع الآخرين يمثل مبدءاً أخلاقياً يؤيِّده العقل والوجدان. ولا يمكن لأيّ إنسان سويّ أن يردّ هذا المبدأ أو ينكره، بيد أنّ البعض يسوّغ لنفسه تجاوز هذا المبدأ وإن أقرّ به، فيخوض في أعراض الناس، ويتتهك حرّماتهم، ويسيء إلى مقدّساتهم ورموزهم، متذرّعاً ببعض التبريرات، التي تظهر تجاوزه ذلك، باعتباره تجاوزاً مشروعاً، وخياراً استثنائياً. فهؤلاء يقرون بمبدأ الخطاب الحسن، لكنهم يخالفونه عملياً، ويشرعنون هذه المخالفة دينياً. فما هي هذه التبريرات التي يتذرّع بها هؤلاء؟ وهل هناك حقاً ما يبرر للإنسان أن يتجاوز مبدأ حسن التخابط مع الناس، على نحو ينال من الآخرين، ويتتهك حرّماتهم ويسيء إلى رموزهم ومقدّساتهم؟

الإساءة تنفر الناس من الحقّ

إنّ أول ذريعة يُردّها المتجاوزون على الآخرين بألسنتهم، هي التزامهم الجهر بالحقّ، والدعوة إليه، وفضح الباطل والتحذير منه. فهل يا ترى يستلزم تبيان الحقّ أن يتجاوز المرء مبدأ حسن الخطاب، ويلقي قول السوء في وجوه الآخرين؟ هنا ينبغي الإشارة إلى أنّ الدين الذي يزعم هؤلاء الدفاع عنه، وضع منهجاً ووسيلة للدعوة إليه، ولم يترك منهج وسبيل الدعوة خاضعاً لأمزجة الناس وانفعالاتهم، ليس هذا وحسب،

وإنما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وبذلك لا يقبل الدين بأي حالٍ أن يجري خدش مشاعر الآخرين، والتجاوز عليهم.

فإن زعم أحدهم بيان الحقّ وفضح الباطل، بهدف إبعاد الآخرين عن الباطل، وجذبهم ناحية الحقّ، فإنه بخطابه المسيء، وأسلوبه المستفزّ، إنّما يقوم بإبعاد الناس وتغييرهم عن الحقّ. ولا عبرة في اجتذاب فردٍ عبر هذا الأسلوب الشاذّ، في مقابل خسارة الآلاف، ذلك أنّ من طبيعة الخطاب المستفزّ والسيئ أن ينفر الناس، ويجعلهم يناون بأنفسهم عن متجيه.

وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، أنه قال (عليه السلام): «قُولُوا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ حُسْنًا: مُؤْمِنِهِمْ وَمُخَالَفِيهِمْ؛ أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَسُطُّ لَهُمْ وَجْهُهُ وَبِشْرُهُ. وَأَمَّا الْمُخَالَفُونَ فَيُكَلِّمُهُم بِالْمُدَارَاةِ لِاجْتِنَابِهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ»^(١). هذه هي سيرة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، فلم يكونوا في الدعوة لرسالاتهم يمارسون الإساءة، ويطلقون السباب والشتائم والاستفزاز لمشاعر الآخرين.

إنّ تبرير الإساءة للناس بحجة الجهر بالحقّ، وفضح الباطل، تبرير مرفوض قطعاً؛ لأنّ الإساءة بحدّ ذاتها أمر مرفوض دينياً وأخلاقياً.

حرية التعبير لا تبرر الإساءة للآخرين

الذريعة الثانية: التي يُردّها البعض عند نيله من الآخرين هي التزامه بحرية التعبير عن الرأي. وفي حين لا يجادل أحد في أنّ حرية التعبير حقّ مقرر لكلّ الناس، إلاّ أنّه ينبغي تذكر المبدأ القائل أن حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، فليس هناك حرية مطلقة في المجتمع البشري، ولا معنى للحرية المطلقة سوى الصدام والفوضى، فلا

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١٥ ص ٥٦١، حديث ١٨٣٢.

بُدَّ عندئذٍ من قانون يضع الحدود وينظّم العلاقات، وحدود الحرية الشخصية، تنتهي عند حدّ الإضرار بالآخرين، والإساءة إليهم، وبذلك لا يمكن ممارسة حرية التعبير بالاعتداء على الآخرين، والإساءة لكراماتهم، والنيل من رموزهم ومقدّساتهم، فهذا لا يندرج بأيّ حالٍ تحت مجال حرية التعبير. وإنما تقتصر حرية التعبير عن الرأي في قول كلّ ما يُعلي من شأنك، وشأن دينك، ورموزك، ومقدّساتك، دون التجاوز على الآخرين، فذلك ما لا يقبله الناس، كما لا يقبله أنت على نفسك، ودينك، ومقدّساتك.

إنّ من المرفوض قطعاً التعاطي مع حرية التعبير وفقاً لازدواجية المعايير. مثل ما جرى مؤخراً من نشر إحدى المطبوعات الفرنسية رسومات مسيئة لرسول الله ﷺ بذريعة ممارسة حرية التعبير عن الرأي، سيّما وأنّ أحدًا هناك في فرنسا وأوروبا لا يستطيع تحت طائلة القانون أن يكتب ما يثير النعرات العنصرية، أو ما يُعبّرون عنه العداء للسامية، فلماذا تضعون هنا حدوداً لحرية التعبير عن الرأي، فيما يترك الحبل على الغارب عندما يتعلق الأمر بنبي الإسلام ﷺ. ولعلّ أبلغ ما قيل في هذا الشأن، تهكم وزير خارجية فنلندا (اركي توميو) من ازدواجية المعايير في فرنسا، حيث نقلت عنه وسائل الإعلام القول: «إذا سخرت من السّود فإنّها عنصرية، وإذا سخرت من اليهود فإنّها معاداة للسامية، ولكن السخرية من الإسلام هي حرية تعبير»^(١). ومن جهتنا كمسلمين، إذا كنا نرفض رفضاً قاطعاً الإساءة إلى نبينا الكريم ﷺ، فينبغي أن نرفض الإساءة إلى كرامة ورموز ومقدّسات بعضنا بعضاً.

إساءات وردت في التراث

أمّا الذريعة الثالثة التي يرددها المسيئون لمقدّسات ورموز الآخرين فهي الاحتجاج بما ورد في التراث الديني. فمن السهولة بمكان أن يُردّد بعضهم أنّ القرآن الكريم يقول: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾، وينسب آخر قولاً للإمام الحسين ﷺ في وصفه

(١) صحيفة الوطن القطرية، عدد ٧٠٨٠، الأربعاء ٢١/٠١/٢٠١٥ م.

لشمر بن ذي الجوشن يوم الطف بالقول: «يا ابن راعية المعزى، أنت أولى بها صلياً»، واتكأ على ذلك بيرر هؤلاء المسيئون التجاوز على الآخرين، والنيل منهم، وشمهم رموزهم ومقدساتهم.

غير أن هذا التبرير ينطوي على مغالطة فاضحة، ذلك أن نهج القرآن الكريم في هذا الشأن، إنما ركز على استهداف ورفض المسالك المنحرفة، لا استهداف الأشخاص، لذلك ورد في القرآن مراراً لعن الظالمين والكافرين والكاذبين والفاستقين والفاستدين على نحو العموم، فيما لم يأت استهداف الأشخاص بأعيانهم إلا على نحو الاستثناء مثل ذم أبي لهب وزوجته. وعليه لا يصح أبداً التشبث بالموارد الاستثنائية في القرآن والترات، وتحويل ذلك إلى منهج دائم، وإنما الأصل الالتزام بالنهج القرآني الرسالي، القائم على قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، والملتزم بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وغير ذلك من النصوص الكثيرة المؤكدة لهذه اللغة وهذا المنهج.

ونشير هنا إلى أن معظم ما ورد في التراث من تسويغ وتشجيع الإساءة للآخرين، في كتب السنة والشيعة، هو نتاج لظروف معينة كانت تسودها الخلافات والنزاعات، وجاءت هذه المقولات في غمرتها، من خلال الوضع والدس والاختلاف.

وقد وردت نصوص دينية كثيرة في الحث على التزام القول الحسن، والنأي عن القبيح من القول. ومن ذلك ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ»^(١)، وعن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «إِيَّاكَ وَمَا يُسْتَهْجَنُ مِنَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ يَحْبِسُ عَلَيْكَ اللَّئَامَ، وَيَنْقُرُ عَنْكَ الْكِرَامَ»^(٢)، كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «سُنَّةُ اللَّئَامِ قُبْحُ الْكَلَامِ»^(٣). كما ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «سِلَاحُ اللَّئَامِ قَبِيحٌ

(١) الخصال، الشيخ الصدوق، ص ١٧٦، حديث ٢٣٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

الكلام»^(١)، وقد نظمها شعراً بعض الشعراء بقوله^(٢):

لقد صدق الباقر المرتضى سليل الإمام عليه السلام
بما قال في بعض ألفاظه: قبيح الكلام سلاح اللئام

وإنه ليتساءل المرء مستغرباً، كيف يرتضي البعض لأنفسهم انتهاج سنة اللئام، حتى باتت اللغة المسيئة مسلكاً أساسياً في حياتهم، وتجدهم يحترفون الإساءة للآخرين في كلِّ نادٍ وواد، سيّما مع توفر وسائل التواصل الاجتماعي، والفضائيات. فإذا ما ارتضى أحدٌ لنفسه أن يكون لئيمًا يسلك سنة اللئام، فإنَّ تلك السنة لا يرتضي السير عليها شريف عاقل.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٨٥، حديث ١٤.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة (عليه السلام)، الحاج حسين الشاكري، ج ٨، ص ٣٩١.



المعرفة والالتزام السلوكي.

ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
عليه السلام أنه قال: «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ،
وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ»^(١).

هناك فارق كبير بين أن يمتلك الإنسان العلم، وأن يستفيد من ذلك العلم فعلياً. فقد يحمل الإنسان العلم في بعض الأحيان، لكنه لا يتحول إلى سلوك عملي في حياته، ولا يظهر أثره على ممارساته، وإنما يبقى مجرد نظريات يخترنها، وآراء يحملها، ومعلومات يتوفّر عليها، فلا تكاد تغادر ذهنه. وذلك أشبه ما يكون بامتلاك المرء مصباحاً كهربائياً، لكنه يُبقي عليه مطفأً، أو يغمض بصره عن رؤية ضوئه، أو أنه ببساطة لا يجيد تشغيله، ما يعني في النهاية أنّ مجرد وجود المصباح لا يعني حتمية الاستفادة من ضوئه. وكذلك هو العلم، فقد لا يستفيد الإنسان من العلم الذي يتوفّر عليه، وهذا عين ما يشير إليه أمير المؤمنين عليّ بن طالب عليه السلام حين قال: «رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ».

وقد أشارت نصوص دينية كثيرة إلى إخفاق بعض حملة العلم في الاستفادة من العلم الذي يحملون. روي عن نبيّ الله عيسى عليه السلام أنه قال: «وماذا يُغني عن الأعمى سعة نور الشمس وهو لا يبصرها؟! كذلك لا يُغني عن العالمِ علمه إذ هو لم يعمل

(١) نهج البلاغة، حكمة ١٠٧.

به»^(١). ومما جاء في الشعر العربي قول الشاعر:

كَالْعَيْسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولٌ

وأبلغ من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، شبه تعالى بعض حملة العلم بالحمار الذي يحمل على ظهره كتب العلم وأسفار المعرفة؛ لأن ذلك العلم لم يجد طريقه نحو التطبيق والتحول إلى سلوك فعّال، بقدر ما ظلّ يمثل مجرد حزمة من النظريات والآراء والمعلومات التي يختزنها ذهنه وحسب.

الشّهوات تصرف عن العمل بالعلم

هناك موانع قد تحول بين الإنسان والاستفادة من علمه. ولعلّ أبرزها خضوع الإنسان العالم إلى شهوة أو رغبة تصرفه عن العمل بالعلم. وقد يعتري هذا الأمر المعنيين بالمجال الديني، كما هو وارد على المعنيين بالمعارف الدنيوية، فهناك في المجال الديني من يعرف قيم وأحكام الدين على نحو جيّد، لكنه مع ذلك يخالفها أتباعاً للأهواء والشهوات، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، وكما هو واضح بأنّ من تتناوله الآية هو عالم قد ضلّ وانحرف استجابة لهواه، الذي أصبح بمثابة إله يخضع له. وعلى غرار ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «كَمْ مِنْ عَقْلٍ أُسِيرَ تَحْتَ هَوَىٰ أَمِيرٍ»^(٢)، فقد شبه عليه السلام العقل بالأسير المقيّد تحت إمرة الهوى المسيطر على صاحبه.

(١) بحار الأنوار، ج ١٤ ص ٣٠٧، باب (٢١) مواعظ عيسى عليه السلام وحكمه.

(٢) نهج البلاغة، حكمة ٢١١.

العالم ليس دائماً كما يتوقع الناس

إن توقعات الناس تجاه التزام العلماء بالعلم الذي يكتنزونونه، ربما تخالفها حقائق الأمر الواقع في كثير من الأحيان. ففي المجال الديني مثلاً: يتوقع الناس من رجل الدين الذي يعرف الحلال والحرام، أن يلتزم حرفياً بقيم وأحكام الدين، غير أن ذلك قد لا يحدث، فهو يمتلك المعرفة الدينية، لكنها لا تترجم حتماً إلى سلوك، نتيجة الأهواء والشهوات التي قد تسيطر على قلبه. ومثال ذلك ما تناوله القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾، فهذا الشخص كان يعرف جيداً مبادئ وقيم الدين، لكنه ساعة استيلاء الأهواء عليه ضرب بالمبادئ والقيم عرض الحائط، فأصبح في وضع أسوأ بكثير من سائر الناس العاديين، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ»^(١)، وجاء في حديث آخر عنه ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَتَأَذُّونَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ التَّارِكِ لِعِلْمِهِ»^(٢)، مما يعني أن العالم غير العامل بعلمه هو أسوأ أهل النار موقعاً، وأشدّهم عذاباً، وأنتنهم ريحاً.

مخالفة المعرفة

والمحزن أن الناس قد يتجاهلون أبسط معارفهم الدنيوية وليست الدينية فقط، فيوقعون أنفسهم في الانحرافات والمشاكل. فجميع الناس تعرف أنظمة المرور، وتدرك جيداً أهمية التقيّد بها، ولو سألت أحداً عن مدى خطر الوقوع في مخالفة أنظمة المرور، لأسهب في تناول تلك الأخطار. والحال نفسه على المستوى الصحي، فقد باتت الثقافة الصحية منتشرة على نطاق واسع، وبات أكثر الناس لديهم اطلاع جيد بمسببات الأمراض، غير أن ضغط الرغبة والهوى يجعلهم يتجاهلون كل التحذيرات

(١) كنز العمال، حديث ٢٨٩٧٧. وفي تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٦٦ (لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ).

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٤، حديث ٣٠.

الطبية، فيرتكبون ما يضر بصحتهم، من خلال تناول الأطعمة والأشربة غير المناسبة، أو ممارسة العادات الضارة بصحتهم، فتعود عليهم بالأمراض الفتاكة والمزمنة، كأمراض السكري، وأنواع السرطان والسمنة. فالمشكلة هنا ليست مرتبطة بنقص المعرفة والعلم، وإنما تتعلق بالخضوع للرغبة، والاستسلام للشهوة، التي تجعل الناس يتجاهلون علمهم ومعارفهم، فيودي بهم ذلك إلى المهالك.

واستطرادًا، تشير الدراسات والأبحاث إلى أن أكثر أسباب الوفاة في العالم ناتجة عن أمراض السرطان، الناشئة بدورها عن عادات وممارسات يقع فيها الناس أنفسهم. وقد احتفى العالم هذا الأسبوع باليوم العالمي للسرطان المصادف للرابع من فبراير من كل عام، والمخصص للتوعية بأضرار هذا المرض. أحد أخطر الأمراض الفتاكة، ومما يضاعف من خطورته أنه ينتشر في جسم المريض خلسة، ولا يترك أعراضًا واضحة في بداياته، بل قد لا يدرك المريض بالسرطان أنه مصاب به، إلا بعد أن يستفحل وتنتشر خلاياه في جسمه.

ويُعدّ مرض السرطان أحد أكثر الأمراض المؤدية للوفاة على مستوى العالم، ومن أنواع السرطانات المؤذية؛ سرطان الرئة، والسبب الرئيس خلف هذا النوع من السرطان عادة التدخين. ورغم معرفة أغلب المدخنين أن التدخين هو المسبب الرئيس لأمراض السرطان، إلا أنّهم مع ذلك يتجاهلون كلّ التحذيرات الصحية، مبررين تشبّهم بالتدخين بتبريرات واهية، إلى أن يصابوا بالمرض الخبيث كمن سبقهم من المدخنين، لا لشيء إلا الخضوع لسيطرة الرغبة وسلطان الهوى.

وحول الأخطار المرتبطة بالتدخين، تشير المعلومات إلى أن الإصابة بسرطان الرئة تقف خلف ٢٢ بالمئة من أسباب الوفاة نتيجة السرطان. وكشفت دراسة سعودية بأنّ التدخين يُعدّ المسبب الرئيس لوفاة ما يزيد على ٢٣ ألف شخص سنويًا في المملكة. وقالت منظمة الصحة العالمية إنّ التدخين يقتل ما يزيد على ستة ملايين شخص سنويًا عبر العالم، والأنكى أن هناك ما يزيد على ٦٠٠ ألف شخص غير مدخن يموتون سنويًا

نتيجة التدخين غير المباشر، أو ما يطلق عليه بالتدخين السلبي، نتيجة استنشاقهم الدخان الذي ينفثه المدخنون، من الأصدقاء، وزملاء العمل، أو أفراد الأسرة، هذا على المستوى البشري. أمّا على الصعيد الاقتصادي فحدّث ولا حرج، ففي المملكة العربية السعودية وحدها تبلغ كلفة استيراد التبغ أكثر من ثمانية مليار دولار.

إنّ أغلب الناس يعلمون، على المستويين الديني والديني، أضرار كثير من ممارساتهم، وأنها ستؤدّي بهم إلى المهالك، لكنهم لا يتجنّبون تلك الممارسات نتيجة الخضوع للهوى. كثيرون يعلمون أنّ بعض الممارسات نتيجتها العذاب والشقاء، وسخط ربّ العالمين، مع ذلك يقدمون على اقترافها، لمجرّد الخضوع للرجبة وسيطرة الهوى، وهذا مصداق قول أمير المؤمنين عليه السلام: «رب عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه».



بشاعة الإرهاب وسمعة الإسلام

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: «لَمَّا فَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ هَوَازِنَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْجَعْرَانَةِ قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: اَعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ اَعْدِلْ؟ لَقَدْ خَبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ اَعْدِلْ. قَالَ فَقَالَ عَمْرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَفُومُ فَأَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَتَسَامَعَ الْأُمَّمُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^(١).

لا تكاد توجد حالة أكثر تنفيرًا للناس من حالة التلطّخِ بتهمة ممارسة العنف والإرهاب. ذلك أنّ الأسوياء ينجذبون نحو أجواء الأمن والسلام، ومن الطبيعي أن تستقطب الناس الفكرة أو الدين الذي يبشر بالسلام، كما يقبل الناس على البلاد التي يعمها الأمن والسلام. أما إذا تلطّخت سمعة أيّ جماعة، أو دين، أو بلد بالعنف والإرهاب، وباتوا يوصمون بهذه الصفة السيئة، فذلك بطبيعة الحال ما يجعل الناس تنفر عنهم بعيدًا.

من هنا ندرك موقف رسول الله ﷺ تجاه الحفاظ على سمعة الدين والأمة، وعدم تلويثها بشائبة صفة العنف، فلم يرغب ﷺ تحت أقسى الظروف أن يتسامع الناس أنّ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥، ص ١٦٣، حديث ١٤٨٨٠.

هذا الدين يفتح المجال أمام ممارسة القتل والعنف، وإثارة الاضطراب، ولأجل ذلك كان ﷺ يغض الطرف عن كثير من التجاوزات والمخالفات المستحقة للعقوبة، داخل المجتمع الإسلامي، حديث النشأة، حفاظاً على سمعة الدين، وحتى لا يشاع بين الناس أن الإسلام دين عنف وقتل وإرهاب.

حتى لا يتهم الإسلام بالعنف

وقد ورد في النصوص الدينية موارد كثيرة، كرست النهج النبوي في الحفاظ على السلم والأمن، والنأي عن العنف والقتل. ومن ذلك ما ورد عن جابر بن عبد الله قال: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَ هَوَازِنَ بِالْجِعْرَانَةِ قَامَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: اَعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ اَعْدِلْ؟ لَقَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ اَعْدِلْ، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَقُومُ فَأَقْتُلُ هَذَا الْمُنَافِقَ؟ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَسَامَعَ الْأُمَّمُ أَنْ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، وبذلك يتضح جلياً أن النبي ﷺ لم يشأ أن يوسّع شقّة الخلاف، والوصول بالموقف إلى درجة القتل، كما أشار بذلك عمر.

ومما ورد في هذا الشأن أيضاً، ما وقع يوم غزوة بني المصطلق، حين تنازع رجل أنصاري من أهل المدينة، ومهاجري من أهل مكة على بئر، حتى كاد النزاع أن يمتدّ فيتحول إلى فتنة لا تحمد عقباها بين المهاجرين والأنصار، بتأجيج من رأس النفاق عبد الله بن أبي، وقد بلغ من جرأة الأخير على النبي ﷺ أن تحدث القرآن عن لسانه في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، واصفاً نفسه بالأعز، في حين ينعت النبي ﷺ بالأذل!، ولما بلغ رسول الله ﷺ الخبر ودور بن أبي في إشعال النزاع بين القوم، أشار بعض الصحابة على النبي ﷺ أن يأمر بقتل ابن أبي، لتحريضه على الفتنة، وتجروءه على شخصية النبي، فاقترح الأنصار على النبي أن يقوموا بقتله إذا كان يكره أن يفعل ذلك المهاجرون، بل جاء ابن عبد الله بن أبي نفسه، وقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به،

فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني، إنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، وقد كان قتله حقاً^(١)، لكنه ﷺ ردّ كل تلك الدعوات، وقال ﷺ: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه^(٢).

وجاء في واقعة ثالثة جرت أحداثها أثناء عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك، حيث خططت مجموعة من المنافقين لاغتياله، وكانوا ثلاثة عشر شخصاً، ونزل الوحي وفضحهم، فعرفهم ﷺ بأسمائهم، وكذلك عرفهم حذيفة بن اليمان، لكن النبي ﷺ أوصى حذيفة بالتكتم على الأسماء تماماً، فألح بعض الصحابة على النبي ﷺ أن يعاقب أفراد تلك المجموعة ويقتصّ منهم، فلم يعدو ﷺ عن الردّ عليهم بذات الجواب «إني أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»^(٣). وهكذا في كل الموارد كان ﷺ حريصاً على سمعة الإسلام من التلّخ بوصمة العنف والقتل والدماء.

نقض الجهود النبوية

إلا أنه بالرغم من كل الجهود التي بذلها رسول الله ﷺ في النأي بالإسلام عن العنف وسفك الدماء، يأبى الطغاة والمجرمون إلا أن يُلطّخوا سمعة هذا الدين بمختلف أشكال العنف والوحشية. فقد بذل ﷺ جهوداً كبيرة لحماية سمعة الإسلام، والحفاظ على الصورة الناصعة لهذا الدين القويم، ولا غرو فهو نبي الرحمة، الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وهو القائل ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(٤).

إلا أنّ هذا الدين العظيم قد تحوّل على أيدي الطغاة الحاكمين والإرهابيين المجرمين في هذا العصر، إلى دين الكراهية والعنف والإرهاب، وليس هناك من

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج ٤، ص ٣٩٧.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٩٠٥) ومسلم برقم (٢٥٨٤).

(٣) جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج ٢٨، ص ١٤٥.

(٤) المستدرک على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، ج ١، ص ٣٥.

كارثة حلّت بالإسلام أعظم من تشويه صورة هذا الدين عبر العالم، فقد تلوّث صورة الإسلام، وسمعة المسلمين بين شعوب العالم، حتى باتت على نحو بالغ البشاعة والسوء، كلّ ذلك نتيجة الممارسات البشعة، والجرائم الوحشية، التي ترتكبها الجماعات الإرهابية المنتسبة زورًا للإسلام، والتي لم يشهد العالم المعاصر لها مثيلاً. إنّ الجيوش الغازية في أفغانستان والعراق وفلسطين المحتلة ارتكبت ولا تزال جرائم كثيرة، لكنها غالبًا ما توارى جرائمها خلف ستار من التعتيم الإعلامي، أمّا الجماعات الإرهابية المنتسبة للإسلام فهي تتفاخر علنًا بارتكاب أفظع الجرائم، وأكثرها وحشية على وجه الأرض، من خلال تصوير تلك الجرائم بأحدث التقنيات السينمائية، وبثها على أوسع نطاق عالمي. فيا ترى، ما الصورة التي سيقدّمها هؤلاء المجرمون للناس عن الإسلام والمسلمين؟

ولعلّ آخر تلك الجرائم هي القتل الوحشي للطيار الأردني (معاذ الكساسبة)، فهذا الطيار العربي المسلم وقع أسيرًا بأيدي هذه الجماعات، ضمن نزاع عسكري له ملبساته، وهذا لا يعني وفق كلّ الاعتبارات بأن يجرد من حقوقه كأسير حرب، فبأيّ مبرر يوضع في قفص حديدي، ويقتل حرقًا بالنار على نحو تقشّر له الأبدان؟ والأنكى أن يقوم هؤلاء المجرمون بتصوير مشهد الحرق وبثه عبر العالم. كما ارتكبت هذه الجماعات في الأسبوع الماضي جريمة أخرى لا تقلّ بشاعة، وذلك بتفجيرهم مسجدًا للمسلمين الشيعة في باكستان، دون أدنى مراعاة لحرمة المسجد والمصلين، فسقط إثر ذلك العشرات بين قتيل وجريح^(١). وكذلك ما تقترفه جماعة بوكو حرام من جرائم في غرب أفريقيا، هذه الجماعة التي يسهل عندها الإقدام على حرق قرى بكاملها، وقتل وتشريد سكانها في العراق، عدا عن الإغارة على المدارس واختطاف بنات الناس، واعتبارهنّ سبايا أو رهائن.

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم السبت ١١ شهر ربيع الثاني ١٤٣٦ هـ الموافق ٣١ يناير ٢٠١٥ م،

السّخرية والخوف من الإسلام نتيجة طبيعية

وبعد، ماذا نتظر من العالم غير النظرة العدائية والتحقيرية للإسلام والمسلمين؟ وهل يستغرب أحد إصدار المجلة الفرنسية «تشارلي ابيدو» عددًا خاصًا يسخر من نبي الإسلام، حتى فاق نشر عددها المكرّس للسخرية من الرسول ﷺ أكثر من ستة ملايين نسخة، نفدت من الأسواق خلال وقت قصير، وهي المجلة التي لم يكن يتجاوز عدد نسخها الستين ألفًا في المعتاد؟ وعند ذلك أيضًا لا يعود مستغربًا، تنامي الحركة المعادية للإسلام والمسلمين في أوروبا، المعروفة بحركة «بيغيدا»، التي تركز نشاطها في التخويف من الإسلام، ودعوة الناس للتظاهر ضدّ الوجود الإسلامي في أوروبا، تحت مبرّر أنّ الإسلام دين إرهاب. ناهيك عن الأفلام والكتب والمقالات التي باتت تنال من الإسلام صراحة، في حملة دعائية معادية، وضعت الإسلام والأمة الإسلامية في محنة لم تشهدها على مرّ العصور.

ضرورة المراجعة السياسية والثقافية

إنّ واقع الحال المزري، بات يستلزم أن تعيد الأمة النظر والمراجعة الشاملة، لأوضاعها السياسية والثقافية والاجتماعية. فالموجة الإرهابية الراهنة إنّما انطلقت من واقع سياسي بائس، تعيشه معظم البلاد الإسلامية، واقع يخيم عليه الطغيان والاستبداد، على نحو أغلق المجال أمام شباب بالأمة، وحال دون أدنى أمل في التغيير، وهذا ما يُفسّر جانبًا من أسباب الاندفاع نحو العنف والإرهاب، ولا نقول ذلك تبريرًا للإرهاب، وإنّما إدانة للواقع البائس الذي بات يخنق الجميع، ويخلق بيئة خصبة للانخراط في الإرهاب.

وكذلك الحال على المستويين الثقافي والاجتماعي، فهناك في موروثنا التاريخي، ورغم كلّ الإنجازات الحضارية للأمة، إلاّ أنّه يبقى تاريخًا ملوثًا ومشوبًا بالقمع والقهر وسفك الدماء. ولعلّ نظرة فاحصة للتراث تكشف عن ارتكابات وفضائح لا نظير لها،

وتكفي في هذا الصدد إطلالة على كتاب (موسوعة العذاب) للباحث عبود الشالجي التي تقع في سبعة أجزاء، وقد خصّص فصلاً كاملاً في الجزء السادس من الموسوعة، لتسجيل حوادث الإحراق بالنار في تاريخ الأمة، المرتكب من قبل بعض الخلفاء والحكام، والأطراف المتنازعة ضد بعضها بعضاً، وقد رصد الباحث من حوادث الإحراق بالنار بين مختلف المتصارعين ما ملأ ثلاثين صفحة من الموسوعة. إلى جانب رصده التاريخي لأساليب التعذيب والتنكيل الأخرى.

ولا نستثني تراثنا الفقهي وما يتضمّنه من آراء وفتاوى تشرع للمعنف، وتشجع على التطرف. فلا تزال هذه الآراء في مصادر المسلمين، يجري تدريسها، وتستقي منها الجماعات الإرهابية زخمها. والحال نفسه مع تفشي العنف الاجتماعي، ولعلّ أبرز مثال على ذلك، العنف الممارس ضد المرأة، فقد تعرّض البنات لأبشع أنواع العنف، ويدفع كثير منهنّ حياتهنّ فيما يعرف بجرائم الشرف، على أيدي أفراد من العائلة نفسها، وعلى نحو بشع في كثير من الأحيان، كلّ ذلك لمجرد إبداء رغبتهنّ في الزواج من شخص لا ترتضيه العائلة، أو بسبب وقوع البنات في الخطأ بإقامة علاقة غير مشروعة. ولا ندري من أعطى هؤلاء الحقّ في الاعتداء وممارسة العنف وصولاً للقتل بحقّ البنات!، في تجاوز فاضح لضوابط الشرع والنظام والقانون، ومصادرة لحقّ السلطة العامة.

وما لم تجرّ الأمة مراجعة شاملة للحالة السياسية والثقافية والاجتماعية القائمة، فستظلّ أجواء الأمة تفرّخ التطرف والإرهاب، وستبقى سمعة الإسلام تزداد تلوّثاً، ويستمر الواقع الإسلامي مضطرباً.

الخطبة الأولى



توثيق الحقوق درءًا للنزاعات

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ
كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

إنّ تداخل المصالح وتشابك الحقوق المادية بين الناس أمر مرتبط بطبيعة الحياة الاجتماعية. وبذلك يغدو من الطبيعي جدًّا أن تكون مستحقّات أحدٍ في عهدة أحدٍ آخر، وأن تكون مصالحه تحت يد غيره، وقد يترك إنسان شيئًا من ماله أمانة أو وديعة عند طرفٍ ما، وقد يقترض آخر مالًا أو يقرض المال لآخرين، ولربما عمل ثالث أجيرًا فتأخرت مستحقّاته، أو أخذ رابع بضاعة من أحدٍ إلى أجلٍ، وعلى هذا النحو يجري التداخل والتشابك في المصالح والحقوق بين الناس.

ويتأسس هذا التداخل على قدرٍ من الثقة اللازمة فيما بين الناس، إذ أنّ غياب الثقة على نحوٍ مطلق يجعل حياة الناس أكثر تعقيدًا. غير أنّ ذلك لا يعني انعدام حالات الجور على حقوق الناس والتعدّي على أمانات بعضهم بعضًا؛ لما في أعماق البشر من نوازع وميول شرّيرة، ربما دفعت إلى إنكار حقوق الآخرين، والحيثف على مصالحهم. ولربما جرى ذلك لا على سبيل العدوان، وإنّما بسبب الغفلة والنسيان، الذين يعتريان الإنسان فينسى حقوق الآخرين التي في ذمّته.

تعزيز القيم وضرورة التوثيق

وفي سبيل حفظ الناس حقوق ومصالح بعضهم بعضًا، أكد الإسلام تعزيز القيم الأخلاقية، وتوثيق تلك الحقوق. فقد ركّز الدين في الجانب الأول على تعزيز القيم الأخلاقية، كالأمانة والورع والوفاء، بغرض الحؤول قدر الإمكان دون وقوع حالات العدوان والجور، غير أنّ تعزيز القيم الدينية وحدها ليس أمرًا كافيًا، لضمان حماية حقوق الناس. لذلك شرع الإسلام الجانب الآخر، وهو المتمثل في توثيق الحقوق خطيًا، متى ما كان لأحدٍ حقٌّ في ذمّةٍ آخر.

قد يتساهل بعض الناس في هذا الأمر اعتمادًا على الثقة وحسن الظن، كما أنّ آخرين ربما يأنفون مطالبة غرماهم لهم توثيق الحقوق، عادّين ذلك تشكيكًا في ذمتهم. والحقيقة أنّ المسألة ليست متعلقة بغياب الثقة، بقدر ما إنّ توثيق الحقوق بين الناس بذاته أمر مطلوب، من الناحية الشرعية والناحية العملية، فقد ينسى أحد الطرفين ذلك الحقّ، أو ربما توفي الشخص المدين فيؤول ذلك الحقّ المطلوب إلى يد طرف ثالث، كالورثة مثلاً، فعندها كيف يثبت صاحب الحقّ حقه أمام الوارثين!.

أطول آية في القرآن الكريم

وقد أولت الشريعة أهمية بالغة لمسألة توثيق الحقوق بين الناس. وبلغ من أهميتها أن خصّص لها تعالى أطول آية في القرآن الكريم، فلا توجد آية أطول من الآية ٢٨٢ من سورة البقرة بدءًا من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، التي غطّت صفحة كاملة أو ما يزيد، وقد تناولت الآية بالتفصيل موضوعًا محددًا وهو توثيق الحقوق وكتابتها. وسردت الآية تسعة عشر بندًا، نعرض هنا لبعضها، وجاء في طليعتها الأمر الإلهي بالكتابة وتوثيق الحقوق، الذي قد يأتي بحكم الواجب في مورد، ومستحبًا في مورد آخر، وجاء في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ والدين هو كلُّ حقٍّ لأحدٍ في ذمّةٍ آخر، فقد يشتري شخص سلعة، ثم

لا يدفع الثمن، عندها يتحول الثمن إلى دين في ذمة المشتري، وبذلك يكون كل حق غير مستوفى هو دين. والدين أوسع من القرض، فالقرض متعلق باقتراض مبلغ معين من أحد، أما الدين فهو كل حق لشخص في ذمة آخر.

كما تحدثت الآية الكريمة عن الكتابة بالعدل، قال تعالى: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾، فالقائم على التوثيق كتابة، ينبغي أن يكون عادلاً وكاشفاً ضمن الوثيقة عن كامل حدود وتفصيل الحق.

وتمضي الآية لتتناول مسألة وجوب إقرار المدين بالدين الذي عليه، بإملائه على الكاتب وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، وذلك لأهمية الإقرار بالدين من طرف المدين شخصياً.

كما أشارت الآية الكريمة إلى جانب آخر وهو لزوم شهادة الشهود على ذلك الدين، قال تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾.

ومضت الآية إلى معالجة حالة التساهل المتوقعة عند بعض الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسَاءَمُوا أَنْ تَكْتُوبَهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾، فالعبرة تكمن في ضرورة كتابة الدين، بصرف النظر عن كونه صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً، وذلك لكي يتعود الناس تسيير أمورهم على نحو منظم.

ويأتي التأكيد الإلهي على توثيق الحقوق بين المتدينين، لغرض بالغ الأهمية، ألا وهو إحقاق العدل وإقامة القسط. حيث تقول الآية: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾، أي أن كتابة الحقوق خطأ تشكل ضماناً للعدل، وحصانة للشهادة، فلا يكتفي عندها الاعتماد على الذاكرة الشخصية المعرضة للعطب والضعف والنسيان والاشتباه، فتضيع حقوق الناس. وعلاوة على ذلك تمثل عملية التوثيق ضماناً لنزع الارتباب وإزالة سوء الظنون، فتشيع بذلك أجواء الاطمئنان المتبادل في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِي الظَّنُّونَ﴾، فتشيع بذلك أجواء الاطمئنان المتبادل في المجتمع، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِي الظَّنُّونَ﴾.

التساهل قد ينتج نزاعات

إنّ منشأ كثير من المنازعات المتعلقة بالمديونيات، هو غياب التوثيق الخطّي بين المتدينين. من هنا ينبغي أن يتجه الجميع نحو التوثيق كتابياً لكلّ حقّ أو مديونية لهم أو عليهم.

وفي هذا السياق وردّ الوجود على تضمين الوصية حقوق الناس الباقية في ذمّة الموصي، حتى لا تضيع حقوق الآخرين. إنّ هذا الأمر الجوهري لا ينبغي أن يعفي أحد نفسه من الالتزام الصارم به، اتّكاءً على صداقة حميمة، أو ركوناً إلى قربي عائلية. بل إنّ ذلك ينسحب أيضاً حتى على الحقوق والديون المترتبة بين الزوجين، أحدهما للآخر، فإذا شاركت الزوجة المتمكنة مالياً زوجها في بناء منزل الزوجية من باب المساعدة والتبرع، فذلك أمر طيّب، ولا نقاش فيه، وعندها لا معنى لتوثيق تلك المساعدة، أما إذا كانت مشاركة المرأة زوجها في بناء المنزل قائمة على أساس اعتبار المنزل الجديد ملكاً مشتركاً بينهما، فهذا يستلزم التوثيق، وتبيان حقوق كلّ طرف، درءاً لأية مشاكل مستقبلية، ولا يجوز للزوج حينها أن يتأبى التوثيق اتّكاءً على الثقة وحسب، فهذا الأمر مرتبط بحقوق الآخرين، والقرآن الكريم يأمر به.

وكذلك الحال مع كلّ أشكال الشراكة بين الأقرباء والمعارف والأصدقاء، فالواجب أن يوثق خطياً كلّ اتفاق أو تفاهم بينهم، فذلك أدعى لتعزيز الثقة، ومنع تسرّب الريب والشك فيما بينهم، والأهمّ أن يضمن الجميع كامل حقّهم غير منقوص.

رسمية الأوامر الإدارية

ومن المسائل الجديدة في هذا السياق، مسألة توثيق الأوامر الإدارية بين الموظفين وأصحاب القرار، داخل الإدارات والمؤسّسات والشركات. إذ يجري في بعض الأحيان اكتفاء الموظف عند معالجة بعض القضايا والأعمال الإدارية المهمة، بالأوامر الشفهية ممن هم أعلى منه، فإذا وقعت مشكلة ما، ربما تنصّل المسؤول المباشر من

مسؤولية إعطاء تلك الأوامر، لتقع المسؤولية كاملة على عاتق ذلك الموظف الصغير، فيدفع الثمن غالباً، لا لشيءٍ إلا لأنه لا يملك ما يثبت تلقيه أمراً رسمياً يبرر به الإجراء المتخذ. وتنسحب ضرورة التوثيق الكتابي للأوامر الإدارية داخل منشآت العمل بين العاملين وأصحاب القرار.

الاحتياط لحماية الحقوق والمصالح

وتتضمن النصوص الدينية الحث على اتخاذ المرء أقصى درجات الحيطة والحذر، لحماية نفسه وحقوقه ومصالحه، من خلال الحرص على التوثيق. ولا يتصورنَّ أحدٌ بأنَّ التساهل في كتابة وتوثيق المعاملات مع الآخرين، أنه بذلك يمارس التسامح، وحسن التعامل مع الآخرين، إنّما على النقيض من ذلك، فهو خلاف ما أمر به الخالق جلّ وعلا من التوثيق والكتابة، ناهيك عن أن هناك نصوصاً دينية تهاجم أولئك المتساهلين في توثيق الحقوق! فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «أربعة لا تُستجاب لهم دعوة... وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ مَالٌ فَأَدَانَهُ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، فَيُقَالُ لَهُ: أَلَمْ أَمُرْكَ بِالشَّهَادَةِ؟»^(١)، ومن الواضح وفقاً لحديث الإمام (عليه السلام) أن المفرطين في توثيق حقوقهم، لا مكان لتبرمهم وشكواهم، حين يُظلمون ويُغلبون على أمرهم، بل هم فوق ذلك معرضون للمحاسبة والعتاب الإلهي. وورد عنه (عليه السلام) أنه قال: «مَنْ ذَهَبَ حَقُّهُ عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ لَمْ يُوجَرَ»^(٢)، حيث بيّن الإمام (عليه السلام) بأن ضياع الحق نتيجة غياب التوثيق أمر لا يثاب عليه الإنسان؛ لأنه تعالى لا يريد للناس أن يتعودوا التسيّب والتساهل في الحفاظ على حقوقهم.

ومما ورد في شأن المحافظة على الحقّ وتجنّب التعرض للغبن، ما رواه أبو هِشَامُ القنَادُ البَصْرِيُّ. قَالَ: كُنْتُ أَحْمِلُ المَتَاعَ مِنَ البَصْرَةِ إِلَى الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَكَانَ رَبِّمَا يُمَاكِسُنِي فِيهِ، فَلَعَلِّي لَا أَقُومُ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى يَهَبَ عَامَّتَهُ، قُلْتُ: يَا ابْنَ

(١) الكافي، ج ٢، ص ٥١١، حديث ٢.

(٢) المصدر نفسه، حديث ٣.

رَسُولِ اللَّهِ، أَجِيئُكَ بِالْمَتَاعِ مِنَ الْبَصْرَةِ تَمَاكِسُنِي فِيهِ - فَلَعَلِّي لَا أَقُومُ حَتَّى تَهَبَ عَامَّتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْمَغْبُونُ لَا مَحْمُودٌ وَلَا مَأْجُورٌ»^(١)، فالإمام عليه السلام كان يماكس الرجل، أي يدفعه لتخفيض أجر التحميل، غير أنه عليه السلام ما يلبث أن يقسم على من هم حوله كل ذلك المال، فلما استفسر الرجل، أوضح له عليه السلام مذمومية تعريض المرء نفسه للغبن، وأن هناك فرقاً بين أن يُغبن الرجل في ماله، وأن يعطيه عن رضى وطيب نفس، فهنا يقع الأجر والثواب.

ومما نقل في هذا الشأن أيضاً: «تَعَاشَرُوا كَالْإِخْوَانِ، وَتَعَامَلُوا كَالْأَجَانِبِ»^(٢)، وذلك لجهة توثيق الحقوق البينية، تجنباً لأية مشاكل مستقبلية، ونأياً عن النزاع والخصومات الاجتماعية. هكذا توجه الشريعة إلى تأكيد دعامتين أساسيتين، وهما: تعزيز القيم الأخلاقية بين الناس، وتوثيق الحقوق بينهم خطياً؛ لغرض حماية حقوق ومصالح كل الأطراف.

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٤، ص ٤٠٢.

(٢) مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، ج ١، ص ١٥٠.



المحسوبيات أخطر ألوان الفساد

كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى أحد عمّاله، وهو الأسود بن قطبة، صاحب جند حلوان: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِي إِذَا اِخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرَ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوَظٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تَنْكَرُ أَمْنَالَهُ»^(١).

هناك مستويان لتحقيق العدالة بين الناس. يتمثل الأول في وجود القوانين والتشريعات العادلة، والآخر في التطبيق العادل لتلك القوانين.

في المستوى الأول، قد يعترى القوانين والتشريعات خلل يجعل منها وسيلة للجور والتمييز بين الناس، وقد تكون التشريعات والقوانين قائمة على أساس تحقيق العدل. وهنا يأتي دور المستوى الثاني المعني بضمان تحقيق العدالة من خلال التطبيق؛ لأن وجود القانون شيء، وتطبيقه شيء آخر، فالحاصل في كثير من البلدان أن هناك ممارسات مخالفة للأنظمة والقوانين، يكون المتنفذون في الأجهزة والدوائر العامة ضالعين فيها، وهذا ما يطلق عليه الفساد الإداري.

إن الأجهزة الحكومية، والمؤسسات العامة، ملك لجميع الناس. لذلك ينبغي أن

(١) نهج البلاغة، من كتاب له عليه السلام رقم (٥٩).

يكون تعامل المسؤولين والموظفين فيها قائماً على أساس العدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، بدون تمييز ولا محسوبيات. وقد أكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كتابه إلى أحد عمّاله هذه المسألة، حين قال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْوَالِيَّ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عَوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ».

فقد يتفق أن يدخل مراجعان على مسؤول في مؤسسة عامة، أحدهما من قبيلته أو منطقته أو طائفته، فيما المراجع الآخر مجرد مواطن عادي، فتجد ذلك المسؤول يقدم من تربطه به علاقة، اتكاءً على الوساطة والمحسوبيات، لتغيب حينئذ كل معايير خدمة المراجعين التي يفترض بها أن تجري على أساس العدالة وطبقاً للقانون.

المناصب بين الكفاءة والمحسوبيات

إن المشكلة الأكبر التي تعاني منها معظم الدول النامية، هي غلبة المحسوبيات في الأجهزة والدوائر العامة. ويتجلى ذلك أولاً في مسألة منح المناصب والمواقع الإدارية، فمن المعروف في كثير من الدول النامية أن مجرد تسلّم الوزير أو المدير منصبه الإداري، فإن ذلك إيذان بأن يمنح هذا المسؤول أبرز المناصب الإدارية لجماعته، من أبناء قبيلته أو منطقته أو طائفته الدينية، في حين يجب أن تسند المناصب على أساس الكفاءة، طبقاً للنظام والقانون، لا على أساس المحسوبيات.

إنّ منح المناصب الإدارية على أساس من المحسوبيات والوساطات، يعود بأضرار فادحة على الوطن. لأنّ هذا المتولي إذا لم يكن صاحب كفاءة، أو أنه كان ضعيف الكفاءة، فإنه بذلك يسيء التصرف، ولن يكون صالحاً لإدارة الشأن الموكل إليه، إضافة لما في هذا النوع من المحسوبيات من زرع للعداوات، والشعور بالغبين والظلم، في أوساط المؤهلين المستبعدين، والمهمّشين والمقصيين، وهذا ليس في مصلحة الوطن.

المحاباة في منح الامتيازات

أما الجانب الثاني لتجليّ غلبة المحسوبيات فيتمثل في منح الامتيازات لفئة دون أخرى من العاملين. فالتكافؤ على المحسوبيات يجري منح بعض العاملين التقييمات العالية والترقيات والعلاوات والانتدابات وفرص الابتعاث، واستثناء المستحقين الآخرين من تلك الامتيازات. وقد يكون بعض من يمنحون تلك الامتيازات، من الكسالى الذين لا يتمتعون بكفاءة تؤهلهم لنيل أدنى امتياز، غير أن القائم على تقييم الأداء الوظيفي أعطى أعلى درجات التقييم لمن لا يستحق. في مقابل ذلك، هناك موظف آخر أكثر كفاءة وفعالية وإخلاصًا في أداء عمله، لكنه يحرم من تقويم الأداء الوظيفي المناسب، ويحرم من الامتيازات المستحقة. وهذا ما يُعدّ ممارسة فاضحة للظلم، ويدخل في باب التشجيع على الكسل، فيغدو عندها من المتوقع أن يتراجع إخلاص الموظف الكفاء، الذي لم يعطَ ما يستحق، سيّما وهو يجد زميله الكسول غير المستحق ينال الامتيازات!.

التمييز بين المراجعين ظلم وفساد

ويتجلىّ الجانب الثالث لحالة المحسوبيات: في حالة التمييز وتباين مستوى الخدمة المقدمة للمراجعين. فإذا كان المراجع تربطه مع المسؤول علاقة من أيّ نوع، كأن يكون من قبيلته أو منطقتة، تربطه به مصلحة فإنّ أموره تسير على أحسن ما يكون، وعلى النقيض من ذلك إذا كان المراجع لا تربطه علاقة بأحدٍ في تلك المنشأة، فإنّ مصير معاملته سيكون تحت عجلة المماطلة والتعقيد في الإجراءات، وهذا شكل من أشكال الظلم والتعطيل لمصالح الناس.

والأنكى أنّ هذه المحسوبيات باتت تطال حتى المنشآت الحساسة التي ترتبط بحياة الناس كالمستشفيات والخدمات الصحية، فالفقير المحتاج لإجراء عملية، والذي لا يملك واسطة، قد لا يجد سريراً في المستشفى، وإذا أراد الحصول على

موعد طبي لتلقي العلاج، فقد لا يجد موعدًا إلا بعد أشهر. أما إذا جاء المراجع الذي لديه واسطة تسنده، فسيكون سرير المستشفى في انتظاره، ولربما وضع في غرفة خاصة، وهذا من أخطر ألوان الفساد.

التدين الظاهري وممارسة الفساد

ولعل أغرب الظواهر المثيرة في مجتمعاتنا الإسلامية، هي حالة الازدواجية الدينية لدى كثير من موظفي الخدمة العامة. إذ من المعتاد أن يخلي الموظفون أماكن عملهم بذريعة العبادة وأداء الصلاة، لكنهم في الوقت عينه يتركون خلفهم عشرات إن لم يكن المئات من المراجعين المنتظرين، علاوة على ممارستهم التمييز بين المواطنين على أساس الوساطة والقرباة والعلاقة بذوي النفوذ، فما قيمة هذه الصلاة التي يؤديها هؤلاء، أو لم يقل تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾؟ أو ليس التمييز بين الناس وتعطيل مصالحهم منكرًا؟ فكيف يوفق هؤلاء بين التزامهم الديني العبادي وبين ممارستهم الفعلية المستنكرة؟

والمؤسف أن مجتمعاتنا الإسلامية هي من أكثر المجتمعات التي تتفشى فيها هذه الأمراض والعلل، حتى إن بعض ضحايا التمييز، وضمن نطاق عملهم وصلاحياتهم الوظيفية، يمارسون هم أنفسهم التمييز بحق غيرهم، وهذه مفارقة غريبة أشار إليها الإمام عليؑ في قوله: «فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ».

كيف يواجه الفساد

ويرجع تفشي حالة الفساد الإداري المحسوبيات في مجتمعاتنا، إلى غياب الأنظمة والقوانين الرادعة. ذلك أن المجتمعات الأقل فسادًا، إنما واجهت هذه الحالة من خلال القوانين الصارمة، إضافة إلى فتح المجال أمام وسائل الإعلام لتمارس دورها في فضح الفساد، وإنشاء المؤسسات الرقابية المستقلة التي يمكن التظلم أمامها،

ويضمن المتظلم حينها انتزاع حقه كاملاً غير منقوص. وهذه الوسائل إما غائبة تماماً في مجتمعات العالم الثالث، أو أنها موجودة لكنها تعاني الضعف وانعدام الصلاحية. لذلك يبقى الفساد معشّشاً في أجهزة الدولة والمؤسسات العامة، في ظلّ انعدام سبل المعالجة لهذه الأمراض.

ينبغي أن يتّخذ الجميع موقفاً حاسماً أمام حالات الفساد، وتعطيل مصالح المواطنين. وأولى الناس بالتحرك لمواجهة الفساد هم ضحايا الفساد أنفسهم. إنّ عليهم ألا يسكتوا عن حقوقهم، بل المطلوب أن يجهروا بمظلوميّتهم، حتى لو لم يجد الواحد والاثنان والمئة منهم إنصافاً في أول الأمر، فإنّ السعي الحثيث، والمتابعة الجادة، لا بُدّ وأن تترك أثرها وتأثيرها. إنّ وسائل الإعلام، والحسابات الخاصة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، لا بُدّ وأن تضطلع بدورها في مكافحة الفساد. خاصّة مع قوة التأثير التي أثبتت جدواها في أكثر من حادثة، ففرضت التغيير والإصلاح، كلّ ذلك شريطة أن تجري الأمور بصورة موثقة وطبقاً للقانون.

وأخيراً، لا بُدّ وأن تفعل المؤسسات المعنية بمكافحة الفساد الدور المنوط بها. فالمؤسسات الرقابية، من قبيل هيئة النزاهة، وديوان المظالم، مدعوة لمضاعفة دورها في مكافحة الفساد، هذا الفساد الذي تعود إليه المسؤولية عن تخلف التنمية في أوطاننا، وإليه يُعزى هدر الميزانيات المليارية.



كيف نستثمر المال قبل

فقدته؟

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٩].

هناك حقيقة مهمة غالبًا ما تغيب عن أذهان البشر رغم إدراكهم ومعايشتهم لها، وهي أنّ كلّ الإمكانيات المادية الموجودة تحت أيديهم، إنّما هي إمكانيات مؤقتة زائلة لا محالة. ذلك أنّه وبالرغم من وضوح كثير من الحقائق أمام الإنسان، إلاّ أنّه يتجاهلها ويتجاوزها، في سلوكه وتعامله، غفلة أو استرسالًا مع الأهواء والرغبات، ومن تلك الحقائق، ما يُعنى بعلاقة الإنسان بما تحت يده من المصالح والمكاسب، من قبيل الثروة والممتلكات والمناصب والجاه. فجميع هذه الإمكانيات، ليست مضمونة الدوام للإنسان، ولا الإنسان مضمون الدوام لها، وإنّما العلاقة بينه وبينها علاقة مؤقتة محدودة، يجهل الإنسان تمامًا وقت نهايتها.

ولا حاجة لمزيد من الاستدلال على حقيقة الافتراق المحتوم بين الإنسان وإمكاناته، لشدة وضوحها. فلطالما رأى الجميع كم أنّ كثيرين كانت تحت أيديهم إمكانيات ثم فقدوها، من الصحة والثروة والمنصب. سيما وقد رأى الجميع في عصرنا الراهن، أشخاصًا كانت بيدهم كلّ وسائل القوة والسلطة والثروة، فإذا بعضهم بات بين عشية وضحاها خلف قضبان السجون، وآخرون باتوا مطاردين يبحثون عن ملاجئ لهم، ليس على صعيد الحكّام وأعوانهم وحسب، وإنّما حتى على مستوى الناس

العاديين من التجار والأثرياء ورجال الأعمال، كما جرى في العراق وسوريا وليبيا، الذين كانوا منعمين إلى أن استعرت مناطقهم بالحروب والاضطرابات، ليضطروا للخروج من مناطقهم، والعيش في الخيام تحت وطأة الحرّ الشديد والبرد القارس، فهؤلاء الملايين من اللاجئين لم يكونوا كلهم فقراء معدمين، وإنما هناك من بينهم من كانوا من الأثرياء والمقتدرين، ولكن دارت بهم عجلة الزمان.

وحتى لو لم تأتِ الحوادث والنكبات على ما تحت يد الإنسان، وبقيت عنده كلّ الإمكانات، فهل يضمن لنفسه البقاء حارسًا عليها إلى الأبد؟ أم أنّ من المحتوم أن يفارقها، ليكون بذلك أمام حتميتين، إمّا أن يذهب المال عنه، أو يذهب هو عن المال.

القلق ليس مطلوبًا بل حسن التصرف

إنّ النصوص الدينية كثيرًا ما تركز على حقيقة مفارقة الإنسان لما تحت يديه. لا لكي يعيش الإنسان قلقًا مضطربًا، فالحياة القلقة خلاف ما أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى القائل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وإنما يأتي استحضار هذه الحقيقة، لكي يحسن الفرد التعامل مع ما تحت يده من إمكانات. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، والخطاب موجّه هنا للراجلين لعالم الآخرة، عند الاحتضار، ونزع الروح عن الجسد، وأول لحظات دخول عالمهم الجديد. فقد جاء الإنسان إلى الحياة الدنيا فقيرًا ضعيفًا عاجزًا، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه مكروهًا، ولا يكسب لها شيئًا، حتى إذا حانت ساعة الخروج منها، يكون في حالة أشدّ من الأولى. فإذا كان في استقباله ساعة ولادته أجواء من حنان الوالدين وعطفهما، حيث الأم الحنون والأب الشفيق، فمن يكون إلى جانبه ساعة يدلى في حفرة يوم موته، أو ليست هذه حالة من الضعف أشدّ وأقسى من الأولى؟ هذا هو المصير الذي ينتظر كلّ إنسان، وهذه هي الحقيقة التي ستصدم كل أحد ذات يوم، حتى لو أمعن في تجاهلها أمداً طويلاً، لذلك فليستعد، وليتهيأ لتلك الساعة.

ينبغي أن يدرك الإنسان أنّ ما تحت يديه ليس ملكية ذاتية له، وإنما هو مخوّل فيه من قبل الله تعالى. لذلك جاء في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الأموال والأموال ليست ملكية ذاتية للإنسان، بقدر ما هي أموال أعطاه الله تعالى التخويل فيها، أي منحه حقّ التصرف فيها. ولا يظننّ أحدٌ أنّ تلك الأموال جاءت عن استحقاق ذاتي، وإنما هو تخويل من الله تعالى له، وفي لحظة ما ينزع منه هذا التخويل، حتى يغدو فجأة غير مخول التصرف في كلّ ما جمع وراكم طول حياته.

إنّ إدراك الحقيقة السابقة على نحو جيّد، يعني أن يبادر الإنسان إلى حسن التصرف في الأموال والممتلكات التي بين يديه. بأن يسرع في الاستفادة منها، وأن يتمتع بالخير الذي أعطاه الله إياه، لا أن يسترسل في اللهث خلف مراكمة الثروة والممتلكات، فيعيش لاهياً بتساعد أرقام أرصدته المالية في البنوك، على حساب استمتاعه بحياته وأمواله. إنّ هذا لا يعني في المقابل أن يتكاسل الإنسان عن كسب الرزق، حيث جاء عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى عَبْدَهُ تَعَبًا فِي طَلَبِ الْحَلَالِ»^(١)، ولكن إذا لم تنعكس هذه الأموال والإمكانات على حياة الإنسان، فما الفائدة منها؟

وإنه ليصدق في بعضهم قول أمير المؤمنين ؓ في البخيل: «يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، وَيُحَاسِبُ فِي الآخِرَةِ حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ»^(٢)، فلا يتمتع هؤلاء بالخير الذي وهبهم الله إياه من جهة، ومن جهة أخرى يحاسبون في الآخرة على كلّ مثقال ذرة من ذلك الخير، وفي المقابل ورد عن الإمام الصادق ؓ: «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُحِبُّ جَمَعَ الْمَالِ مِنْ حَلَالٍ يَكْفُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَقْضِي بِهِ دَيْنَهُ وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ»^(٣) فالإنسان يجمع المال من الحلال لينفقه على نفسه وأهله.

(١) كنز العمال، ج ٤، ص ٤، حديث ٩٢٠٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ٣٣٠.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٣٣، حديث ١.

الاستمتاع بالثروة والخير

هناك نصوص دينية كثيرة تحضّ الإنسان على الاستمتاع بما عنده من الخير. وإلا ما المسوّغ في أن يلهث المرء خلف جمع الأموال والممتلكات على مدار الساعة، ثم لا يستمتع بها، ولا يمتّع بها عائلته والمحيطين به، إنّ التصرف على هذا النحو يأتي مناقضاً لصميم النصوص الدينية، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾، أو ليس في هذا دعوة صريحة لأن يستمتع المرء ويمتّع من حوله بما عنده من الخير؟ وجاء عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إِنَّ عِيَالَ الرَّجُلِ أَسْرَاؤُهُ، فَمَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَلْيُوسِّعْ عَلَى أَسْرَائِهِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ أَوْشَكَ أَنْ تَزُولَ تِلْكَ النِّعْمَةُ»^(١).

أما الأمر الثاني، فإنّ على الإنسان أن يحوّل الثروة غير المضمونة التي بين يديه إلى ثروة مستقبلية مضمونة. فإذا ما كان الإنسان متيقناً من أنه سيذهب عن هذه الثروة أو تذهب عنه، وهناك طرق لتحويل هذه الثروة إلى معين مستقبلي لا ينضب، فلم لا يفعل ذلك؟.

وفي مثال بارز على هذا، ما تمتلكه بعض الدول من صناديق سيادية، يكمن غرضها الأساس في تعظيم الثروات الوطنية لاستثمارها مستقبلاً، وعلى غرار ذلك يستطيع الفرد فعل الشيء نفسه مع ثرواته الشخصية ليستفيد منها دائماً وأبداً، في دنياه وآخرته، وذلك من خلال الإنفاق منها على أمور الخير، وعلى كلّ ما ينفع الناس، ويعمر الحياة، وهذا هو الاستثمار الأمثل للثروة والإمكانات، فذلك ما يهب الإنسان الأجر والثواب من ربّ العالمين، ويبقي له الذكر الجميل بين الناس، أما الحرص الشديد على حفظ المال، فإنّ مصيره الفراق عن مالكة، شاء الإنسان أم أبى، ولطالما رأى الجميع كيف فارق الكثيرون ثرواتهم وممتلكاتهم مرغمين.

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤ ص ٤٠٢، حديث ٥٨٦٧.

الادخار للأخرة

وقد وردت نصص دينية كثيرة تحث الإنسان على حسن التصرف في أمواله حتى تنفعه في دنياه وآخرته. جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لك في مالك ثلاثاً شركاء: أنت، والتلف، والوارث، فإن استطعت أن لا تكون أعجزهم فافعل»^(١)، وورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «خيرُ مالِك ما أعانَكَ على حاجَتِكَ»^(٢)، كما ورد عن الإمام الحسين ﷺ أنه قال: «مالِك إن لم يكنْ لك كُنْتَ لَهُ، فلا تُبقِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لا يَبْقَى عَلَيْكَ، وَكُلُّهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ»^(٣)، إنَّ الإنسان مخيرٌ بين أن يجعل المال في خدمته، أو يصبح هو خادماً وعبداً للمال، فيبذل في توفيره ومضاعفة أرقامه كلَّ وقته وأعصابه، ليخرج في النهاية خالي الوفاض. والحال أنَّ الإنسان هو من يجب أن يسخر المال لخدمته لا العكس. قال أمير المؤمنين ﷺ: «إِنَّ خَيْرَ الْمَالِ ما أَوْرَثَكَ ذُخْرًا وَذِكْرًا، وَأَكْسَبَكَ حَمْدًا وَأَجْرًا»^(٤).

من هنا نخلص إلى أنه في الوقت الذي يشجع فيه الدين الإنسان على الكسب الحلال، فإنه لا ينفك يذكره بحقيقة الفراق الحتمي بينه وبين ثروته وممتلكاته، لا ليحبط معنوياته، وإنما ليدفعه نحو صرف ثروته في المصارف الصحيحة، من خلال التوسعة على عياله وأقربائه، وإفادة مجتمعه، وخدمة دينه، وإحياء القيم النبيلة، ومن دون ذلك لا قيمة للمال والثروة.

(١) كنز العمال، حديث ١٦١٤٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥ ص ١٢.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٨ ص ٣٥٧.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٥٣.



اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا
مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٥].

ينال مفهوم العدالة الاجتماعية قسطاً وافراً من الاهتمام، ضمن أروقة الدارسين والمنظرين، ودوائر صنع القرار عبر العالم. وبمناسبة اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، المصادف للعشرين من فبراير من كل عام، الذي أعلنته الأمم المتحدة سنة ٢٠٠٧، تحت الأمم المتحدة في هذه المناسبة، مختلف الحكومات، ومنظمات المجتمع المدني، ووسائل الإعلام، على طرح وتعزيز مسألة العدالة الاجتماعية، والاجتهاد في الدعوة إليها، وتحقيقها في مجتمعاتهم.

الحقوق وتساوي الفرص

ويتلخص مفهوم العدالة الاجتماعية، في أن تتمتع كل طبقات وأفراد المجتمع بحقوق وفرص متساوية. حيث يمكن أن يطال غياب العدالة الاجتماعية الأفراد تارة، فيعيشون مظلومين مهمّشين، وتارة أخرى ربما أرخى بظلاله القاتمة على فئات اجتماعية واسعة، ليعيش جميع أفراد هذه الفئة حالة من التهميش والحرمان، من حقوقهم الطبيعية.

وبذلك تعني العدالة الاجتماعية أن يعيش الجميع متساوين في الحقوق وفرص

الحياة الحرّة الكريمة، فلا يكون هناك تهميش لأحد، ولا محاصرة أو تقليص لفرصه في التمتع بالحقوق الأساسية في الحياة. كما تعني التوزيع العادل للثروة والموارد، إضافة إلى وجود الضمان الاجتماعي للحالات الخاصة، من شرائح كبار السن، والمرضى، وذوي الاحتياجات الخاصة. فلا يكون هناك في المجتمع فئة أو شريحة أو طبقة، تعاني التهميش والعيش كمواطنين من الدرجة الثانية؛ نتيجة لانتمائها العرقي أو الديني أو الجنسي، وتقتضي العدالة الاجتماعية أيضًا، ألا تعيش فئة في المجتمع حالة من الدونية الحقوقية والاقتصادية، كالنساء، والعمالة الوافدة.

العدالة هدف الأنبياء

إنّ العدالة الاجتماعية بالمعنى الشامل لها، تمثل هدف الرسالات السماوية. ذلك أنّ أنبياء الله لم يبعثوا لإشاعة الأجواء العبادية والروحية في مجتمعاتهم وحسب، وإن كان من صميم مهمتهم الرسالية توجيه الناس نحو عبادة الله، غير أنّ الاستهداف الأساس لهم أن تهىء هذه العبادة الناس لإقامة العدل فيما بينهم، في شتى مجالات الحياة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، فقد جاء أنبياء الله بالبينات لا بالادّعاءات المجردة، وعضدوا رسالاتهم بالأدلة والبراهين، بعيدًا كلّ البعد عن الخرافات والأوهام والشعارات. وشفعوا دعواتهم بالميزان، في إشارة إلى إقامة العدالة بين الناس، الذين هم شركاء جميعًا في هذه الحياة، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَصَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾، لذلك لا يصحّ أن تستأثر فئة بإمكانات وامتيازات الحياة، على حساب الفئات الأخرى.

لا استقرار ولا أمن في غياب العدل

ويمثل تحقيق العدالة ضمانا لاستقرار الحياة الاجتماعية، وأمن الأوطان. حيث إنّ من البديهي جدًّا، إذا ما شعرت فئة بالتهميش على خلفية انتمائها العرقي أو الديني، فإنّ هذه الفئة لا محالة ستتحرك من أجل نيل حقوقها المشروعة، أسوة بباقي الفئات،

وربما اندفعت للخوض في ممارسات تخلّ بالأمن والاستقرار. إنّ توفر العدالة هو عامل رئيس هام لحماية المجتمعات من الاضطرابات، وحالات التمرد، وارتفاع نسب الجريمة، والإخلال بالأمن. وهذا ما التفتت إليه الدول والمؤسسات المتقدمة التي تعتقد، أنّ تفاقم الاضطرابات وتزايد حالات الإخلال بالأمن، المتمثل في ارتفاع نسب العنف والجريمة، ينبغي أن يوازيه البحث الجدي عن الأسباب أولاً، والمرجح أن يكون في طليعتها التهميش، وغياب العدالة الاجتماعية لدى الفئات الضالعة في حالات الإخلال بالأمن، لذلك يمثل محيط التجمعات والأحياء الفقيرة المهمشة، التي تنفّس فيها البطالة والفقر والأزمات، يمثل البؤرة المناسبة والبيئة الحاضنة لمختلف الأزمات.

إنّ معالجة الظواهر السلبية الناتجة أساساً عن غياب العدالة الاجتماعية، لا يكون من خلال الإجراءات الأمنية فقط، وإنما عبر التنمية المتوازنة، ومعالجة مشاكل الناس. إذ إنه ما لم تتم معالجة الأرضية لنشوء الظواهر السلبية فإنّ ذلك نذير باستدامة هذه الحالات، حيث لن يقدم القمع الأمني حلاً جذرياً للمشكلة، كما يمكن أن يتخيّل البعض. ذلك أنّ البيئة الحاضنة ستبقى ولادة لحالات العنف والإجرام، وهذه سنة الحياة في كلّ المجتمعات.

من هنا ينبغي الوقوف على أسباب الاضطرابات المشتعلة في العالم العربي في الآونة الأخيرة. ولعلّ جانباً من الأسباب الرئيسة يكمن في الإخفاق في تحقيق التنمية، واستمرار حالات التهميش والحرمان. وطبقاً للتقارير الدولية، هناك ما يربو على ١٠٠ مليون إنسان في العالم العربي تحت خطّ الفقر، أي إنّ ثلث المواطنين العرب هم من الفقراء، فما المتوقع من هذا العدد الهائل من البشر الذين يرزحون تحت خطّ الفقر، وهم يعيشون في بلدان حباها الله بالثروات والموارد الطبيعية الهائلة، وأليس الحالة المتوقعة هي نشوء ظواهر التمرد وحالات الإجرام والإخلال بالأمن؟ من هنا ينبغي في سبيل الحدّ من هذه الظواهر أن يجري تحقيق التنمية العادلة في البلاد العربية، مقدّمة

لتحقيق الاستقرار، والنأي بشعوبها عن الاضطرابات.

إنّ المسلمين الذين يولون اهتمامًا كبيرًا ببناء المساجد وإقامة العبادات، وإحياء شعيرة الحج، ينبغي أن يعلموا بأنّ الهدف الرئيس من الدين هو إقامة العدل بين الناس. فما الجدوى من إقامة ملايين المساجد في البلاد الإسلامية، في حين يريزح مئات الملايين من المسلمين تحت خطّ الفقر والتمييز والحرمان؟

والمأمول أن يثير الاحتفاء باليوم العالمي للعدالة الاجتماعية، التفكير في تحقيق العدالة، بالالتفات إلى المناطق المهمّشة الفقيرة في بلادنا. لأنّ الأرضية الخصبة لكلّ أشكال التمرد والعنف هي الفقر وغياب التنمية العادلة المتوازنة، وبدون ذلك لن نستطيع السيطرة على الظواهر السلبية التي تهدّد مجتمعاتنا، والهبوط بحالات العنف والتمرد إلى أدنى مستوياتها.

الخطبة الأولى



لا مجال للتنصل أمام الله

﴿وَقَالُوا جُلُودِهِمْ لَمَّا شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا
أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة
فصلت، الآية: ٢١].

يقتضي تحقيق العدالة أن تتاح للمتهم فرصة الدفاع عن نفسه، إذا اتهم باقتراف خطأ، أو ارتكاب جرم. فلا تتقرر العقوبة إلا بعد ثبوت ارتكاب الجرم قطعياً، ذلك أن الأصل القانوني يقول: إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، ليحفظ بذلك حقه في أن تتاح له فرصة الدفاع عن النفس، وإنكار التهمة الموجهة إليه، بحضور محام مختص، يتولى الدفاع عنه، ويكشف الثغرات القانونية في القضية محل النظر، ولو لم يكن بمقدور المتهم توكيل محام يدافع عنه، فإن من مسؤولية المحكمة توفير محام يدافع عنه على نفقة الدولة، كل ذلك بغرض تحقيق أركان المحاكمة العادلة.

محكمة العدل الإلهي

فإذا كان الحال بين البشر على هذا النحو، فكيف سيكون الحال في يوم القيامة، حيث تتجسد هناك أعلى درجات تحقيق العدالة، إذ مع كل ما يحيط بيوم المحشر من أهوال تشيب منها الولدان، إلا أن الله سبحانه وتعالى يتيح للإنسان فرصة الدفاع عن نفسه، ومحاولة تبرئتها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾، ولا يمكن أن يحكم الله تعالى بالعقوبة على الإنسان إلا إذا ثبتت عليه التهمة، واستنفد كل

الحجج والمبررات، حتى لم يعد أمامه مجال للإنكار، فيجد نفسه مقراً معترفاً بجرمه، وهذا هو منتهى تحقيق العدالة.

إنّ من الطبيعي في يوم القيامة أن يجهد المرء في الدفاع عن نفسه والتنصّل من أفعاله. خاصة وهو يرى أهوال يوم المحشر ماثلة أمام ناظريه، ويعاين نار جهنم ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، فيحاول عندها بكلّ طريقة وبأيّ وسيلة أن يتنصل مما اقترف من أفعال ويتبرأ منها، حتى يصل به الأمر إلى أن يحلف بالله بأنه لم يرتكب ذلك الجرم، ولم يقترف تلك السيئة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾، فكما يبالغ الإنسان في الحلف للناس في الحياة الدنيا، رغبة في دفع التهمة عن نفسه، كذلك يفعل أمام خالقه في يوم المحشر.

غير أنّه في مقابل ذلك الحلف المبالغ فيه، تتوفر كثير من الأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة، والجهات المتعددة التي تشهد على الإنسان، فتلزمه الحجة وتفقدّه أيّ قدرة على التنصّل والهروب من تبعات جرمه.

شهادات لا تقبل الرد

وأول شاهد يشهد على الإنسان هو الله سبحانه وتعالى، القائل: ﴿فَالْيَنَّا مَرَجَعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾، فالله سبحانه وتعالى هو أول الشاهدين على أعمال العباد. وعلى اعتبار أنّ الإنسان كان أكثر شيءٍ جدلاً كما ورد في الآية الكريمة، فلربما جادل المرء ربه تعالى حينئذٍ، ولم يقبل شهادته كونه تعالى خصماً له، ساعتئذٍ يأتي سبحانه بالملائكة ليشهدوا على الإنسان، قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، فالسائق والشهيد ملكان يشهدان على الإنسان في يوم القيامة، وجاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان معنى الآية قوله: «سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَىٰ مَحْشَرِهَا وَ شَهِيدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا»^(١)، وقال تعالى في وصف هؤلاء الملائكة:

(١) نهج البلاغة، خطبة ٨٥.

﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، فهم يكتبون كل أفعال الإنسان لاطلاعهم عليها، وهم كالشاهد الثاني عليه بعد الله جل شأنه.

أما الشاهد الثالث الذي لا يملك الإنسان ردّ شهادته، فهو مكان اقرار الذنب، وارتكاب الجريمة. فالأمكنة تشهد على الإنسان أنه ارتكب فيها ما ارتكب، وفعل فيها ما فعل، قال تعالى في شأن الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فأَيُّ فعلِ فعله العبد في أي بقعة من بقاع الأرض، فإن تلك القطعة من الأرض، تأتي يوم القيامة لتشهد لصالح المرء أو عليه. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أَنَّ تَشْهَدَ عَلَيَّ كُلَّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا، يَوْمَ كَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا»^(١).

ثم تأتي بعد ذلك شهادة الزمان، فأَيُّ عملٍ يعمله العبد فهو في إطار زمن معين، هذا الزمن يأتي يوم القيامة شاهداً على الإنسان، وقد ورد عن عليّ أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ يَأْتِي عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا يَوْمٌ جَدِيدٌ وَأَنَا عَلَيْكَ شَهِيدٌ فَقُلْ فِيَّ خَيْرًا وَاغْمَلْ فِيَّ خَيْرًا أَشْهَدُ لَكَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَإِنَّكَ لَنْ تَرَانِي بَعْدَهَا أَبَدًا»^(٢)، فكل ما سبق شهود على الإنسان في يوم الحساب.

أخطر الشهادات

وقد يمعن الإنسان يوم الحساب في انكار أفعاله والتصل منها، فيأتيه الله تعالى بمزيد من الشهود الذين لا قبيل له بردهم. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢٠]، حيث ينطق الله تعالى أعضاء الإنسان فتشهد عليه، أذنه وعينه وجلده. وكما روي أنّ الآية الكريمة نزلت في قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها، فيقولون ما عملنا شيئاً منها، فتشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم، قَالَ الصَّادِقُ ﷺ: «فَيَقُولُونَ لِلَّهِ: يَا رَبِّ،

(١) سنن الترمذي، ج ٥، ص ١١٧، حديث ٣٤١١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٣٢٥، حديث ٢٠.

هَؤُلَاءِ مَلَائِكَتِكَ يَشْهَدُونَ لَكَ، ثُمَّ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا فَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا^(١)، فتشهد جوارحهم، فماذا عسى يقول المنكرون أفعالهم، وقد شهدت عليهم جوارحهم؟. أما عن الكيفية التي تشهد بها الجوارح، فهو ما سيكون على الأرجح من قبيل عرض مشاهد الأفعال نفسها، كما حصلت تمامًا، كما لو كانت على شاشة فيديو، فكما أن الناس باتوا قادرين على تصوير وتسجيل ما يفعلون اليوم، كذلك جميع أفعال البشر لا تزال مثبتة ومسجلة ضمن حيز الوجود منذ الأزل، لولا عجز الناس عن سبل استعادتها، وذلك مدار العديد من البحوث العلمية اليوم، غير أن الله تعالى لا يعجزه شيء.

وإضافة إلى الآية المتقدمة هناك جملة من الآيات الكريمة التي تشير إلى شهادة أعضاء الجسم على الإنسان يوم القيامة. ومنها قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. من هنا جاء التصوير الرائع في دعاء عرفة المروي عن الإمام الحسين (عليه السلام)، تصويره للإنسان حين تحاصره الحقائق في يوم القيامة، فلا يعود يستطيع أن ينكر أو يتنصل من أفعاله قيد أنملة، حيث يقول الدعاء: «فَهَا أَنَا ذَا يَا إِلَهِي بَيْنَ يَدَيْكَ يَا سَيِّدِي خَاضِعٌ ذَلِيلٌ حَصِيرٌ حَقِيرٌ لَا ذُو بَرَاءَةٍ فَأَعْتَدِرْ وَلَا ذُو قُوَّةٍ فَأَتَنْصِرَ وَلَا ذُو حُجَّةٍ فَأُحْتَجَّ بِهَا وَلَا قَائِلٌ لَمْ أَجْتَرِحْ وَلَمْ أَعْمَلْ سُوءًا وَمَا عَسَى الْجُحُودُ لَوْ جَحَدْتُ يَا مَوْلَايَ يَنْفَعُنِي كَيْفَ وَأَنْتَى ذَلِكَ وَجَوَارِحِي كُلُّهَا شَاهِدَةٌ عَلَيَّ بِمَا قَدْ عَمِلْتُ»^(٢).

فليس بمقدور الإنسان التنصل من أفعاله يوم القيامة بأي حالٍ من الأحوال. لذلك من الخير للإنسان أن يتجنب الوقوع في شرك المعصية من حيث المبدأ، وأن ينأى بنفسه عن أي عمل يمكن أن يحاسب عليه أمام الله يوم القيامة. وحيث إن الإنسان يبقى معرضًا لارتكاب الخطأ، فخير له أن يصنّف حساباته مع الله تعالى ومع الناس

(١) المصدر نفسه، ص ٣١٢، حديث ٤.

(٢) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس، ج ٢، ص ٨٣.

في الدنيا، قبل أن يساق إلى المحكمة الإلهية في الآخرة، ما دام الأمر متاحًا لتصفية سائر المتعلقات والحقوق، حيال العباد، وحيال ربّ العباد، ليسحب كلّ الدعاوى المرفوعة ضده، فلماذا يماطل المرء ويسوّف في هذا الأمر إلى أن يجد نفسه في حضرة الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون؟ يوم تتكالب عليه الشهادات والدلائل من كلّ حذب وصوب، فلا يعود قادرًا على الفكّك أو التنصّل من كل ذلك. وما من سبيل إلا بالتوبة إلى الله والإنابة إليه، والخروج من حقوق العباد، حتى يأتي العبد يوم القيامة وهو أبعد ما يكون عن الوقوف في ذلك الموقف الصعب.



الاستنفار لمواجهة

سلوكيات العنف والإجرام

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ نَزَعَتْ مِنْهُمْ الْبَرَكَاتِ وَسَلَطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»^(١).

تتفاوت المجتمعات في مدى الجدّية حيال مواجهة الأخطار. فهناك مجتمعات تأخذ مختلف الأخطار على محمل الجدّ، فتواجهها بمنتهى الحزم والقوة، بمجرد ظهورها على السطح، فيما قد تتأخر مجتمعات أخرى في إدراك الأخطار التي تتهدّدها، ومتى ما أدركت ذلك، لم تبرح مكانها، مظهرة التساهل والتردد في المواجهة، وأخيراً إذا ما قرّرت المواجهة، جاءت قراراتها ضعيفة، محدودة الفاعلية.

تفاوت المجتمعات في مواجهة الأخطار

ويجري هذا التفاوت بين المجتمعات على كلّ الصُّعد. ولتقريب الفكرة، يمكن إجراء مقارنة سريعة حول سبل مكافحة الأمراض الخطيرة في بعض المجتمعات، حيث نجد المجتمعات المتقدمة، وفور اكتشافها الوباء، فإنها تعلن حالة استنفار لمحاصرته، ومنع انتشاره، والوقاية من الإصابة به، والتوجه من ثمّ إلى مراكز الأبحاث

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١٨١، حديث ٢٢.



للقوف على مسببات تفشي المرض، والتوصل للأدوية المناسبة لمعالجته، والبدء في مهاجمة البؤر التي انطلق منها المرض حتى لو كانت خارج أراضيها، تمامًا كما فعلت الولايات المتحدة، بإرسال الأطباء، وعناصر جيشها، لمكافحة مرض إيبولا في إفريقيا.

في مقابل ذلك، تتعامل المجتمعات المتخلفة مع مختلف الأخطار والآفات على نحو من اللاأبالية. وعلى ذات النسق من المقارنة، نجد هذه المجتمعات بالكاد تقف على حقيقة الأمراض والأوبئة التي تضربها، ولو قدر واكتشفت ذلك، فإنها لا بُدَّ وأن تبدد المزيد من الأوقات حتى تقرّر شكل المواجهة، فإذا ما تقرّر أخيرًا مواجهة الوباء، فلك أن تتصور حجم التساهل والتسيب والمماطلة، إلى أن يأخذ المرض مداه في الانتشار.

ولا أدلّ على ذلك من تعامل البيروقراطية الصحية في بلادنا مع فيروس كورونا، الذي راح ضحيته على مدى ٣٣ شهرًا، ما يزيد على ٣٨٨ حالة وفاة، وهو ما يمثل ٤٢ بالمئة من أصل ٩٠٧ مصابين، وفقًا لإحصاءات وزارة الصحة السعودية، ويشير موقع الوزارة على الإنترنت إلى أنّ عدد المتماثلين للشفاء وصل ٤٩٨ حالة، أي نحو ٥٥ بالمئة من إجمالي المصابين.

وكما في الأمراض والأخطار المادية، كذلك هو الحال مع الأمراض الأخلاقية والسلوكية، فالمجتمعات المتقدمة، تأخذ بروز الظواهر الشاذة على محمل الجدّ، وتشعر على المستوى الرسمي والمدني في معالجتها واستئصالها، وعلى النقيض من ذلك في المجتمعات المترهلة والمتراحية، حيث لا تكون ردة الفعل على قدر المسؤولية، وإنّما تكتفي بالتدبّر واجترار الشكوى في المجالس الخاصة، إلى أن تتحول الحوادث الشاذة إلى ظواهر وسلوكيات اعتيادية، وأخبار مكرّرة، فلا تعود تجتذب اهتمام الناس!، وهذا أمر في غاية السوء والخطورة.

حالات العنف والجريمة

ولعلّ من أخطر الأمراض الأخلاقية والسلوكية التي تضرب المجتمع انتشار حالات العنف والجريمة. ومن مظاهرها حالات السطو على المنازل، والمحلات التجارية بغرض السرقة، وتفشي جرائم اختطاف البنات والأطفال، والاعتداء عليهم جنسياً، وشيوع حوادث القتل باستخدام السلاح. هذه الحالات في مجملها وإن كانت لا تزال قليلة في مجتمعنا، لكنها ينبغي أن تدعو المجتمع إلى الاستنفار؛ لأنّ هذه الأمراض السلوكية مرشحة للتوسع والانتشار، ما لم يجرّ مواجعتها، فالمنحرفون ماضون في استقطاب أشخاص آخرين إلى صفّهم، وتوسيع رقعة فسادهم، خاصة في ظلّ الأجواء العالمية التي باتت تفرض نفسها، والظروف الاجتماعية المحيطة، مما يساهم في انتشار الجريمة والفساد.

إنّ إطلالة سريعة على الأرقام والإحصاءات، تكشف جانباً من حجم الكارثة التي يعيشها المجتمع المحلي، جرّاء العنف والإجرام. فقد نشرت صحيفة الشرق السعودية إحصاءً مفاده وجود أربعين سجيناً من أبناء المنطقة في سجن القطيف، يواجهون أحكاماً قد تصل إلى القصاص، لتورّطهم في جرائم العنف والقتل^(١)، وبصرف النظر عن بعض الحالات التي قد يجري تصفيتهم عن طريق الصلح، أو العفو، أو دفع الدية، إلّا أنّ هذا الرقم جرس إنذار!. والأنكى أن تصل بعض حالات العنف إلى مستويات غير مسبوقة في ساحتنا المحلية، مثل إقدام شاب على قتل صديقه، ثم حرقه جثته.

إنّ السكوت عن تفشي حالات العنف، أو التعاطي معها كأخبار عادية، مؤذّنٌ بخطر كبير. وهذا ما حدّر منه رسول الله ﷺ حين قال: «لا يزال الناس بخيرٍ ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت

(١) صحيفة الشرق، العدد رقم (١١٧٩) بتاريخ ٢٥/٠٢/٢٠١٥م.

<http://www.alsharq.net.sa/2015/02/25/1301527>

مِنْهُمْ الْبَرَكَاتُ وَسُلْطَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»، فلا بُدَّ وأن يستنفر الناس ضد الظواهر السيئة من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إنَّ هناك تداعيات وخيمة للسكوت عن تفشّي الانحراف والإجرام في المجتمع، فالمجرم الفرد ربما تحول إلى عصابة إجرامية، وربما حفّز ذلك على قيام عصابات مشابهة ومنافسة، فيصبح المجتمع بمواجهة موجة من التشكيلات الإجرامية المختلفة، التي تحترف العنف والإجرام، وتهدّد أمن وسلامة المجتمع ومستقبل أبنائه. ويكمن أحد جوانب الخطورة، ليس في إمكانية تعرّض الشخص للعنف والاعتداء وحسب، وإنّما في إمكانية انخراط بعض أفراد الأسرة في هذه التشكيلات الإجرامية، سواء كان ابناً أو أخاً أو قريباً، وكم ياترى من عوائل شريفة وأسّر متديّنة تورّط أبنائها في هذه المزالق.

المواجهة الشاملة لسلوكيات العنف

لا بُدَّ من مواجهة مفتوحة حيال تفشّي السلوكيات الإجرامية في المجتمع. ويقتضي ذلك على المستوى الأسري أولاً، أن يجري الالتفات على نحو أكبر لمسلوكيات الأبناء، ذكوراً وإناثاً، بالانفتاح عليهم، وإبلاغهم المزيد من الرعاية والاهتمام، ومراقبة سلوكياتهم، والنأي عن التفلّت من رعاية الأبناء وتركهم إلى الشارع، دون الاهتمام بأيّن ومع مَنْ يمشي هذا الابن أو تلك البنت؟ إنَّ هذا الإهمال لوضع الأبناء والبنات منذر بخطر كبير. ومما نقل لي في هذا الشأن، استدعاء مركز الشرطة أحد الآباء، وعندما سألوه عن ابنه، أجابهم بأنه نائم في المنزل، ولم يكن يدرّ هذا الأب المسكين أنّ ابنه موقوف في الشرطة منذ ثلاثة أيّام!. إننا لا ندعو في هذا المقام للتشديد على الأبناء إلى حدّ يدفعهم إلى ردّ فعل عكسي، لكننا ينبغي في الوقت عينه أن نرفض حالة التراخي والإهمال، التي تصل إلى الحدّ الذي لا تعرف معه العائلة عن مكان تواجد ابنها!. إنَّ على العائلة أن تكون متنبهة إلى سلوكيات أبنائها إلى أقصى الحدود أخذاً في الاعتبار تعقيدات ظروف العصر الراهن.

أمّا الأمر الآخر: فهو ضرورة الاهتمام بالتوعية والتثقيف. إذ إنّه لا بُدّ من تكثيف التوعية، بالاستفادة من مختلف المنابر الدينية، التي ينبغي أن تشغل بالتوعية والتثقيف، حول رعاية الأبناء، وسبل مواجهة الأسرة الأخطار والسلوكيات الشاذة، التي قد تطرأ على الأبناء، عوضاً عن الانشغال بالنزاعات التاريخية المستهلكة، واجترار الصراعات والجدليات العقديّة، التي لم يعد المجتمع يحتاج إليها.

إنّ المسؤولية الأبرز أمام المنابر الدينية، هي الاهتمام بتمتين عرى الأسرة، ومساعدتها على رعاية الأجيال الصاعدة، وتبصيرها إزاء التحدّيات التي تواجهها. وكذلك الحال تسخير وسائل التواصل الاجتماعي، وصناعة الأفلام القصيرة، في مواجهة مختلف السلوكيات والظواهر العنيفة التي تهدّد المجتمع، ولعلّ فيلمًا قصيرًا واحدًا له من التأثير على نفوس الشباب، بما يتجاوز تأثير عشرات إن لم يكن مئات من المحاضرات.

مؤسسات لاستيعاب الشباب

كما ينبغي ثالثًا: أن يجري تسخير جهد المؤسسات الاجتماعية لتصبّ في مواجهة العنف والجريمة. من أندية رياضية، وجمعيات ولجان اجتماعية قادرة على استيعاب الشباب، ولعلّ إطلاقة عجلى على قوائم المتورطين في الجريمة تكشف خلوّها، إلى حدّ بعيد، من أيّ أسماء لعاملين اجتماعيين، ومتعاونين مع مؤسسات اجتماعية، وذلك راجع إلى الأجواء التي يعيشها العامل ضمن المؤسسة الاجتماعية، التي يحقق ضمنها الناشط الاجتماعي ذاته، فضلًا عن الاهتمامات والانشغالات المتعددة التي تسدّ أوقات فراغه، وتستهلك الفائض من طاقته، وهذا ما سيأتي بالتأكيد على حساب التوجّهات الأخرى.

البطالة ترفد الإجرام

أمّا على الصعيد الوطني، فلا بُدّ من معالجة مشكلة البطالة في البلاد، ضمن سياق مواجهة العنف والجريمة. حيث تشير مختلف الإحصاءات إلى أنّ الشباب العاطل عن العمل، القلق على مستقبله، غالباً ما يشكلون بيئة خصبة ومرتعاً للتوجهات الإجرامية. وقد نقلت الصحف المحلية عن مدير إدارة مكافحة السرقات في الأمن العام، قوله إنّ النسبة الأكبر من المتورطين في سرقات المنازل تعود لسعوديين أغلبهم بين عمر ١٩ و ٢٤ عاماً، وأنّ نسبة ٣٦ بالمئة من المتورطين في أعمال السرقة هم من العاطلين عن العمل. وأشارت دراسة أخرى مقدمة من جامعة الأمير نايف العربية للعلوم الأمنية، ونشرتها صحيفة اليوم السعودية^(١)، أشارت إلى أنّ ٦٥ بالمئة من الموقوفين في السجون هم من العاطلين عن العمل. كما أشارت دراسة أعدتها إدارة الموارد البشرية «هدف» إلى أنّ ٧٠ بالمئة من الموقوفين في سجون المملكة هم من العاطلين عن العمل. من هنا، لا بُدّ وأن تؤثر معالجة مشكلة البطالة على الصعيد الوطني، في تجاوز جانب كبير من العنف والجريمة في المجتمع.

وأخيراً لا بُدّ من تعزيز التعاون والثقة، بين الأهالي والمؤسسات الأمنية المعنية بمواجهة الجريمة. ومن ذلك جهاز الشرطة، وإدارة مكافحة المخدرات، سيما وأنّ بعض عناصر هذه الأجهزة يظهرون التهاون والبرود عند تلقي البلاغات الرسمية التي يتقدم بها الأهالي حول تعرّض منازلهم للسرقة، ومع هذا القدر من البرود كيف ستكون نظرة الأهالي لهذه الأجهزة فضلاً عن مدى الثقة والتعاون معها!. والحقيقة أنه لا بُدّ من نشوء علاقة تحكمها الثقة بين الأهالي والأجهزة الأمنية؛ لأنّ هذا ما يصبّ في مصلحة المجتمع وأمن البلد.



الالتزام الديني حياة أفضل

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ١٣ لَهُمُ
الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿[سورة يونس، الآية: ٦٤].

وَعَدَ اللَّهُ سبحانه وتعالى عباده المؤمنين المتقين بالبشرى. والإنسان حين يُبَشِّرُ
من أيِّ أحدٍ بالخير المقبل عليه، يكون ذلك مصدر سعادة وغبطة تدخل على قلبه،
وكَلَّمَا كانت البشارة متعلقة بأمرٍ أكبر، كان أثرها أعظم على نفس الإنسان، وكذلك
الحال حين يكون مصدر البشارة أوثق وأدعى للاطمئنان، سيكون الفرح والسرور
بتلك البشارة أكبر. فكيف إذا كانت البشارة من الله تعالى، وهو القائل سبحانه: ﴿وَمَنْ
أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾،
فإذا كانت البشارة من الله تعالى، فإن مقتضى ذلك أن يأخذها الإنسان مأخذ الجد،
وأن يتفاعل معها على النحو الذي ينعكس على نفسه سعادة وسرورًا واطمئنانًا.

البشرى لمن؟

غير أنه سبحانه وتعالى لم يجعل البشارة الإلهية متاحة لكل أحد، وإنما خصَّها
بصنف معيّن من الناس. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فالبشرى
على نحو خاصٍّ للإنسان الذي يتوفر على القناعة الإيمانية بالله، فمفردة «الإيمان»

الواردة في الآية، تعني توفر العقيدة بالله تعالى داخل نفس الإنسان، إلا أن ذلك ليس كافيًا، ما لم تنعكس تلك العقيدة والإيمان على السلوك الخارجي للفرد، لذلك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، والتقوى هي الالتزام السلوكي بمضمون العقيدة، فمادام الإنسان معتقدًا بأن له ربًا خالقًا، مسيطرًا مهيمنا، منه المبتدأ وإليه المنتهى، فذلك يوجب عليه الالتزام السلوكي بطاعة الله، على نحو الاستمرار والديمومة.

إن الإنسان الذي يتوفر على هذين الأمرين؛ العقيدة الإيمانية بالله، وانعكاسها على سلوكه بالالتزام التقوى، فإن الله تعالى يخصه بالبشرى، لا على نحو التقييد بشيء محدد، وإنما على نحو الإطلاق، بكل أوجه السعادة والخير في الدنيا والآخرة. ويشير منطوق الآية الكريمة إلى أن البشارة المرتقبة للمؤمنين آتية لا ريب في الدارين. وعلى سبيل التحقق في الحياة الدنيا قبل اليوم الآخر.

مصاديق البشارة الالهية

وللوقوف على طبيعة البشارة الإلهية للمؤمنين، يمكن الإشارة إلى عدّة مصاديق. منها ما يمنحه الله تعالى للإنسان المؤمن من طمأنينة تجلّل قلبه، وأمن يظلل نفسه، والشعور بالطمأنينة والأمن النفسي أعظم بشرى يعيشها الإنسان المؤمن في هذه الحياة، فالمؤمن الحقيقي مستقر النفس مطمئن البال، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، وذلك على النقيض من حياة التوجس والقلق والاضطراب التي يمكن أن تكدر حياة البعيد عن الله.

ومن مصاديق البشارة الإلهية، انسجام الإنسان مع الناس من حوله. ذلك أن المؤمن المتقي الملتزم بأحكام الدين، يكون موضع محبة الآخرين وثنائهم؛ لأنه يفيض عليهم فضلًا وإحسانًا وتقديرًا. وقد ورد عن أبي ذرٍّ، أنه قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ لَهُ فَيَحِبُّهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟! قَالَ ﷺ: ذَلِكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(١)، وبذلك تكون محبة الناس مصداقًا من مصاديق البشرى للمؤمنين، وقد سأل زارة الإمام الباقر ﷺ:

(١) وسائل الشيعة، ج ١ ص ٧٦، حديث ١٥، وقريب منه في مسند أبي داود وتفسير ابن كثير.

«عَنْ الرَّجُلِ يَعْمَلُ الشَّيْءَ مِنَ الْخَيْرِ فَيَرَاهُ إِنْسَانٌ فَيَسْرُهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا بَأْسَ، مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ فِي النَّاسِ الْخَيْرُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ صَنَعَ ذَلِكَ لَذَلِكَ»^(١).

وتشير بعض النصوص الدينية إلى أن البشري الموعودة للإنسان المؤمن في الحياة الدنيا، هي ما تكون عند موته، وقبل انتقاله إلى الحياة الآخرة. وهو مفاد الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾. حيث جاء عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا أَحَدُكُمْ حِينَ تَبْلُغُ نَفْسُهُ هَاهُنَا، فَيَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَمَّا مَا كُنتَ تَرْجُو فَقَدْ أُعْطِيَتْهُ، وَأَمَّا مَا كُنتَ تَخَافُهُ فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْهُ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى مَنْزِلِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَقَالُ لَهُ: أَنْظِرْ إِلَى مَسْكِنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَنْظِرْ هَذَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَلِيَّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عليهم السلام رُفَقَاؤُكَ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»^(٢)، وبذلك يفسر الإمام عليه السلام البشري الواردة في الآية الكريمة بأنها ما تكون في آخر مراحل حياة الإنسان في هذه الدنيا، ليجوز للحياة الآخرة، وقد تلقى البشري بالحياة الطيبة في عالم الآخرة.

معطيات الالتزام الديني

وتشير النصوص الدينية إلى أن آثار الالتزام الديني ومردوداته على الإنسان ليست محصورة بالحياة الآخرة وحسب. وإنما تنعكس آثار التدبّر على حياة المؤمن في دنياه قبل آخرته، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، وجاء في آية أخرى قوله تعالى: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾، فالإنسان المؤمن لا بدّ وأن يلقى ثواب إيمانه وتقواه في الدنيا، ثم يحظى بحسن ثواب الآخرة بعد ذلك، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

(١) الكافي، ج ٢ ص ٢٩٧، حديث ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦ ص ١٧٧، حديث ٥.

ومن خير ما ورد في هذا السياق، ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «مَنْ رُزِقَ الدِّينَ فَقَدْ رُزِقَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١)، كما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «وَاعْلَمُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ حَازُوا عَاجِلَ الْخَيْرِ وَآجِلَهُ، شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، أَبَاحَهُمُ اللَّهُ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَفَاهُمْ وَبِهِ أَغْنَاهُمْ. قَالَ اللَّهُ -عَزَّ اسْمُهُ-: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾».

سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ وَأَكَلُوا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، شَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَأَكَلُوا مَعَهُمْ مِنْ طَيِّبَاتِ مَا يَأْكُلُونَ، وَشَرَبُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا يَشْرَبُونَ، وَكَبَسُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَلْبَسُونَ، وَسَكَنُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَسْكُنُونَ، وَتَزَوَّجُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَتَزَوَّجُونَ، وَرَكَبُوا مِنْ أَفْضَلِ مَا يَرَكَبُونَ. أَصَابُوا لَذَّةَ الدُّنْيَا مَعَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَهُمْ غَدَا مِنْ جِرَانِ اللَّهِ يَتَمَنَّوْنَ عَلَيْهِ، فَيُعْطِيهِمْ مَا تَمَنَّوْهُ، وَلَا يَرُدُّ لَهُمْ دَعْوَةً، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبًا مِنَ اللَّذَّةِ. فإِلى هذا - يا عِبَادَ اللَّهِ - يَشْتَأُقُ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَيَعْمَلُ لَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ»^(٢)، وهكذا تثير هذه الكلمات التي تفيض حكمة ملامح الطريق الذي ينبغي أن يسلكه المؤمنون، حتى ينالوا خير وبشارة الدنيا، وحسن ثواب الآخرة.

كما تشير هذه الكلمات من أمير المؤمنين عليه السلام، إلى أن المفترض في حياة الانسان المؤمن، أن تكون في أرقى المستويات، من حيث الاستمتاع بخيرات الدنيا، فهو يأكل ويشرب أفضل المأكولات والمشروبات، ويلبس أفضل الأزياء، ويسكن أفضل المنازل، وتكون حياته الزوجية أسعد حياة.

وهذا التوصيف لحياة المؤمن يغيّر الصورة السائدة، من كون حياة المؤمن في أدنى مستويات الاستمتاع والتلذذ بخيرات الدنيا.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ٤٥٠.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٢٦.



تكریم النبی للزهراء رسالة للآباء

روی أبو ثعلبة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكَعَيْنِ، ثُمَّ يَتَنَّى بِفَاطِمَةَ، ثُمَّ يَأْتِي أَرْوَاجَهُ»^(١).

وورد عن عائشة: «كَانَ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - كَثِيرًا مَا يَقْبَلُ عِرْفَ فَاطِمَةَ»^(٢).

وورد عن عليّ ؑ عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْضَبُ لَغَضَبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا»^(٣).

قدّم الإسلام فاطمة الزهراء ؑ باعتبارها المثال النموذجي للمرأة. وحيث يحتفل العالم بمناسبة يوم المرأة العالمي المصادف للثامن من شهر مارس من كل عام، ينبغي الإشارة إلى المرأة النموذج في تاريخ الإسلام، ألا وهي السيدة الزهراء ؑ، تلك المرأة التي توفرت فيها كلّ صفات الكمال. وعلى غرار ذلك ينبغي أن تسعى كلّ امرأة نحو اكتساب الصفات الفاضلة الكريمة. لقد قدمت الصديقة الزهراء ؑ أفضل أنموذج للبيت العائلي السعيد المحكوم بأجواء الخير والفضيلة والمحبة، إن على مستوى

(١) المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٢، ص ٢٢٥، حديث ٥٩٥.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج ٥ ص ١٧٤، حديث ٦٨٤٧، ومثله في كنز العمال.

(٣) جلال الدين السيوطي، مسند فاطمة الزهراء، حديث ١١٩.

علاقتها بأبيها ﷺ أو زوجها وأبنائها، هذه العلاقة التي ينبغي أن تقرأ كنموذج لما يجب أن يكون عليه البيت العائلي.

النموذج القدوة

كما قدمت الصديقة الزهراء ﷺ أفضل أنموذج للتربية الأسرية للأبناء. فقد تربي على يديها الحسنان اللذان قال فيهما النبي ﷺ: «الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة»، كما ترعرت على يدها العقيلة زينب وأختها أم كلثوم. وبذلك ينبغي لكل امرأة تريد أن تأخذ مكانها في المجتمع والتاريخ، أن تقدم للمجتمع عطاءً على هذا الطريق. إن الصديقة الزهراء ﷺ لم تكن حبيسة منزلها، أو منكفئة على نفسها واهتماماتها الأثوية الخاصة، بل كانت في الطليعة ضمن حركة الرسالة النبوية، منذ نعومة أظفارها، مشاركة في واقعها الاجتماعي العام، كانت مرافقة لأبيها رسول الله ﷺ، في دروب الرسالة وتحمل الأعباء والعناء من المشركين، وكانت تغمره بالحب والحنان، حيث لا يكون معه أحد، فيأتي المشركون ويؤذونه ويلقون على ظهره ورأسه القاذورات وهو ساجد عند البيت الحرام، فتقوم بإماطة الأذى عن ظهر أبيها ورأسه، ولعظيم ما كانت تغمره بعطفها وحنانها، قال عنها ﷺ: «فاطمة أم أبيها»^(١). وتخرج برفقة أبيها ﷺ في المعارك الحاسمة كمعركة أحد، إلى جانب المجاهدين حتى في أحلك الظروف، لتخط بذلك اسمها في تاريخ الرسالة.

ومثلت السيدة الزهراء ﷺ القناة الأبرز لنقل تعاليم الدين من النبي ﷺ إلى نساء مجتمعها. فقد كانت تأخذ عن أبيها أسس وتعاليم الإسلام لتمررها إلى المجتمع النسوي في المدينة المنورة. واستمر الحال بها ﷺ في الوقوف إلى جانب جبهة الحق بعد وفاة أبيها ﷺ، بالتزامها الدفاع عن حقّ بعلمها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، كما دافعت عن حقّها في أرض فدك. وهكذا ينبغي أن تكون المرأة، متوفرة على صفات

(١) أسد الغابة ٥: ٥٢٠، الاستيعاب ٤: ٣٨٠.

الكمال في ذاتها وشخصيتها، ناجحة في إدارة منزلها وأسرتها، متمثلة الأنموذج في التربية الصالحة، والمشاركة الفعالة في بناء المجتمع وتنميته وتطويره. إن علينا، بمناسبة ذكرى رحيل الصديقة الزهراء عليها السلام أن نجلي عن حياتها وسيرتها باعتبارها مدرسة وأنموذجاً للاقتداء، وليست مجرد لوحة فنية للإعجاب، أو حياة معاناة وألم تستدر العواطف والدموع.

دلالات التعظيم النبوي للزهراء

وتظهر النصوص الدينية مدى الاهتمام الذي أولاه النبي صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام. فقد ورد عن عائشة أنها قالت: « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله - كَثِيرًا مَا يُقَبَّلُ عِرْفَ فَاطِمَةَ »، أي رأسها، وتشير نصوص أخرى إلى أنه صلى الله عليه وآله قبل يدها. وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «فِدَاهَا أَبُوهَا»^(١).

إن هذا التعظيم للسيدة الزهراء إنما أراد به النبي صلى الله عليه وآله أن يرسل رسالة هامة إلى الأمة. علاوة على تبين مكانة الزهراء عليها السلام وعظمتها أمام أبناء الأمة، جوهرها ضرورة إغداق المحبة والاحترام والحنان على البنات، بالنظر لحاجة المرأة على وجه خاص لأن تحظى بالاهتمام الكبير ضمن محيطها العائلي. سيما في ضوء ما تعاناه كثير من الأسر في عصرنا الراهن من جفاف عاطفي، حيث يتعب الآباء في بناء المنزل المناسب لأسرهم، ويحرصون على توفير جوانب الراحة لهم، ويهتمون بتوفير سبل المواصلات للعائلة، من توفير السائق والمركبة المناسبة، وتوفير المال والغذاء والكساء المناسب للأسرة، وهذا كله أمر جيد ومطلوب، غير أنه «لَيْسَ بِالْخَيْرِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ»^(٢)، كما يقول نبي الله عيسى عليه السلام.

إن المطلب الأهم لدى كل إنسان، أن يشعر بكرامته، ويحظى بمحبة من حوله، واهتمامهم به. ولو قدر أن يحظى الأبناء بكل وسائل الراحة المادية فستكون كلها

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣ ص ٨٦.

(٢) إنجيل متى ٤: ٤.

عديمة الجدوى، ولن تشبع حاجاتهم الحقيقية، ولن تسدّ النقص والفراغ في نفوسهم، إذا ما بخل عليهم الآباء بالعطف والمشاعر الأبوية. ومن الملاحظ كيف يشتدّ بكاء الطفل الصغير، حتى إذا ما أخذته أمّه إلى صدرها، عادت إليه الطمأنينة والهدوء، وسكن إلى عطف أمه ورعايتها. إنّ هذه الحالة غالبًا ما تلازم الإنسان في أطوار حياته المختلفة، فالإنسان في حاجة ماسّة لمحبة الآخرين وعطفهم واهتمامهم.

إنّ المرأة على وجه الإجمال، زوجة كانت أم بنتًا، في أمسّ الحاجة لإغداق العاطفة والحنان عليها. ويرتكب الآباء خطأ فادحًا، حين يتعاملون مع بناتهم بجفاف، نتيجة الخجل من إظهار مشاعرهم تجاههنّ، أو استسلامًا لغلبة الأعراف والتقاليد، أو للانشغال عنهنّ، ما يجعل البنت تعيش فراغًا عاطفيًا كبيرًا. وجدير بالإشارة هنا أنّ الحاجات العاطفية تختلف في ألوانها ومظاهرها من عصر إلى عصر، ومن زمن إلى آخر، تمامًا كما هو الحال مع المسكن والغذاء والكساء. فكما يوفر الآباء مختلف المستلزمات الأسرية المناسبة لزمانهم الراهن، كذلك الحال مع سبل إظهار العطف والحنان تجاه الأبناء والبنات، الذي ينبغي أن يتناسب مع زمانهم وظروف عصرهم.

تداعيات الجفاف العاطفي في الأسرة

ويتسبب الجفاف العاطفي داخل الأسرة بمشاكل لا حصر لها، في أوساط البنات والأبناء. حيث ينتج حالة من الكبت النفسي لدى الأبناء، ينعكس سلبيًا على نفسيّتهم الداخلية، وعلى سلوكهم الظاهري على حدّ سواء، وقد يأخذهم إلى مسارات خاطئة، كانفتاح البنات على الغرباء من خارج الأسرة، سيما مع توفر سبل الاتصال ووسائل التواصل الاجتماعي. وواضح أن السبب الأبرز لارتداء الكثير من الفتيات على الغرباء هو إبداء الآخرين مشاعر المحبة والتقدير لهن، سواء كان ذلك نابغًا من مشاعر صادقة أو كاذبة، لوجود كثير من المخادعين الذين يبدون مثل هذه المشاعر لاستدراج بنات الناس، والتلاعب بهن، وانتهاك اعراضهن.

وحرّی بالآباء ألا ییخلوا علی بناتهم فی إبداء المشاعر الإنسانیة الدافئة، وأجواء المحبة والاحترام والتقدير لهنّ داخل المنزل، حتی لا یلجئوهنّ للبحث خارج المنزل عمّن یغدق علیهنّ الكلام المعسول ویلبّي حاجتهنّ العاطفیة.

إنّ مردّ هروب الفتیات من منزل العائلة فی كثير من الأحيان هو الفراغ العاطفی الناتج عن افتقادهنّ للدفع الأسری. وعلى المستوى المحلّي، ثمّة تقارير رسمیة تشير إلى هروب ما بین ١٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ فتاة من منازل أسرهنّ فی عموم المملكة سنویاً^(١).

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً أعلى فی إغداق عائلته بأجواء المحبّة.

(١) جریدة الحیة الصادرة یوم الخمیس، ١٦ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٤ م.



لتضمنوا بر آبائكم

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُرُوا
آبَاءَكُمْ تَبَرُّكُمْ أَبْنَاءُكُمْ»^(١).

لا شيء أَدعى لسعادة الإنسان من رؤيته أبناءه يغمرونه بالاهتمام والبر والاحترام. ومردّد ذلك إلى المحبة الفطرية التي تملأ نفس الوالدين تجاه الأبناء، فيكونان أكثر سعادة حين يلمسان التناغم في مستوى الحبّ من طرف الأبناء، سيّما وقد صرفا جلّ عمرهما في سبيل تربيتهم وتنشئتهم، فهما يتطلعان إلى رؤية ثمرة تعبهما، ونتيجة ما بذلا في تربيتهم ورعايتهم. وتتضاعف حاجة الوالدين للبر بهما حين يتقدم بهما العمر، ويكونان في موقع الحاجة للرعاية والعناية، فهما وإن كانا يرحبان بأيّ قدرٍ من العناية المقدمة لهما من أيّ طرف، إلا أنّهما سيكونان في موضع الامتنان للآخرين لتفضّلهم، بخلاف ما إذا جاءت الرعاية من الأبناء، حيث لا يثقل عليهما ذلك على أيّ نحوٍ من الأنحاء، وذلك من منطلق اعتبار رعاية الأبناء للوالدين أمر طبيعي، ومبعث سعادة، ولا يشبه الرعاية الآتية من أيّ جهة أخرى فيها إحسان وتفضل. وهذا هو مردّد تأكيد القرآن الكريم على رعاية الوالدين حين يبلغان مرحلة متقدمة من العمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

(١) المستدرک، الحاکم النیسابوری ج ٤، کتاب البر والصلة، ص ١٥٤.

عقوق الأبناء أكبر صدمة

وكما أنّ برّ الأبناء بالوالدين يمثل أكبر سعادة، فإنّ عقوقهما يمثل أكبر صدمة لهما في الحياة، فقد يتحلّى المرء بقدرة أفضل تجاه تحمّل خسارة المال، أو الإصابة بالمرض، أو عداوة أيّ أحد، بخلاف مواجهة عقوق الأبناء، ذلك لأنّ حالة العقوق تشعر الوالدين بغياب قيمة الحبّ، وانعدام المشاعر الإنسانية، التي يفترض أن يكون البرّ بالوالدين أهمّ مواقعها، فإذا ما فقدت في هذا الموقع، فعندها لا يعود لهذه المشاعر قيمة عند الإنسان. كما يدفع العقوق بالوالدين إلى معاناة ضياع جهدهما، وثمره حيثهما، في تربية الأبناء، بعد أن كانا يعملان عليها طوال عمرهما، فلما جاء وقت قطاف الثمار، فإذا بهما يجابهان بعقوق الأبناء، فحقّ لهما عندها أن يشعرا بأنّهما خسرا كلّ شيء، وأنّ عمرهما ضاع هدرًا.

من هنا جاء التشديد في النصوص الدينية على بشاعة عقوق الوالدين، لما في ذلك من تأثير مدمر على نفسيهما. وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «يُقَالُ لِلْعَاقِّ: اِعْمَلْ مَا شِئْتَ مِنَ الطَّاعَةِ فَإِنِّي لَا أَغْفِرُ لَكَ»^(١)، إنّ عقوق الوالدين كالجريمة التي لا يعود معها أدنى قيمة لأيّ عبادة يتقرّب بها المرء لخالقه. وورد عنه ﷺ أنه قال: «ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّنُوبِ تُعَجَّلُ عُقُوبَتُهَا وَلَا تُؤَخَّرُ إِلَى الْآخِرَةِ: عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ...»^(٢)، إنّ عقوبة العاقّ بوالديه تعدّ من العقوبات العاجلة التي يرتطم بها العاقّ في الدنيا قبل الآخرة، بصرف النظر عن شكل العقوبة المتوقعة وزمانها. وجاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ أَصْبَحَ مُسْخِطًا لِأَبَوَيْهِ أَصْبَحَ لَهُ بَابَانِ مَفْتُوحَانِ إِلَى النَّارِ»^(٣).

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٨٠، حديث ٨٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٧٥، حديث ٥.

(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج ٢، ص ٢٠٢.

كيف نضمن برّ أبنائنا؟

غير أنّ السؤال الأهمّ هنا، هو عن الكيفية التي يضمن من خلالها الإنسان تحقيق السعادة، برّ أبنائه به، وأن يتجنب كارثة عقوقهم له؟

وللإجابة عن السؤال، نشير إلى أنّ هناك عوامل تساعد الإنسان على تجنب كارثة عقوق الأبناء، ويأتي في طليعتها: التوجه بالدعاء لله سبحانه وتعالى، في طلب الصلاح للأبناء، كما ورد في الآية الكريمة على لسان أحد الأنبياء: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾. والعامل الثاني: الاجتهاد في تربية الأبناء، فإذا أحسن الوالدان تربية أبنائهما، فإنّ ذلك سيكون من العوامل الرئيسة التي تجعل منهم أبناءً بررة، ذلك أنّ الولد الذي يحظي بتربية صالحة، سيكون في الأغلب صالحًا بارًّا بوالديه.

أما العامل الثالث لضمان برّ الأبناء، فهو أن يتوفر للأبناء النموذج والتربية العملية على برّ الوالدين. وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «برُّوا آباءكم تبرُّكم أبناءكم»، وذلك بأن يجسّد الأبوان مفهوم برّ الوالدين مع أبويهما، فإذا ظهر هذا السلوك أمام الأبناء، فسيمثل ذلك أعظم درس وتجسيد عملي لمفهوم البر بالوالدين، ما سيحفّز الأبناء لتمثل ذات السلوك مع والديهم. فالأبناء الذين يعيشون في ظلّ أبوين بارّين بأبويهما، يخدمانها ويحترمانها، فإن ذلك سيكون أكبر دافع للأبناء للاقتداء بهما، والسير على نهجهما. في مقابل ذلك، إذا رأى الأبناء والديهما يتعاملان على نحو جافٍ خشن مع أبويهما - أي أجداد الأبناء - فإنّ الأبناء سيتمثلون مستقبلاً ذات السلوك مع أبويهما المباشرين على الأغلب، إذ سيكون هذا السلوك الجافّ مع الوالدين أمرًا عاديًّا، والخشونة معهما شأنًا غير مستقبّح ولا مستبشع في نظرهم.

إضافة إلى أنّ في البرّ بالوالدين مكافأة إلهية. فمتى ما كان الإنسان بارًّا بوالديه، فإنّ الله سبحانه يكافئه بأن يجعل أبنائه بارّين به، وقد يكون ذلك استجابة لدعاء الوالدين بأن يرزق أبنائهم البارّين أولادًا بارّين بهم، فدعاء الوالدين في حقّ الولد مستجاب، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «ثلاث دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ

المَظْلُوم، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»^(١). إنَّ في دعوة الوالدين نعمة كبيرة لا يدركها إلا من يفهمون قيمتها، لذلك تجدهم يبدأون نهارهم باستمطار دعاء الوالدين، من خلال زيارتهما، والسلام عليهما، وتقبيلاً رأسيهما، وخدمتهما، والإحسان لهما، استمطاراً لدعوة صالحة تكون سبباً للتوفيق والخير والرحمة.

تعزير قيمة برّ الوالدين

إنَّ مجتمعاتنا أحوج ما تكون لتعزير قيمة البر بالوالدين. خاصة في العصر الراهن الذي تشعبت فيه انشغالات الأبناء، وطغت عليهم فيه الاهتمامات الذاتية، حتى أنَّ بعضهم ربما لم يعد يرى أبويه مرة في الأسبوع، خاصة إذا كان يعيش في بيت منفصل عنهما، وربما ركن بعض الأبناء إلى التواكل بعضهم على بعض في قضاء أمور الوالدين، حتى تتعطلَّ أمورهما نتيجة ذلك التواكل، في حين ينبغي للأبناء التنافس في خدمة الأبوين وتلبية احتياجاتهما.

ولأننا في زمن ينبغي فيه التأكيد مجدداً على هذه القيمة، فإننا نقدّر عاليًا المبادرة الإنسانية الجميلة «حملة البرّ بالوالدين» التي انطلقت في منطقتنا منذ عامين، إذ من الرائع جداً أن تنبثق في أوساطنا مثل هذه المبادرات المعززة للقيم الإنسانية، وقيم مكارم الأخلاق. وقد أخذت هذه الحملة السنوية المصادفة ليوم ٢١ مارس مكانها، بالتزامن مع مناسبة اليوم العالمي للأمم، ولكونها فكرة رائدة، فقد شقَّت طريقها للاحتفاء بها على مستوى المنطقة الشرقية، على أمل أن تأخذ مداها على مستوى الوطن برمتها، وصولاً للعالمية إن شاء الله.

إنَّ على مجتمعنا إظهار أكبر قدرٍ من التفاعل مع البرامج والفعاليات المصاحبة لهذه الحملة الإنسانية الرائدة، التي تستمرُّ أسبوعاً، لما فيها من الإحياء للمشاعر الإيجابية، التي ينبغي أن نعززها في ذاكرة أبنائنا ومشاعرهم.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، حديث ٣٨٦٢.

إعلام الفتنة وصناعة الأكاذيب

الخطبة الثانية



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ
فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ
﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ
يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾

[سورة الحجرات، الآيتان: ٦-٧].

يمثل نشر الشائعات والأخبار المغرضة، أحد أهم المنافذ لخلق الفتن والنزاعات داخل وبين المجتمعات. لذلك يجب سدّ ثغرات الفتن وإغلاق منافذ العداوات، من أجل تحصين المجتمعات من حالات الشقاق والنزاع، وما لم يجرّ تحصين جدار المجتمع الإيماني والأخلاقي إزاء تلك الثغرات، فإن المجتمع سيكون عرضة للاحتراب، ومن ثمّ التفكك والانهيار. ومن أهمّ تلك المنافذ الخطرة التي تهدد بنيان المجتمع، نشر الشائعات والأخبار المغرضة التي تشحن أجواء كلّ فئة ضد الأخرى، وهناك من يحترف القيام بهذا الدور القذر.

لماذا يتورطون في خلق الفتن؟

ويعود تورّط بعض الأشخاص والجهات في الترويج للشائعات والأخبار المغرضة، إلى عوامل متعددة. ويأتي الانحراف النفسي في طليعة تلك العوامل، ذلك أنّ الإنسان غير السوي، لا شيء عنده أكثر متعة، من إثارة الأضغان والعداوات بين

الناس، لذلك جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾، فقد وصف سبحانه وتعالى المروج للشائعات والأخبار الملفقة بين الناس بالفاسق، أي المنحرف والخارج عن حدود الله سبحانه وتعالى، فهو بانحرافه ذاك غالبًا ما يكون مؤهلاً للتورط في هذه الممارسة القميّة.

وقد يأتي تورط البعض في استهداف الآخرين ورميهم بالشائعات، نتيجة عقد نفسية تعشش في نفوسهم، فلا تجد هذه العقد طريقها للتفجر إلا عبر ممارسة هذه الأدوار، فتجد الواحد من هؤلاء يذهب بعيدًا في زرع الفتن بين الناس.

وقد يكون للبعض مصلحة مباشرة في إثارة الفتن، إذ أن هناك طبيعة الحال قوياً داخل أي مجتمع وخارجه، ربما كانت لها مصالح في إثارة الفتن، لغرض كسب المزيد من الشعبية، وتحقيق الزعامة المتوهمة، فلا يجد بعضهم طريقة أفضل من الظهور بمظهر البطل، والمدافع الصلب عن مصالح الجماعة، أو العقيدة والطائفة، فتراه يبالغ في مهاجمة الأطراف الأخرى، ويحترف اختلاق الشائعات ضدها، رغبة في دغدغة مشاعر الجمهور، واستدراار تعاطفه، فهي الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها لاستقطاب الأتباع، واستمالة النفوس.

الاستهداف الخارجي

ولا ننسى عامل القوى الأجنبية التي تجهد في الترويج للشائعات والأخبار المغرضة، لإضعاف المجتمعات. وذلك في سبيل تحقيق أغراضها الاستعمارية، بإثارة التفرقة وخلق الشقاق، بين الفئات والجماعات المتعددة.

ويأتي كذلك، دور تجار الحروب، في تكريس حالات الشقاق والنزاع حيث يلعب مصنعو السلاح، ووسائل الأمن، والمتاجرين بها، دورًا محوريًا، في إثارة الفتن والنزاعات المسلحة، بغرض خلق الأسواق، وتبرير الترويج لبضاعتهم الفتاكة، والتجهيزات الأمنية، حيث من الطبيعي أن يتجه الناس في أوقات النزاعات لتعزيز

أمنهم الخاص، من خلال تركيب كاميرات المراقبة الأمنية، واستخدام مختلف وسائل الرقابة الخاصة. ولقد بلغ حجم تجارة السلاح في الشرق الأوسط، الذي يعجّ بحالات الفقر والحرمان الذي يطال شعوباً برمتها، سقف المئة وخمسين مليار دولار خلال عام واحد فقط، كل ذلك لأنّ كلّ جهة تستعدّ لمواجهة الجهة الأخرى، وتحصن نفسها في قبالتها. وذلك قائم على اختلاق القوى الأجنبية قدرًا هائلًا من القلق والعداوات بين مختلف الأطراف. ولا نعني بذلك إلقاء كامل المسؤولية على الأطراف الخارجية، لأنّ أرضية النزاع والاحتراب مهیّاة لدى الجميع.

ويشير واقع الحال إلى أنّ إثارة النعرات بين الفئات المختلفة باتت مهمة منوطة بمؤسسات كبرى. تعتمد على خبرات علمية، من خبراء الإعلام وعلماء النفس والاجتماع، الذين درسوا على ما يبدو طويلاً تاريخ الجماعات والفئات المتنازعة، ونقّبوا في كتب التراث لدى الأطراف المختلفة، وبتوا يعرفون جيّدًا، ما يغضب كلّ فئة وطائفة، ويشير حفيظتها على الأخرى. وهذا مما بات واضحًا ضمن الحالة الطائفية المستعرة بين السنة والشيعة، حيث تتردّد في الأوساط قصص وروايات ظلّت طويلاً مدفونة في الكتب القديمة، فإذا بها تبعث من جديد، حتى بات بعض المطلّعين يقولون إنّهم بإزاء روايات غريبة لم يرد لها ذكر فيما سبق من حقب تاريخية، وهذا ما يشير بوضوح إلى وجود ما يمكن أن نصفها بشركات التنقيب في التراث، على غرار شركات التنقيب عن النفط، وغرضها العثور على الأقوال المغرضة، وكلّ ما يسعّر الفتن الطائفية.

التفاعل مع الشائعات

إنّ مما يؤسف له سرعة التفاعل لدى مجتمعاتنا، مع الأخبار الملفقة، والشائعات المغرضة. حتى بات من السهل أن يجري في لحظات - وليس ساعات - تداول مختلف الترهات على نطاق واسع، وانتشارها انتشار النار في الهشيم، سيّما مع توفر الوسائل التقنية، ومواقع التواصل الاجتماعي، فإلى أن يجري تكذيب ذلك جملة وتفصيلاً،

يكون الخبر الملقق قد أخذ أقصى مدياته، دون أن يأخذ تكذيب الخبر المدى المطلوب، ليبقى أغلب الناس مقتنعين بالخبر الكاذب كما كانوا في أول الأمر.

ينبغي أن تتحلى شعوبنا بالوعي واليقظة، إزاء حالات التأجيج الطائفي، القائم أساساً على ترويج الشائعات، وتضخيمها على نحو مبالغ. وتتزايد الحاجة إلى التزام أقصى درجات الحذر، حين تروج الشائعات على خلفية الصراعات بين الفئات المختلفة في هذه المنطقة أو تلك، التي غالباً ما يسبغ عليها اللباس الطائفي عنوة، حتى لو كانت صراعات سياسية محضة، ولا شأن لها بالمذاهب والأديان. فيتحول الصراع السياسي إلى حملة هائلة من التعبئة الطائفية بين أتباع المذاهب الإسلامية، وهذا ما يجري على خلفية الأحداث السياسية المتسارعة في العراق وسوريا ولبنان وأفغانستان وغيرها من المناطق المختلفة. وهناك توليفة إعلامية مغرصة مخصصة لكل ساحة، فقد تأخذ الصبغة الطائفية في مكان، فيما تلبس الرداء القبلي في مكان آخر، وتنزع إلى الطابع القومي في مكان ثالث.

الحصانة ضد إعلام الفتنة

وقد عالج القرآن الكريم أمر الشائعات والأخبار المغرضة، من خلال تعزيز حالة الرفض المطلق لها ولمطلقها. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، فقد أوصت الآية الكريمة المجتمعات بالتزام الحذر تجاه الأخبار مجهولة المصدر، أو المشكوك في مصداقية مصادرها. وتوصي الآية الكريمة بأن يكون التبيين من مصداقية الأخبار سلوكاً أصيلاً في المجتمعات الواعية.

غير أن العكس هو الحاصل غالباً في مجتمعاتنا، نتيجة تهيو النفوس لتلقي الشائعات وتقبلها. ويتضح ذلك جلياً حين يجري التساؤل بشأن شائعة من الشائعات والتشكيك في مصادرها، فتجد أن هناك من يصر على صحة تلك الشائعة، لا لشيء

إلا استنادًا على سوء الظن في الطرف المستهدف من الشائعة، حتى لو لم يكن لها أساس من الصحة. والأنكى حين ينبري أحد لتفنيد تلك الشائعة، فيتهم ويهاجم لأنه بذلك دافع عن الطرف المستهدف بالشائعة. وكأن البعض يريد أن يستمتع بالتضليل والكذب الذي ينهال عليه وعلى الآخرين.

إن الآية الكريمة تدعو لاتخاذ موقف من الأنباء المغرضة والكاذبة لما في تصديقها وترويجها من عواقب وخيمة، لا يفيد معها الندم. وذلك بعد أن يتسبب التضليل والكذب في حرق الأخضر واليابس، تمامًا كما بات يجري اليوم في سوريا وغيرها من البلدان، فهذه الشعوب باتت اليوم تعيش حالة الندم والألم لما آلت إليه أوضاعها، فقد باتوا مشتتين بين نازحين عن ديارهم، ولاجئين بعيدين عن أوطانهم.

ومما تناولته بعض وسائل الإعلام أخيرًا الحالة المؤلمة التي بات يخضع لها سكان مخيم اليرموك على أطراف دمشق، حيث باتوا يقتاتون على الحشائش أيامًا طويلة، نتيجة وقوعهم تحت رحمة الصراع بين الجماعات المسلحة، والجيش السوري، وليس هناك ما ينتظرهم سوى التنكيل أو التهجير والإبادة. وحريُّ بمن يتلقى الشائعات ألا يفرح ولا يشمت بالطرف الآخر، وإنما ينبغي أن يتبصر الأمور، وينظر في مآلاتها، فهذا ما تشدد عليه الآية الكريمة.

القيادات الواعية وتبصير المجتمعات

وتشير الآية الكريمة إلى دور حيوي ينبغي أن تضطلع به القيادات الاجتماعية حيال أمر الشائعات والأخبار المغرضة. فقد جاء في الآية، قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾، وقبل الإضاءة على دور القيادة، ينبغي الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية الكريمة، وذلك أنه عندما بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة ليجبي الزكاة من إحدى القبائل، ونظرًا لما كان بين الرجل وتلك القبيلة من خلاف وثورات قديمة، فقد عاد لرسول الله ﷺ زاعمًا بأن القبيلة رفضت

دفع الزكاة، وأنهم هددوه بالقتل، فاضطرت حينئذ أجواء المسلمين، وقد دعا بعضهم النبي ﷺ إلى السير إلى تلك القبيلة وإعلان الحرب عليها، غير أنه ﷺ رفض الانصياع لتلك الآراء، لمعرفته بالخبر المكذوب الذي اصطنعه الوليد بن عقبة.

من هنا يبرز دور القيادات في كل مجتمع، التي ينبغي أن تكون رزينة متزنة في كل حالاتها، لا أن تقبل كل ما يأتيها من أخبار، وإنما عليها أن تكبح جماح الاندفاع العاطفي القائم على أساس خطأ. ولنا في هذا السياق أحد أروع الأمثلة المعاصرة المتمثلة في المرجع الديني السيد السيستاني، الذي يردده سيل من الأخبار من هنا وهناك، لكننا مع ذلك لم نجده مندفعاً في هذا الاتجاه أو ذاك، اتكأً على أخبار غير دقيقة، وهذا ديدن القيادات الواعية. على النقيض مما نجده من البعض الذين يصعدون المنابر، ويلقون بالترهات، استناداً على مصادر مجهولة، أو ترويحاً لما تلقي به أمواج مواقع التواصل الاجتماعي، فإذا بالواحد من هؤلاء يشحن جمهور المستمعين استناداً على أخبار لا أساس لها.

إن القيادات الاجتماعية الواعية ينبغي أن يكون لها دور محوري، في كبح جماح التوجهات القائمة على الشحن والتعبئة، بين الجماعات والاتجاهات، والطوائف والشعوب، اقتداءً برسول الله ﷺ.

الخطبة الأولى



في عيد الأم.. المجتمع وتقدير دور الأمومة

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
وَهُنَّ عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّالَةٌ فِي عَامَتَيْنِ أَنْ
اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [سورة
لقمان، الآية: ١٤].

تعتبر علاقة الإنسان بوالديه علاقة وجدانية يشعر بها ويعيشها في يوميات حياته. حيث يدرك مدى تعب والديه من أجله، ويبلغ هذا الإدراك مداه إذا ما أصبح أباً أو أمّاً، حيث يدرك على نحو أجلى وأوضح مدى عناء والديه لأجله، لا لجهة ما يتحمّله الوالدان من أتعاب جسدية وحسب، وإنّما لما تفيض به هذه العلاقة من الحبّ والحنان من طرف الوالدين على الأبناء، فيدرك حينها وجداناً أنّ لا أحد في هذه الدنيا، يمكن أن يشفق ويحنّ على الإنسان كما هما الوالدان، وبذلك كان من المفترض ألاّ يحتاج الإنسان إلى من يوصيه بوالديه خيراً.

ولكن لأنّ الإنسان قد يقع فريسة أنانيته، وينشغل بهمومه الذاتية، فيتجاهل الفضل عليه، وما أُغدق عليه من العاطفة والرعاية والعناية، بل ويكفر بذلك كله، لذلك جاءت الوصية الإلهية بالوالدين. إنّ تجاهل الإنسان أفضال والديه عليه هو مصداق من مصاديق الكفر، ذلك أنّ كفر الإنسان تارة يكون بالله، وتارة بجحد أفضال الآخرين عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ وجاءت صفة الكفر هنا في موضع المبالغة، وجاء في آية أخرى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾، أي إنّ كفر الإنسان ربما كان واضحاً

بيناً في العديد من المواضع، ومن ذلك الكفر بالله تعالى والكفر بفضل الوالدين.

هل يمكن مكافأة الأم؟

ونتيجة لما يمكن أن يعتور الإنسان من حالة مرضية أخلاقية، كان أحوال ما يكون للتوصية بالديه. قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا وَفَصَّالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾. وأخذاً بالاعتبار كون الأم هي الأكثر عناءً وتحملاً وبذلاً للحنان على الأولاد، جاءت التوصية الإلهية أكثر تركيزاً عليها، حيث يصف تعالى فترة حمل الأم لجنينها بأنها كانت ﴿وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنًا﴾ أي من ضعف إلى ضعف أكبر، لما يمتص الجنين من أغلب مصادر القوة في جسم أمه، ولما تعانيه من العبء والإجهاد الكثير خلال فترة الحمل، حيث تزيد آلامها يوماً بعد آخر، كلما تقدّمت فترة الحمل، واقتربت ساعة الولادة، فإذا حانت لحظة الوضع أصبحت روح الأم معلقة بين الحياة والموت، حتى مع تقدّم العلم، وتطور سبيل الرعاية الطبية في عصرنا الراهن. فلا يكاد يمرّ يوم واحد إلا ويشهد وفاة ١٥٠٠ امرأة عبر العالم نتيجة المضاعفات المرتبطة بالحمل والولادة، وفق الإحصاءات الطبية الحديثة، وأغلب هذه الوفيات في العالم الثالث، لما لقصور توفر العناية الصحية من أثر في نسب الوفيات^(١).

ويشير تحقيق علمي إلى إجراء أحد المستشفيات، على سبيل التجربة، محاكاة اصطناعية للآلام المصاحبة لمخاض الولادة، فتقدم عددٌ من المتطوعين الذكور لخوض التجربة، فلم يستطع أيٌّ من الذكور المشاركين الاستمرار في التجربة لأكثر من دقائق معدودة؛ نظراً للآلام المبرحة التي انتابتهم. فلنا أن نتصور مدى الآلام التي تتحملها الأمّهات مع كلّ ولادة، فجزى الله الأمّهات كلّ خير.

ويستمر مسلسل المعاناة عند الأم في مرحلة ما بعد الولادة، حيث تسهر الليالي،

(١) صحيفة الاقتصادية. السبت ٢٠ ربيع الأول ١٤٣١ هـ. الموافق ٠٦ مارس ٢٠١٠م، العدد ٥٩٩٠.

وتتحمل ألوان التعب من أجل طفلها، على النحو الذي يشقّ على الرجل تحمّله، فضلاً عن القيام به، خاصة خلال السنّ المبكرة جدًّا من حياة الطفل، حيث البكاء المزعج، وحاجته لأشكال متعددة من العناية، بل إنّ الكثير من الآباء يتّجه إلى غرفة نوم أخرى بعيداً عن صياح الطفل، في حين تتحمّل الأم كلّ ذلك على مدار الأربع وعشرين ساعة. وهكذا الحال عندما يبدأ الأولاد مرحلة الدراسة، حيث أصبحت مسألة المتابعة، واستذكار الدروس، ملقاةً على عاتق الأم في الأغلب، علماً أنه من الناحية الشرعية والقانونية، تقع مسؤولية تربية الأولاد ورعايتهم على عاتق الأب لا الأم، فإذا ما قامت الأمّ بهذا الدور، مدفوعة بفطرة الأمومة التي أودعها الله في نفسها، فذلك تفضّل منها.

لذلك لا يمكن بأيّ حالٍ أن يجازي المرء والدته مهما فعل. ولو قدّم لها ما قدّم من الخيرات، فإنه لن يبلغ ولو جزءاً يسيراً من حقّها عليه. جاء في الرواية أنّ رجلاً كان في الطواف حاملاً أمّه يطوفُ بها، فسأل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أدّيتُ حقّها؟ قال: لا، ولا بزفرةٍ واحدةٍ^(١).

اليوم العالمي للأمّ

وقد وردت في فضل الأمّ وحقّها الكثير من النصوص الدينية. وبمناسبة اليوم العالمي للأمّ المصادف ٢١ مارس، حيث تحتفل بهذا اليوم كثير من المجتمعات، وتزامناً مع هذه المناسبة تحتفل منطقتنا بحملة البر بالوالدين، نورد بعض النصوص. ويكفي منها ما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمّهات»^(٢). وقد نقلوا عن أحد النّسّاك أنه كانت له أمّ طاعنة في السن، وكان كلّما زارها قبّل أقدامها، فاستبطأه إخوانه ذات مرة، فأجابهم قائلاً؛ كنت أتمرّغ في روضة من رياض الجنة،

(١) تفسير ابن كثير، ابن كثير، ج ٣، ص ٣٨.

(٢) كنز العمال، ج ١١، ص ٤٦١، حديث ٤٥٤٣٩.

حيث كنت أقبل أقدام والدتي، والجنة تحت أقدام الأمهات.

وجاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، قال يا رسول الله: من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبك^(١)، وبذلك وضع النبي الأكرم ﷺ برّ الأمّ في منزلة مضاعفة عن البر بالأب، لعظم دورها في الحمل والولادة والرعاية والتنشئة. وجاء عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين ؑ في رسالة الحقوق أنه قال: «أما حقّ أمك فأنت تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحدًا، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يُعطي أحدٌ أحدًا، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحى وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه»^(٢).

شيء من حقّ الأمّ

وبمناسبة الاحتفاء بعيد الأمّ، لا بُدّ أن نشير إلى جوانب لعلّها تؤدّي شيئاً من حقوق الأمّهات. ويأتي على رأسها، ضرورة إبداء أقصى درجات الاحترام للأمّ، عن طريق خدمتها وكسب رضاها، ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً، بمعنى أن يسعى إلى تحقيق الحدّ الأعلى من رضا والدته، لا مجرد كسب ودّها في الحدود الدنيا.

وفي هذا السياق ينبغي ألاّ يتنازل المرء عن أيّ فرصة متاحة لخدمة والديه، حتى لو ظنّ بأنّ غيره من الإخوة والأخوات قد يقوم بالواجب تجاه والديه، وليعلم أنه بذلك يضيّع على نفسه فرصة عظيمة ويفوّت حظاً كبيراً؛ لأنه لم يوفّق لخدمتهما بنفسه، وهل يا ترى لو نال قطعة أرض كبيرة مثلاً، هل كان سيتركها لغيره، أم سيحرص على الاستفادة منها لنفسه؟ كذلك حال الأجر والثواب الآتي من خدمة الوالدين، فلا ينبغي

(١) صحيح البخاري. ج ٤، ص ٨٠، حديث ٥٩٧١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٦، حديث ١.

أن يفوت المرء أدنى فرصة متاحة لخدمتهما.

أما الأمر الثاني، ففي حال فقد الوالدين، ينبغي ألا ينقطع المرء عن زيارة قبري والديه، وألا ينسى الوقوف عند قبر والدته والدعاء لها، وإهدائها ثواب العبادة والصدقات، فإن في ذلك لونا من ألوان البر بالوالدين.

والأمر الثالث، أن يلتزم البر بأقرباء الأم، من الخالات والأخوال وأبنائهم، وسائر الأقرباء من جهة الأم، ويجري الحال نفسه في ضرورة التواصل مع أصدقاء الأبوين، إن البر بهؤلاء جميعاً، والصلة بهم، هو لون من ألوان الإحسان والبر بالوالدين.

تقدير دور الأمومة

ويجب إيلاء دور الأمومة اهتماماً أكبر على الصعيد الاجتماعي. فالأجواء الاجتماعية العامة لا بُد وأن تكون أجواء رعاية واهتمام بالمرأة الأم، بدءاً من الزوج الذي رزقه الله الذرية عن طريق هذه الزوجة، ينبغي أن تزيد مكانتها في نفسه، وأن يضاعف اهتمامه بها واحترامه لها، لما تقوم به من دور كبير تجاه أبنائه، وتحمل عنه أعباء ومشاق لا عد ولا حصر لها، ولا شيء أسوأ وأشدّ قبحاً من أن يهين أحد أم أولاده ويسيء لها معنوياً أو جسدياً أمام أبنائها، فذلك جرح لا يمكن أن يندمل في نفس الأم ونفوس الأبناء على حدّ سواء.

كما ينبغي مراعاة وضع الأمومة على صعيد الإجراءات الوظيفية على المستوى الرسمي. فما يزال مجتمعنا يعيش مشاكل متعلقة بالنساء الموظفات، خاصة منهن أولئك اللاتي يعملن في مناطق نائية، أو بعيدة عن مناطق سكن عوائلهنّ، ذلك أن العناية المتأتية نتيجة البعد عن العائلة يكون على حساب دورها كأمّ ومربية، تنتظرها مسؤولية أخرى داخل المنزل تجاه زوجها وأطفالها، ذلك الدور الذي لا يستطيع أحد القيام به على النحو الذي تقوم به هي، والسؤال: لماذا ما تزال تواجه هذه المشكلة؟ وما تزال بعض الموظفات كالمعلّمات، يكابدن عناء التنقل إلى مسافات بعيدة، للالتحاق

بعملهنّ، بعيدًا عن عائلاتهنّ؟

والحال نفسه ينطبق على ساعات الدوام الطويل، خاصّة في بعض المؤسّسات الصحية، التي يتطلب العمل فيها نوبتي عمل صباحية ومساءية، فكيف نريد لهذه المرأة أن تؤدي دورها على أحسن وجهٍ كأُمٍّ ومربية، ونحن نجبرها على قضاء عشر ساعات أو أكثر خارج المنزل؟ أفلا يستنزف ذلك جُلَّ جهدها وطاقاتها؟ من هنا كان لزامًا إعادة النظر في عدد ساعات العمل، وفي تخفيضها بالنسبة للنساء العاملات، أو في الأحدّ الأدنى إعطاؤهن حقّ الاختيار في العمل بنصف الدوام مثلاً، حتى لا يكون الإلزام بساعات الدوام الطويل على حساب عائلتها، ودور الأمومة المنوط بها، وهكذا في سائر المجالات، حيث ينبغي للمجتمع أن يعرف قدر الأمومة، وأن يحترم هذا الدور الإنساني الكبير.



قال رسول الله ﷺ: «أربع من سعادة المرء: الخلق الصالحون، والولد البار، والمرأة المؤاتية، وأن تكون معيشته في بلده»^(١).

يمثل تحقيق السعادة مطمحًا لكل إنسان، وغاية عند كل الشعوب، ولكن ما هي السعادة، وما مصاديقها؟ وما هي الطرق لتحقيقها؟. لقد شكّل تحديد مفهوم السعادة ميدان اختلاف بين الفلاسفة وعلماء الأخلاق والنفس والاجتماع، منذ قديم التاريخ البشري، الذي يعود إلى عصر فلاسفة اليونان، فهناك من ينظر للسعادة باعتبارها تحصيلًا للملذات المادية، ومقتضى ذلك أنه كلما استطاع الإنسان أن يتوفر على أكبر قدرٍ من الملذات المادية، ففي ذلك تكمن السعادة. من هنا قال أحدهم: إنَّ السعادة تتكون من حساب بنكي مليءٍ، وطاهية ماهرة، وهضم خالٍ من المشكلات.

السعادة في الفهم المعاصر

وفي حين بقي تحديد مفهوم السعادة مختلفًا فيه فلسفيًا واجتماعيًا منذ القدم، نحت البشرية في العصر الراهن إلى تحديد مفهوم السعادة في بعدين؛ البعد الأول: تحقق التنمية والرفاه الاقتصادي، وتوفير متطلبات الحياة، والبعد الثاني: تحسين ظروف البيئة الاجتماعية التي تحترم حقوق الإنسان وتوفر له سبل العيش الكريم.

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٣، ص ٢٩٢، حديث ١٥٣٨٦.

إنّ توفرّ بعدي الرفاه الاقتصادي، وتحسّن ظروف البيئة الاجتماعية، يجعلان الإنسان أقرب لتحقيق السّعادة. هذه السّعادة التي تُعدّ حقًا مشروعًا للجميع، أخذ مكانه في الدساتير الحديثة، كما هو حال الدستور الأمريكي الذي نصّ على أنّ السّعي لتحقيق السّعادة حقّ مشروع للمواطن والشعب الأمريكي.

وفي الوقت الذي نجد العالم يحتفي فيه باليوم العالمي للسّعادة، المصادف للعشرين من مارس، الذي أقرّته الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٢، نجد أنّ شعوبًا بأكملها في هذا العالم، ما تزال تعيش ظروفًا ملؤها التعاسة والشقاء، نتيجة الفقر والحرمان، والاستبداد والظلم، وأعمال العنف والحروب. فهناك شعوب كثيرة، في العالم الثالث خاصة، تعيش الويلات والمآسي، على نحو يرى الناس أنفسهم أبعد ما يكونون عن الشعور بالسّعادة، فكيف لشعب كالشعب السوري مثلاً، أن يشعر أبناءه بالسّعادة، وهم يرون كيف يجري تدمير بلدهم أمام أعينهم، وترتكب أشنع جرائم القتل والتهجير، التي لم تستثن أيّ فئة من فئات الشعب؟ وكذلك الحال في العراق والصومال، حيث عبثت أيدي الإرهاب حتى طالت كلّ المناطق، على نحو لم يعد يأمن الإنسان على نفسه في أيّ مكان، لا في سوق ولا مكان عبادة ولا محلّ ترفيه، تمامًا كما حصل مؤخرًا في الاعتداء على متحف باردو في العاصمة التونسية الذي راح ضحيته نحو ٢٣ شخصًا وأصيب فيه العشرات.

يغامرون بالهجرة هربًا من شقاء أوطانهم

ويكفي النظر إلى ظروف الهجرة الجماعية، للوقوف على حال الفقر المدقع الذي ترزح تحته الكثير من الشعوب. وقد نشرت صحيفة الحياة الصادرة بتاريخ الأربعاء، ١٨ مارس ٢٠١٥م تقريرًا عن حالة المهاجرين الإثيوبيين القادمين للسعودية بطرق غير مشروعة عبر البحر، مستخدمين قوارب مهترئة تلقي بهم على السواحل اليمنية، ليتسنى لهم بعدها التسلل إلى الأراضي السعودية، ويشير تقرير الصحيفة إلى أنّ

هناك ما يزيد على ٤٠٠ مهاجر أثيوبي يصل السواحل اليمنية يومياً، وقد بلغت أعداد المهاجرين الواصلين في العام الماضي وحده أكثر من ١٠٤ آلاف مهاجر أفريقي، جلبتهم عصابات تهريب بشر، تقاضت منهم مبالغ طائلة، لدرجة يضطر معها المهاجر إلى بيع أو رهن كل ممتلكاته في بلده الأصلي، والأنكى أن هؤلاء المهاجرين المعدمين كثيراً ما تعترضهم عصابات الخطف في الأراضي اليمنية، ليبدأ بعدها مسلسل طلبات دفع الفدية من أهاليهم الفقراء، في بلدهم الأصلي، لكي يتسنى بعدها إطلاق سراحهم، ولنا أن نتصور كم يكابد هؤلاء المهاجرون العناء إثر ذلك، ناهيك عن إمكانية أن تعترضهم أجهزة أمن الحدود في اليمن أو السعودية، باعتبارهم متسللين عن طرق غير مشروعة. والحال نفسه يتكرر مع المهاجرين غير الشرعيين إلى أوروبا عن طريق البحر، الذين تتوالى أخبار غرق الآلاف منهم سنوياً. وهذا أسوأ وجوه التعاسة التي تكابدها بعض الشعوب.

إن آثار وشرر التعاسة والفقر والشقاء، التي ترزح تحتها بعض الشعوب، لا بُدّ وأن تترك آثارها على الشعوب الأخرى، وهذا ما يقتضي الحاجة إلى جهد عالمي من أجل الارتقاء بوضع الشعوب الفقيرة، وهي مجتمعات ليست فقيرة من حيث الأصل، حيث تزخر أراضيها بالثروات والإمكانات الطبيعية، لولا السياسات الدولية الجائرة، والسلطات الاستبدادية المحلية، اللتان تكالبتا على خلق حالة الفقر والشقاء لدى هذه الشعوب.

السعادة في المفهوم الديني

وبالعودة للتراث الديني نجد أن هناك طوائف من النصوص الدينية التي تعالج مفهوم السعادة ومصاديقها. فهناك طوائف ثلاث من النصوص.

الطائفة الأولى تتعلق بالبعد الروحي والنفسي، تركز على أن السعادة الحقيقية تكمن في تحقق السعادة النفسية، التي يحوزها الإنسان بانفتاحه على الله سبحانه

وتعالى، والإيمان به، والتطلع إلى ما عنده جلّ وعلا، فذلك ما يوفّر للإنسان الاطمئنان النفسي، وبلوغه حالة الرضا، وهذا تحديداً ما يشير إليه علماء النفس، الذين ينظرون للسعادة باعتبارها نوعاً من تحقيق حالة الرضا، أي أن يعيش الإنسان راضياً في نفسه.

ومما ورد في النصوص، ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «بالإيمان يُرتقى إلى ذروة السّعادة»^(١)، وقال عليه السلام: «السّعيد من استهان بالمفقود»^(٢)، في إشارة إلى وجود صنفٍ من الناس ممن يعيش الحسرة والألم لفقده الشيء، ولشدّة ما يرنو بطرفه إلى ما فقد، فإنه لا يعود يستمتع بما هو موجود عنده، والسّعادة الحقيقية تكمن في أن يستمتع الإنسان بالنعم الحاضرة. إنّ من المشروع جدّاً أن يتطلع الإنسان إلى الأفضل، لكن ينبغي ألا يأتي ذلك على حساب ما هو تحت يديه، عليه أن يعيش الرضا والاستمتاع بما أعطاه الله سبحانه، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عزّ وجلّ»^(٣)، والاستخارة الواردة في الحديث تعني طلب الخير من الله تعالى، لا الاستخارة المتعارف عليها من خلال القرآن الكريم أو باستخدام السّبحة، التي يدور حولهما كلام كثير.

أما الطائفة الثانية من النصوص فهي تتعلق بمسألة التوافق الاجتماعي. ومفادها أنّ من أسباب السّعادة أن يعيش الإنسان في بيئة ومحيط اجتماعي يتوافق معه، فإنه بذلك يحقق ركناً من أركان السّعادة. جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أربع من سعادة المرء، الخلطاء الصالحون، والولد البارّ، والمرأة المواتية، وأن تكون معيشته في بلده». كما ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «خلو الصّدر من الغلّ والحسد

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٤، حكمة ٢٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٦، حكمة ٩٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٤٥٩، حديث ١٤٤٤.

من سعادة المتعبد»^(١).

وتتحدث الطائفة الثالثة من النصوص عن تحقيق السعادة من خلال توفر متطلبات المعيشة. ومن ذلك ما ورد في النص السابق عن رسول ﷺ: «.. وأن تكون معيشته في بلده»، ذلك أن توفر سبل المعاش في بلد الإنسان يُعدّ سبباً من أسباب السعادة، لكونه يوفرّ عليه كثيراً من عناء الهجرة والتغرب، في سبيل طلب الرزق. وجاء في رواية عن رسول الله ﷺ: «من سعادة المرء: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب البهيّ، والولد الصالح»^(٢).

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٠٠، حكمة ٤٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ١٥٤.

الخطبة الأولى



المكاسب المعنوية وحمايتها من الآفات

ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنه قال:
«لكلّ شيء آفة، وآفة العلم النسيان،
وآفة العبادة الرياء، وآفة اللبّ العجب،
وآفة الجود السرف، وآفة السخاء المنّ،
وآفة الغنى البخل»^(١).

يتطلب الحفاظ على المكاسب المعنوية التي يحققها الإنسان توفر الرعاية والصيانة، على نحو لا يقلّ عن رعاية الممتلكات المادية. لما قد يعترضها من الأخطار والآفات التي قد تأتي عليها، ويشمل ذلك كلّ أشكال المكاسب، فالصحة البدنية التي تشكّل أهمّ مكسبٍ في الحياة، لا بُدّ وأن يجري تعاهدها بالرعاية الطبية، وإلاّ أصبح الإنسان عرضة للأمراض والعلل الناتجة عن التعرض للفيروسات المختلفة، نزولاً إلى نظافة المسكن الذي يقطنه الإنسان، والثياب التي يرتديها، والسيارة التي يتنقل بها، والتي تتطلب جميعاً الرعاية والصيانة للحفاظ على نظافتها وكفاءتها، وإلاّ أصبحت عرضة للعطب والفساد، وغير قابلة للاستخدام. وكما المكاسب المادية، كذلك الحال مع المكاسب المعنوية، التي تتطلب بدورها اليقظة والرعاية، وإلاّ كانت عرضة للآفات التي قد تتسلّل إليها.

(١) كنز العمال، ج ١٦، ص ٢٠٤، حديث ٤٤٢٢٦.

المكاسب المعرفية كيف نحفظ بها

لقد تضمنت النصوص الدينية، تنبيهاً مشدداً إلى ضرورة المحافظة على المكاسب المعنوية، والنأي بها عن الآفات. فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان، وآفة العبادة الرياء، وآفة اللبّ العجب، وآفة الجود السرف، وآفة السخاء المنّ، وآفة الغنى البخل»، وأول مكسب يشير له عليه السلام في هذا السياق؛ مكسب العلم، فقد يكتسب الإنسان علماً ومعرفة، وذلك ما ينبغي أن تكون له قيمة عنده، تضاهي قيمة المكتسبات المادية، غير أن هذه المعرفة تبقى في أمس الحاجة للرعاية والصيانة، وإلا تسلل إليها النسيان، فيغدو ذلك العلم وكأنه لم يكن، بعد أن صرف جهداً كبيراً في نيّله وتحصيله.

ولا حاجة للتذكير هنا بوجود أساليب وسبلٍ يحافظ من خلالها الشخص على معلوماته المدخرة. ومن ذلك اعتماد أسلوب التوثيق والكتابة، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا»^(١)، وهذا ما يعتمد عليه النابهون دائماً، الذين يسارعون لكتابة كل فائدة معرفية يكتسبونها في هذا المورد أو ذاك. وعلى النقيض من ذلك تجد آخرين، يفتقدون لهذا التوجه تماماً، فهم أبعد ما يكونون عن توثيق معلوماتهم ومعارفهم، التي سرعان ما تضيع وتذهب أدراج الرياح. وعلى غرار ذلك يأتي استحضار العلم في سبيل الحفاظ عليه، وأقرب مثال على ذلك، أولئك الذي يتعبون أنفسهم في اكتساب لغة أجنبية، لكنهم سرعان ما ينسون الكثير منها، نتيجة عدم استحضارها، من خلال ممارستها تحديثاً وقراءةً وكتابةً.

ومن الوسائل الكفيلة بالحفاظ على المعرفة، ما يتعلق بثبها ونشرها. وقد ورد عن الامام عليّ: «زكاة العلم نشره»^(٢)، وذلك ما يعني الحرص على نشر العلم وبثه بين الناس. ومما نقل عن المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي: أنه سئل ذات مرة عن

(١) الكافي. ج ١، ص ٥٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢٢، حكمة ١٦.

سبب حفظه واستحضاره القصص والإحصاءات، والمعلومات المهمة في مختلف أحاديثه، وعلى نحو مثير، فأرجع السبب إلى أنه يتعمد تكرار سرد أيّ معلومة مهمة يتحصّل عليها، فإذا ما نقل له شخص أيّ معلومة مهمة، تحصّل عليها أثناء سفره لبلاد متقدمة، فإنّ السيد كان سرعان ما يقوم بتدوير هذه المعلومة في جلساته اللاحقة، كما يدمجها ضمن كتاباته، وعلى هذا النحو كانت المعلومة تزداد رسوخاً عنده. من هنا، إذا أدرك الإنسان أنّ آفة العلم النسيان، فإنّ عليه أن يجاهد للحفاظ على معارفه المختلفة من هذه الآفة حتى لا تضيع منه.

متى يتحقق الرياء؟

ويتناول الإمام عليّ عليه السلام في كلمته آفة أخرى وهي آفة الرياء الذي قد يتلبس العابدين. حيث يقول عليه السلام: «.. وآفة العبادة الرياء»، حيث من الجليّ أنه ولكي يتقبّل الله أعمال العبد يجب أن يتوفر فيها شرط الإخلاص، سواء كانت صلاة أو صوماً وحبّاً وعمرة أو إنفاقاً في سبيل الله. وذلك ما يقتضي أن يحذر الإنسان من غواية الشيطان على نحو يصرف العبادة برمتها إلى تحصيل السمعة، ما يعني ضياع تلك العبادات وتبديد ثوابها، والأنكى زوال أيّ تأثير وانعكاس لتلك العبادة على النفس، والسلوك والأخلاق. ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لابن مسعود: «يا بن مسعود، إياك أن تظهر من نفسك الخشوع والتواضع للآدميين وأنت ما بينك وبين ربك مصرٌّ على المعاصي والذنوب»^(١)، ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إياك والرياء، فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له»^(٢).

وينبغي أن نقول إنّ ذكر الناس على نحو الإجلال للقائم بعمل الخير، أمرٌ لا علاقة

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٠٩.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٢٩٣.

له بالرياء. ذلك أن المعنى المحدد للرياء هو قيام الفرد بعمل الخير قاصداً به نيل الإعجاب، وتحسين السمعة بين الناس. وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسره ذلك؟ قال عليه السلام: «لا بأس، ما من أحدٍ إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»^(١)، إنه ما دام قد أنجز العمل خالصاً لوجه الله فلن يضره أن يرتاح إن علم الناس بذلك فذكروه له بخير، فالفرح بذلك من صميم الطبيعة البشرية.

على الأذكياء أن يحذروا العُجب

ومن الآفات الممقوتة التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام؛ العجب. حيث قال عليه السلام: «.. وآفة اللبّ العجب»، والمقصود باللبّ هو العقل، وكلّ ما يرتبط به من فكرٍ ورأيٍ وفطنةٍ وذكاء. إذ يُعدّ امتلاك الإنسان عقليةً وقادةً مكسباً كبيراً دون شك، غير أن هناك آفة يمكن أن تتسلل للإنسان الفطن، وهي آفة الإعجاب بالنفس، بآلٍ يبقى هناك - بنظره - من هو أكثر فهماً وفطنةً منه، فلا تعود آراء الآخرين تعني له شيئاً، وفي هذه الحالة يصبح العجب بالنفس آفة قاتلة. من هنا على الإنسان الذي أنعم الله عليه، بالقدرة العقلية المميزة، وحدة الذكاء، ونضج الرأي، ألا يفترط بهذا المكسب، نتيجة تسلل آفة العجب إلى نفسه. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أعجب برأيه هلك»^(٢)، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإعجاب يمنع من الازدياد»^(٣)، حيث لا يعود المعجب بذاته يشعر بالحاجة إلى البحث، والتقصّي، والتشاور، والاستضاءة بآراء الآخرين. وعلى النقيض من ذلك وردت نصوص دينية تحثّ الإنسان على الاستفادة من آراء الآخرين مهما كان مستواه ورأيه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «حقّ على

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٢٠.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦، حكمة ١٢٠.

العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء وأن يضمّ إلى علومه علوم الحكماء»^(١). وقد وضع الإمام الصادق عليه السلام معياراً لمعرفة الإنسان نفسه ما إذا كان مصاباً بالعجب أم لا، وهو الاعتراف بفضل الآخرين أو إنكاره. فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «من لا يعرف لأحد الفضل فهو المعجب برأيه»^(٢)، فالمصاب بحالة العجب هو ذلك الذي لا يقيم وزناً للآخرين، ولا يعدّ رأيهم شيئاً أمام رأيه. وحقيقة الأمر أنّ البعض قد يكون عنده درجة متفوقة في جانب من الجوانب، غير أنّ ذلك لا يلغي تفوق الآخرين عليه في جوانب أخرى، وقد ينظر للأمر من زاوية معينة، فيما يتناوله الآخرون من زوايا أخرى مختلفة، فإن لم يفكر الإنسان على هذا النحو من سعة الأفق، فهو أقرب ما يكون من الإصابة بآفة العجب.

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام إنما أراد بوصاياه تلك أن يحرص الإنسان المؤمن على الحفاظ على مكاسبه المعنوية، وأن يحذر من تسلل الآفات ونقاط الخلل إليها، تماماً كما يحذر من تسلل الآفات إلى مكتسباته وممتلكاته المادية.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٣٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣١٦.



خدمة الناس شرف ومثوبة

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
«المؤمنون خدم بعضهم لبعض. فسأله
أحد أصحابه: وكيف يكونون خدماً لبعضهم
لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضاً»^(١).

تكشف طبيعة الحياة الاجتماعية لبني البشر عن مدى حاجة بعضهم لبعض الآخر. حيث لا يمكن أن يستغني إنسان عن مساعدة الآخرين، ولا يستطيع أحد أن يستقل بحياته تماماً عن سائر الناس، وقد قدر سبحانه وتعالى أن تسير الحياة على هذا النحو، لتنمو في نفوس الناس قيم الخير والإحسان والمشاعر الإيجابية، ولتكون محكاً للابتلاء والامتحان، وسبباً لتوثيق علاقة الناس بعضهم ببعض. ذلك أن شعور الإنسان بالحاجة لنظرائه من بني البشر، يشكلّ بحدّ ذاته دافعاً للاقتراب منهم، وتوثيق الصلة معهم. لكننا مع ذلك، نجد أن هناك أنماطاً مختلفة من الناس على صعيد التعامل مع غيرهم.

من يُلقى كلّهُ على الناس

فهناك النمط الاستغلالي، الذي لا يضيره أن يلقي بكّله على الآخرين، من الأقرباء والأصدقاء والمعارف والمتجاوبين معه، نظراً لتكاسله عن توفير حاجاته مع قدرته

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٦٧، حديث ٩.

عليها، لا لشيء إلا لاعتياده الاعتماد على غيره، في توفير احتياجاته، وهذا النمط من التعامل غير مرغوب شرعاً ولا عقلاً.

لا ينبغي للإنسان أن يلقي بأعبائه على الآخرين، استغلالاً لهم، حتى لو كانوا من أقرب الناس إليه. ذلك أن الاعتماد على النفس في تلبية الحاجات هو الأولى والأفضل من مدّ اليد للآخرين. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «استغنوا عن الناس، ولو بشوص السواك»^(١)، في إشارة منه ﷺ إلى أن ممارسة بيع السواك والعيش مستغنياً عن الآخرين، هو خير وأفضل من طلب الحاجة من الناس. وورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعزة، ومذهبة للحياء»^(٢)، وورد عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال: «التقرب إلى الله بمسألته، وإلى الناس بتركها»^(٣)، ويوضح الإمام ﷺ أن الوسيلة المثلى للتقرب إلى الله تعالى، هي الدعاء والطلب وسؤال فضله في مختلف المجالات، وعلى النقيض من ذلك إذا أراد المرء التقرب من الناس، فإنّ عليه ألاّ يثقل عليهم بشيء من الطلبات؛ لأنّ ذلك ينفرهم ويبعدهم عنه. ومما روي أنّ جماعة من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ أن يضمن لهم الجنة، فاشتراط عليهم ﷺ ألاّ يسألوا أحداً شيئاً، فكان الرجل منهم يسقط سوطه وهو على دابته، فينزل حتى يتناوله، كراهية أن يسأل أحداً شيئاً، وتجنباً لمزاحمة من هم حوله^(٤). وفي رواية أخرى قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله، علّمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنة، قال ﷺ: «لا تغضب ولا تسأل الناس شيئاً»^(٥).

ومما ذكر في سيرة أحد العلماء، أنه كان من الحرص على الاستغناء عن الآخرين، إلى درجة لم يكن يترك ترتيب فراش نومه على زوجته، ولا غسل أواني طعامه، فقد كان

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧١، حديث ١٧٥٩.

(٢) وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٤٤٤، حديث ١٢٤٥٤.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٢، حكمة ٤٣٦.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٥٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٧٨.

يقوم بالحدّ الممكن من رعاية أموره، وحتى الصغير من شؤونه، وهذا خُلِقَ سام يستحق الاقتداء. فإذا لم يستطع الإنسان أن يكون في أعلى حالات الاستغناء عن الآخرين، فإنّ عليه أن يسعى بالمقدار الممكن لأن لا يكلف أحدًا بشيءٍ، فضلًا عن أن يستغلّهم.

يبخلون في مساعدة الآخرين

وهناك نمط آخر من الناس، هم أولئك الذين لا يتفاعلون مع حاجات الناس مع قدرتهم على تلبيتها. وأمثال هؤلاء غالبًا ما يضربون صفحًا عن الناس، لو سألوهم حاجة، أو طلبوا منهم أبسط خدمة، وقد ذكر المفسّرون في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾، أنّ الماعون هي المعونة القليلة، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية، أنه قال: «هو القرض يقرضه والمعروف يصطنعه ومتاع البيت يعيره»^(١)، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من منع الماعون جاره، منعه الله خيره يوم القيامة، ووكله إلى نفسه، ومن وكله إلى نفسه فما أسوأ حاله»^(٢). على الإنسان أن يتفاعل مع حاجات الناس، من سائل عن الطريق، أو مسافر متعطّل، أو طالب حاجة، مع الأخذ في الاعتبار ظروف ومحاذير كلّ حالة بمفردها.

أمّا النمط الثالث، فهم أولئك الذين يتفاعلون مع حاجات الناس، ويمدون يدّ العون، ويبدلون المساعدة للآخرين. وهذا أعظم مكسب يمكن أن يحظى به الإنسان، لما فيه من الأجر والثواب، وتكريس لحالة النبيل في النفس، وتنمية للمشاعر الإيجابية. جاء في الرواية، أنّ رجلاً ذُكِرَ عند النبي صلى الله عليه وآله، فقيل له خير؛ قالوا: يا رسول الله، خرج معنا حاجًّا، فإذا نزلنا لم يزل يهّلل الله حتى نرتحل، فإذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله حتى نزل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن كان يكفيه علف دابّته، ويصنع طعامه، قالوا: كلنا، قال: «كلكم خير منه»^(٣)، إنّ المطلوب أن يتحلّى المرء بالهمّة والنشاط والأريحية، في حلّه

(١) الكافي، ج ٣، ص ٤٩٩، حديث ٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٤.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٥٩.

وترحاله، وهذا خلقٌ راقٍ يتميِّز به الناس الذين يباشرون خدمة غيرهم عند كلِّ محفل وتجمع، ويبادرون في مساعدة كلِّ محتاج. إنَّ التحلي بهذه الروحانية والخلق الجميل، يُعدُّ من أعظم مكارم الأخلاق وأنبهائها، وهو مما ينبغي للإنسان أن يتوفر عليه.

يخدم بعضهم بعضاً

ولعلَّ أعظم وصف وتشبيه لحال المؤمنين يجب أن يسود بينهم هو وصفهم بالخدم لبعضهم بعضاً. فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المؤمنون خدم بعضهم لبعض، فسأله أحد أصحابه: فكيف يكونون خدماً بعضهم لبعض؟ قال: يفيد بعضهم بعضاً»، ومضمون قوله عليه السلام هو أن يعتبر الإنسان المؤمن نفسه كالخادم عند أخيه المؤمن، فلا يأنف عن خدمته ومساعدته. وهناك نصوص دينية عديدة تحثُّ المؤمنين على مدِّ يد العون للمحيطين بهم.

وبالنظر إلى تطور ظروف العصر، ينبغي أن تتحول مساعدة الآخرين إلى عمل مؤسسي بعيد عن الفردية. إذ مع تعقيدات العصر الراهن، بات الكثيرون لا يعرفون إلى أين يتجهون في طلب النصيحة في مختلف شؤون حياتهم، سواء تعلَّق الأمر بحلِّ مشكلة أسرية، أو معالجة قضية قانونية، أو اختيار مكان الدراسة، أو محلِّ لتلقي العلاج. إنَّ المجتمعات الحيَّة، هي تلك التي يتوفر فيها مختلف المؤسسات الأهلية، التي تقدم الخدمات والاستشارات، على نحوٍ يساعد أيَّ طالب استشارة، أو ساعٍ لحلِّ مشكلة، أو طالب لمساعدة عاجلة. إنَّ هذا النوع من السلوك العام ينبغي أن يكون أن سمة للمجتمع المؤمن، وفق ما يوصي الإمام الصادق عليه السلام. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيما مسلم خدم قومًا من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خدماً في الجنة»^(١)، إنَّ من يخدم الناس فإنَّ الله تعالى يُسخِّر له من يخدمه يوم القيامة، لقاء خدمته لإخوانه وسائر الناس في هذه الحياة.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٠٧، حديث ٩.



تطلّع الإنسان للخلود

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة الأعلى، الآيتان: ١٦-١٧].

تُعدّ الرغبة في البقاء والخلود في الحياة مسألة غريزية متجذّرة، يشترك فيها كلّ البشر. ذلك أنّ الإنسان، بعد أن يذوق حلاوة الحياة، يقلقه هاجس الرحيل عنها، ويزعجه مجرد التفكير في ترك الدنيا والخروج منها، هذه الرغبة في البقاء وتحاشي الموت، هي التي تحرّض الإنسان على دفع الأضرار والأخطار عن نفسه، كما تدفعه إلى التفكير فيما يخدم بقاءه في هذه الحياة.

الخلود وهم أم حقيقة؟

وقد تساءل الفلاسفة منذ القدم، حول ما إذا كانت الرغبة في الخلود، هي رغبة وتطلّع إلى أمر وهمي، أم أنها تكشف عن سعيٍّ لأمر حقيقيٍّ ممكن؟ ذهب العلماء والفلاسفة الربانيون إلى الاستدلال بوجود هذه الرغبة، على حقيقة وجود الآخرة والمعاد، فالإنسان لديه رغبة في الحياة الأبدية، والحياة الدنيا لا خلود فيها. من هنا يأتي السؤال، عن سبب إيجاد هذه الرغبة من قبل الله تعالى في نفس الإنسان؟ سيّما وأنه تعالى لم يجعل الرغبات والغرائز في نفس الإنسان اعتباراً، بقدر ما ينبغي أن تكشف عن حقائق فعلية، وعلى الإنسان أن يفتش عن الطريق الصحيح الموصل إليها.

وتناول العالم الكبير الفيض الكاشاني، في تفسيره لوجود الرغبة في الخلود في نفس الإنسان، بقوله: «وكيف تنعدم النفس وقد جعل الله عزّ وجلّ بواجب حكمته في طبائعها محبة الوجود والبقاء، وجعل في جبلتها كراهة العدم والفناء، وقد ثبت وتيقن أن بقاءها ودوامها في هذه النشأة الحسبية أمر مستحيل، فلو لم يكن هناك نشأة أخرى، تنتقل إليها، لكان ما ارتكز في طبائعها، وأودع في جبلتها، في محبة البقاء الأبدي، والحياة السرمديّة، باطلاً ضائعاً، تعالى الله عن ذلك»^(١). فوجود الرغبة في الخلود عند الإنسان دليل على أن البقاء والخلود أمر قائم وممكن، ودليل على وجود عالم آخر لا بُدّ وأن يتحقق فيه، وغاية ما هناك، أن الرسائل السماوية ترشد الإنسان إلى أن هذه الرغبة، القابلة للتحقق وجداناً، ليست في وارد التحقق في عالم الدنيا، وإنما في ذلك العالم آخر.

وكما قال أبو العلاء المعري:

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو سعاد

سعي الانسان نحو الخلود

إنّ الرغبة في الحياة أمرٌ فطري غريزي متجدّد في نفس الإنسان، منذ أن يفتح عينه على الدنيا، وهي رغبة مشروعة يعزّزها الدين. فلا يحقّ للإنسان شرعاً أن يختار الموت ويقتل نفسه، فالانتحار أمرٌ محرّم في كلّ الأحوال، حتى وإن كان على سبيل الموت الرحيم كما بات يعرف، وذلك بأن يختار المريض الذي لا يرجو الشفاء الموت على تكبّد آلام المرض طويلاً، فالبقاء على قيد الحياة قرار إلهي ينبغي أن يحترمه الإنسان. كما أنّ من النصوص الدينية ما يفيد بكراهة تمني الإنسان الموت.

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يتمني أحدكم الموت لضرّ نزل به»^(٢).

(١) محسن الفيض الكاشاني، علم اليقين في أصول الدين، ج ٢، ص ٨٣٧.

(٢) صحيح البخاري. ج ٤ ص ١٧٣، حديث ٦٣٥١.

وعنه ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت، إمّا محسباً فلعله يزاد، وإمّا مُسبباً فلعله يستعيب»^(١).

إنّ التشبث بالبقاء على قيد الحياة أمرٌ فطري طبيعي، لذلك انطلت على أبينا آدم خدعة إبليس، ونجح في إخراجه من الجنة؛ لأنه دخل عليه من مدخل حبه للخلود والبقاء، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾، فهي رغبة أصيلة متجدّرة منذ الإنسان الأول.

وما زال الإنسان في بحثٍ دائمٍ عن تحقيق الرغبة في الخلود. ويتجلى ذلك في البحث عن سبل إطالة عمره في هذه الحياة، فبعد أن كان معدّل أعمار البشر قصيراً فيما سبق، دفع حبّهم للبقاء إلى تطويرهم أساليب وسبلاً تطيل أعمارهم، وكلما توفرت البيئة على سبل الرعاية الصحية المتقدمة، كان متوسط عمر الإنسان في تلك البيئة أطول من البيئات الأخرى.

إنّ متوسط أعمار الناس في اليابان يُعدّ الأطول في العالم، بالنظر إلى توفرهم على رعاية صحية نموذجية، فقد بلغ متوسط العمر في اليابان (٨٢, ١) سنة. بينما جاء أدنى متوسط للأعمار في جمهورية انغولا الأفريقية، بلغ ٣٨ سنة فقط، أي أقلّ من نصف متوسط عمر الفرد الياباني، وهكذا يتفاوت متوسط العمر من بلدٍ لآخر، تبعاً لمستوى الرعاية الصحية المتوفرة، فمتوسط العمر في الولايات المتحدة يفوق ٧٨ سنة بقليل، ونيجيريا ٤٦ سنة، و٦٦ سنة في روسيا. وذكرت منظمة الصحة العالمية أنّ متوسط عمر الرجال في السعودية ٧٤ سنة، فيما بلغ متوسط عمر النساء ٧٧ سنة. وهكذا لا يزال البشر في سعيٍ دؤوبٍ لإطالة أعمارهم في هذه الحياة.

هل يطول العمر مئات السنين؟

من الواضح أنّ هناك إمكانية نظرية لأنّ ينجح البشر في إطالة معدّل أعمارهم إلى

(١) صحيح البخاري. ج ٤ ص ٤٠١، حديث ٧٢٣٥.

أكثر مما هم عليه الآن، وعلى نحوٍ يمكن أن يبلغ مئات السنين. وقد كتب أحد الباحثين من القطيف، الأستاذ حسن الخاطر، كتاباً جميلاً تحت عنوان «الخلود البيولوجي»، تناول فيه الطموح البشري للخلود في هذه الحياة. وهناك في الوقت الحاضر بعض الحالات الفردية لبشر بلغت أعمارهم سنين متقدمة، حتى إنَّ أكبر معمر موجود في الهند، بلغ عمره ١٧٩ سنة، وهو مولود في مدينة بنغلور سنة ١٨٣٥، ويُعدّ الآن أكبر معمر مسجل في موسوعة غينيس للأرقام القياسية، وقد توفي جميع أبنائه وأحفاده، وهو ما يزال على قيد الحياة، وينقل عنه أنه لم يتقاعد عن العمل إلا بعد أن بلغ ١٢٢ سنة^(١). وإن كانت هذه حالة فردية، إلا أنَّ العلماء ما يزالون في دأبِّ للوصول إلى إطالة أعمار البشر على نحوٍ يبلغون فيه المئات أو ربما الآلاف من السنين. ومع أنَّ النهاية المحتومة للبشر هي الموت، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، إلا أنَّ الإنسان لا يريد أن يذوق طعم الموت، وإنما يبحث عن البقاء والخلود.

أين تتحقق رغبة الخلود؟

إنَّ الله سبحانه وتعالى، ولسابق علمه برغبة الإنسان في البقاء والخلود، تعهّد سبحانه بأنَّ يُحقِّق له هذه الرغبة في عالم الآخرة. وهذا ما تؤكّده النصوص الدينية، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما خلقتُم للفناء بل خلقتُم للبقاء، وإنما تنقلون من دار إلى دار»^(٢)، وبذلك، فالرغبة في الخلود لم تأت من فراغ، وليست شكلاً من أشكال البحث عن السراب، وإنما هي رغبة في طور التحقيق، غاية ما هناك، أنّها ستأخذ مكانها للتحقق في دار أخرى، وعلى الإنسان أن يعمل لتلك الدار الأخرى، لأنَّ بقاءه في الدنيا يظلّ محدوداً مؤقتاً، غير أنَّ مشكلة الإنسان هي إثارة للحياة الدنيا، وفقاً للتوصيف القرآني، في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾. لقد جعل سبحانه الخلود والبقاء في الحياة الآخرة، وما على الإنسان إلا السعي

(١) حسن الخاطر، الخلود البيولوجي، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، (القطيف: أطراف للنشر والتوزيع)، ص ٤٣.

(٢) الشيخ الصدوق، الاعتقاد، باب (١٥)، ص ٤٧.

بهذا الاتجاه. من أجل نيل الخلود في نعيم الآخرة، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «عجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء»^(١)، وقال عليه السلام: «إِنَّكُمْ إِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ وَالتَّزْوُدِ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا وَالبَقَاءِ»^(٢)، كما ورد عنه عليه السلام أنه قال: «ينبغي لمن أيقن ببقاء الآخرة ودوامها أن يعمل لها»^(٣). فما دام البقاء والخلود متحققًا في الدار الآخرة، فإنّ على المرء أن يعمل لتلك الدار، ولا يعني ذلك أن يهمل الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، وذلك ما يشبه امتلاك الفرد رأس مال معيّن، وأمامه مهمّتان، مهمة أكثر أهمية وربحية من جميع النواحي، ومهمة أخرى أقل أهمية، فإنّ من الطبيعي أن يخصص القسط الأكبر من رصيده لصالح المهمة الأكثر ربحية، دون أن يهمل الأخرى تمامًا.

من هنا، ينبغي للإنسان أن يصرف من وقته وجهده وماله واهتمامه لشؤونه في هذه الحياة الدنيا، لكن عليه في الوقت عينه أن يوفر معظم رصيده ووقته وجهده لتلك الدار الآخرة، علمًا بأنّ ذلك لا يتنافى مع تمتع الإنسان في الحياة الدنيا. ذلك أنّ من يعمل للآخرة ليس مطلوبًا منه أن يجوع أو يعرى ويعاني في الدنيا، وإنّما يريد الله تعالى من الإنسان أن يتمتع بحياته الدنيا على أحسن وجه، على نحو يأخذ مستقبله الأخروي في عين الاعتبار.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٢٦١، حكمة ٢.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص ١٧٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص ٥٥٥.

مكافأة الإحسان

الخطبة الثانية



﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾.

[سورة الرحمن، الآية: ٦٠]

جبلت الفطرة الإنسانية على مقابلة الإحسان بالإحسان. فإذا ما تلقى الإنسان إحساناً من أحد، فسيكون ذلك سبباً لتنامي مشاعره الودية تجاه ذلك المحسن، ما يدفع تلقائياً إلى ترجمة ذلك الإحسان إلى شكر مقابل، واستعداد لتقديم أي خدمة لقاء ذلك الإحسان، هذه حالة فطرية وجدانية عند بني البشر، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها»^(١)، وورد عن الإمام عليّ ﷺ أنه قال: «بالإحسان تملك القلوب»^(٢)، إن الإحسان من طبيعته أن يترك أثراً في الطرف المُحسن إليه.

حتى الحيوان يتأثر بالإحسان

وقد يتخطى الأثر الإيجابي للإحسان إلى الحيوان أيضاً. فالحيوان ينجذب بطبيعته إلى من يعامله بالرفق والإحسان، وهذا أمر ملحوظ في علاقة الناس بالحيوانات، إضافة إلى ما كتب في هذا الصدد من الكتب والبحوث. بل إن اللافت على نحو أكبر، أن علاقة بعض الحيوان بالبشر ربما كانت أكثر وفاءً وإخلاصاً من بعض علاقة البشر ببعضهم بعضاً، وقد كتب العالم المسلم محمد بن خلف المعروف بابن المرزبان

(١) كنز العمال، ج ١٦، ص ١١٥، حديث ٤٤١٠٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٦٣، حكمة ٥.

(توفي ٣٠٩هـ) كتاباً تحت عنوان «تفضيل الكلاب على بعض من لبس الثياب» تناول فيه قصصاً لوفاء الكلاب لأصحابها، في مقابل انعدام هذه الصفة عند بعض البشر، نقيضاً لفطرتهم السوية.

وقد تناولت وسائل الإعلام مشاهد وقصصاً كثيرة في هذا السياق، ومن أواخر هذه القصص ما عرضه موقع العربية نت، ووسائل إعلام أخرى، من قصة البرازيلي الذي تعرّض لوعكة صحية دخل على إثرها المستشفى، وقد بقي كلبه الوفي «سيكو» في انتظاره على باب المستشفى مدة ثمانية أيام، في وقت لم يبق أحد من عائلة الرجل أو معارفه بزيارته أو الاطمئنان عليه، وقد بقي الكلب منتظراً طوال هذه المدة، إلى أن سمح الأطباء في اليوم الثامن لصاحبه المريض بالخروج على كرسي متحرك، لرؤيته عند باب المستشفى، وقد أظهر الفيديو الذي عرضته القنوات، كيف انطلق الكلب نحو الرجل كالبرق، وأخذ يتمرّغ على قدميه ويتشممه ودموعه تجري^(١). وهذا ما يظهر أن أثر الإحسان ليس مقتصرًا على البشر فقط.

واستطرادًا، ينبغي الإشارة هنا، إلى عدم وجود أصل شرعيّ لذكر عبارة «أجلكم الله» أو «أكرمكم الله»، عند ذكر اسم حيوان من الحيوانات. فقد اعتاد بعض الناس على ذكر هذه العبارات كلما جاؤوا على ذكر الكلب أو الحمار أو البقرة في أحاديثهم، ونحن وإن كنا نعد هذه العبارات من قبيل الاحترام والتقدير الذي اعتاد البعض تقديمه لمخاطبيهم، بحكم التقاليد الاجتماعية، إلا أنه ينبغي التذكير أن جميع ذلك مما لا أصل ديني له، فهناك في القرآن الكريم سور بأكملها حملت أسماء الحيوانات؛ كالبقرة والفيل والنمل، ولم يذكر أحد من أئمة الإسلام، شيئاً من هذه العبارات التبجيلية أمام مستمعيه عند ذكره أسماء الحيوانات.

مبدأ يتجاوز الانتماءات والأديان

إنّ مكافأة الإحسان بالإحسان يُعدّ مبدئاً عامّاً، غير مختصّ بلون أو فئة من البشر.

(١) العربية نت. الثلاثاء ١٥ جمادى الثاني ١٤٣٥هـ الموافق ١٥ أبريل ٢٠١٤م.

وهذا بالتحديد ما تريد الآية الكريمة الإشارة إليه، في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، فمقابلة الإحسان بالإحسان، ينبغي أن تكون سمة عامة في تعامل البشر بعضهم مع بعض، فأیما إنسان أحسن إلى آخر، فإن المتوجب أخلاقياً، هو التفكير فوراً في الردّ على هذا الإحسان بإحسان مقابل، بصرف النظر عن خلفية ذلك المحسن الدينية والعرقية والقومية. وقد ورد أن الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حين تلا الآية الكريمة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ أنه قال (عليه السلام): «جرت في الكافر والمؤمن والبرّ والفاجر ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به، وليس المكافأة أن تصنع كما صنع، فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء»^(١).

ورغم أن أحداً لا يعترض على مبدأ ردّ الإحسان بالإحسان، لكون ذلك عملاً إنسانياً فطرياً، إلا أننا لا نعدم رؤية من يتنكر لذلك. فلا يعود يكافئ الإحسان بالإحسان، وتزداد حالة التنكر هذه جرّاء تقادم الزمن على الإحسان الذي أسبغه الآخرون عليه، أو نتيجة لخلاف أو سوء تفاهم ناشب بينه وبينهم، علماً بأن الحاجة لتذكر إحسان الآخرين إنما تغدو أشدّ إلحاحاً مع مرور الزمن، وحين الاستغناء عن ذلك الإحسان القديم، حيث إنه مبدأ ملزم وواجب التنفيذ حتى مع تقادم السنين، فمرور الزمن لا يلغي ولا يجمّد تطبيق هذا المبدأ. وكذلك الحال حين ينشب الخلاف مع صاحب الفضل والإحسان القديم، لا يجوز أن تطغى مشكلة الخلاف البيني على شعور المرء بإحسان الطرف الآخر إليه في يومٍ ما.

وبالوالدين إحساناً

إنّ النصوص الدينية تشدّد على استحضار مبدأ الإحسان مقابل الإحسان في كلّ الحالات. وهناك نماذج عديدة يمكن الإشارة لها في هذا السياق، منها ما يرتبط بالعلاقة بالوالدين، فلا أحد على الإطلاق يحسن للإنسان كإحسان الأبوين، وعلى نحو لا يشبهه إحسان أحدٍ لأحدٍ في هذا العالم، غير أنّ الأبناء سرعان ما يكبرون

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٣، حديث ٧.

ويمتلكون وسائل القدرة، فلا يعودون يشعرون بالحاجة إلى الوالدين، وربما تقادم الزمن ببعض الأبناء حتى ينسون ما فعل الوالدان لأجلهم، وأيّ إحسان قدّماه لهم، ويتفاقم الحال أكثر حين يصبح الوالدان أو أحدهما في حالة نفسية أو صحية غير مؤاتية، وهنا تحديداً ينبغي أن يتذكّر الأبناء مبدأ مكافأة الإحسان بالإحسان، بأن يتذكروا أن هذين الوالدين طالما أحسنا إليهم أيّما إحسان، وعلى نحو لو جند المرء كلّ حياته لأجلهما لما خرج من طوق إحسانهما. ومما ورد في هذا الشأن، أنّ رجلاً شكى لرسول الله ﷺ سوء خلق أمه، فقال ﷺ: «إنّها لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر، وحين أرضعتك حولين، وحين سهرت لك ليلها، وأظمأت نهارها»، فقال الرجل: «إني جازيتها، وحججت بها على عاتقي، فقال ﷺ: «ما جازيتها ولا طلقة»^(١).

لا تنسَ إحسان زوجتك

كما ينبغي عدم تجاهل مبدأ الإحسان ضمن سياق العلاقات الإنسانية الأخرى. ومن ذلك ما يندرج ضمن علاقة الرجل بزوجته، سيّما وأنّ الزوجة في مجتمعاتنا الشرقية تتحمل أعباءً كبيرةً في حياتها الزوجية، فهي التي تهيبّ الطعام، وتغسل الثياب، والأهمّ من ذلك إنجابها وحضانتها للأبناء، حيث إنّ مهمتها لا تنتهي مع الإنجاب، وإنّما تتحمّل كامل المسؤولية عنهم منذ أن يفتحوا أعينهم على هذه الحياة، فهي التي ترضعهم، وتسهر على رعايتهم، وتداري مختلف شؤونهم حتى يبلغوا أشدهم، بما في ذلك متابعتهم في مرحلة الدراسة والتعليم، وهذا الجهد الجبار الذي تقوم به المرأة، مما لا يجوز للزوج أن يتجاهله أو ينساه.

إنّ تقادم الزمن بالزوجين ينبغي ألاّ يُنسى الزوج الإحسان الذي بينهما. سيّما مع بلوغ الزوجين سنّاً متقدمة، وفي ظلّ انتهاء دور الأمومة مع بلوغ الأبناء، أو عجز الزوجة عن القيام بأعباء المنزل. إنّ جميع ذلك لا ينبغي أن يُنسى الزوج إحسان هذه

(١) السيد حسن القبانجي. شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين ﷺ، ص ٥٤٨.

المرأة إليه، وإلى أولاده، كما ورد في قوله تعالى حول العلاقة بين الزوجين ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.

كما أن المرأة هي الأخرى ينبغي ألا تنسى فضل زوجها عليها، فقد ستر عليها، وأمتع حياتها، وقام بشؤونها، وكان أباً لأبنائها، إلا أن الخطاب هنا يتوجه للرجل على نحو أكبر، لكونه الأكثر شعوراً بالاستغناء والاستقلالية عن المرأة.

ومن المشاهد اللافتة في هذا المجال، ما نقل عن رجل أصيبت امرأته الطاعنة في السن بالزهايمر، وفقدت الذاكرة إثر ذلك، غير أنه لم ينقطع عن زيارتها في المستشفى في تمام الساعة الثامنة من صباح كل يوم، ليتناول الإفطار معها، وفي أحد الأيام كان الرجل نفسه يتلقى العلاج عند الطبيب، وأثناء ذلك كان قلقاً ينظر إلى الساعة بين لحظة وأخرى، فسأله الطبيب عن سبب قلقه، فأجاب بأن لديه موعداً مهماً، فاستفسر الطبيب عن طبيعة ذلك الموعد، فأجاب الرجل بأنه على موعد يومي في الثامنة صباحاً مع زوجته الراقدة في المستشفى، فسأله الطبيب عن طبيعة مرضها، فأجابه الرجل بأنها طاعنة في السن ومصابة بالزهايمر، فسأل الطبيب الرجل، عما إذا كانت زوجته تتعرف عليه وهي مصابة بهذا المرض المسبب لفقدان الذاكرة؟ فأجاب الرجل بالنفي، عندها تساءل الطبيب عن سبب حرص الرجل على الالتزام بموعد الذهاب لزوجته المريضة في الوقت المحدد، رغم عدم معرفتها به؟ فقال الرجل الكبير؛ نعم هي لا تعرفني، ولكنني أعرفها.

ينبغي للإنسان أن يكون وفيًا مع زوجته. حتى لو قُدر أن فارقتها شرعاً، فليكن الفراق بإحسان، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾، وقد جاء في آية أخرى التذكير الإلهي للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.

إنه ليقشعر البدن إزاء بعض الحالات التي يصبغها الجفاء وقلة الوفاء بين الأزواج،

في حين يجدر بالإنسان أن يتذكّر دائماً المبدأ القرآني الوارد في الآية الكريمة: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾، فالأولاد الذين يسرّ المرء برؤيتهم، ألم يكن لتلك الزوجة الدور الأكبر في إنجابهم وتربيتهم وتنشئتهم؟ أفلا يعتبر هذا إحساناً ينبغي أن يجازى بإحسان؟ أو لا يشفع لها ذلك في التجاوز عن زلاتها؟

التنكر لإحسان الدائنين

أما النموذج الأخير الذي ينبغي فيه استحضار الإحسان، فهو في التعامل مع الدائنين. إذ من الوارد جداً، أن يلجأ كثيرون من منطلق الحاجة إلى أن يقترضوا المال من غيرهم، فإذا ما تيسرت أمور المقترض، وحن وقت السداد، فعليه أن يبادر لأداء الدين، مع تقديم الشكر لمن أقرضه، أو صبر عن استرجاع حقه، لكن بعض المديونين يتنكر لإحسان الدائن، بل يقابله بالإساءة والمماطلة، وربما قاد ذلك إلى نشوء المشاكل واللجوء إلى أروقة المحاكم، وذلك أبعد ما يكون عن مبدأ الإحسان مقابل الإحسان. ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «لعن الله قاطعي سبيل المعروف، قيل: وما قاطعي سبيل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره، فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره»^(١)، وهذا أمر مألوف، حيث إن كثيرين من أصحاب المعروف لديهم ما يكفي من الشواهد على نكران الجميل، ونسيان الإحسان الذي جادوا به على الآخرين، حتى لم يعد لديهم الاستعداد لتقديم المزيد من الإحسان للآخرين، في حين كان ينبغي مكافأة الإحسان بالإحسان، كأن يعيد للمقرض ماله بأكثر من القرض الأصلي، دون شرط مسبق.

هكذا ينبغي للإنسان أن يتذكر في كلّ الحالات مبدأ مكافأة الإحسان بالإحسان، هذا المبدأ الشرعي العقلي الوجداني، أثناء تعاملاته المختلفة مع الناس.

(١) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٣٠٩، حديث ٢١٦٢٤.

الخطبة الأولى



ذكر الآخرة حافز نشاط ومقوم سلوك

جاء عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «من أكثر من ذكر الآخرة قلّت معصيته»^(١).

تركّز الرسالات السماوية على تذكير الإنسان بالعالم الآخر الذي ينتظره، بعد مغادرته هذه الدنيا. فالإنسان يعلم وجداناً، أنه لا محالة مغادر هذه الحياة. وفي حين يرى الماديون أنّ منتهى مصير الإنسان هو ما يقضيه في هذه الحياة، ولا شيء آخر يعقب الحياة الدنيا، يرى المؤمنون بالرسالات السماوية، أنّ الحياة الدنيا لا تعدو عن قنطرة وممر لعالم آخر، يرجعون إليه بعد هذه الحياة، وهو عالم الآخرة.

وتؤكد الرسالات السماوية على الإنسان، بأن يتذكر العالم الآخر دائماً وأبداً، وأن يجعله نصب عينيه، بغرض التحفيز على التفكير في الحياة الدنيا والآخرة على حدّ سواء، وحتى يكون الإنسان المؤمن أكثر اجتهاداً وحركة ونشاطاً من غيره، لا أن يكون غير مبالي بالحياة الدنيا، إذ لا يعني الاهتمام بالآخرة نسيان الدنيا بأيّ حال، فذلك خلاف مضمون الرسالات السماوية، حيث لا تدفع الإنسان المؤمن للتخلّي عن الاهتمام بالحياة الدنيا والنأي عن الاستمتاع بطيباتها.

الاهتمام بحياتين

إنّ تفكير غير المؤمن محصور في الحياة الدنيا، فيما يفكر المؤمن في الحياتين،

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٣٣، حكمة ٣٢٨.

الدنيا والآخرة، ويهتمّ بهما، وذلك على غرار الشخص العامل على وظيفتين، فهو أكثر تحفّزاً، بالنظر لتضاعف عمله وتشعب اهتماماته، بخلاف من يصبّ جهده في وظيفة واحدة، ليفرغ منها ويركن للراحة سريعاً.

إنّ من المفترض بالإنسان المؤمن أن يكون أكثر نشاطاً وحيوية واهتماماً بالحياة الدنيا والآخرة. وهذا ما تؤكّده النصوص الدينية، حيث ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعظم الناس همّاً المؤمن، الذي يهتم بأمر دنياه، وأمر آخرته»^(١)، فاهتمامات الإنسان المؤمن هي أكثر سعة من غير المؤمن، لكونه يفتح أفقه على عالمين مختلفين؛ الدنيا والآخرة. كما ورد عنه ﷺ أنه قال: «خيركم من لم يترك آخرته لدنياه، ولم يكن كلاًّ على الناس»^(٢)، فاهتمام المؤمن بأمر الآخرة، لا يعني أن يصبح عبئاً على الآخرين في الدنيا، وإنّما المفترض أن يحمل أعباء دنياه وآخرته على حدّ سواء.

ويشير أمير المؤمنين عليه السلام إلى فرق جوهري بين المؤمن وغير المؤمن تجاه أمر الحياة الدنيا والآخرة. حيث يقول: «وإنّما الدُّنيا مُنتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً وَالْبَصِيرُ يَنْقُدُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَرَوِّدٌ وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَرَوِّدٌ»^(٣)، إنّ غير المؤمن لا يرى شيئاً خارج محسوسات هذه الدنيا، فهي منتهى بصره، بخلاف المؤمن الذي يرى الدنيا، وينظر من خلالها إلى ما بعد الحياة الدنيا، فيما لا يرى الأعمى - وفق وصف الإمام - إلا هذه الحياة وحسب، فهو شاخص إليها وحدها. والبصير يتعامل مع الدنيا كمحطة تزود بما ينفعه في العالم الآخر، أمّا غير البصير فلا همّ عنده سوى هذه الدنيا، وكلُّ تزوّده لها وحدها.

وبذلك، فإنّ تذكر الآخرة محفّزٌ أكبر للإنسان من أجل زيادة نشاطه وحركته في

(١) كنز العمال، ج ١، ص ١٤٤، حديث ٧٠٢.

(٢) كنز العمال: ج ٣، ص ٢٣٨، حديث ٦٣٣٦.

(٣) نهج البلاغة، خطبة ١٣٣.

الحياة الدنيا. جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كانت الآخرة أكبر همّه، كشف الله عنه ضيقه، وجمع له أمره، وأتته الدنيا وهي راغمة»^(١)، فمع وجود الاهتمام الأكبر بأمر الآخرة، لا يعود الإنسان معرضاً لحالات التأزم والضييق في هذه الدنيا؛ لأنّ عنده أفضلاً آخر أكبر يفكر فيه، ولأنه مليء بالتطلع إلى دار أخرى، فلا يصاب بالكآبة مهما اعترضته المشاكل والعقبات والصعوبات في الحياة الدنيا.

من أجل التزام أفضل بالقيم

وهناك مغزى آخر لتذكر عالم الآخرة، وهو الدفع بالإنسان نحو الالتزام بالقيم. والتشبّث بعمل الخير، والارتداع عن ارتكاب الشرور، فلو تذكر الإنسان أمر الآخرة والحساب في كلّ حين، وخاصة عندما يهيم بالإساءة إلى غيره، فإنّ تلك الذكرى سيكون لها الأثر في ردعه عن ركوب المعصية، واقتراف الخطأ. يروى أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أبطأت به دابّته، فرفع السّوط حتى يضربها، وقال: «آه لولا القصاص»، ورد يده عنها^(٢)، فهذا الإمام يتذكر أمر الحساب والآخرة، وهو بصدد التعامل مع حيوان، فكيف بمن يتعاملون مع بشر مثلهم.

إنّ تذكر الإنسان لأمر الآخرة، يأتي بمنزلة الكابح عن الوقوع في الخطايا. سواء كان ذلك في قول خطأ أم فعل منكر، وإلّا فما قيمة ذكر الآخرة، ما لم يردع عن المنكرات. إنّ تذكر المؤمن لأمر الآخرة، يعني تذكره المسؤولية والحساب على أعماله وتصرفاته. من هنا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من أكثر من ذكر الآخرة قلّت معصيته»، وتفسير قلّة المعصية، أنّ المؤمن حين يتذكر الآخرة، فإنه بذلك يتذكر أمر الحساب والعقاب والموقف العسير بين يدي الله سبحانه وتعالى، ليكون ذلك دافعاً له للتراجع عن ارتكاب الذنوب. من هنا ينبغي أن يضع المؤمنون الآخرة نصب

(١) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٢٦، حديث ١٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦١، ص ٢٠١٦.

أعينهم، بخلاف أمر الدنيا التي لا حاجة لتذكرها واستحضارها، لفرضها نفسها على البشر بمختلف حاجاتها ومتطلباتها. إنَّ الإنسان المؤمن في أمس الحاجة لتذكر الآخرة باستمرار، حتى ينعوي عن الاسترسال في الأخطاء، واقتراف المعاصي والذنوب.



المؤهلات الذاتية للمرأة وعوائق التقدم

جاء عن عبدالله بن عباس عن رسول الله
ﷺ أنه قال: «أربع نسوة سادات عالمهن:
مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون،
وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت
محمد، وأفضلهن عالمًا فاطمة (وأفضلهن
علمًا فاطمة)»^(١).

كما أنّ الرجل يمتلك مؤهلات التفوق والقدرة على بلوغ مراقي العظمة والفضل،
فكذلك المرأة، حيث لا تقل شأنًا عن الرجل في امتلاكها القدرة الذاتية على التميز
والتفوق. وهذه حقيقة طالما غفلت عنها المجتمعات غير الواعية. والسؤال المطروح
هنا، أنه إذا كانت المرأة تمتلك القدرة على تحقيق التميز تمامًا كالرجل، فما تفسير
محدودية عدد المتميزات من النساء عبر التاريخ، أو ليس في ذلك تفسير لما يعتقده
البعض من أنّ الأصل في المرأة هو عدم الأهلية الذاتية للتميز والتفوق، وما حالات
التمييز الموجودة عند بعض النساء إلا حالات استثنائية وليست أصلًا؟

لماذا قلة المتميزات من النساء؟

وفي الإجابة على هذا الاعتقاد يمكن القول: إنّ قلة عدد المتميزات من النساء عبر
التاريخ قياسًا على الرجال، يعود إلى الظروف البيئية والاجتماعية التي عاشتها المرأة، والتي

(١) كنز العمال، ج ١٢، ص ١٤٥، حديث ٣٤٤١١، وأيضًا تاريخ دمشق، حديث ٧٣٩٠١.

لم تكن تتيح أمامها فرص التفوق والتقدم. وبمعنى آخر لا يعود سبب قلة النساء المتميزات تاريخياً إلى النقص الذاتي في المرأة، ولا لأنها غير مؤهلة للتميز من حيث الأصل.

لقد عاشت المرأة عبر التاريخ ظروفًا قاسية لا تمنحها فرصة البروز والتميز، نتيجة الثقافة الاجتماعية السائدة، وطبيعة تعامل المجتمع معها، مما جعل فرص التميز أمامها في أدنى حالاتها، بخلاف الفرص المتاحة للرجل، التي تتيح له مجالاً أوسع للتقدم على نحو أكبر، فالأمر مرتبط بالمجال المفتوح، والفرص المتاحة للتميز والبروز، أكثر منها ارتباطاً بالقدرات والمؤهلات الذاتية لولوج عالم التميز والتفوق.

واستطراداً، يمكن ملاحظة ارتباط مسألة تحقيق التميز بالفرص المتاحة على مستوى المجتمعات. فبقدر ما تتاح أمام أيّ فئة من البشر الفرص المتساوية للتميز فإنهم سيقتحمونها، والعكس بالعكس. إن المجتمعات التي تشتكي وقوع التمييز العنصري عليها، كما هو حال الأقلية السوداء في الولايات المتحدة مثلاً، ستفضي سياسة التمييز المفروضة إلى بروز عدد محدود من المتميزين والمتفوقين من السود قياساً على البيض، ومرد ذلك إلى طبيعة ومستوى التمييز الواقع على السود، وليس كون البيض أكثر أهلية ذاتية للتميز والتفوق، وإنما لأن الظروف الاجتماعية التي يعيشونها توفر لهم فرصاً أكثر للتميز. ولو تطابقت الظروف، وتساوت الفرص، بين أفراد مجتمع السود ومجتمع البيض لاضمحلت الفجوة بين نسب التفوق في أفراد المجتمعين.

حين تتاح لها الفرصة تثبت كفاءتها

وكذلك الحال مع المرأة. فإذا ما عاشت المرأة أجواء اجتماعية وثقافية مناسبة، فإنها ستثبت كفاءتها وتميزها، وهذا ما حصل مع النساء المتميزات، اللاتي تحدّث عنهن القرآن الكريم والسنة الشريفة، فقد عشن في أجواء مساعدة من التربية والتوجيه والرعاية، فتفجّرت طاقتهنّ، وأخذن مواقعهنّ.

ولعلّ في مسألة تعليم المرأة شاهداً ومثالاً واضحاً، فحتى زمن قريب كان مجال

التعليم في كثير من مجتمعاتنا محظورًا على المرأة، وكان من المؤلف رؤية المتعلمين وحملة الشهادات من الرجال، في مقابل قلة قليلة من المتعلمات وحملة الشهادات من النساء، لا لشيءٍ إلا لأن مجال التعليم كان محظورًا على المرأة، ولكن حينما سمح بتعليم المرأة وفتحت المدارس والجامعات أبوابها أمام المرأة، ثبت أن البنات كنّ الأكثر جدية والأشدّ حرصًا وتفوقًا في مجال التعليم من الأولاد في كثير من الأحيان.

وفي هذا الصدد، ذكر باحثون: أنهم أجروا دراسة مقارنة للإنجازات العلمية لمليون ونصف المليون فتى وفتاة عبر العالم، ممن كانوا في سنّ الخامسة عشرة، وذلك في الفترة بين عام ٢٠٠٠ و ٢٠١٠، وتبيّن للباحثين أن الفتيات تفوقن على الأولاد في مواد القراءة والرياضيات والعلوم، حتى في أكثر الدول محافظة^(١). وهذا التفاوت في التحصيل الدراسي أمر ملحوظ عند أكثر العوائل التي يوجد بها أولاد وفتيات، فالبنات غالبًا ما يظهرن أكثر جدية في التعلم. ما يثبت أن المرأة من الناحية الذاتية ليست بأيّ حالٍ أقلّ قدرة من الرجل على التعلم واكتساب المعرفة.

وقد كشفت تجارب الأمم الحديثة عن إثبات المرأة حضورها في شتى المجالات. فبعد أن أتاحت الفرصة أمام النساء في مختلف بلاد العالم، وفي طليعتها بلدان أوروبا وأمريكا، لدخول الأعمال الإدارية والاقتصادية، واقتحام العمل السياسي، أثبتن كفاءتهنّ وتميزهنّ، ولم يكنّ أقل من الرجال. وقد سجلت بعض البرلمانات حضورًا متقدمًا للمرأة، حيث بلغت نسبة النساء في البرلمان السويدي ٤٥ بالمئة من الأعضاء، وفي البرلمان الألماني ٣٣ بالمئة، وعلى المستوى العربي هيمنت التونسيات على ٣١ بالمئة من مقاعد البرلمان. وأبعد من ذلك، تربعت نساء على دكة القضاء في عدد من البلدان، دون أن يلحظ أحدٌ أدنى فرق في مستوى الكفاءة والقدرة بينهنّ وبين القضاة الرجال.

النظرة الدونية للمرأة في مجتمعاتنا

إن المجتمعات المتخلفة، ومنها مجتمعاتنا، تعاني مشكلات جذرية حيال المرأة.

(١) نشر على موقع الجزيرة بتاريخ الثلاثاء ١٢/٥/١٤٣٦ هـ الموافق ٣/٣/٢٠١٥ م.

ومن أبرز ذلك أمران، أولهما النظرة الدونية للمرأة، وانتشار الثقافة المكرسة لهذه النظرة، التي تعتبر المرأة أدنى قيمة وكفاءة من الرجل، ليس فقط عند البشر، وإنما أدنى مرتبة حتى عند الله عزّ وجلّ بزعمهم، مستدلّين في ذلك ببعض النصوص الدينية غير الصحيحة، أو المنزوعة من سياقها أو المفسّرة على نحو خطأ. واللافت أنّ هذه النظرة الخطأ تأخذ مفاعيلها على عقل ونفسية الإنسان الذي يكون محلاً للتعامل بدونية، فينعكس هذا التعامل على نفسيته ونظرته لذاته.

ويذكر الباحث السعودي محمد عبد الرزاق القشعمي، في دراسة حديثة بعنوان «المرأة في المملكة العربية السعودية كيف كانت وكيف أصبحت»، جانباً مما عايشه شخصياً حيال النظرة الدونية للمرأة، قبل نحو خمسة عقود من الزمن، التي لا تزال بعض آثارها قائمة حتى الآن، حيث يروي القشعمي في دراسته، أنه عندما كان في سنّ الثانية عشرة، وقد انتقل حينها من القصيم إلى مدينة الرياض، وبينما كان ينتظر أمام أحد المخابز ذات يوم، التقى أحد أبناء قريته القصيمية، وكان قد سمع بأنّ الرجل قد فقد بالأمس القريب زوجته وأمّ أولاده، فأقبل عليه معزياً بوفاتها، فما كان من الرجل إلّا أن انتفض محتجاً على تعزيتته في وفاة امرأته، قائلاً بلهجته النجدية: «أف.. تعزيني بامرأة»، وأردف الرجل بأنّ المرأة مثل النعل يمكنك أن تخلعها وتلبس غيرها وقت تشاء، في إشارة إلى توغلّ النظرة الدونية للمرأة في ذلك الزمن. كما ينقل القشعمي في كتابه، إنه في الفترة ذاتها كان هناك قرار رسمي يحظر على الصحف نشر أسماء النساء الكاتبات في صفحاتها، واستشهد في هذا السياق بنصّ للكاتب عبد الكريم الجهيمن نشر في جريدة القصيم، تحت عنوان «الأسماء المحظور نشرها» معلّقاً على قرار من وزارة الإعلام بمنع نشر أسماء النساء اللاتي يكتبن في الصحف، فقد كان حينها مجرد نشر اسم الكاتبة في الصحيفة يدخل في مقام العيب^(١).

(١) المرأة في المملكة العربية السعودية كيف كانت وكيف أصبحت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ، (الرياض:

ولعلّ كثيرين في مجتمعاتنا ما يزالون يلمسون آثار النظرة الدونية للمرأة حتى وقتنا الراهن. ومن ذلك أنفة البعض من ذكر أسماء زوجاتهم، وتسميتهنّ بدلاً عن ذلك بأسماء عامة، كأن يطلق على زوجته وصف العائلة أو الأهل أو المرأة، في إشارة ضمنية عند هؤلاء إلى أنّ اسم المرأة يدخل في باب العورة، متناسين أنّ القرآن الكريم تناول صراحة أسماء بعض أزواج الأنبياء وأمّهاتهم، وقد تحدّث النبي ﷺ عن زوجته خديجة علناً، ذاكراً إياها باسمها، وكذا الحال مع ابنته فاطمة الزهراء ﷺ. إنّ هذه الثقافة الخاطئة السائدة في مجتمعاتنا حيال المرأة، التي ما تزال آثارها موجودة، تمثل معوقاً أساساً من معوقات إبراز المرأة في مجتمعاتنا لكفاءتها وقدراتها.

حرمان المرأة من فرص العمل

أما الأمر الثاني التي تعاني منه المجتمعات المتخلفة حيال المرأة، فهو حرمانها من فرص البروز والتقدّم. فما تزال المرأة في بلادنا وفي عدد من البلاد الإسلامية الأخرى، محرومة من العمل في كثير من المجالات الحياتية. ولعلّ أحدث ضجّة في هذا الصدد، هي تلك المفتعلة من بعض المتشدّدين، حيال التوصية التي رفعها مجلس الشورى السعودي، بضرورة تعيين المرأة في السلك الدبلوماسي، سفيرة أو قنصلاً عامّاً، أو سائر الوظائف الدبلوماسية، ومع أنّ الأمر لم يعُدْ التوصية غير الملزمة، إلّا أنّ المجلس عاد وأسقط التوصية بعد الضغوط الكبيرة، والضجة المثارة حول المسألة، والأنكى أنّ أعضاء المجلس من النساء اللائي تقدّمن بالتوصية هنّ أيضاً سحبن توصيتهنّ تلك، وقد أسفت إحدى العضوات قائلة إنّها مع تأييدها للتوصية إلّا أنّ الوقت ليس مناسباً للمضيّ بها قدماً فيما يبدو. وهذا ما يشير إلى أنّ الباب ما يزال موصداً، والفرص محدودة أمام المرأة في بلادنا.

إنّ النظرة الدونية والحرمان من الفرص، هما أبرز المعوقات التي تكبل المرأة، وتمنعها من أن تقوم بدورها المطلوب في تنمية المجتمع، والمشاركة في إدارة

شؤونه. ولعلّ نظرة عابرة إلى نسب البطالة النسائية في المملكة تكشف عن جانب كبير من المعاناة، فهناك تقديرات تصل بالبطالة في أوساط النساء إلى ٣٤ بالمئة من قوة العمل النسائية، وقد كشف إحصاء حول المتقدمين لبرنامج دعم العاطلين عن العمل «حافر»، عن أنّ ٨٠ بالمئة من طالبي الدعم هنّ من النساء، وأنّ معظمهنّ من حملة الشهادات العلمية. وعلى هذا النحو هناك أعداد كبيرة من الخريجات اللاتي ما زلن يدخلن في طوابير العاطلين عن العمل كلّ عام، وقد طال ذلك الخريجات اللاتي درسن ضمن برامج الابتعاث الخارجي، وتكّلف تعليمهنّ أموالاً طائلة من خزينة الدولة والشعب، وبعد تخرجهنّ بقين في بيوتهنّ، نظرًا لمحدودية الفرص المتاحة أمامهنّ.

وخلاصة القول إنّ المرأة لا تنقصها الكفاءة والأهلية الذاتية. بل إنّها مؤهلة للمنافسة الحقيقية مع الرجل، في مختلف الأدوار والمجالات، شريطة أن تفتح الأبواب الموصدة أمامها، وأن تمنحها البيئة الاجتماعية الثقة بنفسها، بعيدًا عن تكريس النظرة الدونية لذاتها.

إنّ الاحتفاء بميلاد سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء، وتقديس النساء العظيمات في التاريخ الإسلامي، كمريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، واللّاتي ورد فيهنّ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أربع نسوة سادات عالمهنّ؛ مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، وأفضلهنّ عالمًا فاطمة»، وفي نصّ آخر «.. وأفضلهنّ علمًا فاطمة»، فإنّ ذلك ينبغي أن يدفعنا إلى إعادة النظر في رؤيتنا للمرأة في حياتنا المعاصرة، وإزالة العوائق والكوابح الموضوعية أمامها التي تمنعها من ممارسة دورها في الشأن العام، اقتداءً بالنساء العظيمات اللواتي مارسن أدوارهنّ العامة، وفي طبيعتهنّ السيدة الزهراء ﷺ، التي اكتسبت مكانتها وعظمتها، نتيجة عطائها وكفاءتها، ومشاركتها في خدمة الرسالة، وهكذا ينبغي أن تكون قدوة لسائر النساء.



كسب المعرفة وإدارة الحياة

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يَا كَمِيلُ مَا مِنْ
حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»^(١).

تقتضي البديهة أن يمتلك الإنسان المعرفة المسبقة عن كل عمل يرمي القيام به، صغيراً كان أم كبيراً. فمن الطبيعي جداً، حين يريد المرء الوصول إلى وجهة معينة، أن يتعرف على الطريق جيداً، قبل السير فيه، فإن سار على غير هدى ربما ازداد بُعداً عن الوجهة التي يرمي بلوغها، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا»^(٢)، وعنه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «مَنْ عَمَلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ»^(٣). وهكذا الحال في كل مجالٍ من المجالات، فإذا ابتغى الإنسان إنجاز مهمة من المهام، فلا بُدَّ له أن يتعرف على طبيعة المهمة، والسبيل إلى إنجازها، عدا ذلك قد يتعذر عليه إنجازها، أو ربما أداها على نحو خطأ.

وهكذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى عند بدء الخليقة، أن يمنح الإنسان المعرفة المسبقة بالحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، وبحسب النصوص الدينية

(١) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ص ١٧١.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج ١ ص ٤٣، حديث ١.

(٣) الكافي، ج ١ ص ٤٤، حديث ٣.

فإنه تعالى أحاط آدم علمًا بكافة الموجودات. والحال نفسه ينطبق على كل إنسان يقضي حياته على هذه الأرض، فهو مدعو لإدراك ومعرفة ما يجري حوله.

إنّ الإنسان ميّال في الغالب إلى التلکؤ في اكتساب المعرفة. وذلك استرسالًا واتكاءً على ما اكتسبه ضمن محيطه العام، حيث يميل إلى العيش استنادًا إلى المعارف الشائعة في عائلته ومجتمعه، واكتفاءً بمعلومات عفوية تلقّاه من بيئته كيفما اتفق، فيمضي حياته اتكاءً على تلك المعلومات. وإذا كانت البيئة محدودة المعرفة، ومتخلّفة علميًا، تغيب عنها الثقافة الحديثة، عندها يبقى الفرد يقتات على هذه المعارف القديمة، وهذه المحدودية في المعرفة، وما ينعكس عنها من محدودية الإنجاز، فلا يعود إنتاج الإنسان وفعاليتها عند المستوى اللائق.

الكتفاء بالمعرفة الشائعة

إنّ إشكالية التخلف المعرفي أمر قائم في كثير من مناحي الحياة ومجالاتها. ولو شئنا تناول هذه الإشكالية ضمن المجال الديني، فسنجد أنّ الفرد يولد ضمن عائلة ومحيط ديني معيّن، فيستقي كلّ معارفه الدينية ضمن هذا المحيط المحدود، دون أن يسأل نفسه ما إذا كانت المعرفة الدينية المتوفرة ضمن محيطه تُعدّ كافية، أو يتوجّب عليه إجراء مزيد من البحث والاستزادة في هذا المجال، فقد لا تكون كلّ المعارف المتوفرة في تلك البيئة صحيحة أصلًا، أو لعلّها معارف ومعلومات كانت صالحة لزمان سابق. في حين يحتاج البشر في العصر الراهن إلى معارف دينية متقدمة متطورة، فلا يكتفي المرء بالمعارف السائدة في محيطه الاجتماعي، وبما يتوفر أمامه من معلومات شائعة، فذلك الكسل بعينه.

وكذلك الحال مع المعارف الصحية، حيث ينبغي للمرء أن يتوفر على المعارف الصحية المناسبة، التي تنعكس على نحو مباشر في تعامله مع جسمه، وجميع ما يمكن أن يعتوره من الأمراض والعلل. والحال نفسه ينطبق على اكتساب المعارف

الاقتصادية، التي تنعكس على تطوير الوضع الاقتصادي للفرد، والتي لن يتسنى للمرء إدراكها إلا من خلال البحث والانفتاح على المعارف المناسبة في هذا المجال، بخلاف ما إذا اكتفى بما عنده من معلومات محدودة.

الاستزادة والتجديد في المعرفة

وتمثل الرسائل السماوية في جوهرها دعوة دائمة متجددة للإنسان، بأن يستزيد من المعرفة. فلا يتوهم حالة الاكتفاء معرفياً في أيِّ مجالٍ من المجالات، وذلك ما يشمل الجميع بلا استثناء، بما في ذلك النبي الأعظم محمد ﷺ الذي جاءت الآية الكريمة تأمره بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، حيث يبقى باب اكتساب العلم مشرعاً على مصراعيه، فينبغي تبعاً لذلك أن ينهل المرء العلم، ويكتسب الثقافة والمعرفة في مختلف جوانب حياته وأبعادها. وقد جاء عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في توجيهه لكميل، أنه قال: «يا كميل! ما من حركةٍ إلا وأنت مُحتاجٌ فيها إلى معرفةٍ».

ومع تعدّد مجالات المعرفة على نحو لا يكاد يحصى، يكتسب مجال المعرفة في العلاقات الاجتماعية أهمية خاصة، ينبغي التركيز عليها. ويستحقّ من الإنسان أن يبذل جهداً مناسباً في تحصيل الثقافة والمعرفة المساعدة في تعزيز شبكة علاقاته. وعلى سبيل المثال، اكتساب المعارف المساعدة في إدارة العلاقة مع الوالدين الطاعنين في السنّ، حيث لا يصحّ أن يكتفي المرء بالمعلومات العامة الشائعة في وسطه الاجتماعي، تجاه العلاقة بكبار السنّ، فليس كلّ ما هو شائع صحيحاً، وقد يكون هناك من سبل التعامل مع كبار السنّ ما هو أفضل من الدارج بين عامة الناس، خاصّة لجهة إدراك حالتها الصحية، وتقدير سلامتهما النفسية، وأوضاعهما المزاجية، من خلال الاطلاع والقراءة والوقوف على أحدث ما توصل له البشر في هذا المجال.

كما لا يقلّ مجال المعرفة في العلاقات الزوجية أهمية عن سابقه. إذ إنّ من غير

الصحيح أن يكتفي المتزوجون الجدد بالشائع من المعلومات والتقاليد والأعراف المتعلقة بالعلاقة الزوجية، وإنما ينبغي أن يصرف المقبلون على الزواج، شباباً وشابات، جزءاً من وقتهم في اكتساب المعارف والثقافة المتعلقة بالحياة الزوجية، وطريقة إدارة حياتهما الخاصة، فذلك أكثر أهمية من صرف الأوقات والجهود في إعداد مراسم حفل الزفاف، ومختلف متعلقاته. وينسحب الأمر على شؤون رعاية الأبناء وتربيتهم، فلا ينبغي أن يكتفي الوالدان اللذان ينتظران مولودهما بتهيئة الملابس والغذاء والمهد وسائر مستلزمات الوليد الجديد، إنما إلى جانب ذلك ينبغي أن يستزيدا من الثقافة والمعرفة المتعلقة بالرعاية والصحة، والتنشئة السليمة لهذا المولود.

أنموذج للاهتمام المعرفي

وعلى هذا النحو ينبغي أن يتزوّد الإنسان بالثقافة والمعرفة ذات الصلة بمختلف علاقاته الاجتماعية من العائلة والأصدقاء وصولاً إلى التعامل مع الخدم في المنزل. وقد قرأت مؤخراً تقريراً، تناول اشتراطات الحكومة السنغافورية الواجب توفرها فمن يبحث عن توظيف عاملة منزلية، ومن الاشتراطات أن يدخل الراغب في توظيف خادمة منزلية برنامجاً رسمياً معداً للتأهيل لاختيار خادمة المنزل، وتعطي بموجبه وزارة العمل شهادة إتمام حضور الدورة، وإثبات أهلية المتقدم لتوظيف خادمة منزلية. ويوضح التقرير أنه وفي سبيل الحصول على خادمة منزلية في سنغافورة، فلا بُدّ أن يحضر المتقدم بالطلب دورة تدريبية، تستمر مدة ثلاث ساعات، يجري خلالها توضيح حقوق وواجبات صاحب المنزل تجاه تلك الخادمة، التي يصفها التقرير بأنها ستصبح جزءاً من الأسرة، ويجري ائتمانها على الأبناء والممتلكات. وهناك لا بُدّ من أن يثبت المتقدم أهليته للحصول على خادمة، من خلال الإجابة عن عدد من الأسئلة، للتأكد من استيعابه لكل المعلومات التي أعدتها وزارة العمل والعمال. وهناك خياران أمام المتقدم لحضور الدورة، أما من خلال التسجيل في أحد المعاهد الأكاديمية، أو

التسجيل عبر الإنترنت لحضور الدورة وتلقي المعلومات إلكترونياً.

وحول محتوى الدورة أشار التقرير، إلى تعلّم طريقة التعامل مع الخادمة بالنظر لدينها، إذا كانت من أتباع دين آخر، وطعامها وبرنامج حياتها ومزاجها، خاصة إذا كانت آتية من مجتمع آخر، فيجري تداول كل هذه المعلومات ضمن ورشة عمل، فإذا كانت بعض البلاد تشترط توفر شهادة تأهيلية لتوظيف عاملة منزلية، فكيف إذا تعلق الأمر بتكوين عائلة وإدارة الحياة الزوجية؟ فهل يعقل أن يخوض الزوجان حياتهما الزوجية دون حضور ولو دورة واحدة في هذا الشأن، على غرار ما بات يتداول في بعض الأوساط حول اشتراط توفر رخصة قيادة عائلة.

إنّ ديننا الحنيف يحضّ على اكتساب المعرفة، والتوفر على الثقافة، في مختلف المجالات. ويُشدّد أمير المؤمنين عليّ، على الحاجة إلى المعرفة عند كلّ حركة، دونما استثناء. وهذا ما باتت تقوم عليه حياة الناس في عصرنا الراهن، فلا يشتري الإنسان جهازاً صغيراً أو كبيراً، إلاّ ويجد برفقته وصفاً تفصيلاً لطريقة التشغيل على النحو السليم، ولا يشتري تذكرة سفر إلاّ ويجد خلفها كلّ المعلومات والاشتراطات والحقوق والواجبات المتعلقة بالمسافر، بل إنّ أية علبه طعام صغيرة يشتريها الزبون، يجد مكتوباً عليها كافة المحتويات وطرق الاستخدام، وهكذا الحال مع علب الدواء وسائر المستلزمات الأخرى.

فالحياة العصرية باتت قائمة على الاعتماد على المعرفة في كل المجالات، وهذا ما ينبغي أن يكون مركز اهتمام الإنسان المسلم، سيما مع توفر وسائل المعرفة ومصادرها على كلّ الصُّعد، وعلى نحو غير مسبوق، سوى أنّ المشكلة لا تعدو عن غياب الدافع الذاتي عند البعض، والاستسلام للكسل، والتواني عن تحصيل المعرفة، نتيجة الإهمال وقلة الاهتمام.



تعميم الأحكام على الجماعات والمجتمعات

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٥].

يتحمّل الإنسان على نحو فردي المسؤولية كاملة عن أعماله وتصرفاته. فالإنسان وإن كان جزءاً من بيئته الاجتماعية، يتأثر بها ويؤثر فيها، لكنه يبقى كائناً مسؤولاً، منحه الله عقلاً وإرادة، وأعطاه حرية الاختيار، فهو يتحمّل بمفرده المسؤولية عن جميع أعماله وتصرفاته. وكونه جزءاً من مجتمع كبير أو صغير، لا يعفيه من المسؤولية؛ لأنّ المطلوب منه في كلّ الأحوال أن يعمل عقله، ويستخدم إرادته، وأن يقرّر ما هو الصالح لنفسه، دونما انسياق أعمى خلف السائد في بيئته الاجتماعية، فهو مسؤول كامل المسؤولية أمام خالقه سبحانه وتعالى.

الإنسان كائن مسؤول

ليس هناك أحدٌ يتحمّل المسؤولية عن أفعال غيره وتصرفاته، لا في عالم الدنيا ولا في الآخرة. ولطالما ذكّر سبحانه الإنسان بهذه الحقيقة في كتابه الكريم، فقد يكون الإنسان جزءاً من قبيلة كبيرة، أو منتمياً لجماعة أو حزب أو طائفة، لكنه سيقدّم بمفرده على الله سبحانه في عالم الآخرة، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، وجاء في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وتبعاً لذلك، لن يغني

أحد عن أحدٍ في يوم القيامة، لا من عائلته ولا جماعته ولا طائفته، وإنما سيكون وحده بين يدي الله محاسبًا على كافة أفعاله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾، ذلك أنه حتى لو أدرك الإنسان متأخرًا في يوم القيامة، ثقل أوزاره، وأدار عنقه ناحية أقربائه ومعارفه في الدنيا علَّهم يُنجدونه بتحمّلهم جزءًا من المسؤولية عن أخطائه، فهل يا ترى يجد من يلبي نداءه ويغيثه؟ كلا. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

وقد تكررت الآية الكريمة: ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ في القرآن الكريم خمس مرات، في سبيل تأكيد مضمونها، واعتبار ذلك قاعدة ينبغي السير عليها. من هنا، ينبغي للإنسان أن يلزم منتهى الحذر من أن يقوم بعمل، أو يتبنى رأيًا، إلا ويضع الله سبحانه نصب عينيه؛ لأنه سيقف بين يديه في نهاية المطاف.

كما أنّ القوانين العادلة في الدنيا تعتبر العقوبة فردية. فلا يمكن أن يُحمّل القانون العادل أحدًا المسؤولية عن جرم ارتكبه آخر، وإنما يتحمّل المخطئ وحده المسؤولية المطلقة عن أعماله.

التعميم نزعة جاهلية

وعلى النقيض من ذلك تجري الأمور في المجتمعات الجاهلية، حيث تسود فيها نزعات الثأر والانتقام، وتعميم الأحكام، فإذا ما قتل فردٌ من قبيلة فردًا من قبيلة أخرى، فإنّ قبيلة القتيل لا تقوم بالبحث عن الفرد القاتل وأخذ الثأر منه وحده، وإنما تلقي بالمسؤولية عن الجريمة على كلّ أفراد قبيلته، وهذا خلاف العدل والقانون، فإذا كان المجرم فردًا واحدًا فما جريرة الآخرين حتى يتحمّلوا المسؤولية عن فعلته؟

إنّ من المؤسف أن تشبث بعض المجتمعات المعاصرة بمثل هذه الأعراف والتقاليد الجاهلية. فإلى وقت قريب، كان يجري في العراق ما يعرف بالفصل

العشائري، وهي مجموعة أحكام خاصة بفصّ الخصومات العشائرية، ومن ضمنها مثلاً، لو أنّ شخصاً من عشيرة اعتدى على آخر من عشيرة ثانية، فعلى عشيرة الشخص المعتدي أن تسترضي المعتدى عليه بإعطائه أربع أو خمس من بناتها، ليتزوج منهن أو يتصرف بهنّ كيفما شاء، ويذكر في هذا الشأن أنّ الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر ألف كتيباً تناول فيه البحث في أحكام الفصل العشائري.

ومن الطرائف التي تنقل أنّ قاضياً أحرق جيء له بمجرم فقأ عين شخص، فكان الحكم المتوقع أن نفقأ عين المعتدي؛ تبعاً لمبدأ «العين بالعين»، غير أنّ القاضي سأل المتهم عن عمله، فقال إنه يعمل خياطاً، فأبى القاضي أن يفقأ عينه لحاجته لاستخدام عينيه الاثنتين في الخياطة، فسأل القاضي المتهم: ألك أخ؟ قال: نعم، فسأله عن عمله، قال إنه يعمل صياداً، فأمر بإحضاره وأجرى الحكم عليه؛ لأنه لا يحتاج في عمله غير عين واحدة.

لقد امتدت النزعة الجاهلية في تعميم الأحكام الجائرة حتى طالت الجماعات والأحزاب. وهذا أمر ملحوظ في المناطق التي تطحنها الحروب والنزاعات الأهلية، حيث تتبادل الجماعات المتحاربة اختطاف وقتل الناس العاديين من هذا الطرف أو ذاك، لا لجرم ارتكبه، وإنما على أساس انتمائهم الديني أو الطائفي وحسب. والأنكى أن تتورط بعض الحكومات في هذا المنحى الجاهلي، فتقوم بإيقاع العقوبات الجماعية على مناطق وفئات كبيرة من مواطنيها، لمجرد أنّ شخصاً من تلك الفئة أو المنطقة ارتكب خطأ أو اقترف جريمة، دونما ذنب ارتكبه باقي الناس حتى تنالهم العقوبة الجماعية. إنّ هذه الطريقة المخالفة للعدل والإنصاف، تُعدّ من بقايا العادات الجاهلية، ولذلك أكد القرآن الكريم مراراً نبذ هذه العادة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، فكلّ إنسان يتحمّل بمفرده المسؤولية عن جرمه، ولا يجوز معاقبة الآخرين على ذلك الجرم.

الصورة النمطية عن الجماعات

وكما في المسائل المادية، ينبغي ألا يجري تعميم الأحكام على الآخرين في القضايا المعنوية أيضًا. فإذا ما ارتكب شخص جريمة ما، أو فعل فعلًا مخطئًا، فهو المعنيّ وحده بهذا الجرم، وهو بمفرده من يوصم بهذا العار، ولا شأن للآخرين بذلك، لا من عائلته، ولا مجتمعه أو طائفته. وذلك بخلاف ما يجري في المجتمعات القبلية والجاهلية، حيث ينظر الناس نظرة شزراء إلى عائلة بأكملها، أو قبيلة بعامتها أفرادها؛ لأنّ واحدًا منها ارتكب جريمة ما، دونما ذنب اقترفه الباقون. إنّ الشخص المخطئ يتحمّل وحده المسؤولية عن أفعاله، ولا شأن للآخرين في ذلك من قريب أو بعيد. هذا ما ينبغي أن يسري في مختلف العلاقات الاجتماعية بين أتباع المذاهب والطوائف والجماعات، فلو أقدم شخص من أتباع مذهب ديني، على الإساءة إلى مذهب آخر، فينبغي ألاّ يجري تعميم هذا الخطأ على جميع أتباع المذهب، والحكم عليهم، والتشهير بهم، والإساءة لهم، نتيجة خطأ صادر من فرد واحد، أو جماعة صغيرة محسوبة عليهم، فهذا خلاف المنطق والعقل، ومجانب للعدل والإنصاف، الذي يحصر المسؤولية عن الجرم في حدود مرتكبه وحده.

إنّ الانسياق خلف التوجّهات العاطفية، والنزعة الجاهلية، في تعميم الأحكام الجائرة، يُعدُّ مشكلة في بعض الأوساط والفئات. فهب أنّ شخصًا محسوبًا على جماعة من الجماعات قال كلامًا لم يعجب البعض، فهو المسؤول عن تبعات كلامه، ولا مسوّغ لأنّ تحاسب كلّ الجماعة على كلام أطلقه فرد واحد منها. إلّا إذا وافقوه وأيدوه. وذلك ما ينسحب أيضًا على المذاهب والأديان والأحزاب. إنّ الطريقة التعميمية في التعامل مع الأمور، تُعدّ طريقة غير عادلة، ومجافية لمنطق القرآن الكريم، حتى ليظن المرء أنّ المتورطين في تعميم الأحكام على الآخرين، لم يقرؤوا آيات الكتاب العزيز في نبذ هذا المنحى السيئ، وما مرّت على مسامعهم قطّ.

إنّ المنهج القرآني يمضي باتجاه وضع المعايير وتحكيم القيم، حيال النظرة إلى

أحداث الحياة. وإلا فما الفائدة من قراءة آيات الكتاب العزيز، الحاضرة على النأي عن تعميم الأحكام الجائرة على الأشخاص والجماعات؟

من هنا، ينبغي أن تُشكّل الآية الكريمة: ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، مرجعية ننظر من خلالها إلى الأشخاص والجماعات والمذاهب والأديان.

فالقرآن الكريم لا يقبل أن يضع جميع أهل الكتاب في سلة واحدة، وإنما تناولهم على نحو التبعيض، حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾، أي إن فيهم الصالح والطالح، فلا ينبغي الحكم على الآخرين جزافاً واتكاءً على قول أو فعل فرد واحد، فذلك خلاف العدل.



كُنْ فِي مَوْجِعِ الْعَطَاءِ

ورد في حديث عن رسول الله ﷺ قال يصف فيه المؤمن بعدد من الصفات ومنها أنه: «قَلِيلَ الْمُؤْنَةِ كَثِيرَ الْمَعُونَةِ»^(١).

ترتبط حياة الإنسان في هذه الدنيا ارتباطاً وثيقاً بأبناء جنسه ومحيطه. فهو جزء منهم، يعيش معهم، وتتداخل حياته مع حياتهم، فلا يستطيع أن يفصل عن أبناء نوعه من البشر، ويعيش منقطعاً عنهم، فلا بُدَّ له إذاً من العيش مع الناس؛ لارتباط مختلف شؤونه بشؤونهم.

غير أن هناك تفاوتاً ملحوظاً بين الناس، حيال مدى ارتباطهم بالآخرين والعلاقة معهم، فهناك من يعمد إلى تقليص ارتباطه بالآخرين إلى أدنى الحدود الممكنة، فيكتفي بالمقدار الضروري من العلاقة بالناس، ولا يسعى إلى توسيع شبكته علاقاته الاجتماعية، وهذا أمر غير محبذ، إذ من الخير للإنسان أن يتوسّع في علاقته مع أبناء جنسه، وإن شاب تلك العلاقة بعض المشاكل أحياناً، حيث ورد في الحديث «إنَّ المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»^(٢). في مقابل ذلك، هناك من يسعى إلى توسيع رقعة ارتباطاته مع الآخرين، إلى أقصى حدٍّ ممكن.

(١) مستدرک الوسائل. ج ١١، ص ١٨٠، حديث ١٢٦٨٦.

(٢) كنز العمال. ج ١، ص ١٥٤، حديث ٧٦٩.

إنّ علاقة الإنسان بالآخرين قائمة على أساس مبدأ الأخذ والعطاء، فهو يأخذ منهم ويعطيهم، غير أنّ مربط الفرس هنا، هو في الموازنة بين الأخذ والعطاء، والمدى الذي يعطي المرء الناس أو يأخذ منهم.

الأخذ والعطاء في العلاقة مع الناس

إنّ هناك أصنافاً من الناس، يمكن التمييز بينهم حيال مسألة الأخذ والعطاء، في علاقتهم بالآخرين. فهناك من يتساوى عنده ميزان الأخذ والعطاء، فهو يعطي الناس بمقدار ما يأخذ منهم، فالأمر بالنسبة لهذه الفئة أشبه بكفتي ميزان، على صعيد العلاقة بالآخرين، لجهة الأخذ منهم وتقديم العطاء لهم.

أمّا الصنف الثاني من الناس، فهم أولئك الذين يسعون إلى الأخذ من الآخرين أكثر من عطايتهم لهم، وهذا الصنف تتعزز فيه حالة النهم نحو الاستحواذ على كلّ ما تقع عليه يده من المكاسب والمصالح، التي يستطيع الاستحواذ عليها من الآخرين، من أفراد عائلته وأصدقائه وزملائه ومعارفه، في مقابل محدودية العطاء الذي يقدمه لهم، عاداً هذا السلوك نوعاً من الحداقة والذكاء.

وعلى النقيض من ذلك يأتي الصنف الثالث من الناس، وهم الذين يسعون إلى أن يكون عطاؤهم للناس أكثر من أخذهم منهم، بحيث تكون السمة الرئيسة في علاقتهم العائلية والاجتماعية هي سمة العطاء، فلا يعود المعيار قائماً على مقدار ما يأخذون من الناس، وإنّما التفكير دوماً في مدى ما يعطونه لهم.

ترجيح كفة العطاء

ويدفع العقل السليم، إلى جانب النصوص الدينية، نحو التحلي بصفة العطاء في العلاقة بالآخرين، أكثر من الأخذ منهم. حيث تشجّع الإنسان المؤمن على التخلق بصفة البذل والعطاء، فقد ورد عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ

السُّفْلَى، فَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفَقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ»^(١).

وجاء في نص آخر عنه ﷺ أنه قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»^(٢)، وفي ذلك حث على السعي نحو احتلال موقع العطاء للآخرين، وهذا هو معنى اليد العليا، كما ورد في حديث عنه ﷺ أنه قال في صفة المؤمن: «.. أنه قليل المؤونة كثير المعونة»، فالإنسان المؤمن إن اضطر للأخذ من الآخرين بحكم العلاقة الطبيعية بين الناس، فسيكون ذلك ضمن الحدود الدنيا، في مقابل كثرة المعونة التي يقدمها للآخرين.

وورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: «من خالطت فإن استطعت أن تكون يدك العليا عليهم فافعل»^(٣)، ومضمون ذلك أن يحرص الإنسان على أن يكون في موقع العطاء والإحسان للآخرين متى كان معهم، في حضرٍ أو سفرٍ أو تجارةٍ أو عمل. وجاء عن الإمام الكاظم ﷺ في وصيته لهشام أنه قال: «إن خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحدًا منهم إلا من كانت يدك عليه العليا فافعل»^(٤).

إنّ التعاليم الدينية تفيض بالتوجيهات الحاضرة على التفكير في العطاء للآخرين، على نحو يفوق الأخذ منهم. فقد ورد في المسائل الفقهية حول البيع والشراء «استحباب أن يأخذ الإنسان ناقصًا وأن يعطي زائدًا»، وذلك بأن يشتري الشيء ناقصًا - باختياره -، خلافًا لاستيفاء الحقّ مضاعفًا كما يفعل البعض. وينسحب ذلك على أمر اقتراض المال من الآخرين، فالأفضل إرجاع الدين مع الزيادة، ما لم تشترط الزيادة ابتداءً. وكذلك تدرج الحقوق الزوجية في هذا السياق، إذ إن تمام المروءة أن يعطي الزوج زوجته الحقّ مضاعفًا، وإن نال حقّه منها منقوصًا. والحال نفسه ينطبق مع العاملين في

(١) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ص ٣٥٠، حديث ١٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه، حديث ١٤٢٧.

(٣) الكافي. ج ٢، ص ٦٣٧.

(٤) تحف العقول، ص ٣٩٥.

المؤسسات التجارية، فإن استطاع المالك إنقاص ساعات العمل تفضيلاً فليفعل، فهذه هي اليد العليا، عوضاً عن محاسبة العامل على واجباته حساباً عسيراً، أو التراخي في إعطاء حقوقه.

اليد العليا خير من السفلى

وهكذا يربّي الإسلام الإنسان على أن يكون معطاءً للآخرين على نحو أكبر من أن يكون أخذاً منهم. ومردّد ذلك إلى أسباب عديدة، منها:

أولاً؛ اعتبار ميل الإنسان للعطاء للناس على حساب الأخذ منهم، دفعاً له لتنمية طاقاته وقدراته، بغرض التوفر على الإمكانيات التي تجعله في مقام من يعطي الآخرين ويتفضل عليهم، ويبدل المال في خدمة أهله ومجتمعه، بخلاف الآخر الذي بالكاد يفكر في توفير احتياجاته الشخصية وحسب، والذي مهما بلغ فإن أفق حركته يبقى محدوداً. ولا يقتصر العطاء على المسألة المالية، وإنما يتجاوزها إلى مجمل القدرات والإمكانات، إن لجهة العطاء العلمي، أو بذل الجاه والمكانة الاجتماعية، أم النشاط الثقافي، التي تبقى في مجملها حقلاً مفتوحاً للعطاء غير المحدود. وهكذا يشكّل الطموح إلى بلوغ محلّ العطاء، أكبر دافع إلى مضاعفة الإمكانيات والقدرات الذاتية.

ثانياً: لما في ذلك من تنمية المشاعر الإيجابية، والنزعات الخيرة، في نفس الإنسان. تلك المشاعر والنزعات التي ستأخذ طريقها في تعامل الإنسان مع عائلته وأصدقائه وزملائه وعماله. وفي هذه الحالة، سيكون محور تفكير الإنسان في علاقته مع الآخرين، هو ما سيعطيهم ويقدم لهم، لا ما يريد أن ينتزع منهم.

ثالثاً: ما في العطاء من ثواب إلهي كبير، فالإنسان الذي يريد ثواب الله ورضاه، ينبغي أن يدرك بأن ذلك غير منحصر في الصلاة والصيام، والالتزام بمختلف

العبادات، وأداء المستحبات بقدر ما هو منوط أيضًا بالعتاء الذي يأتي على رأس الأعمال ذات الثواب المؤكد، والذي ينبغي ألا يهد فيه المؤمن، وإنما يبادر إليه على نحو مضاعف عما سواه.

ولطالما جاءت النصوص الدينية تترى في الحث على العطاء. فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أعان أخاه يومًا كان خيرًا له من اعتكاف شهر»^(١)، ولنا أن نتخيل مقدار ثواب المعتكف في المسجد شهرًا من الزمان، صائمًا مصليًا قارئًا للقرآن الكريم، يتعبّد الله ويدعوه ويتهجّد إليه، ومع ذلك يجعل النبي ﷺ ثواب إعانة إنسان بالمال أو الجاه أو الوقت أعظم من هذا الاعتكاف بكل ما فيه من الثواب.

إنّ التميز بالعتاء يبقى أمرًا منوطًا بأريحية الإنسان، سواء كان وسط جماعة في سفر، أو عضوا في مجلس إدارة لنشاط من الأنشطة، أو أيّ مكانٍ أو مجالٍ من المجالات، فسيكون كلّ همّه أن يجعل حضوره متميزًا بالعتاء للآخرين. والحال نفسه في العلاقة العائلية مع الزوجة، حيث ينبغي أن يكون محور تفكير الإنسان في مقدار ما يعطي زوجه لا ما يأخذ منها، والعكس بالعكس، وكذلك الحال بين الأصدقاء وزملاء العمل، ولنتذكر دائمًا الحديث النبوي «المؤمن قليل المؤونة كثير المعونة»، وفي نصّ آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤونة»^(٢)، فالمؤمن أبعد ما يكون عن الإثقال على عائلته وأصدقائه وزملاء عمله، نتيجة كثرة متطلباته.

(١) الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٣٢.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٢٤١، حديث ٣٨.



الصراعات السياسية وتفجير الأضغان

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
دَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ
وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [سورة محمد،
الآيات: ٢٩-٣٠].

يتفرد القرآن الكريم بتوصيف خاصّ لمفردة القلب، على نحو مختلف عن التوصيف المادي الدارج بين الناس. فليس المقصود بمفردة القلب الواردة في العديد من الآيات القرآنية، ذلك العضو الصنوبري الموجود في الجانب الأيسر من صدر الإنسان، الذي يضخ الدم عبر الأوردة والشرايين إلى مختلف أعضاء الجسم، وإنما المقصود بالقلب في القرآن الكريم هو مركز الإدراك والإرادة في شخصية الإنسان، حيث تعود مجمل تصرفات الإنسان ومواقفه وسلوكه وأعماله، إلى ذلك المركز المتحكم في إدارة القرارات الشخصية، تمامًا كما يتحكم العضو المادي المعروف بالقلب في توزيع الدم في الجسم.

وبهذا المفهوم للقلب، يشير القرآن الكريم إلى أن القلوب عرضة لأن يعترها المرض، كما يعترى الأجسام المرض والسقم، التي تعرف بأعراضها، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾، وجاء في آية أخرى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾. ويتجسد مرض القلب عمليًا في غلبة التوجهات السيئة، والنوازع

الشريرة، على مركز إدارة الإنسان لحياته، وتحولها إلى صفات متجذرة في شخصيته.

أخطر أمراض القلوب

إنّ من أخطر الأمراض التي تضرب القلوب، وقوعها تحت سيطرة الأضغان والأحقاد. وذلك بأن يكون مركز تفكير الإنسان ومشاعره، واقعاً تحت هيمنة الأضغان والأحقاد تجاه الآخرين، لتكون مجمل تصرفاته ومواقفه وكلماته، منبعثة من حالة الحقد والضغينة التي يضمرها ضدّ الآخرين.

إنّ الإنسان في علاقته مع غيره من البشر، عرضة لحالات الاختلاف في الرأي، وتضارب المصالح، ونشوء حالات سوء التفاهم، وكلّ ذلك أمر طبيعي على صعيد العلاقات بين البشر، غير أنّ حجر الزاوية، يكمن في الطريقة التي يدير بها الإنسان هذا الاختلاف الفكري أو المصلحي مع الآخرين، فهو هنا أمام طريقتين لإدارة الاختلاف، فإمّا أن ينطلق من الضوابط الشرعية والمنطقية التي تتغيّ تحقيق المصلحة وتوفير المنفعة، وهذا أمر معقول وقائم في حياة الناس، وإمّا أن ينطلق في إدارة الخلاف مع الآخرين من منطلق الأحقاد والأضغان.

هنالك فرق شاسع بين إدارة الخلاف مع الآخرين على قاعدة الضوابط العقلية والمنطقية، وبين التورط في النزاعات انطلاقاً من الأحقاد والأضغان. ذلك أنّ المرء إذا دخل في صراعه مع الآخرين انطلاقاً من الأضغان والأحقاد، فإنّ جلّ تفكيره سيكون منصباً على إبادة الطرف الآخر، والاندفاع نحو سحقه، وإلغاء وجوده تماماً، فلا يعود ساعتهذ يعترف بحدود أو ضوابط في صراعه معه. وعلى النقيض من ذلك، إذا انطلق الإنسان في صراعه مع الآخرين، في ظلّ وجود الضوابط المعقولة والمتعارفة التي تحكم حالات النزاع بين البشر، فإنه سيحارب ضمن حدود معينة، تبعاً لما تقتضيه ضرورات الحرب وحسب، سيّما وقد وضعت المجتمعات الإنسانية أساليب وطورت قوانين وضوابط تحكم حالات الصراع والحروب.

إدارة الصراع من منطلق الأحقاد

إن إدارة الصراع على قاعدة الأحقاد وغلبة النزعة الانفعالية بات سمة رئيسة للمجتمعات المتخلفة. وتبعاً لذلك يستحيل على المتخلف الاعتراف بوجود الطرف الآخر، أو التوصل إلى حلٍّ معقول معه، بل السعي إلى إبادته، بالاستعانة بكل عقد التاريخ التي حكمت طويلاً علاقة الأطراف ببعضها فيما سبق.

إن هذا النمط من النزاع القائم على الحقد والضغينة، يمكن أن يأخذ مكانه أحياناً حتى ضمن الخلافات العائلية، فإذا كان الزوجان عاقلين، أو أحدهما على الأقل، فإن الخلاف بينهما يجري على نحو منضبط غالباً، وعلى النقيض من ذلك، إذا كان الزوجان بعيدين عن الحكمة والعقلانية، فتجدهما يندفعان في خلافهما على أساس الحقد والضغينة، فيلجأ كل منهما للثأر من الطرف الآخر، وعدم الاعتراف بأي حق له.

وفي هذا السياق، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أُرِيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرِ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعُ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، قَالُوا: بِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (بِكُفْرِهِنَّ) قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ، قَالَ: يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(١)، وحقيقة الأمر أن هذا السلوك غير مقتصر على النساء وحدهن، فقد يجري بين الأصدقاء أيضاً، وكم من شخص ربطته مع صديق عشرة طويلة، فإذا به يشطب تلك العشرة في لمح البصر مع أقل خلاف، ويشرع في فتح الملفات السوداء بينه وبين صديقه حول ما سبق أن قال وما فعل، كل ذلك انطلاقاً من حقد وضغينة أضمرها. إن إدارة الخلاف مع الآخرين على هذا النحو تنحدر إلى السلوك الجاهلي البعيد كلياً عن أي ضوابط ومحددات للاختلاف.

ويكمن مفهوم الإدارة الصحيحة للصراع، في جملة أمور، منها: تحديد المشكلة، والالتزام بضوابط الاختلاف والصراع بشأنها. وذلك ما ينطبق على سائر أشكال

(١) صحيح البخاري، البخاري، ج ١، ص ٢٥٤، حديث ١٠٥٢.

الصراعات، بين الجماعات والطوائف والاتجاهات، التي قد ينشب بينها خلاف بشأن قضية من القضايا، فلا بُدَّ عندها من تحديد حجم المشكلة، والنأي عن التورط فيها انطلاقاً من الأحقاد والضغائن.

إنَّ الساحة الإسلامية باتت تعجّ بالصراعات الكاشفة عن أسوأ أمراض القلوب عند الناس. وكأنَّ هؤلاء الغارقين إلى آذانهم في إثارة الضغائن والأحقاد، بعيدون عن هيمنة وسلطان ربِّ العالمين، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾، فالواحد من مرضى القلوب هؤلاء، سرعان ما ينكشف ساعة الخلاف، مقدار ما في قلبه من مخزون هائل من الكراهية والتعصب، فلا يقف عند حدود مشكلة معينة ربما نشبت هنا أو هناك، وإتّما يسارع إلى فتح معركة شاملة يستدعي خلالها كلَّ أحقاد التاريخ، ويتنكر خلالها لوجود الطرف الآخر.

إنَّ الأمة الإسلامية تزخر بالتعدد الطائفي والمذهبي، وهناك جملة من الآراء والقضايا المختلف بشأنها، فكرياً وعقدياً وفقهياً وتاريخياً، إلى جانب الصراعات السياسية الناشئة عن تضارب المصالح. ومما يزيد من أوار الصراع دخول المنطقة مرحلة إعادة التشكل، نظراً لغياب العلاقة السوية بين المكونات المختلفة منذ زمن بعيد، فبات كلُّ مكون يبحث عن موقعيته المناسبة لحجمه وامتداده الطبيعي، كما تسعى كلُّ فئة لانتزاع حقوقها المصادرة منها. فإذا كان من الطبيعي أن تمرَّ بعض المجتمعات بهذا النوع من الصراعات، فإنَّ المسألة المهمة تبقى في كيفية إدارة هذه الصراعات.

صراعات مصلحة بغطاء ديني

ليس أدلَّ على مرض القلوب من تفجير الأحقاد وإثارة الضغائن بين الناس. ولعلَّ ذلك المرض بات أوضح ما يكون مع كلِّ موجة من موجات الصراع التي تمرُّ بها الأمة في أيِّ بقعة كانت، حيث تتفجر الأحقاد وتطفو الضغائن إلى السطح، مع أنَّ جوهر

تلك الصراعات سياسي بالدرجة الأساس، نتيجة تضارب المصالح بين الأطراف المتصارعة، فتسعى كل جهة لتعديل ميزان القوى لصالحها، وإلى هذا الحد يبقى الأمر منطقياً متى ما التزم كل طرف بالضوابط. وما هو غير منطقي ولا أخلاقي، أخذ تلك الصراعات السياسية والاجتماعية إلى المربع الديني والنزاع الطائفي، وإرجاع كل اشتباك صغر أو كبر إلى جذور تاريخية مزعومة، واستدعاء أسوأ ما في ماضي الصراع بين الأطراف المتنازعة. فهم يتهمون بعضهم بعضاً بأسوأ النعوت، ويرجعون مواقفهم بعضهم البعض إلى غابر التاريخ.

ولنا في عبر التاريخ درس بليغ من حياة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام. فقد شنّ خصومه عليه السلام سلسلة حروب دموية ضدّ حكمه، في صفين والجمل والنهران، غير أنه عليه السلام رفض إسباغ الصراع مع محاربيه بصبغة دينية، مألها المزيد من تفجير الأحقاد. فقد «سئل عن أهل الجمل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بعوا علينا»^(١)، وفي ذلك جواب موضوعي دقيق، يحصر الصراع ضمن أضيق حدوده السياسية. وعلى هذا النحو ينبغي التقاط هذا الدرس البليغ من الإمام علي عليه السلام في سبيل حصر مختلف النزاعات ضمن حدودها الضيقة.

إنّ الدفع نحو تفجير النزاعات الطائفية، يمثل مصلحة قائمة لدى القوى الأجنبية. وذلك في سبيل تفجير الحروب بين طوائف الأمة، من السنة والشيعة، والأنكى ما يجده المتطرفون من مختلف الطوائف من فرصة في تلك الحروب لتسويق بضاعتهم الطائفية، غير أنّ العقلاء ينبغي ألا يقبلوا بأن تتجه الأمور نحو هذا المنحى المدمر.

كما أنّ على الحكومات أن تتخذ إجراءات صارمة تجاه المتورطين في تأجيج النزاعات الطائفية، فلا ينبغي للحكومات أن تسكت عن الخطاب التحريضي المثير

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٣، ص ٨٨، حديث ١٨٨.

للكراهية والتعبئة الطائفية؛ لأنّ ذلك مما يضرّ بحالة الاستقرار في المجتمعات. ينبغي أن ينحصر الصراع السياسي ضمن إطاره المحدد، فلا يجوز أن يجري غصّ الطرف عن حالة الانفلات التي تثير الضغائن وتفجر الأحقاد بين الناس.

إنّ الحكومات مدعوة إلى تحمّل مسؤولياتها تجاه لجم الإساءات والتعبئة الطائفية، والتهديدات السّافرة التي يوجهها أيّ طرف للآخر، حتى لا تقود إلى صراع طائفي يهدّد بحرق الأخضر واليابس ويضرّ بالمجتمعات والأوطان.

وينبغي للواعين أن ينأوا بأنفسهم عن التورط في الصراعات الطائفية. فإذا كان المتطرفون يجدون في الأزمات والصراعات ضالّتهم لتسويق تشدّدهم وطائفيتهم، فإنّ على الواعين أن يحذروا الانزلاق في هذا المعترك، وأن يضعوا مصلحة الأمة فوق كلّ اعتبار، من خلال حصر النزاعات القائمة ضمن إطارها، على غرار موقف الإمام عليّ عليه السلام في مقولته آفة الذكر «إِخْوَانُنَا بَعَوْا عَلَيْنَا»، وليربأ الواعون بأنفسهم عن الإسفاف لاستخدام منطوق الجاهلين والمتشدّدين، وإلا أصبحوا مثلهم، وجزءاً من حالة الجهل والتشدّد الديني التي تعاني منها الأمة.

الخطبة الأولى



مواجهة الإرهاب والاستنفار الشامل

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ
أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة

المائدة، الآية: ٣٢].

يمثل ظهور بعض الأمراض الاجتماعية والظواهر السياسية تهديدًا يتجاوز بعيدًا بلد المنشأ إلى ما سواها من البلدان. لذلك يتطلب الأمر التعامل مع هذه الظواهر على غرار التعامل مع الأمراض والأوبئة التي تضرب مناطق معينة، وتهدد بالانتشار إلى ما سواها، سيما مع الانفتاح والتشابك الذي يشهده العالم على نحو غير مسبوق، وتبعًا لذلك لا يمكن ترك مهمة مواجهة الأوبئة على البلاد المصابة بها؛ نظرًا لسعة وسرعة انتشارها على نحو يتجاوز قدرات وإمكانات أي بلد بمفرده، الأمر الذي يدعو إلى استنفار عالمي.

وتجري مواجهة الأوبئة عادة باتخاذ عدة خطوات، أولها محاصرة الوباء ضمن نطاق ظهوره ومنع انتشاره، ثم تجري ثانيًا دراسة أسباب الوباء وعوامل النشأة وسبل العدوى، وثالثًا يجري إنتاج اللقاحات اللازمة لمعالجة الوباء والوقاية منه، ثم يأتي رابعًا وأخيرًا نشر وسائل العلاج على مستوى العالم، ومتابعة التقيد الصارم بأساليب الوقاية والعلاج، فلا خيار لأحد في التساهل تجاه ذلك. ولا يصحّ أبدًا تسييس التعامل مع شأن الأوبئة، على نحو يجري التعامل مع انتشارها في بلد معين وفق نزعة الثأر من

ذلك البلد؛ لأنّ الوباء لن يبقى محصوراً في حدود تلك البلاد، ليكون الأمر بالنسبة للبلاد الأخرى كمن تثار من نفسها، متى استخدمت سياسة الثأر وتوظيف الأمراض توظيفاً سياسياً.

إنّ التعامل مع الأمراض الاجتماعية والظواهر السياسية، التي تحمل مخاطر وتهديدات تنذر بالتفشي والانتشار عالمياً، كظاهرة الإرهاب، ينبغي أن يكون على غرار التعامل مع الأمراض والأوبئة المعدية.

الوباء الأخطر

لقد بات الإرهاب كالوباء الخطير الذي يتهدّد كلّ المجتمعات، ما يستدعي الاستنفار العالمي لمواجهته. لما يحمل من تهديدات تنذر بالتفشي والانتشار، ولأنه لن يبقى محصوراً في تلك المنطقة أو ذلك البلد، وهذا تحديداً ما ابتلي به العالم اليوم. فحينما ظهرت بعض الحركات الإرهابية ذهبت بعض الأطراف إلى توظيفها سياسياً، من خلال دفعها باتجاه خصومها من الأنظمة السياسية، والمجتمعات والطوائف الدينية، دونما إدراك لتداعيات هذا التوظيف السيئ، المتصل بطبيعة المجموعات الإرهابية، التي متى ما تمكنت وامتلكت القدرات، فإنّ من الصعب السيطرة عليها، حتى من قبل داعمها ومموليها، والعاملين على توظيفها، ليمضي وباء الإرهاب في الانتشار والارتداد حتى على داعميه، وهذا تحديداً ما يحصل في العالم في وقتنا الراهن، حيث بات في مواجهة مباشرة مع موجات الإرهاب والتطرف المنفلت.

حاضنة الإرهاب

ومع بالغ الأسف، باتت المجتمعات الإسلامية تمثل الحاضنة الأبرز للإرهاب. ومردّ ذلك إلى الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير السوية التي تعيشها معظم المجتمعات الإسلامية، ما يُشكّل بمجموعه أرضية لاحتضان هذا المرض

الوخيم؛ كما ساعد على ذلك تفشي الفهم السيئ لمفاهيم الدين. إن كثيراً من المجتمعات الإسلامية لا تفهم الدين فهماً حقيقياً، فهذا الدين الذي جاء بالسماحة والألفة والرحمة، كما في قوله تعالى في خطابه لنبهه الكريم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، هذا الدين جعله بعض المسلمين ديناً للكرهية والصراع، وتفجير النزاع، وبث الشحنة والبغضاء في النفوس. وقد ساهم هذا الفهم السيئ مع وجود الحاضنة الاجتماعية التي تعج بالتخلف السياسي والاقتصادي، مما ساهم في تفشي الإرهاب، حتى انفلت من عقاله، فامتدت رقعة المعاناة، وعاث في المجتمعات الإسلامية تدميراً وخراباً، من الصومال إلى أفغانستان وباكستان، ثم العراق وسوريا ولبنان واليمن، وصولاً إلى تونس وليبيا والجزائر مروراً بمصر، والحبل على الجرار.. وقل أن تجد بلداً إسلامياً نجا من بطش الإرهاب وموجات التطرف، ليتعدى الأمر إلى ضرب البلاد غير الإسلامية.

تصاعد العمليات الإرهابية

إن العالم مطالب بإعلان حالة استنفار قصوى، في مواجهة موجات الإرهاب والتطرف. فقد ذكرت التقارير أن العام ٢٠١٤ شهد ارتفاعاً حاداً بلغ نحو ٩٤ بالمائة في نسبة تنفيذ العمليات الانتحارية المرتكبة في مختلف بقاع العالم، وأشارت الأرقام إلى تنفيذ المجموعات الإرهابية نحو ٥٩٢ عملية انتحارية عبر العالم، بلغ عدد ضحاياها ٣٤٠٠ شخص، ممن قتلوا في المساجد والمطاعم والمتاحف والمسارح. وقد شهدت العمليات الانتحارية تورطاً لافتاً للعنصر النسائي، حيث نفذت ١٦٥ امرأة عمليات انتحارية في أفغانستان وحدها عام ٢٠١٤م^(١).

وهذه بلادنا، التي كانت إلى حد ما، في منأى عن الأعمال الانتحارية، تتلقى طعنة غادرة بسقوط عشرات الشهداء في عملية انتحارية في بلدة القديح بالقطيف. حيث

(١) موقع <http://www.i24news.tv/ar> بتاريخ ٠٤/٠١/٢٠١٥م.

استهدفت يد الإرهاب الأئمة المصلين الذين يؤدون صلاة يوم الجمعة، فسفك الدم الحرام وتناثرت الأشلاء، واستشهد وجرح العشرات من الرجال والأطفال.

الانتقائية في الموقف من الإرهاب

إنّ العالم أجمع مطالب بالتوحد الحقيقي ضد الإرهاب. وعلى الحكومات أن تتخذ مواقف واضحة، غير انتقائية، ضد الإرهاب في كل مكان، ذلك أنّ دعم الإرهاب في بلد، أو السكوت عنه في بلد آخر، إنّما يعني منح الإرهاب المزيد من الفرص للانتشار. لا مجال للانتقائية في التعامل مع الإرهاب، فلا يجوز السكوت عن الحركات الإرهابية التي تضرب بلدًا آخر، لمجرد الخصومة مع حكومة ذلك البلد، أو العداة مع ضحايا الإرهاب هناك.

لا بُدّ من القول، إنّ استفحال الإرهاب يأتي في جانب منه نتيجة الصراعات الإقليمية بين دول المنطقة. وما لم تتفق الأطراف الإقليمية على الحوار، ووضع حدّ للدمار والخراب، الذي يطال بلدان المنطقة، فإنّ النزيف سيستمر، وستدفع بلداننا ومجتمعاتنا المزيد من الخسائر والضحايا. إنّ إدانة الإرهاب لا ينبغي أن تقتصر على الشعارات والخطب والإدانات اللفظية، وإنما المطلوب تبني سياسات عملية في مواجهة الإرهاب الذي يضرب المنطقة، وما لم تجتمع القوى الإقليمية على التوافق عبر مائدة الحوار، فإنّ أوطان المنطقة وشعوبها ستدفع الثمن غاليا، في النزاعات القومية والعرقية والطائفية.

رفع الغطاء الديني

كما ينبغي على علماء المسلمين اتخاذ موقف واضح يرفع الغطاء الديني عن الممارسات الإرهابية. وأن يكفّ هؤلاء عن تسعير الإرهاب من خلال خطب التحريض والتعبئة وإثارة الأحقاد والضغائن، إذ يكفي للحظات مراقبة ما يقال على

بعض المنابر والقنوات الفضائية ومواقع التواصل الاجتماعي، لإدراك سيل الأحقاد والضغائن التي تبث على مدار الساعة، أما ضحايا هذا الخطاب التحريضي، فهم صغار السن من المراهقين والشباب الذين سرعان ما يستجيبون لموجات التعبئة. فمتى سيوضع حدٌ لهذا التحريض والتعبئة الطائفية؟

إننا جميعًا مسؤولون عن وضع حدٍ للتحريض والتأجيج الطائفي. ولا جدوى من التنصل، واتجاه كل طرف لتبرئة نفسه، وإلقاء المسؤولية عن التحريض والتعبئة الطائفية على الطرف الآخر، فحقيقة الأمر أنه وإن تفاوتت النسب بين هذا الطرف أو ذاك، إلا أن الجميع يشتركون في تعزيز الثقافة التعبوية الطائفية، هذه الثقافة التي تُشكّل إمدادًا ودعمًا تتغذى منه التوجّهات الإرهابية المتطرفة.

رحم الله شهداءنا الأبرار في جمعة القديح الدامية، ومنّ على الجرحى بالصحة والعافية، وحمى الله بلادنا وبلاد المسلمين والعالم من شرور الإرهاب. قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.



بعد حادثة القديح.. التوكل على الله والإجراءات المطلوبة

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ
مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة، الآية: ٥١].

تكتنف الأخطار المتعددة حياة الإنسان في هذه الدنيا؛ من أمراض وحوادث وكوارث. ويغدو من الطبيعي عندها أن يخشى الإنسان على نفسه شر تلك الأخطار، فيسعى إلى تلمس طرق الوقاية منها، واكتشاف سبل العلاج. غير أن هذه الأخطار لا يمكن بأي حالٍ استئصالها تمامًا من هذه الحياة، فمن أراد حياة هانئة بلا كدر، وأمنة بلا خطر، فإنها لن تتوفر سوى في الآخرة، وهو أقصى أمل المؤمنين وأولياء الله الصالحين، أمّا الحياة الدنيا، فإنّ من طبيعتها وجود الأخطار والمكاره التي تتفاوت من مكان إلى آخر.

هناك أقطار ترزح تحت خطر الأمراض والأوبئة كما في بعض مناطق أفريقيا، نتيجة التخلف وضعف الرعاية الصحية، وتردّي الواقع الاجتماعي والاقتصادي.

وهناك بلدان أخرى تعيش خطر الكوارث الطبيعية المتكررة من الفيضانات والبراكين والزلازل، التي يذهب ضحيتها المئات والآلاف، وتؤثر على حياة الملايين من الناس، كما حدث مؤخرًا في الزلزال الذي ضرب دولة النيبال^(١)، وبلغت قوته



٧, ٩ على مقياس ريختر، وقتل فيه أكثر من أربعة آلاف شخص، وتضرّر جراه ثمانية ملايين شخص.

كما تواجه مناطق مختلفة خطر الاضطرابات الاجتماعية، نتيجة تفجر النزاعات المسلحة، وأعمال القتل والتفجيرات العشوائية.

من هنا ينبغي الإشارة إلى سبل مواجهة الأخطار المحدقة بمناطقنا، سيّما وقد دخلت بلادنا دائرة الاستهداف المباشر، بعد اعتدائي الدالوة في الإحساء^(١) والقديح^(٢) في القطيف.

الصبر والثبات

وفي سبيل مواجهة الأخطار الإرهابية المستجدة على منطقتنا ينبغي الالتزام بجملته من الإجراءات الضرورية. وأول ما ينبغي الالتزام به، هو التحلّي بالصبر والثبات، فالإنسان المؤمن لا يدخل قلبه الرعب والخوف، على نحو يعطل حياته، ويوقف مسار نشاطه وعمله، نتيجة وجود بعض الأخطار والتحديات. فهذه الاعتداءات الدموية، التي لم نكن نتمناها في يوم من الأيام، أصبحت الآن أمراً واقعاً، ونحن في الوقت الذي نسأله تعالى أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من شرورها، ينبغي في الوقت عينه أن نتحلّى بروحية الصبر والثبات، التي يمنحنا إياها ديننا الحنيف، فنحن أتباع دين يحضنا على التسليم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾، وليكن لنا مثال في تجارب الشعوب الأخرى، التي عانت طويلاً من خطر الإرهاب، دون أن ينال من إرادتها وعزيمتها، وهذا الشعب العراقي أماننا، الذي طالما استهدفت حياة أبنائه ومقدّساته ومناسباته الدينية، ومع ذلك لا يزال

(١) حادثة الدالوة وقعت يوم ١٠ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٣ نوفمبر ٢٠١٤م، تسببت في مقتل ٨ أشخاص وأصيب ٩ آخرون.

(٢) الجمعة ٤ شعبان ١٤٣٦هـ الموافق ٢٢ مايو ٢٠١٥م.

ييدي الإصرار المضاعف، والإقبال المتزايد، على إحياء المناسبات عامًا بعد عام. إن الثبات والصبر هو المطلوب من كل مجتمع إيماني، من خلال التمسك على نحو أكبر بمساجده وحسينياته وأنشطته وبرامجه الدينية، وبمعنويات رفيعة وحضور مضاعف. ولا يصح للمؤمن أن يستسلم وينأى بنفسه عن بيوت الله بداعي الخطر المحتمل، وإنما ينبغي أن يُسلم أمره لله سبحانه متوكِّلاً عليه، فالإنسان معرّض للأخطار في أيّ وقت وفي كلّ مكان.

الاحتياطات الأمنية

أما الأمر الثاني فهو التوفر على أساليب الوقاية من هذه الأخطار. وذلك من خلال تقوية الحسّ الأمني عند أفراد المجتمع، واتخاذ أقصى الاحتياطات. إنّ على الجميع الارتفاع إلى مستوى التحديات الأمنية الماثلة، فبعد أن درج الناس طويلاً على خلو الأماكن الدينية والمناسبات الاجتماعية من أيّ احتراز، بات عليهم من الآن فصاعداً التأقلم مع وجود هذه الاحترازمات استجابة للظروف الطارئة، وذلك ما يتطلب تعاون الجميع وتقبلهم لهذا الأمر، دونما انزعاج ولا تهاون. إنّ اتخاذ الاحتياطات ضمن التجمعات وأماكن العبادة بات أمراً ملحقاً ومطلوباً، بما يشمل توفير وسائل السلامة، والتدرب على الإسعافات الأولية، والتدرب على حسن التصرف فور وقوع الخطر.

الحذر من الاستدراج

وثالث الأمور المطلوبة، هو إفشال مخطط الاستدراج للقيام بردود فعل عنفية على الاعتداءات. إنّ على مجتمعاتنا أن تجتهد في تطويق التوجهات المتطرفة والإرهابية، التي تستهدف رفع مستوى التشنج الطائفي في بلادنا، والبلوغ بالمجتمع أقصى درجات التوتر المذهبي، من خلال الخطابات المتشددة، والأعمال المستفزة، القائمة على الفعل وردّ الفعل، فهذا ما يريده الإرهابيون ويسعون إلى بلوغه. إن مجتمعاتنا



مدعوة لمواجهة حالة الاستدراج، من خلال التمسك بلغة العقل والمنطق، والتزام تعاليم الإسلام.

ولا يعني ذلك الكف عن الحديث عن قضاياها، أو التخلي عن المطالبة بأي حق من الحقوق، فذلك ديدن الغياري في مجتمعنا من قبل هذه الاعتداءات وسيستمر بعدها، غير أننا ينبغي أن نختار الحديث في الوقت المناسب، والطريقة المثلى، واللغة المنضبطة، بعيداً عن المزايدات الفئوية، التي لن يسفر عنها سوى بقاء حالة التوتر وارتفاع درجة التشنج في مجتمعنا وبلادنا.

إن مخاطر الإرهاب باتت اليوم متعلقة بمستقبل الوطن والشعب بأكمله، بل وشعوب المنطقة برمّتها، وهذا ما يفرض علينا أن نكون دقيقين جداً في التعامل مع التطورات السياسية والأمنية المستجدة.

لقد قدّمت المرجعية الدينية العليا المتمثلة في السيد السيستاني مثلاً يُحتذى، حيال التعاطي مع موجات الإرهاب التي ضربت العراق. وذلك حينما بدأت يد الإرهاب تعبث في ذلك البلد، وانطلقت أثرها بعض الأصوات الانفعالية الداعية للثأر، فجاءت بيانات المرجعية مؤكدة التحلي بالحكمة، والتزام أقصى درجات ضبط النفس. ويمكن العودة لتلك البيانات المطبوعة ضمن كتاب «النصوص الصادرة عن السيد السيستاني» الذي يتضمن أغلب البيانات الصادرة عن السيد المرجع حول مختلف الأحداث، لنلاحظ أنه بالقدر الذي كانت المشاعر الغاضبة في ذروتها، كانت مواقف المرجعية تتسم بالرصانة والعقلانية والتوازن، مستقاة من هدي النبي ﷺ وأئمة أهل البيت.

وعلى هذا النحو ينبغي لنا الالتزام بأقصى درجات الحكمة وضبط النفس حيال الاعتداءات الآتية. وأن نتقيد باللغة والسلوكيات الحكيمة، المستقاة من هدي الإسلام وسيرة النبي ﷺ وأهل بيته، وتوجيهات المرجعية الدينية الرشيدة، وأن نمدّ

يد التعاون مع الجهات الرسمية والأهلية، لتطويق التوجهات الإرهابية المتطرفة، وتفويت الفرصة عليها، لا أن نستجيب لاستهدافاتها الرامية إلى تصعيد مستوى التوتر الطائفي إلى أقصى مدياتها.

الترجمة العملية للتعاطف والتضامن

أما وقد شهدنا مواقف وطنية مشرفة من الكثير من الجهات الأهلية في أعقاب حادثة الدالوة، فإنّ علينا أن ندفع باتجاه ترجمتها إلى مواقف عملية على أرض الواقع، لا أن تظلّ مجرد خطب شفوية أو حبراً على ورق.

وعليه، ينبغي أن تتضافر الجهود في سبيل تجريم التحريض الطائفي في البلاد، وأن يجري ترسيخ حالة المساواة بين المواطنين، والسعي نحو معالجة الملفات العالقة، وهذا ما يتطلب تعاون كلّ القوى على المستوى الوطني. إنّ الاكتفاء ببعض التصريحات والكتابات الصحفية في أعقاب كلّ حادثة إرهابية، ثم بقاء الأمور على ما كانت عليه قبل الاعتداء، أمر غير صحيح، ولربما فتح الباب أمام تكرار الاعتداءات، والأنكى أن تأتي ارتداداتها على نحوٍ أكثر تعقيداً.

الأداء الأهلي الرائع

ولا يفوتني هنا الإعراب عن الإشادة بالأداء الأهلي الرائع، الذي أعقب الاعتداء الإرهابي في بلدة القديح. لقد كان الأداء الذي أبداه أهالي القطيف الكرام مدعاة للاعتراز والفخر، فقد ظهر الجميع على مستوى كبير من المسؤولية، حيال استجابتهم للموقف، وتعاطيهم مع الحدث، بصرف النظر عن بعض أوجه القصور هنا أو هناك، فقد سجلوا مشهداً ناصعاً مشرقاً في صفحات تاريخهم، هم جديرون به. ويكفي في ذلك موكب تشييع شهداء الفاجعة، الذي جرى وفق إدارة رائعة، إلى جانب تنظيم مجلس العزاء والتعاطي مع الحدث بشكل مجمل، كل ذلك بمّ بصورة رائعة، والفضل



يعود إلى حالة التلاحم والتعاون، التي جمعت كل الطاقات على اختلاف آرائها وتوجهاتها، من علماء دين ورجال أعمال وأدباء وأطباء وممرضين وجمعيات خيرية، وصولاً إلى سائقي حافلات النقل العام، وغيرهم.

لقد صنع الجميع ملحمة وطنية اجتماعية رائعة، تليق بهذا المجتمع، وتناسب تاريخه، فجزأهم الله خير الجزاء. إنَّ حالة التلاحم والتضامن هذه ينبغي اعتبارها مكسباً يلزم البناء عليه، وعدم التفريط فيه، وذلك بأن نعزز روحية العمل الأهلي الاجتماعي، من خلال انبثاق مؤسسات دائمة، لمواجهة أيِّ مشكلة أو حادثة يمكن أن تقع، سيّما وأنَّ الأوضاع لا تزال مفتوحة على كلِّ الاحتمالات، في ظلِّ التوتر الإقليمي والدولي. من هنا ينبغي أن نستفيد مما حصل، وأن نستخلص العبر والمكاسب.

الوعي الاجتماعي في مواجهة الإرهاب

﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَاللَّيِّنَاتِ
تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٥].

يمثل نزول البلاء وبروز التحديات المصيرية ساحة اختبار حقيقية على صعيد الأفراد والمجتمعات. فقد أودع الله تعالى في نفس الإنسان توجهات خيرة، وطاقات عظيمة، تسمو به على مقام الملائكة، كما منحه قدرات نفسية هائلة، تجعله أصلب من الجبال الرواسي، وقوة عقلية يستطيع أن يسخر بها ما في السماوات والأرض بإذن الله. غير أن هذه القدرات الإيجابية، والقوى والنوازع الخيرة في شخصية الإنسان، لا تظهر على نحو عفوي تلقائي، إنما تحتاج إلى تحفيز واستثارة، حتى تظهر وتأخذ مداها في حياة الإنسان. إن هذا التحفيز لقدرات الإنسان يطلق عليه القرآن الكريم مصطلح الابتلاء، الوارد في أكثر من عشرين موضعاً في الكتاب العزيز، والابتلاء هو تعرض الإنسان إلى حالات التحفيز التي تجعله يظهر قدراته، وتدفعه باتجاه تفجير مواهبه ونوازعه الخيرة. وعلى هذا النحو يمثل الابتلاء في الحياة معياراً أساسياً لإظهار حقيقة البشر وقدراتهم، على مستوى الأفراد والمجتمعات.

ويشمل مصطلح الشَّرِّ كلَّ المنغصَّات التي يستاء منها الإنسان، فيما يشير مصطلح الخير إلى جميع ما يسرُّ الإنسان. قال تعالى: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَاللَّيِّنَاتِ
تُرْجَعُونَ﴾، وبذلك يكون كلا الأمرين؛ أي الشَّرِّ والخير، محفِّزين لطاقات الإنسان وقدراته، وجاء في آية أخرى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ

عَمَلًا ﴿﴾، وجاء في آية ثالثة قوله تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾. ولعلّ عبارة ﴿مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ الواردة في الآية الكريمة إشارة إلى مشاعر الإنسان وأحاسيسه وحالته النفسية، أما عبارة ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ففيها إشارة إلى الأفكار والآراء والقناعات. وبذلك تأتي الابتلاءات في حياة البشر على سبيل الاختبار، وتبين النيّات، وإظهار مدى سلامة التوجّهات أو خطئها.

مجتمعنا ومواجهة التحديّ الجديد

إذا تعرّض أيّ مجتمع إلى التحديّات والأخطار، فإنّ معيار نجاحه يكمن في شكل الاستجابة لذلك التحديّ والخطر. إنّ مجتمعنا المحلي بات يمرّ اليوم بتحدٍّ وابتلاء جديد، متمثلاً في مواجهته لآفة الإرهاب، هذه الآفة التي استشرت وأصبحت تهدّد بإيقاع الدمار والخراب في العالم بأجمعه، وفي ديار المسلمين على وجه أخصّ. لقد أصبح مجتمعنا في مواجهة هذا الاختبار الذي سبقتنا إليه مجتمعات وشعوب مختلفة، وبعيداً عن أوجه التحليل الموسع لأسباب ظهور آفة الإرهاب وانتشارها في ديار المسلمين، الذي قتل بحثاً وتحليلاً، فإنّ ذلك لا يمنع من الإشارة إلى جوانب من أبرز مسببات ظهور هذه الآفة والبلاء المبرم، الذي تعاني منه أغلب مجتمعات الأمة.

كيف نما وتساعد الإرهاب؟

إنّ هناك جملة أسباب تقف خلف بروز ظاهرة الإرهاب التي باتت تضرب الأمة وتهدّد العالم. ويأتي على رأس الأسباب، أولاً: استحكام حالة الممانعة لدى الأنظمة الحاكمة في المنطقة العربية تجاه الإصلاح والتغيير. مما أدى إلى تراكم الأزمات، السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وظهور أجيال شابّة ترزح تحت ضغط الأزمات، وهي تقارن في الوقت عينه أوضاعها المزرية ببلاد العالم المتمدن. إنّ هذا يمثل سبباً رئيساً من أسباب هذا الانفجار المزعج، المتمثل في ظاهرة الإرهاب في العالم الإسلامي، الذي تطاير شرره في العالم كله.

أما السبب الثاني: فهو التلكؤ في معالجة الخطاب الديني، إنا بإزاء شعوب تؤمن بالإسلام، وتمسك به ديناً، وتسعى إلى الثبات عليه، ولكن يبقى السؤال عن طبيعة الفهم الديني الذي يراد إيصاله لهذه الشعوب. ينبغي القول هنا، إن التراث الديني لدى الأمة، كان يحتاج إلى المراجعة منذ زمن بعيد، ذلك أن القسم الأكبر منه يشكل اجتهادات ونقولات وآراءً بشرية، هي بأمر الحاجة إلى التمحيص والتجديد، سيما وأن كل فكر يبقى عرضة للتأثر بالبيئة التي انبثق منها، والزمن الذي شهد ظهوره. وقد شرع الدين للأمة باب الاجتهاد، حتى يعطيها الفرصة لمراجعة تراثها وفق الضوابط والأسس والمعايير المعتمدة. غير أن التلكؤ في تنقية التراث بقي السمة الغالبة في الأمة، حتى بات بين يدي الأمة اليوم، تراث محمل بالصراعات والنزاعات والاجتهادات والآراء، التي تعبر عن زمنها وبيئتها وظروفها وأوضاعها. وقد وجد دعاة العنف والتطرف ضالّتهم في تلك المقولات من التراث الديني، فصاروا يبررون بها أفعالهم الوحشية بحق الأبرياء.

كما مثل التراث الديني مادة خصبة للجدل المذهبي العقيم، الذي انشغل به المسلمون طويلاً. مع سابق علمهم بأن الحدود قد أرسيت بين المذاهب الفقهية، والمدارس العقدية منذ زمن بعيد، وأن ذلك الجدل العقيم لن يضيف شيئاً إلى هذا المذهب أو ذلك. ويجدر في هذا السياق أن نورد إشارة المرجع السيد السيستاني في أحد بياناته المنشورة، إلى ما مضمونه أنه من المتعدّد الاتفاق على ما هو مختلف فيه من القضايا العقدية والفقهية، فلنتركها جانباً، وليأخذ كل طرف بقناعاته وآرائه، دون تحويلها إلى أدوات صراع، نشغل بها ونمزق بها وحدتنا.

فقد جاء في البيان الصادر عن مكتب سماحته بتاريخ ١٤ محرم ١٤٢٨ هـ الموافق ٢٠٠٧/٢/٣ م ما يلي: «تمرّ الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحديات هائلة تمسّ حاضرها وتهدّد مستقبلها، ويدرك الجميع - والحال هذه - مدى الحاجة إلى رصّ الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النزعات الطائفية والتجنّب عن

إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة، ولا يبدو سبيل إلى حلّها بما يكون مرضياً ومقبولاً لدى الجميع، فلا ينبغي إذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين»^(١).

ويتمثل السبب الثالث لظهور موجات الإرهاب في الصراعات الإقليمية والإرادات الدولية. إذ لا يخفى أن هناك إرادات دولية تريد الهيمنة على الشعوب، والتأثير على مساراتها، إضافة إلى الصراعات الإقليمية، التي ربما كان بعضها طبيعياً. إلا أن من غير الطبيعي في هذه الصراعات استخدام المجموعات الإرهابية كأداة من أدوات الصراع بين الخصوم الإقليميين.

ويأتي السبب الرابع: وهو بروز تيار تكفيري متطرّف، يعود بجذوره إلى التاريخ الإسلامي وتراثه الديني. وقد انبعث هذا التيار مجدّداً، ناشراً الرعب والدمار، ومكفّراً كلّ من يختلف معه في التوجه والموقف. هذه العوامل الأربعة هي من أهم العوامل المسببة لبروز ظاهرة الإرهاب.

وها هو مجتمعنا المحلي المسالم يعاني من وصول آفة الإرهاب إليه. لقد عاثت المجموعات الإرهابية طويلاً في الكثير من بلاد العرب والمسلمين، وطالما تابع مجتمعنا بألم آثارها المدمرة في المجتمعات الأخرى. غير أن الإرهاب، كما أي آفة من الآفات، لديها القابلية للانتشار والتفشي، ما لم تُحاصر ويُقضى عليها في مهدها، وقد عشنا بألم آثار الاعتداء الآثم في قرية الدالوة بالأحساء في شهر محرم الحرام، وما أعقب ذلك من تفجير انتحاري وحشي في بلدة القديح، وما تبعه من اعتداء دموي ثالث على مسجد الإمام الحسين في حيّ العنود بالدمام.

الأداء المجتمعي الرائع

إنّ سلسلة الاعتداءات الإرهابية التي ضربت مناطقنا، تمثل امتحاناً حقيقياً وابتلاءً

(١) موقع مكتب السيد السيستاني <http://www.sistani.org/arabic/statement/1504>

لمجتمعنا. وبحمد الله فقد ظهر راقياً تعامل الأهالي في أعقاب تلك الاعتداءات الأليمة، وكان أداؤهم رائعاً فاق المتوقع، وأبهر المتابعين والمراقبين، فقد أظهر الناس في الأحساء والقطيف والدمام وعياً وطنياً ناصع البياض، أكدوا من خلاله تآلفهم وتماسكهم، وأثبتوا نجاح الجهود التي صرفها العلماء والخطباء والمثقفون، الذين بذروا هذه البذور الخيرة، التي جعلت الناس تنطلق في ملحمة وطنية إنسانية رائعة، لجهة التماسك والتعاون والعطاء والوعي وحسن الأداء وإدارة الأمور، وقد سجلوا بذلك صفحة من أروع الصفحات في ظرف عصيب وحدث أليم، وهذا مؤشر على النجاح في هذا الامتحان، فجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

التعاطف الوطني

وفي هذا المقام ينبغي الإشادة بالتعاطف الوطني الكبير مع أهلنا المفجوعين، في الأحساء والقطيف والدمام. فعلى الرغم من الأصوات النشاز التي أعقبت الفاجعة، إلا أن صوت الاعتدال والتضامن مع أهلنا في المنطقة أخذ مكانه على نحو واسع بعد سلسلة الاعتداءات الدموية تلك. وهو ما بدا واضحاً من خلال سلسلة الوفود الشعبية التي مثلت مختلف المناطق والفئات الاجتماعية، إلى جانب الكتابات الصحفية التي أعلنت إدانتها الإرهاب والتحريض الطائفي، ودعت إلى المساواة وتجريم التعبئة الطائفية. وهذه المواقف بمجملها مؤشر إيجابي، نأمل أن ينمو ويتزايد، وأن يضيق المجال على الأصوات المتطرفة المقيتة.

ولا بُدّ هنا أن نشني على المبادرات والمواقف الإيجابية التي اتخذتها الجهات الرسمية في أعقاب الاعتداءات الإجرامية. كما في بيان وزارة الداخلية الذي أعقب الاعتداء الأخير، والأمر الملكي الذي اعتبر الشهداء الأربعة الذين أفضلوا الاعتداء على المسجد في حيّ العنود بالدمام، من شهداء الواجب، ومنحهم نوط الشجاعة، وهم يستحقون ذلك وأكثر، حيث كانت لهم خصوصيتهم التي تمثلت في سعيهم

إلى الشهادة، وفرضهم أنفسهم عليها، لا العكس، فقد رأوا الخطر ماثلاً أمام أعينهم فاستقبلوه برحابة صدر، ليقوا بأجسامهم حرمة المسجد، وأرواح المصلين، وبذلك أصبحوا نموذجاً وقُدوة. إنَّ تقدير هؤلاء الشهداء الأربعة من قبل الجهات العليا في المملكة أظهر لياقة عالية، وزاد من ذلك الاهتمام الذي جرى بشهداء القديح، والتعاون اللافت من جانب أجهزة الدولة، حين وقف رجال الأمن جنباً إلى جنب مع الشباب، حاملين جميعاً همّاً واحداً، في مواجهة خطر ماثل، يهدد الوطن برمته، والمواطنين بأجمعهم.

الإرهاب خطر على الجميع

مخطئ من يظنّ بأنَّ خطر الجماعات الإرهابية موجه لفئة محددة، أو مقتصرًا على طائفة بعينها. ذلك أنّ هؤلاء المتطرفين وإن استماتوا في خطابهم الطائفي، إلا أنّ الحقيقة أنهم يستخدمون في كلّ منطقة الخطاب المناسب، فهاهم يبعثون الدمار والخراب في ليبيا دونما أثر لأيّ تنوع مذهبي يتذرعون به، كما يفعلون في مناطقنا، وهل كان متحف «باردو» في العاصمة التونسية الذي سقط فيه عشرات القتلى والجرحى، تابعاً لطائفة معينة؟ وكذلك الحال مع الأفعال الوحشية التي يرتكبونها في الصومال وأفغانستان ونيجيريا والجزائر. إنّ هؤلاء القتلة يحملون توجّهاً إرهابياً شيطانياً يستهدف البشرية برمتها، لكنهم يعزفون في كلّ منطقة على الوتر الأكثر تأثيراً وفتكاً بالنسيج الاجتماعي هناك.

ويحدونا الأمل في أن يفوّت الوعي الوطني والاجتماعي الفرصة على هؤلاء الإرهابيين. ويأتي في هذا السياق البيان الرائع الصادر عن أهالي الشهداء في بلدة القديح، الذي يشدّد على أن قضية الشهداء أبعد ما تكون عن الثأر والانتقام، وإنما هي قضية وطن وأمن ينبغي أن يعمّ الجميع، سيما أنّ البيان يؤكّد دور الدولة ومسؤوليتها في حفظ الأمن، وحماية حياة مواطنيها ومصالحهم في كلّ مكان.

ومع لحاظ مدى الألم الذي ضرب نفوسنا، ينبغي أن ننظر إلى الوجه الآخر من المسألة. حيث يشير القرآن الكريم إلى جانب آخر ونتائج مختلفة للبلاء الذي يواجه البشر، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، فقد يكره الإنسان شيئاً، لا لشيء، إلا غفلة عما يتضمّنه من الخير الكثير. ولنا في سيرة العقيلة زينب ؑ خير عبرة وأسوة، حين خاطبها ابن زياد سائلاً: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ قالت: والله ما رأيت إلا جميلاً.

لقد أراد رموز الإرهاب تفجير الفتنة في مجتمعنا، فجاء الجواب على إرهابهم واعياً، والأداء رائعاً، وهذا من أكبر المكاسب. إننا معنيون جميعاً بالمحافظة على هذه المكاسب من الوعي والتلاحم؛ لأنّ التفريط فيها ربما يرقى إلى حدّ إضاعة دماء الشهداء. سائلين الله تعالى للشهداء رفيع الدرجات، وعالي المقام، وأن يلحقهم بالأنبياء والأئمة والشهداء والصديقين، وحسن أولئك رفيقاً، راجين أن نحظى بشفاعتهم يوم القيامة، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى بالشفاء والعافية، كما نوجّه جزيل الشكر للجميع على هذه الجهود المبذولة، من الشباب الذين بذلوا أقصى طاقتهم، وهم أهل لما بذلوا، نسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء وأن يوفقهم، ونحمده تعالى أن قيّض لنا من شبابنا مثل هذه النماذج الخيرة، التي نفخر بها أمام العالم، كما نسأله سبحانه أن يحمي مجتمعنا وبلادنا والعالم من شرور الإرهاب إنه حميد مجيب.

التصدي للشأن العام بين التشجيع والتثبيط

ورد عن أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) أنه قال:
«خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَحَمَّلَ مَوْئِنَةَ النَّاسِ»^(١).

شاءت الإرادة الإلهية أن يناط بالإنسان القيام بدور الخلافة في الأرض. وقد حبا الله البشر بطاقات كبيرة تتجاوز حدودهم الذاتية، إلى الحد الذي يجعل الواحد منهم خليفة لرب العالمين على هذه الأرض، كما ورد في الآية الكريمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. غير أن طبيعة الحياة وما يحيط بها من رغبات وما فيها من مغريات، تجتذب الإنسان للتمحور على ذاته، لا للحصول على احتياجاته الأساسية فقط، وإنما للتوفر على سبل الرفاهية والكماليات، ليس هذا وحسب، وإنما يسعى في خطوة لاحقة نحو اكتناز الثروات ومضاعفتها، على نحو يكفي حاجته في هذه الحياة، لمئات المرات، وذلك لما في طبيعة الإنسان من حب المال، كما يقول تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، وتلك حالة عامة يشترك فيها أبناء البشر.

إن الإنسان بما حباه الله من قدرات هائلة، أكبر من أن يحصر انشغاله بشؤونه الذاتية فقط، فإذا ما أدرك هذه الحقيقة، فإنه يبدأ بالانشغال بالشأن العام، وتحمل المسؤولية العامة ضمن محيطه الاجتماعي.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٩٨، حكمة ٨٩.

المهتمون بالشأن العام خير الناس

إنّ الاهتمام بالشأن العام يمثل ميزة خاصة تميّز النخبة من الناس. هذه النخبة التي تدرك أنّ طاقتها أكبر من أن تحصر ضمن ذواتها الخاصة، وأنّ ما عندها من القدرات يؤهلها للقيام بأدوار أكبر، على المستوى الاجتماعي.

من هنا جاءت النصوص الدينية لتصف هذه النخبة بأنهم خير الناس، ومردّد ذلك، أنهم فهموا أنفسهم على نحو أفضل من الآخرين، لجهة إدراك قدراتهم وطاقاتهم، وتمييزهم بروحية العطاء المصحوبة بحالة من القيم المتجدرة في نفوسهم، ما يؤهلهم إلى استحقاق ذلك الوسام الذي يجعلهم خير الناس. وفي ذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ انْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ»^(١)، إنّ من يعيش منحصرًا في حدود مصالحه الخاصة، فهو لا يصنف ضمن خير الناس، لجهله بقدراته الذاتية، بخلاف من يتجهون للعمل في الشأن العام، الذين هم أكثر فهما لذواتهم، وأكثر تنمية لقدراتهم وطاقاتهم، وأبلغ تأثيرًا في المحيط الاجتماعي الذي يعيشون ضمنه.

لقد حدّد رسول الله ﷺ تقديم النفع للناس باعتباره الطريق الأقصر لبلوغ الفرد المقام الذي يصبح فيه خير الناس وأفضلهم. فقد روي أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال: «أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ خَيْرَ النَّاسِ؟»، فَقَالَ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ، فَكُنْ نَافِعًا لَهُمْ»^(٢)، وبذلك إن شاء المرء أن يصبح خير الناس، فالطريق يمرّ بتحقيق المنفعة لهم. وبمعنى آخر؛ أن يتصدّى للقيام بالدور الذي يتجاوز ذاته ومصالحه الشخصية، ويركّز اهتمامه بمصالح الناس. كما ورد في السياق ذاته، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ أنه قال: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَحَمَّلَ مَوْوَنَةَ النَّاسِ»، وحيث إنّ المعتاد أن يتحمّل الفرد المسؤولية عن نفسه، بتلبية احتياجاته وتحقيق مصالحه، فإنّ تحمّل المسؤولية

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢ ص ٢٣، حديث ١.

(٢) كنز العمال، ج ١٦، ص ١٢٨، حديث ٤٤١٥٤.

عن الآخرين عبر تلبية حاجاتهم وتحمل همومهم، هو أمر بالغ الأهمية، على النحو الذي يجعل المشتغل بذلك من خيرة الخلق وأفضلهم.

ميادين العمل في الشأن العام

ويتجلى مفهوم الانخراط في الشأن العام وتحمل مؤونة الآخرين على صُعدٍ عدة. فهناك على الصعيد الديني مثلاً، من يتوجه نحو الالتزام الديني والتقيد بأوامر الدين في مختلف تعاملاته، فهو على هذا النحو من التدين يبقى متحرّكاً ضمن دائرته الذاتية، بينما هناك متدين آخر إلى جانب التزامه الشخصي، يصبّ جلّ همّه في استقطاب الآخرين نحو الالتزام الديني، عندها ينطبق عليه مصداق من يحمل مؤونة الآخرين، وكذلك الحال على الصعيد المعرفي، فهناك من يسعى نحو تحصيل العلم وكسب المعرفة، لكنه يبقى حبيس ذاته وحسب، بخلاف ما إذا سعى نحو تعليم الآخرين، وإشاعة المعرفة والثقافة في صفوفهم، فإنه يكون قد تجاوز محوره الذاتي، إلى محيطه العام.

كما ينسحب الأمر على من يدأب في ترتيب شؤونه الحياتية، من المسكن والملبس والمأكل والمشرب والصحة والزواج، فهو يتحرّك ضمن دائرته الذاتية حصراً، على العكس من الذي يصبّ اهتمامه على توفير هذه المستلزمات الأساسية لغيره من المحتاجين، فهو يتحرّك في صميم الشأن العام. وعلى هذا النحو ينطبق المفهوم على الشأن البيئي والسياسي والاجتماعي، فجميعها مجالات للاهتمام بالشأن العام.

هنا ينبغي ملاحظة أنّ طريق الانخراط في الشأن العام ليس مفروضاً بالورود والرياحين. ذلك أنّ من ينخرط فيه يكون محلاً لتلقي الأعباء، وبذل الجهود، وتقديم التضحيات، ناهيك عمّا يواجهه من مشاكل متوقعة؛ لما في الشأن العام من آراء متغايرة، واهتمامات مختلفة ومنافسين آخرين. لذلك لا يُقبل على الانخراط في الشأن العام إلاّ القلة من الناس. التي استحققت ذلك الوسام النبوي الذي يجعلها خير الناس، ناهيك عن الثواب الجزيل من الله عزّ وجلّ، ونماء الطاقات والقدرات، وحيازة ملكة التأثير،

والدور القيادي في المجتمع، كل ذلك لقاء الكلفة التي تحمّلوها في سبيل الآخرين.

المبادرات الفردية

هناك عدة مسارات للتصدّي للشأن العام وخدمة المجتمع. ومن أبرزها ثلاثة مسارات:

الأول المسار الفردي، بأن يتوجه المرء بنفسه نحو القيام بالعمل العام، سواء كان بتقديم الخدمة للفقراء ومساعدة المحتاجين، أو نشر الثقافة والمعرفة، أو التصدّي لعمل اجتماعي أو سياسي معيّن، وهذه درجة من درجات الانخراط في الشأن العام. ومما يحضرنني في هذا الشأن: أثناء سفري إلى مدينة مشهد في الصيف الماضي، تعرفت على تاجر سجّاد كان يسكن بجوارنا، وقد أطلعنا على اهتمامه بالشأن الاجتماعي، وبمساعدة المحتاجين على وجه التحديد، وقد وضع له برنامجاً شهرياً، خصّص خلاله يوماً واحداً، أول جمعة من كلّ شهر، يملأ سيارة أو سيارتين بالمواد الغذائية، ويذهب إلى بيوت الفقراء والمحتاجين المسجلين عنده ضمن قوائم معدّة سلفاً، لتقديم المعونة لهم مباشرة.

وقد سألته ما إذا كانت هذه المعونات كلّها من عنده، فأجاب بالنفي، مؤكّداً بأنها معونات منه ومن مجموعة من التجار من أصدقائه، الذين يعلمون عن برنامجه الشهري هذا، ويثقون به، ويعتمدون عليه، في هذا السبيل. وبمعية عدد من أقربائه كان الرجل يوصل بنفسه المعونات الشهرية إلى ما بين مئتين وأربعمئة عائلة فقيرة. وفي كلّ يوم جمعة يمرّ على أربعين أو خمسين من بيوت الفقراء، لجمع فواتير الخدمات المتوجب دفعها عليهم، من ماء وكهرباء وهاتف، فيقوم بسداد ما يستطيع سداده، والطلب من زملائه التجار سداد ما تيسر منها، على نحوٍ لا يأتي يوم الجمعة التالية وإلا وقد سددت الفواتير بأكملها. وهذا نوع من الانخراط الفردي في الشأن العام، الذي يستطيع كثيرون القيام به دون أيّ قيود.



العمل الجمعي

أما المسار الثاني فهو المسار الجمعي، أو ما يطلق عليه بالمؤسسات الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني. الذي يلتزم ضمن جمعيات خيرية، أو لجان عاملة، في أيّ مجالٍ من المجالات، كحقوق الإنسان أو البيئة أو مساعدة الفقراء أو الثقافة. وهذا المسار الثاني متقدّم على المسار الفردي؛ لأنّ العمل الجمعي أكثر بركة، واستدامة، وتنظيمًا، من العمل الفردي. ونحمد الله أنّ في مجتمعنا العديد من المؤسسات الأهلية ومنظمات المجتمع المدني العاملة.

المؤسسات الرسمية

وهناك مسار ثالث للتصديّ للشأن العام، ويتمثل في الانخراط ضمن المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية. فقوام عمل البرلمان مثلاً، هو الاهتمام بالشأن العام؛ لكون أعضائه ممثلين عن الشعب ومعبّرين عن آراء ومطالب الناخبين. وكذلك الحال مع المجالس البلدية، ومجالس الأحياء، والجمعيات الخيرية، والنوادي الرياضية، فهذه بأجمعها مؤسسات رسمية أو شبه رسمية. والمشاركة ضمن أعمالها درجة متقدمة من درجات الاهتمام بالشأن العام.

بيئة مشجعة وأخرى مثبطة

وتتفاوت المجتمعات حيال مسألة الانخراط في الشأن العام. فهناك مجتمعات تتوفر فيها بيئة دافعة للنشاط العام، في مقابل مجتمعات أخرى تسود فيها حالة التثييط والإحباط، ويمكن الوقوف على معيار الدافعية والتثييط في أيّ مجتمع من خلال تلمّس حالة التفاعل مع المنخرطين في الشأن العام، فهناك مجتمع يشدّ على يد العاملين في الشأن العام من أبنائه، ويقدم لهم التشجيع والشكر على جهودهم، وهناك مجتمع آخر يواجههم بحالة من التشكيك والتثييط، وقد يرشقهم بمختلف التّهّم والافتراءات.

ومردّد ذلك في بعض الأحيان إلى رفع سقف التوقعات من عمل المنخرطين في الشأن العام، فهم يترقبون أن يحقق لهم العامل في الشأن العام كلّ طلباتهم، وأن يحلّ جميع مشاكلهم، وهذا أمر خارج عن قدرة كلّ أحد، فما على الإنسان إلا أن يبذل أقصى جهوده، لكن ليس بيده ضمان التوفيق المطلق في كلّ عمل، فلربما كانت هناك في مواجهته عقبات وعوائق خارجية لا يستطيع تجاوزها. وعدم مقدرة المنخرطين في الشأن العام على تحقيق كامل الأهداف المتوخاة منهم، لا يُعدّ مبرراً كافياً لمواجهتهم بالتثييط، كما لا يبرر - في الوقت عينه - الإحجام عن التصديّ للشأن العام.

ويمكن أن يقول قائل إنّ المتصدّين للشأن العام لديهم أخطاء، ويعانون من نقاط ضعف، وتشوب أعمالهم الثغرات، ولم يحسنوا التصرف في بعض الأعمال، وكلّ ذلك قد يكون صحيحاً بدرجة أو أخرى، حيث لم يدّع أحدٌ بأن العاملين في الشأن العام معصومون من الخطأ، وإنما هم بشر قد ينجحون هنا ويخطئون هناك.

إنّ التصرف الأمثل حيال عمل المنخرطين في الشأن العام، هو أن يدعمهم المجتمع بالتشجيع في حال النجاح، وأن يرفدهم بالنقد الإيجابي في حال الفشل، ففي تلك الحالتين تكمن المساعد الحقيقية لهم.

إنّ من المؤسف جدّاً، أن تواجه بعض المجتمعات أبناءها العاملين في الشأن العام بحالة من التثييط والتسقيط وتحميلهم أكثر مما يطيقون، على نحوٍ قد يجعل بعض هؤلاء العاملين يأسفون على كلّ دقيقة صرفوها في خدمة المجتمع، ولربما نأوا تماماً عن الانخراط مستقبلاً في الشأن العام.

انتخابات المجالس البلدية

وحول الانتخابات البلدية التي ستأخذ مكانها في مجتمعنا المحلي خلال الفترة المقبلة، ينبغي الإشارة إلى أن عضو المجلس البلدي محكوم بصلاحيات مقيدة، وسقف محدّد، ليس بيده أن يتجاوزه، وتبعاً لذلك لا ينبغي أن يرفع المجتمع سقف

التوقعات عاليًا. حيث تقتصر صلاحيات أعضاء المجلس البلدي، ضمن أطر التخطيط والرقابة وتقديم المشاريع، مع افتقادهم لأي سلطة تنفيذية، فإذا ما برز منهم التقصير ضمن الصلاحيات الممنوحة لهم، فإن من واجب المجتمع أن ينقدهم نقدًا بناءً، وأن يدعمهم ويساعدهم في مهمتهم.

وينسحب هذا الأمر أيضًا على العاملين في الشأن السياسي المحلي، من جماعات سياسية، أو وجهاء وشخصيات اجتماعية، الذين يواجهون اجتماعيًا بشيء من السلبية في أحيان كثيرة، إلى الحد الذي قد يجعلهم يناون بأنفسهم عن التصدي لقضايا الشأن العام، إذ إنهم في الوقت الذي يبذلون فيه التضحيات والجهود الكبيرة، فهم يقابلون من جهة أخرى بما يشبه الجحود والتكر لجهودهم.

إن من المهم جدًا أن تسود المجتمع أجواء إيجابية حيال العاملين في الشأن العام، أفرادًا وجماعات. ومع أن غرض العاملين الأساس من انخراطهم في الشأن العام، هو السعي نحو تحصيل الثواب من الله تعالى، وشعارهم الآية الكريمة ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، لكن ينبغي أن نضع بالاعتبار أنهم بشر، يدفعهم التشجيع من جهة، كما يتأثرون بعوامل التشيط من جهة أخرى. لذلك ينبغي أن يتحلى المجتمع بالإيجابية تجاه من يتصدى للشأن العام. وعلى أي شخص يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على الانخراط في الشأن العام، ألا يتردد في الإقدام، سواء على مستوى الجمعية الخيرية، أم النادي، أم المجلس البلدي، أو أي مجال آخر؛ لأن العمل في الشأن العام، يعود على الإنسان بالنفع في الدنيا والآخرة.

وينبغي أن نأخذ بنظر الاعتبار، أن الانتخابات البلدية تمثل تجربة رائدة في بناء الوعي السياسي في المجتمعات. ويعود ذلك إلى جملة أسباب، من أهمها أنها تربي الناس على ثقافة الانتخاب، إذ لم تصل المجتمعات الديمقراطية إلى ما هي عليه اليوم بين عشية وضحاها، وإنما استغرق ذلك منها زمنًا طويلًا حتى بلغت درجة النضج. ومجتمعاتنا لا تزال ناشئة على هذا الصعيد، وهذا ما يتطلب السعي نحو تكريس

الممارسة الانتخابية لدى المجتمع، فعن هذا الطريق يتسنى استيعاب العملية الانتخابية بمختلف مراحلها، بدءاً من الترشح للانتخابات، والعمل على كسب الأصوات، ومن ثم الاحتكام إلى صناديق الاقتراع، فهذه بأجمعها تمثل ثقافة سياسية، ينبغي أن تنمو وتتسع في نطاق المجتمع.

ينبغي أن تستفيد مجتمعاتنا من الفرص التي تساهم في تحسين أوضاعها، حتى وإن كانت درجة التحسن المتوقعة متواضعة، فليس ذلك مبرراً لأن نزهد فيها. حيث إنَّ هناك فوائد بدرجة أو أخرى ضمن أيِّ عملية انتخابية. إذ إنَّ وجود مجلس يشرف ويراقب ويحاسب ضمن أيِّ مؤسسة من المؤسسات، أفضل بكثير من عدم وجوده، ومن واجبنا أن نستفيد من هذا المجلس إلى أقصى حدٍّ ممكن.

من هنا ندعو أبناء مجتمعنا إلى أن يكونوا إيجابيين تجاه العاملين في الشأن العام، وألا يرفعوا سقف توقعاتهم بما يتجاوز الإمكانيات والصلاحيات المتاحة لهؤلاء العاملين، وأن يحرصوا على اختيار المرشحين الجيدين، الذين يمثلون نواة لقيادات يعول عليها المجتمع، كما لا يفوتنا في هذا السياق أن نتقدم بجزيل الشكر لكل الذين بذلوا طاقتهم لخدمة مجتمعهم، من أعضاء المجالس البلدية السابقة واللاحقة، سواء نجحوا أم لم ينجحوا في تحقيق أهدافهم، فالمهم أنهم بذلوا ما في وسعهم لخدمة مجتمعهم.

القيم الإنسانية ميزان الدين

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا
آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ
وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ
تَعُودُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ٢٨-٢٩].

تتفاوت درجات الانحراف، في خطورتها وتداعياتها، بين الانحراف الفردي، والانحراف الاجتماعي. فالانحرافات وإن كانت مرفوضة في مجملها، إلا أنه ينبغي التمييز بين الانحراف الفردي، الذي يتورط فيه فرد أو أفراد من المجتمع، ويكون خطره محدودًا وأضراره يسيرة، وبين الانحراف الذي يأخذ مكانه على شكل الظاهرة الاجتماعية، التي ينخرط فيها تيار اجتماعي عريض، ولاشك أن هذا النوع من الانحراف يُعدّ الأخطر، ويطلق القرآن الكريم على الانحراف الشديد مصطلح؛ الفحش والفاحشة والفحشاء، والفحش لغة هو الزيادة في القبح في الشيء، فضلاً عن كونه قبيحاً من حيث الأصل، ولذلك قيل؛ غلاء فاحش، أي الغلاء الزائد عن الحد، فالغلاء في أصله سيئ، فإذا زاد يوصف بأنه فاحش. ويدخل كل عمل قبيح قبحه بين، تحت عنوان الفاحشة وفق المفهوم القرآني.

إن مفهوم الفاحشة في النص الديني، يتجاوز الاستخدام الاصطلاحي الدارج،

الذي يميل إلى حصر المفهوم في الانحراف الجنسي. حينما تكون هناك ظواهر اجتماعية، واضحة القبح، شديدة المفسدة، فإنَّ خطورتها تكون كبيرة، الأمر الذي يستدعي التوقف عندها ومواجهتها.

إدراك العقل للحسن والقبح

لقد زوّد الله تعالى الإنسان بفطرة سليمة، ومنحه عقلاً هادياً، ما يمكنه من التمييز بين الخير والشر، ويجعله يدرك الأشياء القبيحة، والأشياء الحسنة، وذلك بصرف النظر عن النقاش الطويل بين الفلاسفة والمتكلمين المسلمين، حول ما يطلق عليه بالحسن والقبح، وما إذا كانا أمرين عقليين أم شرعيين، فقد دار النقاش طويلاً حول المحدد الأساس لكون العمل قبيحاً أم حسناً، وهل يكفي العقل في تحديد الحسن من القبيح، أم أنّ الدلالة تبقى منحصرة في الشرع فقط، وهو الذي يحدّد ما إذا كان العمل حسناً أم قبيحاً. فالحسن ما حسّنه الشرع، والقبيح ما قبحه، بغض النظر عمّا يراه العقل؟

وقد انقسم المتكلمون المسلمون إلى قسمين حيال هذه المسألة، القسم الأول منهم يطلق عليهم العدلية، ويشمل الشيعة والمعتزلة، الذين قالوا إنّ لدى العقل القدرة على إدراك القبح في الأشياء القبيحة، كما يدرك الحسن في الأشياء الحسنة. ويقول هذا الفريق: إنّ العقل إذا أدرك حسن شيء فلا بُدَّ وأن يأمر به الشرع، وإذا أدرك قبح شيء فلا بُدَّ وأن ينهى عنه الشرع، ويضيفون إنّ العقل المجرد إذا حكم بحسن شيء وجاء النهي الشرعي عنه، فلا بُدَّ وأن هناك مشكلة وخللاً ما، وعلى غرار ذلك إذا وجدنا أمراً يُعده العقل قبيحاً، وصادف أنّ هناك أمراً شرعياً بفعله أو إباحته.

أما القسم الآخر فهم الأشاعرة الذين أنكروا قدرة العقل على تمييز القبيح من الحسن، وقالوا «ما حسّنه الشرع فهو حسن، وما قبحه الشرع فهو قبيح»، فباعترافهم أنّ العدل حسن، ليس لأنه حسن في ذاته والعقل يدرك ذلك، وليس الظلم قبيحاً لأنه

قبيح في ذاته والعقل يدرك ذلك، وإِنَّمَا لِأَنَّ الشَّرْعَ أَمْرٌ بِالْعَدْلِ فَصَارَ حَسَنًا، كَمَا نَهَى عَنِ الظُّلْمِ فَصَارَ قَبِيحًا، وَيُضِيفُ الْأَشَاعِرَةَ، أَنَّ الشَّرْعَ لَوْ أَمَرَ بِالْعَكْسِ، فَقَالَ إِنَّ الظُّلْمَ حَسَنٌ، وَالْعَدْلَ قَبِيحٌ لَكَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ. وَبِذَلِكَ لَا يَعْتَرَفُ الْأَشَاعِرَةُ بِمَقُولَةِ الْقَبِيحِ وَالْحَسَنِ الْعَقْلِيِّينَ.

ظواهر انحرافية في مجتمعات دينية

غير أنه بالرغم من دلالة الفطرة والعقل على القبيح والحسن من الأمور، إلا أن هناك ظواهر انحرافية شديدة تسود بعض المجتمعات، والمجتمعات الدينية منها خاصة. ولعل في ذلك موضع استغراب كبير، فكيف لظاهرة انحرافية خارجة عن الفطرة، أن تسود مجتمعًا دينيًا؟ وقد تعرض القرآن الكريم لهذه المشكلة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾، وبذلك يقرّر القرآن الكريم أن بعض المجتمعات قد تسود فيها ظواهر انحرافية تبرّر دينيًا، مثيرًا في الأذهان أهمية البحث عن الأسباب.

وتعود تلك الظواهر الانحرافية إلى أسباب عديدة، منها:

أولاً: التشبث بأقوال الأسلاف، والإصرار على تقليد الآباء، والسير بسيرتهم، وإن كان خطأً ومخالفًا للفطرة السليمة، إلا أنهم يتمسكون به ويسيروا عليه، كما وصف القرآن حالهم في قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾.

ثانيًا: هو الادّعاء بأن انحرافهم وارتكابهم الفاحشة، استجابة لأمر الله، حيث يورد القرآن زعمهم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، وهذا زعم في غاية الخطورة، وتنبع خطورته من إلباس الظواهر المنحرفة صبغة دينية، واختلاق التبرير لها، ذلك أن الانحراف يصبح أشدّ خطورة وفتكًا حين يأخذ صبغة دينية؛ لأن إزالته تغدو صعبةً،

وتصحيحه يكون أمرًا شاقًا، ولما ينطوي عليه من تشويه بالغ للدين.

من هنا أعرضت الآية الكريمة عن مناقشة السبب الأول وهو تقليد الأسلاف؛ لكونه واضح البطلان. في حين ناقشت السبب الثاني وردت عليه، وجاء الرد القرآني من منطلق رفض الدين الإلهي القبول بأمر يشكل انحرافًا عن الفطرة السوية والعقل السليم، فمن غير المتصور أن الله تعالى يأمر بأشياء قبيحة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾.

ومن أعظم الفواحش التي لا يمكن أن يقبل بها الشرع؛ إيقاع الظلم وهتك الحرمات، والاعتداء على النفوس والأموال، وسوء الأخلاق. فهذه بأجمعها فواحش بينة ليس من المتصور أن يقبلها الشرع، أو يأمر بها الدين على أي نحوٍ من الأنحاء.

انتعاش حركة الاختلاق في الدين

من هنا يأتي التساؤل الأكثر إلحاحًا حول سبب انتشار بعض الظواهر المنحرفة في الأوساط المتدينة، عبر التاريخ وإلى يوم الناس هذا. فلطالما نخرت بعض الانحرافات الأوساط الدينية بعد أن برزت كظواهر عامة دمجتها، وتيارات عريضة سادت فيها، ومرد ذلك إلى عوامل من أبرزها انتعاش سوق الاختلاق والوضع في النصوص الدينية، خدمة للقوى المتحكمة، حيث درجت بعض الأوساط على الاختلاق والوضع ونسبة ذلك إلى الدين، وقد حصل ذلك في الأمم السالفة، وطالما تناول القرآن الكريم هذا الأمر على نحو مطرد، كما في قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾، وقوله تعالى مخاطبًا تلك المجتمعات: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ و في آية أخرى يقول تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.

إن خطر الاختلاق والوضع كذبًا على الله، يمثل خطرًا ماثلاً يهدد كل الأديان

السماوية. وليس مقتصرًا على الأديان السابقة، فالدين الإسلامي ليس بعيدًا عن هذا الخطر، وإنما تعرض إليه كما تعرضت الأديان السابقة. وتأكيدًا لهذه الحقيقة، جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شَبْرًا بَشِيرًا، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْهُودُ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ «فَمَنْ؟»^(١)، ويشير الحديث الشريف إلى أنَّ الأديان بأجمعها تواجه أمراضًا متشابهة، والإسلام ليس استثناء من ذلك.

وقد اتفق العلماء المسلمون من المتقدمين والمتأخرين على وجود مشكلة الوضع في الأحاديث والنصوص الدينية. فهناك كثير من المرويات المختلقة المنسوبة كذبًا لرسول الله ﷺ، وللأئمة من أهل بيته وإلى صحابته، وقد صنّفوا المصنفات التي تناولت الوضع والوضّاعين، والأحاديث الموضوعية والدخيلة. وتأكيدًا لهذه الحقيقة ما ورد عن عليّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «قَامَ خَطِيْبًا، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكُذَابَةُ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢). كما حذر أئمة أهل البيت من هذه المشكلة أيضًا، ورد عن الإمام الصادق رضي الله عنه في حديثه عن أحد الوضّاعين، أنه قال: «كَانَ الْمُغْيِرَةُ بْنُ سَعِيدٍ يَتَعَمَّدُ الْكُذْبَ عَلَيَّ أَبِي ﷺ وَيَأْخُذُ كُتُبَ أَصْحَابِهِ وَكَانَ أَصْحَابُهُ الْمُسْتَبْرُونَ بِأَصْحَابِ أَبِي يَأْخُذُونَ الْكُتُبَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي فَيَدْفَعُونَهَا إِلَيَّ الْمُغْيِرَةَ فَكَانَ يَدْسُ فِيهَا الْكُفْرَ وَالزَّنْدَقَةَ وَيُسْنِدُهَا إِلَيَّ أَبِي ﷺ ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَيَّ أَصْحَابِهِ فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَبْئُوهَا فِي الشِّيْعَةِ»^(٣).

التقليد وسوء الفهم للنصوص

أما العامل الثاني فهو سوء الفهم للنص الديني. فقد يكون النص الديني مورد الجدل، آية في القرآن الكريم، أو حديثًا واردًا بسند صحيح عن النبي ﷺ أو الإمام رضي الله عنه،

(١) البخاري، كتاب الاعتصام، حديث ٦٨٨٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ١٥٨، حديث ١.

(٣) رجال الكشي، ص ٢٢٥، وبحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٥٠.

إلا أنّ المشكلة هنا لا تكمن في أصل وجود النص من عدمه، وإنما تكمن في الكيفية التي يجري فيها فهم النص، فهناك سوء فهم لبعض النصوص الدينية، يجري من خلاله نسبة ما يخالف العقل والفطرة السليمة إلى الدين.

ويكمن العامل الثالث في عدم مراعاة تطور الأوضاع والظروف. فهناك عبر التاريخ علماء وفقهاء، كانت لهم اجتهاداتهم الفقهية وآراؤهم العقدية، غير أنّ آراءهم تلك لم تكن وحيًا منزلاً، وإنّما مجرد اجتهادات تعبّر عن مستواهم وتتأثر بظروفهم، وقد يكون الرأي ضمن بيئة وظروف إنتاجه مناسباً، لكنه إذا تغيرت الظروف وتبيّن لنا، على نحوٍ أو آخر، أنّ ذلك الرأي أصبح نقيضاً للعدل ومخالفاً لمصلحة الأمة، فإنّ علينا أن نتحلّى بالجرأة حيال رفضه وإعادة النظر فيه.

إنّ مختلف طوائف الأمة الإسلامية تعاني من مشكلة التشبث حرفياً بأقوال أسلافها الماضين. فهناك في بعض المذاهب درجة عالية من الغلو والتجبر، وهناك تيارات تتبنى العنف والإرهاب وانتهاك الحرمات، وتنسب كلّ ذلك زوراً إلى الإسلام.

ولمواجهة هذه المشكلة الخطيرة، نحن بحاجة إلى أمرين؛ يتمثل الأمر الأول في استحضار دور العقل، والفطرة السليمة، فليس من الصحيح التعامل مع النصوص الدينية، والآراء المنقولة عن الأسلاف، بمنأى عن العقل والفطرة، وإنّما ينبغي أن يحظى العقل بمكانته اللائقة، وحضوره الفاعل، ضمن فهمنا لمنظومة النصوص الدينية، والاجتهادات الفقهية، والنقولات التاريخية، سيّما عند من يعتبرون العقل مصدرًا من مصادر الاستنباط، فلا يجوز تبعاً لذلك أن نقصي العقل بأيّ حال. وحين يشخص العقل السوي وتضاداً مع العدل في اجتهاد من الاجتهادات، فإنّ علينا أن نتخذ منه موقفاً حازماً، وأن نعيد النظر فيه، لا أن نسلّم بالرأي التقليدي الذي تنحصر بضاعته في وجود ما يؤيد ذلك من رواية هنا أو نص هناك، فلعل تلك الرواية أو ذلك النص غير صحيح أصلاً، أو لعلّ هناك سوء فهم له. وهذا ما يحيلنا إلى مقولة: «إذا وردكم ما لا تطيقونه فدعوا علمه لأهله»، وفي ذلك حثّ على النأي عن ما هو غامض

وعصبي على الفهم، فليس لازماً العمل بما لم يجز التبيّن من صحته.

وقد درج العلماء الأعلام على الضرب صنفًا عن الكثير من المرويات المتعلقة بمسائل شائكة، بعضها في غاية الأهمية. ومن ذلك ما ورد من المرويات العديدة في تحريف القرآن الكريم، غير أنّ العلماء يرفضونها ويطوون عنها كشحًا، بصرف النظر عن مدى ثبوتها أو صحة سندها، ذلك لأنهم يؤمنون إيمانًا قاطعًا بصيانة القرآن الكريم من التحريف، فلا قيمة حينئذٍ لأي نصّ يقول بخلاف ذلك. وهذا معنى استحضار دور العقل في فهم النصّ الديني.

أما الأمر الثاني فهو استحضار القيم الأساس في الإسلام. وذلك من قبيل قيمتي حفظ كرامة الإنسان، والعدل بين الناس، وقد استحضرت الآية الكريمة هذه القيمة في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾، ما يعني الحثّ على إحقاق العدل بين الناس، استحضارًا للقيم الإنسانية وتمسكًا بها، التي اتفقت بشأنها كلّ الشرائع السماوية، على نحو يجري عرض مختلف الأحكام والمعاملات على هذه القيمة الأساس، فما وافق قيمة العدل قبلناه، وما كان خلاف ذلك وفيه ظلم بين رفضناه. يقول الشهيد الشيخ مرتضى المطهري: «إنّ مبدأ العدالة من المقاييس الإسلامية، التي لا بُدّ من النظر لمعرفة ما يوافقها وينطبق عليه، فالعدالة تقع في سلسلة علل الأحكام، لا معلولاتها، فليس كل ما قاله الدين عدل، بل كلّ ما هو عدل قاله الدين، وهذا هو معنى معيارية العدالة للدين»^(١)، من هنا كان علينا أن نستحضر على الدوام دور العقل والقيم الأساس التي جاءت بها الشرائع والأديان، للخروج بالأمة من هذه المحنة التي تعانيها؛ محنة الزيف والنسبة للدين ما هو خلاف قيمه ومبادئه، الأمر الذي قاد إلى تشويه سمعة الإسلام.

(١) يوسف الصانعي. مساواة الرجل والمرأة والمسلم وغيره في القصاص، (مؤسسة فقه الثقلين الثقافية)،

ص ٥٤-٥٥، نقلًا عن مباني اقتصاد إسلامي لمرتضى المطهري.

ولاية عليّ عقيده وسلوك

أورد الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة عن زيد بن أرقم عن أبي الطفيل عنه قال: «لما دفع النبي ﷺ من حجة الوداع. ونزل غدِير خَم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كَأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن ينفردا حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا وليّ كل مؤمن. ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه، فهذا وليّ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»⁽¹⁾.

تمثل واقعة غدِير خَم مفصلاً مهمّاً في التاريخ الإسلامي، لجهة تحديد المرجعية الدينية بعد رسول الله ﷺ. وقد ورد حديث الغدير من عدة طرق، وعن عشرات من الصحابة والتابعين. ومن ذلك ما أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدِير خَم، أمر بدوحات فقممن، ثم قال: «كَأني دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن ينفردا

(1) سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٤، ص ٣٣٠، حديث ١٧٥٠.

حتى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فهذا وليّ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وحديث الغدير بحد ذاته لا يحتاج إلى مزيد مناقشة من حيث صحة السند، حيث اعتبره العلماء المسلمون من شتى المذاهب - إلا من شدّ منهم - من الأحاديث الصحيحة سنداً، بل هو من أصحّ الأحاديث. لذلك نريد في هذا المقام أن نتناول بعض أبعاد حديث الغدير، من زوايا أخرى.

المرجعية الدينية للأمم

إنّ هناك ثلاثة أبعاد يمكن تناولها حول واقعة الغدير.

يتمحور البعد الأول، في اعتبار الغرض الأساس من واقعة الغدير هو تشخيص المرجعية للأمم في أخذ معالم الدين. إذ من الصحيح أن بين يدي الأمة كتاب الله، لكنه يحتاج في بعض آياته، إلى تفسير دقيق، وتنزيل على المصاديق الخارجية، ناهيك عن الأحداث المستجدة التي يحتاج أن يتعرف المسلمون رأي الشرع فيها. فمن هي الجهة التي تقوم مقام النبي ﷺ، بعد أن كانت الأمة ترجع إليه إبان حياته، لفهم معالم دينها؟ من هنا نجد العديد من الأحاديث تتناول حديثه ﷺ بشأن المرحلة التي تعقب وفاته، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث الغدير: «كأنّي دعيت فأجبت»، وتلك إشارة صريحة منه ﷺ إلى مرحلة الفراغ الذي يلي وفاته، وإلى من يملأ هذا الفراغ، ويحدّد ذلك بأمرين؛ الكتاب والعترة، في قوله: «وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، حيث يمثل القرآن الكريم الخريطة والمنهج النظري للشريعة والدين، فيما يمثل أهل البيت الجهة المعنية بتنزيل هذا المنهج وتطبيقه على الواقع.

إنّ حديث الغدير يتناول المسألة العلمية والسلوكية لدى أهل بيت النبي ﷺ. إذ يمثل أهل البيت المرجعية للأمم في فهم الشريعة، بما يتجاوز جميع أهل زمانهم. هنا قد تأتي مسألة دور الصحابة الذين عاصروا النبي ﷺ، ونقلوا حديثه، سيّما وقد منحتهم صحبتهم مستوى من القدرة على فهم آيات القرآن الكريم، ومعرفة كثير من الأحكام

التي تحتاجها الأمة، لكنهم مع ذلك يبقون بشرًا، تختلف أنظارهم، وتتفاوت آراؤهم، وتتعارض اجتهاداتهم، تمامًا كما يجري ذلك على صعيد العلماء والفقهاء، غير أنّ هذا لا يعني ألا نستفيد من الصحابة ومما روه وما نقلوه من الأحاديث. لكن المناط فيما إذا ما حدث اختلاف في رأي، أو فهم لقضية، بين أصحاب رسول الله ﷺ فهل هناك جهة يكون لها القول الفصل في تحديد رأي الدين؟ انطلاقًا من حجة حديث الغدير، وحديث الثقلين، والكثير من الأحاديث الأخرى، نعتقد أنّ أهل البيت ﷺ يتبوّون هذا المقام، فهم المرجعية الأساس للأمة، ولهم الكلمة الفصل في أحكام الدين.

من ناحية أخرى، يثبت الواقع التاريخي أنّ أهل البيت وفي طليعتهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ كانوا هم الأعمق معرفة بمعالم الدين، وبالشريعة بمختلف جوانبها وأبعادها. وفي هذا السياق يورد الباحث الإسلامي الدكتور ظافر القاسمي، أستاذ العربية والعلوم الإسلامية في الجامعة اللبنانية ما نصّه: «أمّا عليّ بن أبي طالب فكان أفضى الصحابة، - أي أوضحهم وأثبتهم وأصحهم قضاءً، - والظاهر أنه كان يُستشار، ولا يستشير، ومن يدري؟ فإنّ ورع الإمام ربما دعاه لأن يسأل وأن يستشير، ولكن لم ترو لنا الكتب حادثة استشار فيها عليّ أحدًا من الصحابة»^(١)، فقد كان الصحابة يحتاجون إلى علمه ويرجعون إليه، أما هو فلم يسجل التاريخ أنه رجع ولو مرة واحدة إلى أحد من الصحابة في مسألة من المسائل، مما يدلّ على اكتفائه وسعة علمه قياسًا على سائر الصحابة.

وقد أورد النسائي في خصائصه، عن عليّ ﷺ أنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا شابّ، حديث السنن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث، وأنا شابّ حديث السنن، فقال: إنّ الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، قال عليّ: ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين»^(٢).

(١) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ج ٢، الطبعة الأولى ١٩٧٨م، (بيروت: دار النفائس)، ص ٣٢٩.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ص ٤٣، (بيروت: المكتبة العصرية)، حديث ٣٢.

وجاء في كتاب المناقب لابن المغازلي عن أم سلمة أنها قالت: «كان جبرئيل يملئ علي رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يملئ علي علي»^(١).

وعن عليّ ﷺ أنه قال: «كنت أدخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة... فما نزلت علي رسول الله صلى الله عليه وآله آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها، ودعا الله أن يعطيني فهمها، وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليّ وكتبته، منذ دعا الله لي بما دعا، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون، ولا كتاب منزل علي أحدٍ قبله من طاعة أو معصية، إلا علمنيته وحفظته، فلم أنس حرفاً واحداً، ثم وضع يده علي صدري ودعا الله لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكماً ونوراً، فقلت: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، منذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئاً، ولم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، لست أتخوف عليك النسيان والجهل»^(٢).

من هنا، نحن بإزاء شخصية عظيمة تمتلك المعرفة الشاملة والعمق الكبير في فهم الدين، لذلك نصّ عليها النبي ﷺ باعتبارها المرجعية للأمة من بعده.

القيادة السياسية

أما البعد الثاني من حديث الغدير فهو بعد القيادة السياسية، أي الإمامة والخلافة. حيث نعتقد أنّ حديث الغدير، ونصوصاً أخرى، تحمل في طياتها دلالة عليّ أن رسول الله ﷺ قد نصّ عليّ الولي عليّ أمور الأمة من بعده، وأنّ عليّ بن أبي طالب ﷺ هو الإمام وهو الخليفة بنصّ رسول الله ﷺ، هذا ما نراه ونعتقد. غير أنّ سائر المسلمين لهم رأي آخر، فهم يرون أنّ واقعة الغدير لا تعدو عن كونها تبياناً لفضل عليّ، وتوجيهاً للأمة إلى محبته، أما مسألة الإمامة والخلافة السياسية، فلا يرون أنّ هذا النصّ يثبتها،

(١) المناقب لابن المغازلي: ص ٢٥٣، حديث ٣٠٢.

(٢) الكافي. ج ١، ص ٦٤.

وبقي هذا الأمر مورد نقاش طويل.

وقد اعتبر علماء الشيعة مسألة الولاية، بمعنى الخلافة والقيادة السياسية، مسألة نظرية هي محلّ بحث ونقاش، وذلك على قاعدة تقسيمهم للمسائل الدينية إلى قسمين؛ فهناك الضروريات وهناك المسائل النظرية. وتشمل الضروريات المسائل الواضحة التي لا مجال فيها للنقاش والجدل عند الأمة، من قبيل مسألة وجود الله سبحانه وتعالى، ووحدانيته وحتمية المعاد، ووجوب الصلاة والصيام، فكّلها مسائل ضرورية من حيث الوجوب ولا مجال للأخذ والردّ فيها. في المقابل هناك مسائل نظرية في الدين لا تتسم بهذه الدرجة من الوضوح، إلى الحدّ الذي يعصمها من النقاش والجدل. وتبعاً لذلك يعتبر علماء الشيعة مسألة القيادة السياسية لعليّ ﷺ ضمن المسائل النظرية، فمن لم يثبت عنده هذا الفهم السائد عند الشيعة لمسألة الإمامة فلا يخرج ذلك من الدين؛ لأنه لم ينكر ضروريّاً من ضرورات الدين. وذلك بخلاف ما إذا ثبتت لديه مسألة الإمامة ثم أنكرها على نحو يعدّ مكذباً لرسول الله ﷺ، فهناك بحث آخر.

قال السيّد الخوئي في كتاب التنقيح: «لأنّ الضروري من الولاية إنّما هي الولاية بمعنى الحبّ والولاء، وهم غير منكرين لها بهذا المعنى، بل قد يظهرون حبّهم لأهل البيت ﷺ، وأمّا الولاية بمعنى الخلافة، فهي ليست بضرورية بوجه، وإنما هي مسألة نظرية، وقد فسروها بمعنى الحبّ والولاء، ولو تقليداً لأبائهم وعلمائهم، وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت، وقد أسلفنا أنّ إنكار الضروري إنّما يستتبع الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستلزماً لتكذيب النبي ﷺ كما إذا كان عالماً بأنّ ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة، وهذا لم يتحقّق في حقّ أهل الخلاف، لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت ﷺ، نعم، الولاية بمعنى الخلافة من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين»^(١).

(١) السيّد أبو القاسم الخوئي. التنقيح في شرح العروة الوثقى، ج ٢، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ، ص ٨٦.

الاتباع والاقْتداء

ويتمثل البعد الثالث من حديث الغدير، في الإشارة إلى النموذج والقدوة المتجسّدة في عليّ عليه السلام. حيث يمثل القدوة التي يجب التأسّي والاقْتداء بها، وهذا هو المعنى الذي ينبغي التمسك به في مناسبة ذكرى الغدير.

إنّ قضية الغدير ليست مجرد مسألة اعتقادية، إذ من المفروغ منه اعتقادنا بالنصّ على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، غير أنّ المسألة تكمن في مدى انعكاس هذه العقيدة في حياتنا، ذلك الانعكاس المتمثل في طاعة عليّ والاقْتداء بسيرته وسيرة أهل بيته، وهذا كلّ ما يجب التركيز عليه.

من هنا نفهم سلسلة الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام التي تؤكد هذا المعنى للتشيع، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه»^(١)، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تذهبن بكم المذاهب، فوالله لا تنال ولا يتنا إلّا بالورع والاجتهاد في الدنيا، ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس»^(٢)، وعنه عليه السلام أنه قال: «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا»^(٣)، وقال عليه السلام: «إنّما أنا إمام من أطاعني»^(٤)، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «شيعتنا ... بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»^(٥). وبذلك تتجلى الولاية لعليّ في سلوكنا وأفعالنا.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٧٤، حديث ٣.

(٢) تحف العقول، ص ٢٢٣.

(٣) بحار الأنوار، ج ٦٥، ص ١٦٤.

(٤) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٨٠، حديث ٧٦.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ٢٣٧، حديث ٢٤.

جائزة نوبل وإنجازات الدمار في ساحاتنا

عن النبي ﷺ أنه قال: «أكثر الناس قيمة
أكثرهم علمًا. وأقل الناس قيمة أقلهم
علمًا»^(١).

يمثل العلماء والمتخصصون في مختلف المجالات العنصر الأكثر تأثيرًا في حياة البشر. تلك حقيقة ثابتة نلمسها في حياة المجتمعات البشرية، فالعلماء هم الأكثر تأثيرًا ومن ثم هم الأكثر قيمة، وفقًا للحديث المروي عن النبي ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علمًا، وأقل الناس قيمة أقلهم علمًا». ذلك أنه كلما كان الإنسان أكثر علمًا، كانت قيمته الواقعية ومدى تأثيره وفاعليته أكثر في الحياة، بصرف النظر عن قيمته الاعتبارية. وتبعًا لذلك يغدو من السهل إدراك مدى تقدم الأمم في العصر الراهن استنادًا إلى تقدمها العلمي، فالأمة الأكثر إنتاجًا للعلم، هي الأمة الأكثر قيمة وتأثيرًا في واقع الحياة، بينما الأمة ذات الإنتاج العلمي المنخفض أو المعدوم، فإن قيمتها وتأثيرها في الحياة يكون معدومًا.

الجائزة الأشهر عالمياً

وقد درجت مختلف الجهات على رصد جوائز كبرى لقاء المنجزات العلمية،

(١) بحار الأنوار. ج ١، ص ١٦٣، حديث ١.

ومن أبرزها جائزة نوبل. حيث انشغل العالم خلال الأيام القليلة الماضية بمتابعة إعلان الجوائز للعلماء الفائزين بجائزة نوبل بمختلف فروعها لهذا العام ٢٠١٥م، فقد أصبحت الجائزة الأبرز عالمياً معلماً ومعياراً للتنافس العلمي بين الأمم والشعوب.

في عام ١٩٠١ تأسست الجائزة المنسوبة للكيميائي السويدي ومخترع الديناميت ألفريد نوبل (١٨٣٣ - ١٨٩٦)، وفيما ينقل من سيرته أنه أراد من اختراع الديناميت أن يكون أداة ووسيلة تخدم البشر، قبل أن تتحول إلى أداة للحروب ومكوّن أساس في صناعة الأسلحة الفتاكة.

واعترى نوبل حالة من الإحساس بالذنب لقاء الدمار والهلاك الذي أصاب البشر نتيجة اختراعه للديناميت. ولمواجهة هذا الإحساس بالذنب اتجه لوضع الجائزة السنوية التي تحمل اسمه، بعد أن أنشأ صندوقاً خصص له ميزانية قوامها تسعة ملايين دولار، وكان ذلك مبلغاً بالغ السخاء في ذلك الوقت، مضافاً إلى ذلك ريع أمواله الطائلة، التي بلغت ٢٥٠ مليون دولار، جناها في حياته بصفته رجل صناعة انتشرت منشآته في الكثير من الدول، حتى صار من أثري العالم في زمانه.

وكما هو معروف فإن الجائزة تمنح سنوياً إلى عدد من العلماء المتفوقين في خمسة مجالات، هي الطبّ والكيمياء والفيزياء والأدب وخدمة السلم العالمي، وقد أضاف البنك السويدي المركزي فيما بعد حقلاً سادساً في الجائزة، وهو حقل الاقتصاد، مخصصاً لكل من يسهم في ابتكار نظرية أو برنامج اقتصادي مميز. وخصصت منحة قدرها يقارب المليون دولار لكل فرع من فروع الجائزة، تقدم لمن يقع الاختيار عليه من قبل لجان متخصصة محايدة، بصرف النظر عن جنسيته أو أصوله العرقية أو الدينية.

وقد أعلنت قبل أيام أسماء الفائزين بالجائزة لهذا العام ٢٠١٥. وتقاسم ثلاثة علماء من اليابان وإيرلندا والصين جائزة نوبل للطب أو علم وظائف الأعضاء، نظير أعمالهم الرائدة في مجال مكافحة الأمراض الطفيلية كالمalaria والكوليرا، وقالت

اللجنة المسؤولة إنَّ جهد هؤلاء العلماء الثلاثة في المجال الطبي غير حياة الملايين من الأشخاص المصابين بالأمراض الطفيلية، التي يفقد بسببها أكثر من ٤٥٠ ألف شخص أرواحهم سنويًا، وكذلك الحال مع الطفيليات الدودية التي تؤثر على حياة ثلث سكان العالم، وتتسبب في الإصابة بعدد من الأمراض، وقد استطاع هؤلاء العلماء الثلاثة أن يقدموا للبشرية خدمة في الوقاية وفي علاج هذه الأمراض، وبذلك استحقوا هذه الجائزة. ومنحت جائزة الكيمياء إلى ثلاثة علماء آخرين من السويد والولايات المتحدة وتركيا، فيما نالت جائزة نوبل للآداب كاتبة صحفية من بيلاروسيا.

وبذلك أصبحت جائزة نوبل ساحة للتنافس العلمي، يُعدّ الحصول عليها مؤثرًا بارزًا على التقدم العلمي لدى مختلف الأمم. وقد نال الجائزة منذ انطلاقتها ٨٨٩ شخصًا بينهم ٤٧ سيدة، ووفقًا للتصنيف الديني للحوائز على الجائزة فقد نال العلماء اليهود ١٨٥ جائزة في جميع المجالات، ففي الفيزياء فاز ٤٩، والكيمياء ٣٢، والاقتصاد ٢٨، والأدب ١٣، والسلام ٩، والطب ٥٤، هؤلاء من اليهود الذين لا يتعدى تعدادهم عبر العالم أكثر من ٢٢ مليون نسمة.

فيما لا تتعدى نسبة المسلمين الفائزين بجوائز نوبل سوى أكثر بقليل من نسبة ١ بالمئة، حوالي ١٢ فائزًا، منهم ٨ فازوا بجائزة السلام، واثنان في الأدب، وفائز في الكيمياء، وفائز في الفيزياء، هذا كل نصيب المسلمين الذين يربو تعدادهم على المليار ونصف المليار نسمة في العالم!!

غياب الأمة عن ساحة الإنجاز العلمي

من هنا يأتي السؤال الأهم، عن علة غياب الأمة الإسلامية عن ساحة الإنجاز العلمي، فيما تحقق الأمم الأخرى تقدمًا علميًا متعظمًا. والجواب على ذلك: هو أنّ الأمة الإسلامية لا تزال مشغولة بالنزاعات والحروب الداخلية، مضافًا إلى الجدل النظري العقيم في القضايا العقدية والتاريخية.

نعم، لو أضيف إلى جائزة نوبل فرع للأكثر ولوغاً في القتل والدمار والتخريب لما تعدتنا هذه الجائزة حالياً.

فهذه الأمة التي تنتمي إلى دين يأمر بالعلم، ويتحدث قرآنها عن فضل العلم والعلماء، ويتحدث نبيها بقوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»^(١)، وقوله ﷺ: «أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً وأقل الناس قيمة أقلهم علماً»^(٢)، هذه الأمة انصرفت عن العلم تماماً.

بل الأسوأ من ذلك أن هذه الأمة أضحت مشغولة بالحروب والنزاعات والفتن والدمار، وهذا تحديداً ما ينبغي أن يستوقف هذا الجيل، حتى يقرّر تغيير هذا المسار المدمر، فقد أصبحت صناعة الموت هي المناسبة الاحتفالية الأبرز في ساحاتنا، ولم تجد الفئات المتحاربة طريقاً للاستفادة من وسائل التكنولوجيا الحديثة، إلا بتصوير وتوثيق فظائعها وجرائمها، فلم يكتفوا بارتكاب جرائم القتل وحرق الأحياء والتفجير وسط الأبرياء، بل ذهبوا أبعد من ذلك، نحو توثيق جرائمهم تلك ونشرها على أوسع نطاق عالمي، على نحو الاحتفاء والتفاخر بهذه الأفعال الفظيعة.

وباتت كل فئة من الفئات المتحاربة، من حكومات وتنظيمات، تتنافس مع نظيراتها في تحقيق أعلى قدر من القتل والدمار، فكل فئة تتحدث على مدار الساعة عن الخسائر في الأرواح والمعدات التي حققتها في صفوف الطرف الآخر، وليس هناك من خاسر أكبر في نهاية المطاف سوى الأمة، فالقتل والتدمير المتبادل يأتي على حساب رصيد الأمة من بشر وحجر ومقدرات.

إنه لمن المؤلم جداً أن تعيش الأمة حالة الاحتفاء بالدمار، والتفاخر بالحرب والتقاتل الداخلي. ولعل أسوأ ما في النزاعات القائمة أنها تنسب إلى الدين، حتى بات

(١) الكافي. ج ١، ص ٣٠.

(٢) بحار الأنوار. ج ١، ص ١٦٣، حديث ١.



كلّ طرف من الأطراف المتحاربة يطلق نيرانه على وقع صيحات التكبير، وباسم الله تشعل فتائل التفجيرات الانتحارية وسط الأبرياء، فيخلفون المجازر ويعتبرون كل ذلك قرينة إلى الله!.

إحياء عاشوراء

من هنا، نحن مدعوون ونحن على أعتاب موسم عاشوراء إلى التفكير في أسباب انشغال العالم بتحقيق أعظم المنجزات العلمية، فيما تغرق أمتنا بالحروب والتقاتل والنزاعات الداخلية. وفي سبيل ذلك، ينبغي أن نشير إلى عدة أمور:

أولها دعوة المؤمنين إلى الإقبال على إحياء مناسبة عاشوراء بشعائرها المعهودة، بالحضور والمشاركة في المجالس والموكب الحسينية، مع مراعاة المستجدات الأمنية الطارئة، التي تتطلب التزام الحذر وأخذ الاحتياطات الأمنية، والتنسيق مع الجهات الرسمية.

كما أننا مدعوون إلى التزام الترشييد والتقنين، فينبغي أن يجري إحياء هذه المناسبة الدينية بالصورة المناسبة، وهذا يفترض بطبيعة الحال وجود شخصيات اجتماعية من رجال الدين ووجوه المجتمع الواعين للسهر على توجيه هذه الشعائر، وألا يترك الباب مفتوحاً لكل ممارسة كيفما اتفق، ولا أن يترك الحبل على الغارب، فينبري كلُّ لفعل ما يريد تحت اسم هذه المناسبة.

من هنا تنبع ضرورة الترشييد من داخل المجتمع الإيماني نفسه، وعبر الواعين من أبنائه، فالتنظيم والترشييد أمر مطلوب دائماً. وتلك وصية أمير المؤمنين الأخيرة حين قال: «أَوْصِيكُمْ... بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ»^(١)، ولا ينبغي أن تترك الأمور على أعتابها دونما تنظيم وترشييد، فنحن من يفترض بنا المبادرة لتنظيم أمورنا وأوضاعنا ومناسباتنا الدينية، بدلاً من أن تفرض علينا القوانين من خارجنا.

(١) نهج البلاغة. كتاب ٤٧.

تحفيز الكفاءات ورفض التسبب الدراسي

أما ثاني الأمور المهمة التي ينبغي التأكيد عليها، فهي ضرورة تركيز خطابنا العاشورائي على أهمية العلم والمعرفة وتنمية الكفاءات. وفي هذا السبيل ينبغي الاستفادة إلى أقصى الحدود من المجالس الحسينية وتهيؤ النفوس للاستماع، بأن نوجه الخطاب لأبنائنا وبناتنا لكي يضعوا العلم والمعرفة وتنمية الكفاءة الذاتية في أعلى سلم اهتماماتهم، فهذا هو الميدان، ذلك أن عزة وقوة أي أمة ومجتمع، إنما ترتبط بمدى تقدم أبنائه في مجالات العلم والعمل، وليس بالتمنيات ولا بإطلاق الشعارات. من هنا ينبغي أن يكون أهم ما يركز عليه الخطاب الحسيني في عاشوراء، هو التأكيد على أبناء المجتمع بأن يهتموا بالتحصيل الأكاديمي، وتحقيق أعلى الدرجات العلمية. ومن أسف نقول، إننا طالما كنا نفتخر بمستوى الاهتمام والجدية لدى أبنائنا في دراستهم، إلى أن بدأنا نلمح المزيد من التسبب والإهمال والانخفاض في مستوى التحصيل الدراسي، لذلك نحن معنيون بتشجيع أبنائنا على العلم والمعرفة، فهذا هو الميدان، وهذا ما يأمر به الدين، وهو ما يسر أئمة أهل البيت.

إن إحياء المناسبات الدينية أمر مطلوب، إلا أن التسبب الدراسي أمر مرفوض تماماً. ولا ينبغي خلط الأوراق عبر تبرير التسبب الدراسي بإحياء المناسبات الدينية، فالتقويم مليء بالمناسبات الدينية الكثيرة، من وفيات ومواليد أئمة أهل البيت، وبعض هذه المناسبات فيه أكثر من رواية، وقد بلغ التسبب الدراسي ببعض الطلبة حدّ البحث عن كلّ الروايات المعتبرة والضعيفة التي تشير إلى وفيات الأئمة لغرض التغيب عن المدرسة!، والأسوأ من ذلك كما بلغني، هو تشجيع بعض المدرسين للطلبة على التغيب عن الدراسة بحجة المناسبات الدينية، حتى يتخلوا هم عن مهمتهم التعليمية في تلك الأيام، وهذا أمر لا يجوز، فهو يأتي على حساب مستقبل أبنائنا. ولو أخذنا نظرة على سائر أتباع أهل البيت في مختلف الحواضر الشيعية العريقة في العراق ولبنان وإيران، لوجدنا أنّ العطل الدينية عندهم مقننة بدرجة كبيرة، فأيام العطلة من

عاشوراء غالباً ما تقتصر على التاسع والعاشر من المحرم فقط، فلماذا يحصل التسبب الدراسي عندنا منذ اليوم الأول في محرم ويستمر إلى الثالث عشر من محرم؟ ناهيك عن باقي وفيات الأئمة؟ لا أظنّ بأن التسبب على هذا النحو يرضي أهل البيت إطلاقاً، بل إنّ ما يرضيهم هو أن يتفوق أبناؤنا في طلب العلم والمعرفة، وأن يكونوا جادّين في دراستهم وحياتهم، وأن يشكل أنموذجاً أمام الآخرين بالاجتهاد والجدّ، وليس بالإهمال والتسبب.

وفي سبيل تحقيق التميّز، ينبغي أن نهتم بمواصلة ابتعاث أبنائنا للدراسة في الخارج. حتى لو حصلت تقنيات رسمية جديدة تحدّد من الابتعاث الرسمي للدراسة في الخارج، ينبغي ألاّ نتراجع عن ابتعاث أبنائنا، وتشجيع الراغبين في العلم والمعرفة على الدراسة في الخارج، وإن كان ذلك على حساب وضعنا الاقتصادي، فالعائلات التي تصرف كثيراً على الكماليات وتنمية المدخرات، ينبغي أن تضع في الاعتبار أن أفضل استثمار هو في تنمية الأبناء علماً ومعرفةً. كما ينبغي على المستوى الاجتماعي أن تخصص حصة من الإنفاق الخيري في سبيل الابتعاث للدراسة في الخارج.

وعليه ينبغي أن نستغل مناسبة عاشوراء في تنمية هذه القيمة؛ قيمة العلم والمعرفة، سواء من خلال المجالس أو المواكب الحسينية التي يحضرها الشباب ويشترك فيها بكثافة، فهي تشكّل فرصة لتعزيز هذه القيمة في نفوسهم، نريد أن نرى المشاركين في المآتم والمواكب أشخاصاً ناجحين في دراستهم وحياتهم، وهذا لا يتسنى إلاّ من خلال المزيد من التوجيه ضمن هذا البعد.

ثقافة المحبة والتعايش

أما ثالث الأمور المهمة: فينبغي أن تكون مناسبة عاشوراء محطة لبث قيم السلم والمحبة والتعايش، واحترام الآخر، والكفّ عن إثارة الضغائن والأحقاد، والانشغال بالجدليات المذهبية العقيمة، واجترار القضايا التاريخية المملّة. يكفي ذلك، فإلى

متى سنظل نعيش في ظلّ هذه الثقافة، ذلك أنّ ما نراه اليوم من أوضاع مزرية في الأمة هو نتاج الجدل العقيم، والعيش في كهوف التاريخ، وثقافة التحريض بين السنة والشيعية ومختلف الأطياف، هذه الثقافة المدمرة هي التي هيأت الأرضية لإيجاد هذا الواقع البائس، وإن كانت هناك عوامل سياسية ساهمت في تسعير هذا الخلاف، فإنها استفادت من الظروف القائمة، واستثمرت الأرضية المناسبة، لثقافة الانشغال بالجدليات العقيمة، والتحريض على الآخر.

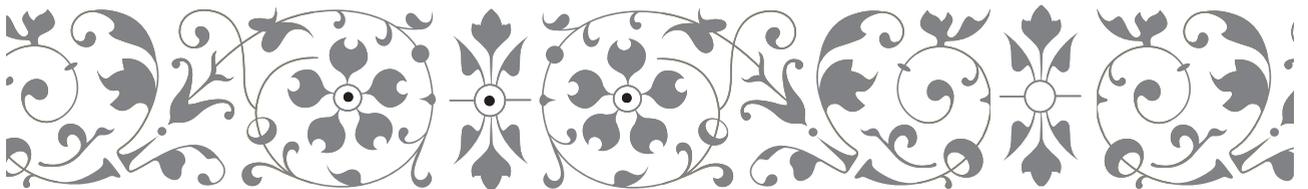
وإذا كنا نجد طرفاً قد سلك طريق التحريض الطائفي، فهذا لا يبرر لنا الردّ عليه بنفس المنطق، فنرتكب ذات الخطأ الذي وقع فيه، ونقوم بذات الدور السيئ الذي يقوم به.

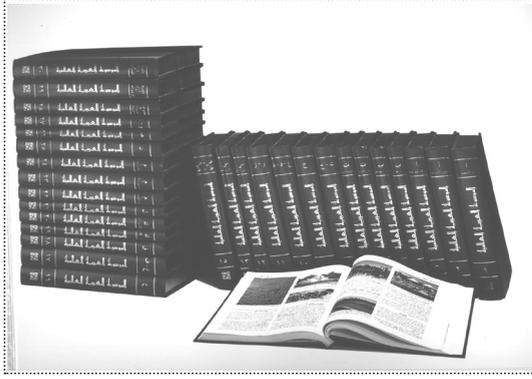
كفى هذه الأمة انشغالاً عن واقعها بالتاريخ الماضي، وكفى هذه الأمة إثارة وتحريضاً على الكراهية، بسبب اختلاف المذاهب والآراء.

إنّ الإصلاح في الأمة هو الهمّ الأساس لدى أئمة أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم الإمام الحسين. فما تحرّك الإمام ونهض إلاّ لأجل الإصلاح، ولذلك جاءت صرخته الشهيرة: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي»، ناهيك عن أن سائر خطابات الإمام الحسين في عاشوراء لم تكن تثير خلافاً عقدياً أو مسائل فكرية، بمقدار ما كانت تؤصّل للقيم الإنسانية والإسلامية النبيلة، من الحرية والعدالة والمساواة والحقّ، هكذا كانت شعارات الإمام الحسين وخطبه وخطب أهل بيته، فلسنا نجد خطب الإمام الحسين في عاشوراء ولا خطب العقيلة زينب عليها السلام، تتناول قضايا عقائدية محلّ جدل وخلاف، بقدر ما تناولت تلك القيم وركّزت عليها، وتبعاً لذلك ينبغي لنا أن نركّز في خطابنا العاشورائي على ذات القيم.



کتابات





ملاحظات ومقترحات للموسوعة العربية العالمية^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٤١٨ هـ

الأخ الكريم الفاضل الدكتور أحمد مهدي محمد الشويخات

رئيس الموسوعة العربية العالمية والمدير العام المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أقدم لسعادتكم في هذه الوريقات بعض الملاحظات التي بدت لي حول المجلد الأول من الموسوعة وستصلكم ملاحظاتي حول بقية المجلدات إن شاء الله، وهي ملاحظات بسيطة في مجملها، لكنها نوع من الإسهام والمشاركة في هذا الصرح العلمي، والمعلم المعرفي المميز لثقافتنا العربية والإسلامية المعاصرة.

ولا يسعني هنا إلا أن أبدي عظيم التقدير والاحترام لجهودكم الجبارة، في إنجاز هذا المشروع الحضاري الكبير، الذي تم برعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز حفظه الله.

(١) هذه الملاحظات تمت على الطبعة الأولى من الموسوعة الصادرة عن مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع في ٣٠ مجلداً سنة ١٩٩٦م، وقد صدرت الطبعة الثانية سنة ١٩٩٩م وفيها تدارك لبعض الملاحظات.

ملاحظات على المجلد الأول

- في مادة الآثار الإسلامية وردت فقرة حول الأضرحة، أو الروضات ص ١٦٠ وذكر بعض الأضرحة الإسلامية على أنّها من أشهر الأضرحة كضريح إسماعيل الساماني في بخارى، وضريح تيمور لنگ في سمرقند، ولم يذكر ضريح الإمام عليّ في النجف العراق، ولا ضريح الإمام الحسين في كربلاء - العراق، ولا ضريح أبو حنيفة في بغداد - العراق، ولا ضريح الإمام الرضا في مشهد - إيران، ويبدو لي أنّ هذه الأضرحة أشهر مما ذكر، لقدّمها التاريخي، ولفخامة بنائها، وكثرة الزائرين لها، إضافة إلى مكانة أصحابها.
- في مادة (إجازة) ص ١٨٩ ذكر إجازة الأمر في الحكومة، ولعلّ من المناسب الإشارة إلى إجازة الرواية والحديث، وهو مصطلح متداول في علوم الحديث والرواية.
- في مادة (إحياء) ينبغي الإشارة إلى كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي وهو كتاب مشهور ومرجع في بابه.
- في (إدوارد) ينبغي الإشارة إلى المفكر العربي المعاصر (إدوارد سعيد) وهناك أسماء مذكورة في الموسوعة بعضها ليست أبرز منه.
- في (الإسراء) ينبغي تخصيص فقرة عن حادثة الإسراء والمعراج، وهو حدث مهم في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي.
- في (أسفار) ينبغي الإشارة إلى كتاب (الأسفار الأربعة) أو الحكمة المتعالية لصدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي المتوفى ١٠٥٠ هـ وهو من أبرز كتب الفلسفة التي تدرس في الحوزات الدينية ومن أهم المراجع في بابه.
- في (ارنولد) ينبغي الإشارة إلى (ارنولد توينبي) من أبرز المراجع والمفكرين في فلسفة الحضارة والتاريخ.

- في (استسقاء) ينبغي الإشارة إلى صلاة الاستسقاء أو الإحالة إليها إن كانت مذكورة في الموسوعة.
- لم ترد مادة (استغفار) وهي مصطلح ومفهوم إسلامي متداول.
- في (استيطان) بحث مطوّل عن الاستيطان في أمريكا، وينبغي الحديث عن الاستيطان الإسرائيلي في الأراضي العربية، كقضية مطروحة في هذه الحقبة من تاريخ الأمة.
- في (إسحاق) ينبغي الإشارة إلى محمد بن إسحاق، من أوائل كتّاب السيرة النبوية، وعنه نقل أكثر رواة السيرة.

ملاحظات على المجلد الثاني

- في مادة (الإسلام) وضمن فقرة (المذاهب الفقهية) حول (المذهب الجعفري) ص ٦٠ وردت العبادة التالية: (وقد قرّر بعض المؤرخين أنّ ما نسب للإمام جعفر الصادق في العصور المتأخرة كان في جملته منحولاً).
- والعبارة تحتوي أولاً: على نوع من الغموض فـ (بعض المؤرخين) من غير تحديد، ثم (العصور المتأخرة) ما تحديدها؟ علماً بأنّ الروايات الأساسية للمذهب الجعفري أوردها الشيخ الكليني مثلاً في كتابه المشهور (الكافي)، وهو معتمد عند المذهب الجعفري، لدرجة تقرب من اعتماد البخاري عند أهل السنة الجماعة.
- والكليني توفي في القرن الرابع سنة ٣٢٨هـ فهل المقصود ما نسب إلى الإمام جعفر الصادق بعد هذا التاريخ؟
- وأخيراً (في جملته) هل يعني أنّ كلّ أو غالبه منحول؟
- ثانياً: الحكم على الروايات هل هي مهمة المؤرخين أم المحدثين؟ فكيف نقبل حكم المؤرخين وتقريره أنّ الروايات المنسوبة للإمام الصادق من قبل

الشيعة منحولة؟

إنّ هذا يشبه أن نذكر حكماً لبعض المهندسين على بعض آراء الأطباء.

ثالثاً: يبدو أنّ من قرر ذلك من المؤرخين هو من غير الشيعة، بل من المخالفين لهم، وليس من الإنصاف الحديث عن طائفة أو مذهب بلسان مناوئهم، وهو خلاف الموضوعية.

رابعاً: يظهر أنّ تلك العبارة ضمن حالة التنازع والصراع بين المذاهب والطوائف، وهي جارحة لأتباع المذهب الجعفري، والموسوعة بما انطلقت منه من أهداف نبيلة أرفع من الدخول في هذه المهاترات المذهبية، ولو حذفت عبارة (وقد قرّر بعض المؤرخين أنّ ما نسب للإمام جعفر الصادق في العصور المتأخرة كان في جملة منحولاً). لما نقص من الموضوع شيء، بل كان أصلح وأسلم.

■ في مادة (الإمامية الاثنا عشرية) ص ٦٦٢-٦٦٣ لفت نظري من الناحية اللغوية والنحوية ورود (الاثنا عشرية) مرفوعة بالألف دائماً حتى في مواضع الجرّ وكأنّ الكاتب اعتبرها من باب الحكاية وهو صحيح، فمثلاً (معتقدات الإمامية الاثنا عشرية) وهي صفة مضافة للإمامية المجرورة بالإضافة.

وكذلك قوله (أعطى بعض الاثنا عشرية) وهي مضافة لبعض.

والأهمّ من ذلك ورود عبارات في فقرة (معتقدات الإمامية) تدخل في المهاترات المذهبية كما سبق في الملاحظة الأولى، وهي مأخوذة من المخالفين للمذهب الجعفري، وتتضمن أحكاماً دون أيّ فرصة للدفاع.

والأفضل هو تجنّب مثل هذه الأقوال، والاعتماد على مصادر كلّ جهة في الحديث عنها، أو المصادر المحايدة، أو ذكر رد هذه الجهة على ما قيل بشأنها، وعند الإمامية الاثني عشرية ردود وإجابات مفصلة على كلّ ما ذكر.

وإذا كان الاطلاع على ذلك يهّمكم فيمكنني إحالتكم على بعض مصادرهم، أو الكتابة لكم عن بعض ما أوردته تلك المصادر.

أ. فمثلاً عبارة (ويقدّمون لذلك أحاديث وقرائن وأدلة كثيرة الوضع والتأويل على مقتضى مذهبهم كما قال بذلك كثير من علماء السنة).

تمثل حكماً حاداً قاسياً، وأقترح تعديل العبارة على النحو التالي: (ويقدّمون لذلك أحاديث وقرائن وأدلة يخالفهم كثير من علماء السنة في إثبات صحة أو تأويل الكثير منها).

والعبارة المقترحة تحمل مضمون العبارة السابقة تقريباً لكنّها تخلو من قسوتها وصرامتها.

ب. عبارة (أنه دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء في العراق وغاب غيبتين) ليست صحيحة، فالشيعة الاثنا عشرية لا يقولون باختفاء المهدي وغيبته في السرداب، وإنما ذلك تهريج من مخالفينهم عليهم، مع تكرار إنكار علمائهم لذلك في العديد من مؤلفاتهم وخطابهم، راجع (هاشم معروف الحسني / سيرة الأئمة الاثني عشري / الجزء الثاني ص ٥٥٩ تحت عنوان أسطورة السرداب / دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٩٠، وراجع الدكتور عبد الهادي الفضلي، في انتظار الإمام ص ٣٨ / دار الزهراء ت بيروت ١٩٧٢).

وراجع لطف الله الصافي / مع الخطيب في خطوطه العريضة / ص ١٠٩ مكتبة الصدر - طهران ١٣٨٩ هـ).

ج. حول نكاح المتعة: لو عاد الكاتب إلى المصادر المعتمدة لوجد أنّ نكاح المتعة يتفق المسلمون على أصل تشريعه، لكن المذاهب الإسلامية غير الشيعة قالوا بأنه نسخ فيما بعد، وقال الشيعة بعدم ثبوت النسخ، ولو ثبت عندهم تحريمه بعد إباحته لما خالفوا أمر الشرع.

والآية التي استدّلوا بها ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [سورة النساء، الآية: ٢٤]، ذكر المفسّرون دلالتها على نكاح المتعة لكن أهل السنة قالوا بحدوث النسخ بعد ذلك.

وبين أيديكم تفسير العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ) من علماء القصيم والمطبوع عدة مرات باسم (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) فقد ذكر في تفسير الآية ما يلي: (وقال كثير منهم - من المفسّرين - أنّها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالاً في أول الإسلام، ثم حرّمها النبي ﷺ وأنه يؤمر بتوقيتها، وأجرها ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما، فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم).

وفي صحيح البخاري عدة أحاديث في بداية الجزء السابع عن نكاح المتعة تحت عنوان (باب نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة آخرًا) تؤكد أنه كان حلالاً مباحاً في البداية.

وفي صحيح مسلم هناك باب بعنوان (نكاح المتعة وبيان أنه أبيض ثم نسخ ثم أبيض ثم نسخ ثم استقرّ تحريمه إلى يوم القيامة) في الجزء الرابع، ومن بعض الأحاديث التي وردت في صحيح مسلم يظهر أنّ تحريم نكاح المتعة ونسخه لم يكن من قبل النبي ﷺ وإنّما كان من قبل الخليفة عمر بن الخطاب منها:

- أخبرنا ابن جريح قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرًا فجنّاه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر.

- أخبرنا ابن جريح أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

- عن عاصم عن أبي نضرة قال كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ فقال ابن عباس وابن الزبير: اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما.

- قال ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن أناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتنون بالمتعة يعرض برجل، فناده فقال: إنك لجلف جافٍ فلعمري، لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين (يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم)، وفي حاشية صحيح مسلم: أراد به التعريض بابن عباس لتجويزه المتعة [راجع لهذه الروايات/ صحيح مسلم/ ج ٤، ص ١٣٠ / ١٣١ / ١٣٣].

فإذا يتفق الجميع على أنه كان نكاحاً شرعياً، ثم يختلفون في نسخه وعدم نسخه، فمن ثبت عندهم النسخ كأهل السنة أفتوا بتحريمه واعتبروه نكاحاً غير شرعي، ومن لم يثبت عندهم النسخ كالشيعة استمروا على القول بحليته، وهو عندهم نكاح شرعي، ولديهم أدلة على ما ذهبوا إليه.

أما القول (أن هذا النوع من الزواج تترتب عليه أضرار اجتماعية) ففيه مجال للبحث والنقاش، حيث أثبت العديد من الباحثين والعلماء أن زواج المتعة يمكنه أن يسهم في حلّ مشاكل اجتماعية، راجع كتاب الأستاذ توفيق الفكيكي (المتعة وأثرها في الإصلاح الاجتماعي) دار الأضواء - بيروت ١٤٠٩هـ.

وكتاب (من فقه الجنس في قنواته المذهبية) للدكتور أحمد الوائلي / المؤسسة الفكرية للمطبوعات - بيروت ١٩٩٢م، وكتاب (الزواج المؤقت) للسيد محمد تقي الحكيم، وغيرها.

وبالمناسبة فهو زواج يجب أن تكتمل فيه كل شروط الزواج الدائم وأركانه، من إذن ولي البنت إن كانت بكرًا، ومن لزوم العدة بعد انتهاء مدة الزواج، لكنه محدد الأجل،

ولا يتحمّل الزوج نفقة الزوجة، ولا توارث بينهما، والأبناء الناتجون عنه شرعيون تماماً، وتجدون فيما أشرت إليه من مصادر وغيرها تفصيلاً كاملاً عن الموضوع. لذا أقترح تعديل صياغة الفقرة الواردة حوله، بحيث تكون موضوعية ومحيدة، تذكر وجهتي النظر، أما العبارة الحالية ففيها حدية ومجافاة للموضوعية.

ملاحظات على المجلد الخامس

- لم تذكر مدينة (بلخ) وكانت ذات شأن في العصور القديمة والوسطى، مع أنّ الموسوعة ذكرت بعض الأعلام المنتسبين لها ص ٧٤-٧٥ من المجلد الخامس، وهي مذكورة في معاجم البلدان وفي (المنجد) قسم الأعلام.
- لم تذكر مادة (البلاغة) مع ذكر (البيان) ص ٣٥٦ وهو قسم من أقسام البلاغة كما جاء في الحديث عنه.
- لا يوجد حديث عن (البند) وهو لون من ألوان الأدب العربي، وقد حلّ محله الآن الشعر الحرّ على رأي بعض الأدباء والناقدین.
- لم يذكر (الإمام حسن البنا) مع ذكر ابن البنا البغدادي، والبنا المقدسي، والبنا الدمياطي ص ١٢٤.
- في مادة (البهائية):

أ. في فقرة (كيف ظهرت البهائية) جاءت العبارة التالية: (الباب عند الشيعة الشخص الذي يكون واسطة بين الشيعة الإمامية والإمام الثاني عشر) والحقيقة أنّ هذا المصطلح ليس موجوداً عند الشيعة الإمامية، ولا يعتقدون بوجود أشخاص يقومون بهذا الدور، بل هو مصطلح لدى البهائية، فاقترح تصحيح العبارة على النحو التالي: (والباب عندهم - البهائية - هو الشخص الذي يكون واسطة بينهم وبين الإمام الثاني عشر).

ب. ورد في آخر المقالة: (أما رأي أهل السنة في المذهب..).

ولأنَّ البهائية ظهرت في إيران، وفي وسط قسم من أتباع المذهب الشيعي، فقد يستوحي القارئ من العبارة (أما رأي أهل السنة) اختصاص السنة دون الشيعة بمخالفة البهائية، ومعلوم أنَّ الشيعة مخالفون للبهائية أيضًا، ورأيهم فيهم كراي أهل السنة، فاقترح إمَّا إضافة (وكذلك الشيعة) أو تعميم العبارة بما يشمل المسلمين دون تخصيص أهل السنة.

■ لم تذكر مادة (البلوغ) وهي تحديد سنِّ التكليف الشرعي.

■ أقترح ذكر كتاب (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي المتوفي (٤٦٠هـ) وكتاب (مجمع البيان في تفسير القرآن) للشيخ الطبرسي من أعلام القرن السادس الهجري وهما من أوثق وأشهر التفاسير عند الشيعة الإمامية.

■ في مادة (بيت) لفت نظري عدم الإشارة إلى (أهل البيت) وهو مصطلح إسلامي يقصد منه آل رسول الله ﷺ وقد ورد في القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وورد في السنة النبوية حيث يوجد في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسائر الصحاح والمسانيد روايات كثيرة عن فضل أهل البيت، وللشيخ ابن تيمية رسالة مستقلة عن فضل أهل البيت وحقوقهم طبعت عدة مرات.

وقد راجعت المجلد الثالث فرأيت كتابة عن أهل الذمة، وأهل السنة، وأهل الصفة، وأهل الكتاب، وأهل الكهف، دون ذكر أهل البيت.

فأهيب بالأخوة الأعزاء في إدارة تحرير الموسوعة السعي لتلافي هذا النقص، ليزيد الله البركة في الموسوعة، ويضاعف لكم الأجر والثواب إن شاء الله.

ملاحظات على المجلد السادس

- لم تذكر مادة (التأويل) ومنه تأويل القرآن.
- لم تذكر مادة (التجويد) وهو من علوم القرآن ويرتبط بتصحيح قراءة القرآن وسلامة النطق بالحروف والكلمات.
- لم تذكر مادة (التحرر والتحرير والاستعمار) مع ذكر التحرر من الجوع وتحرير الخطابات ص ١١٤.
- (التخلي) ذكر كمصطلح قانوني ص ١٥٤ دون الإشارة إليه كمصطلح فقهي.
- (التدخين): توحى السطور الأخيرة من المقالة التي حوله بتحريمه من الناحية الشرعية، ولو أعيد صياغة العبارة بحيث يكون التحريم مرتبطاً بتحقيق التهلكة والتبذير منه لكان أفضل.
- لم يذكر (ترتيل القرآن) مع ذكر (الترتيلة الكنسية) ص ٢١٥.

ملاحظات على المجلد التاسع

- ذكر (الحاكم الكبير) ص ٥١ ولم يذكر (أبو عبدالله الحاكم) صاحب المستدرک على الصحيحين ولا (الحاكم بأمر الله) سادس الخلفاء الفاطميين.
- في مادة (حبيب) ص ٦٨ لم تذكر (أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان إحدى زوجات رسول الله وأمهات المؤمنين كما لم يذكر (الحبيب بورقيبة) الرئيس التونسي السابق.
- في مادة حجر لم يذكر (حجر بن عدي الكندي) وهو من أجلاء الصحابة ورد ذكره في الإصابة والاستيعاب ومختلف كتب التاريخ والسير والتراجم.
- (لم يذكر حجر إسماعيل).

- في صفحة ١٠٨ ذكر (أبو حديد، محمد فريد) ولم يذكر (ابن أبي الحديد) عبد الحميد المدائني ٥٨٦ - ٦٥٦ هـ، وهو من نجوم العصر العباسي الثاني في عالم الأدب والتاريخ، ومن أشهر مصنفاته (شرح نهج البلاغة) المطبوع في عشرين جزءاً.
- في مادة (حرب) فقرة عن (حرب الخليج الثانية) ص ١٨٥ وغريب تجاهل ذكر حرب الخليج الأولى (الحرب العراقية الإيرانية).
- في الكتابة عن الإمام (الحسين بن علي) ص ٣٤٤-٣٤٥ استوقفتني عبارتان:
 - أ. الفقرة التي بعنوان (مقتله) جاء في آخرها ما يلي: (فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه فمات على إثر ذلك...) إنَّ كيفية مقتل الإمام الحسين واستشهاده وردت مفصلة في كتب التاريخ والتراجم، وكلها تشير إلى أنَّ قتله تم بطريقة مأساوية بشعة فمثلاً تاريخ ابن الأثير (الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٥٧٢ مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ١٩٨٩ م يقول: (فحملوا عليه من كلِّ جانب، فضرب زرعة بن شريك التميمي على كفه اليسرى، وضرب أيضاً على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو يقوم ويكبو، وحمل عليه في تلك الحال سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح فوق، وقال لخولي بن يزيد الأصبحي: احتزَّ رأسه، فأراد أن يفعل فضعف وأرعد، فقال له سنان: فتَّ الله عضدك! ونزل إليه فذبحه واحتزَّ رأسه فدفعه إلى خولي، وسلب الحسين ما كان عليه... ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه: من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل ظهره؟ فانتدب عشرة، منهم: إسحاق بن حيوة الحضرمي الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه فبرص بعد، فأتوا فداسوا الحسين بخيولهم، حتى رضوا ظهره وصدروه...). ومثل ذلك جاء في (تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٣٤ الطبعة الثانية دار الكتب العلمية ١٩٨٨ م بيروت) ونقل مثل ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه (المرتضى ص ٢١٣ دار القلم دمشق ١٩٨٩ م. وأيضاً الدكتور محمد عبده

يماني في كتابه (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ص ٣٣٤ دار القبلة - جدة الطبعة الثانية ١٩٩٢م).

فإسناد موت الحسين إلى أثر تلك الجراحات التي أصابته لم يقل به أحد من المؤرخين المعروفين، ويعتبر تجاهلاً للسبب المباشر في موته، وهو قتله وحز رأسه، وتقليلاً وتهويناً للفاجعة المؤلمة.

وإذا كان قصد الكاتب عدم نقل تفاصيل كيفية مقتل الإمام الحسين، فيمكنه ذلك بالقول: (فشب قتال عنيف قتل على إثره الحسين) دون أن ينسب موت الحسين إلى أثر الجراحات فقط.

ب. في نهاية الفقرة وردت العبارة التالية: (واختلف في مكان دفنه) والصحيح أنه ليس هناك اختلاف في مكان دفن جسد الإمام الحسين، فهو مدفون في كربلاء العراق بالإجماع. لكن الاختلاف هو حول موضع دفن رأس الإمام الحسين؛ لأنه أخذ إلى يزيد بن معاوية في الشام، ثم تضاربت الآراء حول دفنه: هل أعيد إلى كربلاء ليدفن مع باقي الجسد، أم دفن في مكان آخر كدمشق أو القاهرة؟ ولعل الأمر قد التبس على الكاتب فيرجى التصحيح.

- حول حقوق الإنسان، كان من المناسب ذكر الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان، الذي تبنته منظمة المؤتمر الإسلامي، وتمت الموافقة على صيغته النهائية في المؤتمر التاسع عشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية في القاهرة.
- في صفحة ٤٧٥ ذكر (الحكيم، توفيق) وكان مناسباً ذكر (الإمام السيد محسن الحكيم) (١٨٨٩ - ١٩٧٠م) وهو أبرز زعيم ديني في العراق في الستينيات بل كان المرجع الأعلى للشريعة في العالم، وكان له احترام خاص عند الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله وقد جاء للحج سنة ١٣٨٧هـ في ضيافة الملك فيصل وقوبل بكل احترام وتجليل.

- في مادة (حلف) لم يذكر حلف الفضول الذي حصل قبل الإسلام، وافتخر رسول الله ﷺ بمشاركته فيه.
- لم تذكر (الحلة) وهي مدينة مشهورة في العراق على الفرات وهي قاعدة محافظة بابل وقد ذكرها المنجد - قسم الأعلام، وبرز منها علماء كبار ك (محمد بن إدريس الحلبي توفي ٥٩٨هـ) الذي ذكره ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (٥ / ٦٥) وغيره، والمحقق (جعفر بن الحسن الحلبي) والعلامة (الحسن بن يوسف الحلبي) الذي ذكره ابن حجر العسقلاني أيضًا في لسان الميزان ٣١٧ / ٢.
- كما برز من الحلة شعراء فطاحل ك (صفي الدين الحلبي) و(السيد حيدر الحلبي) و(السيد جعفر الحلبي) وغيرهم، ولم تشر الموسوعة إلى مدينتهم أو إلى أحد منهم.
- لم يذكر السيد إسماعيل بن محمد بن يزيد بن وداع الحميري المتوفي ١٧٣هـ، وهو من أدباء القرن الثاني للهجرة ذكره المرزباني في معجم الشعراء، وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني، وابن عبدربه في العقد الفريد.
- ذكر ابن حيان أبو مروان ص ٥٨٤ ولم يذكر جابر بن حيان العالم المسلم المؤسس لعلم الكيمياء.

ملاحظات على المجلد العاشر

- ذكر (خسرو، امير) الهندي ص ٦٢ ولم يذكر (خسرو، ناصر) الأديب والرحالة الفارسي المشهور، وقد ذكره المنجد - قسم الأعلام، وترجم في العديد من المصادر.
- لم يذكر (الخضر) صاحب نبي الله موسى ﷺ الذي وردت قصة نبي الله موسى معه في القرآن الكريم في سورة الكهف، وذكر في الصحيحين صحيح

البخاري، وصحيح مسلم، وكتب قصص الأنبياء.

- لم يذكر (خط بارليف) الذي كان اجتياحه من قبل الجيش المصري في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، وهو معلم من معالم الانتصارات العربية في هذا العصر.
- لم تذكر (الخط) الاسم التاريخي للقطيف، ولم يذكر الشيخ جعفر الخطي (أبو البحر) توفي ١٠٢٨هـ وهو من أبرز شعراء الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ولم يذكر الشيخ عبد الحميد الخطي، قاضي محكمة الأوقاف والمواريث بالقطيف، وهو رائد النهضة الأدبية في المنطقة، وقد تحدثت عنه مختلف المصادر والمجلات.
- في ترجمة (الخميني) ص ١٦٠ ورد أن (الاسم الحقيقي للخميني هو آية الله موسوي) والصحيح أن اسمه الحقيقي هو (روح الله ابن السيد مصطفى ابن السيد أحمد الموسوي) وآية الله لقب ديني كما جاء في آخر المقالة.
- ص ١٩٨ لم تذكر (رأس الخيمة) إحدى إمارات دولة الإمارات العربية المتحدة).

الرهان على الخارج خسارة للوطن^(١)

اطّلت على مقال الأستاذ محمد عبد الله ناب جزاه الله خيرًا المنشور يوم الاثنين بتاريخ ٢٨ أبريل ٢٠٠٣م على صفحات موقع إيلاف. وإني إذ أشكر له حسن ظنه وتقويمه الطيب لحديثي عن «السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته»، لأودّ إلفات نظره الكريم، إلى أن الملاحظة التي بنى عليها نقده حول تصريحاتي لوكالة «رويتر» إنّما استندت إلى العنوان - المانشيت - الذي استخدمته الوكالة ونصّه «سقوط صدام قد يساعد الشيعة في السعودية».

ولو قرأ نصّ كلامي الذي نقلته الوكالة بعد العنوان، لأدرك أنّ حديثي يتفق مع الفكرة التي طرحها، فقد قلت: «إنّ بروز الشيعة في العراق يساعد في تعرف الناس في المملكة هنا أكثر على الشيعة. يعرفون الشيعة أحسن، ويرون الشيعة بشكل أوضح، وأنّهم لا يختلفون عن بقية المسلمين، وأنّ التصورات الخاطئة التي عندهم عن الشيعة ينبغي أن يتجاوزوها» هذا هو نصّ كلامي وهو يدلّ بوضوح على أنّ جذور المشكلة الطائفية تتمثل في سوء الفهم المتبادل، والتصورات الخاطئة عند كلّ طرف تجاه الآخر. وأنّ تعبير الشيعة في العراق عن أنفسهم سيساعد في تصحيح صورة الشيعة ومذهبهم في المنطقة والعالم العربي بشكل أفضل.

أما في حديثي لقناة الجزيرة، فقد أجبت عن سؤال تأثير سقوط صدام على أوضاع الشيعة، بأنّ ما حدث في العراق سيدعو كلّ الأنظمة والواعين إلى تلمّس الخلل

(١) جريدة إيلاف الإلكترونية.

والثغرات في واقعهم على الصُّعد المختلفة وإنَّ ذلك لا يختصُّ بأوضاع الشيعة. وأشرت إلى أنَّ سمو وليِّ العهد قدم مبادرة لإصلاح البيت العربي، قبيل وقوع الحرب. وكررت في حديثي للعربية والجزيرة: أنَّ معالجة موضوع الشيعة يجب أن تكون في الإطار الوطني، وأنَّهم جزء لا يتجزأ من وطنهم، وليس لهم ولاء لغيره، ولا خيار سواه.

ولا أدري كيف اكتفى الأستاذ الكريم بالعنوان العام الذي لا أتحمّل مسؤوليته ولم يلتفت إلى نصِّ الحديث؟

إنني أومن بعمق أنَّ الرهان على الخارج خسارة للوطن وللمستقبل، وأتمنّى أن تتجه الإدارة الرسمية والشعبية في بلاد المسلمين إلى معالجة مشاكلهم داخلياً، وألا يعطوا الفرصة لأيّ جهة أجنبية لن تهمها إلا مصالحها، ولن تخدم إلا غاياتها. وما يحصل في العراق الآن خير برهان ودليل.

وإيماني والتزامي بهذا الموقف هو الذي دفعني للانحياز إلى وطني أثناء حرب الخليج الثانية، وإعلاني عن تغيير مسار تحركي السياسي، والعودة إلى البلاد، ورفض التعاطي مع الجهات التي كانت تريد توظيف موقعنا السابق بالاتجاه الآخر لمصلحة الوطن. وأدرك جيداً أنَّ مسؤولية الواعين من أبناء الوطن والأمة تكثيف الجهد لكي تتجاوز مجتمعاتنا واقع النزاع المذهبي والخلاف الطائفي، الذي يشكل ثغرة في جدار أمن الوطن ومستقبل الأمة.

وأكرّر شكري للأستاذ الكريم، وإعلان اتفاقي معه بأنَّ هناك جذوراً ثقافية تاريخية للمشكلة الطائفية، نأمل أن تشجع الحكومة معالجتها بنشر ثقافة التسامح، وإتاحة الفرصة للانفتاح الفكري، لتتعرف الجهات على بعضها، وليعيش الجميع المساواة تحت سقف قانون واحد، يساعد على دمج المواطنين في بوتقة الوطن.

حسن الصفار

٢٨ ابريل ٢٠٠٣ م



لماذا أصبحوا لقمة سائغة لتيارات الإرهاب؟^(١)

الحقيقة المؤلمة التي يجب أن تكون نصب أعيننا، ونحن نواجه أقسى محنة تمرّ على الوطن، هي أنّ القائمين بهذه الأعمال الإرهابية الفظيعة هم أبناءنا وفلذات أكبادنا.

هم شباب في عمر الورود والزهور، يقتلون أنفسهم، ويدمّرون أمن وطنهم ومجتمعهم، ويشوّهون سمعة دينهم.

إنّ علينا أن نتحمل مسؤوليتنا تجاه هذا الجيل الناشئ، الذي أخطأ الطريق، وتعرّض للضياع، وصار لقمة سائغة لتيارات التطرف والإرهاب.

وأخصّ هنا ثلاث جهات تتحمل القسط الأكبر من المسؤولية:

الجهة الأولى: العائلة، فقد انشغل الوالدان عن الأبناء، وتركوهم لتأثيرات الإعلام، ولاستقطابات التيارات المختلفة، وأصبحنا نعيش انفصلاً حاداً بين الأجيال، فلم يعد الابن يصحب أباه، ولا البنت ترافق أمها، انعدم الانفتاح والحوار في محيط العائلة، وصار الأبناء والبنات يعالجون مشاكلهم وقضاياهم ضمن تكتلاتهم الشبابية، وعبر الإنترنت.

(١) مداخلة لمجلة الإمامة نشرت منها مقتطفات في العدد ١٧٨٢ بتاريخ ٢١ رمضان ١٤٢٤ هـ الموافق

لا بُدَّ من تفعيل الأجواء العائلية، وتوثيق الصلة فكرياً وعاطفياً مع الأبناء لعرف توجّحاتهم، ونساعد في ترسيدها.

الجهة الثانية: الحالة الدينية، حيث يمارس قسم منها التوجيه الديني بشكل تقليدي بسيط، لا يجد فيه الشباب ما يروي ظمأهم للمعرفة، ولا يتناسب مع لغة العصر، فهي مواظم مكرّرة وبأسلوب قديم.

وقسم منها يصنع أراضية التطرف في نفوس الشباب، حيث تشحن نفوسهم بالتعبئة ضدّ أعداء الدين والأمة، دون توعية وتبصير بأنّ المواجهة يجب أن تبدأ من الذات (الجهاد الأكبر) بتنمية الطاقات والمواهب، وبناء نهضة علمية تكنولوجية، تجعل الأمة في موقع المسيرة لركب التطور الحضاري والصناعي.

ومن المؤسف أن بعض الخطابات الدينية تربي على رفض الآخر وكرهيته، حين يكون مختلفاً في بعض الآراء، مما يشجّع هؤلاء الشباب على الاستهانة بحرمات الناس وحقوقهم.

الجهة الثالثة: رجال الأعمال وأصحاب الثروة، الذين عليهم أن يتجاوبوا مع خطط السعودية، لاستيعاب هذه النسبة المرعبة من البطالة التي تتحدث عنها الأرقام، إن قلق الشباب على مستقبلهم، وانتصاب العوائق أمامهم هي من عوامل اندفاعاتهم الخاطئة. إن مجتمعنا بحاجة ماسّة إلى ضخ ثقافة جديدة توجّه للجهاد الأكبر، ببناء الذات، وتطوير التنمية، وصنع العلاقات الإيجابية المستقرة بين فئات الشعب وشرائحه المتنوعة.

إننا بحاجة إلى تصحيح رؤيتنا للعالم حولنا، فما لم نغادر حالة التخلف ونلحق بركب التقدم فلن يصغي لدعوتنا وادّعاءاتنا.



تكريم الإنسان^(١)

احترام الكفاءة والإبداع مظهر للراقي وطريق للتقدم، فالإنسان السوي يخترن في أعماق نفسه مشاعر إعجاب وتقدير لكل كفاءة متميزة وإبداع خلاق ودون ذلك لا يكون إنساناً سوياً أبداً، لكن امتلاك قدرة التعبير عن تلك المشاعر والمبادرة لإبرازها هو سمة الراقين المتحضّرين. إنّ من يظهر مشاعر تقديره للكفويين المبدعين إنّما يسجل احترامه لذاته أولاً بالتعبير عمّا تختزنه من انطباعات ومنحها جدارة التقديم والعرض، بينما يشكك ضعفاء الثقة بذواتهم في استحقاق مشاعرهم للإظهار والإبراز ويخلون على أنفسهم بفرصة التعبير عمّا يختلج فيها؛ لضعف احترامهم لها.

وقد تتراكم على نفس الإنسان حجب قاتمة من نوازع الأنانية والحسد تمنعه من إعلان تقديره للمستحقين للتقدير وذلك خلق سيء وحالة مرضية لا علاج لها إلا بالوعي الصحيح والتربية الفاضلة وممارسة جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر. إنّ تقدير الكفاءة يساعد على تنميتها وتطويرها ويدفع أصحابها إلى المزيد من العطاء والإنجاز ويكرّس في نفوسهم حبّ مجتمعهم والإخلاص إليه والتفاني في خدمته. بينما تجاهل الكفاءات قد يثبط نشاطها ويصيبها بالإحباط وفي أحسن الفروض تسلك

(١) مجلة الواحة. العدد السادس والثلاثون - السنة الحادية عشرة - الربع الأول ٢٠٠٥م.

طريق النزوح والاعتراب وما يصطلح عليه الآن بهجرة الكفاءات والأدمغة.

وتكريم المبدعين يرفع درجة الطموح والتطلع نحو الإبداع لدى أبناء المجتمع، لذلك تجتهد المجتمعات المتقدمة في وضع البرامج وابتكار الأساليب لتقدير الكفوئين من أبنائها بالاحتفاء بهم إعلامياً وتكريمهم اجتماعياً ورصد الجوائز والأوسمة لهم وتوفير وسائل العيش الكريم والخدمات اللازمة لفاعليتهم ونشاطهم. وقد أخذت مجتمعاتنا العربية والإسلامية المعاصرة عن المجتمعات المتقدمة بعض عادات الاهتمام وبرامج التقدير للمتفوقين لكنها تكاد تنحصر في المتفوقين في القوى البدنية كالرياضيين. والقدرات الفنية كالمغنين.

في عام ٢٠٠٠ مثلاً قام أحد أنديةنا الرياضية في المملكة بشراء لاعب من نادٍ آخر بمبلغ ٩٠٠٠٠٠٠٠ ريال، نصيب اللاعب مليوناً ريال وراتبه الشهري ٢٥٠٠٠٠ ريال ونشر الخبر وقتها في الجرائد، وقبل فترة تم تكريم لاعب من أحد الأندية بمناسبة اعتزاله وقدمت له هدايا بمبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ ريال.

أما العلماء والمفكرون والأدباء المبدعون وسائر الكفاءات النافعة فتمنى السلامة على نفسها، فضلاً عن أن يتوفر لها الاهتمام والتقدير، حتى قال أحد الأدباء معبراً عن هذه الحقيقة المرة:

قال أبي: في كل قطر عربي إن أعلن الذكي عن ذكائه فهو غبي

بالطبع لا يمكن التعميم فهناك بشائر طيبة وبوادر مشجعة هنا وهناك، ولكن المقصود هو الحالة العامة والوضع السائد في الوطن العربي والعالم الإسلامي قياساً على إمكاناته الهائلة ومقارنة بأوضاع المجتمعات الأخرى. إن الكفاءة يجب أن تحترم لذاتها وعطائها من أي عائلة انبثقت وإلى أي طبقة انتمت ومن أي طائفة كانت وبغض النظر عن اتجاهها الأيديولوجي والسياسي والمذهبي، هكذا يأمر العقل وإلى هذا يرشد الشرع.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وفي ثلاثة موارد من القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ في سورة الأعراف آية ٨٥ وفي سورة هود آية، ٨٥ وفي سورة الشعراء آية ١٨٣.

والبخس، كما يقول ابن عاشور، هو إنقاص شيء من صفة أو مقدار هو حقيق بكمال في نوعه، ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾ ولم يقل المسلمين أو المؤمنين فقط ومن مسلمات الفقه الإسلامي عدم جواز البخس والظلم على أي إنسان إلا أن يكون معتدياً فيقاوم عدوانه. وأشياءهم - ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ - تشمل الحقوق المادية والمعنوية، فكما لا يجوز أن تبخس أحداً من الناس شيئاً من حقوقه المادية كذلك لا يصح أن تبخس شيئاً من حقوقه المعنوية. وفي تراثنا الإسلامي تأكيد على خلق الإنصاف - من مادة نصف - يقال في اللغة أنصف النهار، أي انتصف. وأنصف الشخص إذا عدل، وتناصف القوم، أي أنصف بعضهم بعضاً من نفسه، وقيل إذا تعاطوا الحق بينهم. وقال في القاموس - انتصف منه: استوفى حقه منه كاملاً.

ومن تعريف علماء الأخلاق للإنصاف: أنه استيفاء الحقوق لأربابها. ومن روائع حكم الإمام عليّ ؑ قوله: «الإنصاف يرفع الخلاف، ويوجب الائتلاف»، وقال ؑ: «زكاة القدرة للإنصاف».

وفي السيرة النبوية نقرأ كيف احترم رسول الله ﷺ سفانة بنت حاتم الطائي الذي مات على الكفر قبل الإسلام وأمر بإطلاق سراحها من السبي قائلاً: «خلّوا عنها فإن أباهما كان يحبّ مكارم الأخلاق، وإن الله يحبّ مكارم الأخلاق».

ونقرأ في تاريخنا أيام عزّة الحضارة العربية والإسلامية كيف أنّ الشريف الرضي العالم الفقيه يشيد بأدب وشخصية أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي وهو على دين

الصابئة في مراسلاته له بالشعر والنثر ثم يبكيه ويرثيه بقصيدة تعتبر من أروع قصائده في الرثاء ومطلعها:

أعلمت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبل هوى لو خرّ في البحر اغتدى من وقعه متتابع الأزباد
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى أنّ الثرى يعلو على الأطواد

يقول ذلك مؤبناً لرجل غير مسلم من الصابئة إلى أن يقول:

الفضل ناسب بيننا إن لم يكن شرفي مناسبه ولا ميلادي

وكذلك فعل أخوه المرتضى علم الهدى، حيث رثى أبا إسحاق بقصيدة رائعة.

هكذا كان أسلافنا يحترمون الكفاءة لذاتها وعطائها، وهكذا يشجعنا الإسلام على الاعتراف بفضل ذوي الفضل. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. ويأمرنا بشكر من يستحق الشكر، حيث روى الإمام محمد الباقر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس».

ومهرجاننا الكبير هذه الليلة إنّما يأتي استجابة لهذه المنطلقات والدواعي الحضارية حيث بادرت ثلة طيبة واعية من أبناء القطيف المخلصين للدعوة إلى هذا الحفل الزاهي لتكريم واحد من أبرز رواد الأدب والإبداع في هذه المنطقة، هو الأستاذ عبدالله الشيخ علي الجشي، أبو قطيف حفظه الله. والأستاذ أبو قطيف يستحق التكريم لأكثر من جهة.

فأولاً: لإبداعه وعطائه الأدبي، الذي تشهد به روائع شعره، وغرر مقالاته وبحوثه، وقد أخذ موقعه بكلّ جدارة في الطبقة الأولى من أدباء العالم العربي المعاصر.

وثانياً: لجهوده الاجتماعية والوطنية، فهو في طليعة من حملوا هموم الوطن،

وقضايا المجتمع واجتهد لخدمتها حسب قناعاته وإمكاناته.

وثالثاً: لما يتمتع به من خلق فاضل وشخصية رزينة جعلته منفتحاً على كل الناس بمختلف اتجاهاتهم، يتعامل مع الجميع بحب واحترام.

أسأل الله تعالى له طول العمر، وأن يتمتع بالصحة والعافية، وأن يقدم لعشاق أديه المزيد من العطاء والإنتاج، كما أتوجه بعميق شكري وتقديري للإخوة الأعزّاء القائمين على هذا الحفل الكريم، لمبادرتهم الطيبة وجهودهم الكبيرة الموفقة إن شاء الله التي نأمل أن ترسي وتؤكد هذا النهج الأخلاقي الحضاري في تكريم كفاءات أبناء الوطن في مختلف المجالات، وعلى جميع الصُّعد.



تصريح بمناسبة الحدث الأليم في قرية الدالوة

بسم الله الرحمن الرحيم

حين يستهدف المتطرفون الإرهابيون مجلس عزاء ديني في الأحساء، ليلة العاشر من المحرم، فإنهم يتغون تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية، والردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي، ورفض ممارسات التمييز والإقصاء.

إنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، قدّموا حياتهم فداءً لإحياء شعائر المودة والولاء لآل بيت رسول الله ﷺ، في ذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين بن علي ﷺ سبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة، نسأل الله تعالى لهم عظيم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يُلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخير الدنيا والآخرة.

وقد أثبت أهلنا الكرام في الأحساء ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح، وكانت مواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة التي انطلقت

على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتّابًا وإعلاميين، تستنكر العدوان الأثيم، وتؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين سنة وشيعة، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، هذه المواقف المشكورة، والجهود المبذولة من قبل الجهات الأمنية، التي استشهد بعض رجالها في مواجهة الإرهابيين، هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها، والتأسيس عليها، لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها المتطرفون التكفيريون.

حمى الله بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ مكروه، وأعان أمّتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّد خطوات قادتها نحو التقدم والإصلاح.
والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

١١ محرم ١٤٣٦ هـ



كلمة وفاء في حق الأستاذ الشيخ إبراهيم الغراش

رافقت الأستاذ العلامة الشيخ إبراهيم الغراش بضع سنوات في مستقبل حياتي العلمية الدراسية، وتلمذت على يديه في مبادئ الفقه وعلوم اللغة العربية، فاكسبت منه عشق اللغة، والدقة في مراعاة القواعد النحوية عند التحدّث والخطاب، حيث كان شديد الملاحظة والاهتمام في هذا الجانب، ليربي تلامذته والمحيطين به على الالتزام بما يدرسونه من قواعد النحو، في كلامهم وحديثهم الخاص والعام.

ولأنه كان يفتقد القدرة على القراءة والمطالعة لضعف بصره، كنت أقرأ عليه ما يحتاج من الكتب في دراسته وتحضيره لخطابته، فيوقفني عند كلّ كلمة أخطئ في تشكيلها ونطقها بشكل صحيح، ويمتحنني في إعراب بعض الكلمات والجمل، فكانت استفادتي منه في هذا المجال كبيرة لا تقدّر بثمن.

وقد درست على يديه في النحو كتاب (الأجرومية) لابن آجروم الصنهاجي، وشرح (قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام، حيث كانت تُعتمد دراستهما في الحوزة العلمية. ولأنه كان يدرّس طلاباً آخرين شرح ابن الناظم على ألفية أبيه ابن مالك في النحو، فقد كان يعتمد عليّ غالباً في التحضير لدرسه، حيث أقرأ عليه ما يحتاج منها.

كما كان يحضر درساً في (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب) عند الشيخ منصور

البيات رحمه الله، وهو الآخر كفيف البصر، فقد أقرأ لهما معظم الأيام. وأيضاً كنت أرافقه في حضور درسه لحاشية الملا عبدالله في المنطق، على يد الشيخ عبد الحسين آل صادق من علماء لبنان. وهكذا كانت فرصتي منه كبيرة للاستفادة من اهتمامه وتضلّعه في النحو وعلوم اللغة العربية.

وكان الأستاذ الغراش عاشقاً للشعر والأدب الكلاسيكي، فكان يطرب لشعر المتنبي، ويتغنّى بشعر أبي فراس الحمداني، ويلهج بروائع الشعر الحسيني وخاصة من قصائد السيد حيدر الحلبي والسيد جعفر الحلبي.

كما كان مغرماً بشعر إيليا أبي ماضي وخاصة (الطلاسم)، التي كان يحفظها عن ظهر قلب، إعجاباً منه بمستواها الأدبي، ومحتواها الفلسفي المثير للأذهان، حيث يناقش ويرد على بعض التساؤلات والإشكالات التي تثيرها.

أما ألفتية ابن مالك فهي حاضرة دائماً وأبداً في ذهنه وعلى لسانه، يستشهد بمقاطعها عند كل مسألة نحوية. وهكذا توثقت علاقتي بالشعر والأدب، ونمت لدي ذائقته والاهتمام به، من خلال صحبتي للشيخ الأستاذ.

بقي أن أشير إلى ما أولاني من رعاية وعناية أبوية بالغة، منذ أن تعرّفت عليه في الأحساء، في صيف ١٣٩٠ هـ، حيث كنت مدعوّاً لقراءة المجالس الحسينية في بداية مشواري الخطابي، وعمري آنذاك ثلاث عشرة سنة، وكنت أُنقل من قرية إلى أخرى، وكان الشيخ الغراش قد قصد الأحساء بحثاً عن مجالس للقراءة، ولأن المآتم كانت تعقد ليلاً، فكنت ألتقيه كل صباح يأتي إليّ في القرية التي أكون فيها، أو أذهب إليه في مكان تواجده، أو نتفق على الالتقاء في مدينة الهفوف، وأبقى بخدمته طوال اليوم، أقرأ عليه من الكتب، أو أزور معه بعض العلماء والخطباء، وهكذا بدأت صلتني به، وحين عزم على الذهاب للدراسة في النجف الأشرف في السنة التالية ١٣٩١ هـ، تجدد للشيخ الأستاذ العزم على العودة إلى النجف، وكان قد تركها قبل سنوات، بسبب ضغط الظروف المعيشية بعد زواجه، وأذكر أن للخطيب الشيخ عبد الحميد

المرهون دورًا كبيرًا في إثارة هذا العزم لديه، حيث كانت للشيخ المرهون في نفس الشيخ الغراش مكانة لا تضاهي من المحبة والثقة.

وبعزم الشيخ الغراش على الذهاب إلى النجف الأشرف، اطمأنّ والدي (رحمه الله) وزال تردده وقلقه عليّ من الذهاب إلى النجف في تلك السنّ المبكرة.

وبرفقة الشيخ الغراش سافرت مع والدي إلى النجف الأشرف، حيث تركني تحت رعاية الشيخ الغراش، فأسكنني معه في البيت الذي استأجره في أحد زقاق شارع زين العابدين، وتعامل معي كأحد أفراد عائلته، حيث كانت معه والدته (رحمها الله)، وزوجته كريمة الملا علي الطويل (رحمه الله)، وابنه البكر زهير، وكان في الثالثة من عمره، وقد فجع به أبوه وهو في ريعان شبابه.

وهكذا أمضيت سنتي الدراسية الأولى في النجف الأشرف تحت رعاية الشيخ الغراش، وفي خدمته، وما تزال في ذاكرتي كثير من الصور والانطباعات، عن يوميات تلك السنة الجميلة المباركة، وهي السنة التأسيسية لتحصيلي العلمي.

ولا أنسى أن أشير إلى أنه شجّعني على ائتمار العمامة، ورتّب الأمر مع العلامة الشيخ فرج العمران (رحمه الله) الذي كان في زيارة للنجف الأشرف، وأقام حفلاً بهيجاً بهذه المناسبة في مقرّ إقامته، حيث تفضل بتتويجي بالعمامة، وألقى الأستاذ الشيخ الغراش قصيدة بهذه المناسبة، وكذلك الخطيب الشيخ جمعة الحاوي (رحمه الله) من البحرين، وقد وثّق الشيخ فرج العمران وقائع الحفل في الجزء الرابع عشر من مذكراته (الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية).

جزى الله الأستاذ الشيخ إبراهيم الغراش عني خير الجزاء، وكذلك زوجته الكريمة، وأطال الله في عمره، ومتمّعه بالصحة والعافية.

حسن موسى الصفار

٢٠ صفر ١٤٣٦ هـ



الشيخ الصفار يُعزّي بخادم الحرمين الشريفين

ندعو لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود بالمغفرة والرحمة، فقد وفد على ربِّ كريم، بعد أن سجّل في صفحات التاريخ الوطني والعالمى إنجازات ومواقف مهمة، فى طليعتها إرساء وتعزيز قيمة الحوار فى داخل الوطن، وبين الأديان والحضارات الإنسانية.

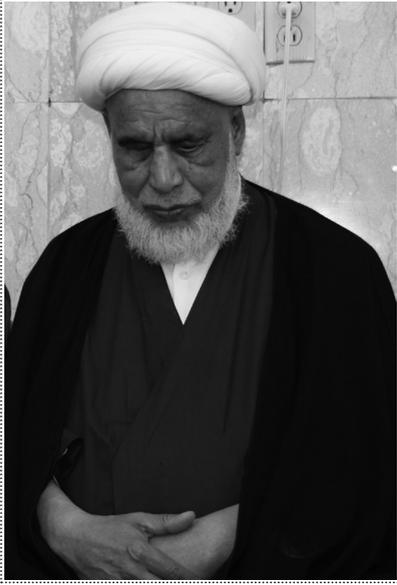
ونسأل الله تعالى أن يوفق خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز، ووليّ عهده الأمير مقرن بن عبد العزيز، ووليّ وليّ العهد الأمير محمد بن نايف حفظهم الله، لمتابعة مسيرة التنمية والإصلاح، وتحقيق التقدم والازدهار، للشعب والوطن.

وإننا لله وإنا إليه راجعون.

حسن موسى الصفار

٣ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ

٢٣ يناير ٢٠١٥م



نعى الشيخ إبراهيم الغراش

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

أدعو بالمغفرة والرحمة، للأستاذ العلامة الشيخ إبراهيم الغراش، الذي اختاره الله إلى جواره صباح هذا اليوم (١٢ رجب ١٤٣٦هـ) بعد عمر قضاه في خدمة الدين والعلم والمنبر الحسيني، وأتقدّم لأسرته الكريمة ولعلماء المنطقة وجميع المؤمنين بأحرّ التعازي.

رحم الله علماءنا الماضيين، وحفظ الباقين، ووقفهم للقيام بواجبهم في خدمة المجتمع والدين.

حسن الصفار

١٢ رجب ١٤٣٦هـ



تشجيع الشهداء رسالة

ثبات وصمود

بسم الله الرحمن الرحيم

أراد الإرهابيون القتلة، بفعلتهم الشنيعة، التي استهدفت بيتاً من بيوت الله، وجمعاً من المصلين المؤمنين، في يوم الجمعة، بمسجد الإمام عليّ في القديح، أرادوا أن يبثوا الرعب والدّعر في النفوس، وأن يدفعوا الناس باتجاه مواقف التشنج والتوتر إيقاداً للفتنة الطائفية، لكنّ آمال الإرهابيين قد خابت وفشلت، فأبناء القطيف قد رضعوا الشجاعة والثبات والعزيمة والقوة، بتمسّكهم بدينهم وولائهم للنبي ﷺ وآل بيته الكرام ﷺ، وهم يختزنون الحبّ الصادق للوطن، والوعي العميق بالوحدة الوطنية، لذلك من الطبيعي أن ينجحوا في تجاوز هذا الامتحان الصعب، مع هول الفاجعة، وقسوة الألم.

لقد كان التشجيع للشهداء مشهداً عظيماً، لم تشهد البلاد له نظيراً، أثبت فيه الأهالي تلاحمهم، وقدرتهم على إدارة المواقف، وتنظيم الأمور.

وكانت رسالتهم واضحة في الثبات والصمود، ضدّ الإرهاب والإجرام، وفي إدانة ورفض التحريض على الفتنة الطائفية، هذا التحريض المستمر، الذي يوغل في جرح كرامتهم، والتشكيك في دينهم، واتّهامهم بالكفر والشرك والابتداع، والقذح في ولائهم الوطني، بأساليب قدرة، ولغة بذيئة، عبر مختلف وسائل الإعلام والمنابر.

وطالما خاطبوا المسؤولين في الدولة لوضع حدّ لهذا التحريض المهين، وخاصة بعد حادثة الدالوة الأليمة في الأحساء قبل شهر، هذا التحريض الذي يجرح الكرامة، ويوحى بالمهانة والإذلال، ويهيئ أجواء الفتنة، ويشجع على القتل والإرهاب.

ونأمل أن تؤدي هذه الرسالة التي أكدها مئات الآلاف من المشاركين في التشيع دورها، وأن تجد الإصغاء والاستجابة الضرورية، لحفظ أمن الوطن، وحماية وحدته. رحم الله الشهداء الأبرار، الذين عرجت أرواحهم إلى بارئها في يوم مبارك، ومكان مقدّس، وهم يؤدون الصلاة لربهم.

ومنّ الله على الجرحى بالشفاء العاجل، وألهم الله أهالي القديح الكرام خاصة، وأهالي القطيف عامة الصبر والسلوان.

وشكراً للجهود المبذولة من قبل اللجان، وجميع المواطنين، في إظهار هذا التشيع بالمظهر اللائق، وجزيل الامتنان للوفود التي شاركتنا هذا المصاب الأليم، من مختلف المناطق، من داخل المملكة وخارجها. والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

٦ شعبان ١٤٣٦ هـ



تقديم لتقرير:

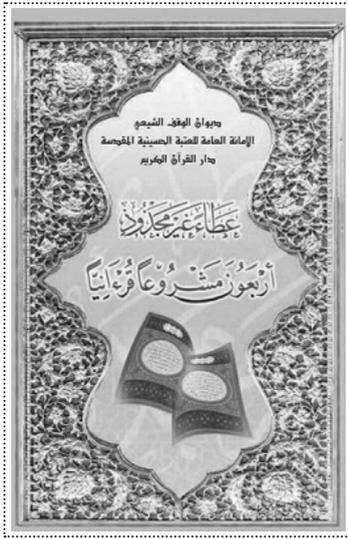
«عطاء غير مجدود»

لدار القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين. حين يفتح الإنسان على كتاب الله العزيز، وينشرح صدره لنور آياته، وتستلهم روحه من معين هديه، فإن ذلك يؤهله للارتقاء في مدارج الكمال، ويتيح أمامه فرص نيل الفيوضات الإلهية، وتوفيقات الخير والعطاء.

وهذه المؤسسة المباركة الشامخة، دار القرآن الكريم، التابعة للأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة في كربلاء، أنموذج صادق لهذه الحقيقة، فقد عرفت مؤسسها الشيخ حسن المنصوري حفظه الله قبل عقدين من الزمن، يوم كان مهاجرًا من وطنه العراق، ولاجئًا بجوار مقام السيدة زينب (عليها السلام) في دمشق الشام، وقد حباه الله تعالى بميزة عظيمة وتوفيق كبير، هو انفتاحه على القرآن الكريم، وإقباله على حفظه، وتنشئة أبنائه منذ نعومة أظفارهم على حفظه، فكان ولداه العزيزان منتظر ومحمد باقر نجمين ساطعين في سماء المحافل والمجالس الدينية، وهما يخطوان في منتصف العقد الأول من عمرهما المبارك، يبهران الحاضرين



والسامعين بحفظهما لكتاب الله تعالى، وإتقانهما لتلاوته وترتيبه، ومعرفتهما الدقيقة بمواقع الآيات في سورها، وصفحات المصحف الشريف.

وكانت البداية مؤسسة متواضعة الإمكانيات في المهجر الزينبي، لكنها كانت محل إعجاب وتقدير العلماء والفضلاء، وحين منّ الله على الشعب العراقي بالخلاص من عهد الجور والاستبداد، وعاد الشيخ المنصوري وابناه الحافظان إلى ربوع الوطن، احتضنت نشاطهم القرآني العتبة الحسينية المقدسة، وهي الأخرى والأولى بذلك، وخاصة مع توجهات أمينها العام سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي حفظه الله تعالى، فتمت تلك البذرة القرآنية الطيبة في تلك الأرض الحسينية الخصبة، وتدلّت أغصان تلك الشجرة المثمرة، لتنتج عطاءً غير مجدود، عبر مشاريع تربوية وتعليمية وتثقيفية متنوعة، قاربت الأربعين مشروعاً في بضع سنوات، كلّها تستهدف ترسيخ الاهتمام بكتاب الله العزيز في أوساط الأمة، وتربية أبنائها على حفظ آياته، وفهم معانيه، وتجسيد تعاليمه.

إنّ وراء هذه المشاريع المباركة همّة عالية، وإرادة صادقة، وروحاً مخلصاً، هي من تجليات بركة القرآن الكريم، وتوفيق الله تعالى لمن يقبل على هديه، ويتشرف بخدمته.

وإنني إذ أبارك للشيخ المنصوري، وولديه الحافظين العزيمين، والعاملين معه هذه الجهود العظيمة، والنجاحات التي تحققت على أيديهم، لآمل في المزيد من دعم العتبة الحسينية المقدسة لهذا النشاط القرآني المبارك، وأرجو الله تعالى أن يوفق أهل الخير والعطاء من أبناء الأمة، لتقدير هذه الجهود، وتوفير الأجواء المساعدة على نمو هذه الأنشطة القرآنية التي تلبّي حاجة ملحّة في ساحة الأمة، فالقرآن هو ينبوع الخير ومصدر النور، وهو سبب عزة الأمة وقوتها وعصمتها في مواجهة الأخطار والتحديات.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

عيد الفطر المبارك ١٤٣٦ هـ



ديوانية الأطباء فكرة حضارية رائدة^(١)

في المجتمع كثير من الكفاءات والطاقات التي تمتلك الخبرة والتجربة، في مجال تخصصاتها واهتماماتها، وفي أعماق النفوس نزوع نحو الخير، واستعداد للعطاء، في خدمة المجتمع، ومن أجل الارتقاء بالوطن، وهناك مجالات مختلفة في الشأن الاجتماعي والوطني العام، تتطلب بذل الجهود وتضافر الهمم.

وما نحتاج إليه: هو استكشاف الطاقات الكفوءة، والانفتاح عليها، وتحفيز روح العطاء وتحمل المسؤولية لديها، وتهيئة الأجواء لمشاركتها في خدمة المجتمع والوطن، وهنا يأتي دور المؤسسات الأهلية الخيرية، ومنظمات المجتمع المدني، ودور الشخصيات الوجيهة في المجتمع، التي تجتذب الكفاءات، وتشجعها على التواصل والتعاون، ضمن أطر وبرامج تخدم مسيرة التنمية الاجتماعية، وبحمد الله تعالى فإنّ وطننا يزخر بصروح المؤسسات الخيرية، ويفخر ببروز شخصيات رائدة في العمل الأهلي الاجتماعي.

وفي الطليعة من تلك الشخصيات الوطنية الرائدة، شخصية رجل الأعمال الفاضل الشيخ عبدالعزيز بن علي التركي، الذي هو من منارات العمل الخيري في المنطقة الشرقية، فقد حباه الله تعالى خيراً وقيماً، ووعياً وطنياً ناضجاً، وشخصيةً جذابةً تستقطب النفوس والقلوب، وهمّةً عاليةً تتخطى الصعاب، وتتجاوز العقبات.

إنّ اهتمام الشيخ عبدالعزيز التركي بالعمل التطوعي الأهلي، في مجال خدمة

(١) نشرت ضمن العدد الأول لمجلة ديوانية الأطباء التي أسسها الشيخ عبد العزيز بن علي التركي بالخبر.

المرضى، والارتقاء بالمستوى الصحي العام في المنطقة والوطن، يكشف عن عمق مشاعره الإنسانية، وحبّه لأبناء البشر، ويدل على نضج وعيه الوطني والاجتماعي.

فقد أسّس مجموعة من اللجان والجمعيات المهمة بالشأن الصحي، كالجمعية السعودية للسكر والغدد الصماء، وجمعية السرطان السعودية بالمنطقة الشرقية، والجمعية الخيرية السعودية لتنشيط التبرع بالأعضاء «إيثار».

كما بادر لإطلاق مشروع حضاري رائع: وهو تأسيس ديوانية يلتقي في رحابها الأطباء بمختلف تخصصاتهم، وبمشاركة جمع من ذوي الرأي والاهتمام الاجتماعي، لمناقشة القضايا المرتبطة بالشؤون الطبية والصحية.

وقد سعدت بحضور إحدى جلسات هذه الديوانية المباركة، واستفدت كثيرًا مما دار فيها من بحث ونقاش، ولمست مدى أهمية هذا الملتقى الجميل، لبلورة الآراء، وإنضاج الأفكار والمشاريع، وتقديم الخطط والمقترحات، التي يمكن أن تستفيد منها مؤسسات الدولة، والجمعيات الأهلية، كما تسهم في نشر الوعي الصحي في أوساط المواطنين، وتحفّز الهمم للمشاركة في خدمة الشأن العام.

إنني آمل أن يتعرّز دور هذا الملتقى المفيد (ديوانية الأطباء)، بتفاعل الكفاءات الطبية معه، وتكثيف حضورهم فيه، وأن تنعكس لقاءات ديوانية الأطباء وأنشطتها في وسائل الإعلام، وأن تستنسخ كأنموذج وتجربة في سائر مناطق المملكة.

وأسأل الله تعالى لأخينا الكريم الشيخ عبدالعزيز التركي المزيد من التوفيق في خدمة البلاد والعباد، وأن يمتّعه الله بالصحة والعافية، ويمنحه الخير والبركة، ويضاعف له الأجر والثواب، وأن يكثّر الله في رجال المجتمع أمثاله.

والحمد لله ربّ العالمين.

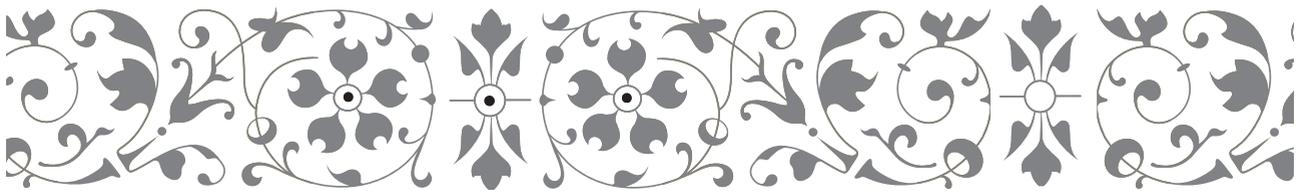
حسن الصفار

٦ ذو الحجة ١٤٣٦ هـ

الموافق ١٩ سبتمبر ٢٠١٥ م



متابعات



مؤكداً أنه سيلبّي دعوات أخرى وجّهت إليه من بعض الرموز الثقافية

النجمي يكشف لـ «الوطن» تفاصيل زيارته للقطيف ولقائه المفتوح مع علماء الشيعة^(١)

الرياض: خالد المشوح

جاءت زيارة رئيس قسم الدراسات المدنية بكلية الملك فهد الأمنية، عضو المجمع الفقهي الإسلامي، الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء الدكتور محمد بن يحيى النجمي إلى القطيف ومشاركته في لقاء مفتوح في لقاء مع الشيخ حسن الصفار، لتثير الكثير من التساؤلات حول الزيارة ومغزاها في هذا الوقت، ودوافعها، ولماذا وقف منها البعض موقف المتحفّظ، وماذا يريد الشيخ النجمي من زيارة القطيف؟.

الدكتور النجمي قال: إنّ الزيارة عادية، وكانت لقاءً مفتوحاً لم يجد أيّ حساسية، وكان هناك حوار صريح بينه وبين الشيخ حسن الصفار حول الكثير من المسائل التي تثير التساؤلات، وإن هذه اللقاءات يجب أن تستمر. جاء ذلك في حوار لـ «الوطن» مع الشيخ النجمي، وفيما يلي نصّه:

□ زيارتك إلى القطيف ومحاضرتك التي حضرها أكثر من ألف شخص، هل كانت موجّهة أم مرتبة؟ وما الهدف منها؟.

الزيارة كانت بدعوة شخصية من الشيخ حسن الصفار، وكان يطالبني بها منذ

(١) صحيفة الوطن الصادرة يوم الجمعة ٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٧ يونيو ٢٠٠٨م، العدد (٢٨٢٨) السنة الثامنة.

سنتين، ولظروفي الشخصية والعملية، لم أستطع تلبية هذه الدعوة، والحمد لله جاء الوقت لتليتها، وقد جاءت الزيارة أيضًا تلبية لدعوة إخوة كرام من رموز القطيف في مقدمتهم الدكتور محمد الخنيزي، والمهندس جعفر الشايب وغيرهم، وأؤكد أنّ الزيارة لم تكن موجهة من أحد ولا يقف وراءها أحد، بل هي دعوة شخصية للقاء والتحاور ولتحدث سويًا وبصوت مسموع حول قضايا وطننا وأمتنا، وهذا في ظلّ مناخٍ إصلاحي يستوعب الجميع، ويجيّر جميع الجهود لخدمة بلدنا.

□ ألم تكن هناك أهداف أخرى لهذه الزيارة؟.

أؤكد أنّ الهدف هو الوصل والتواصل، وإجراء حوار صريح مع شريحة مهمة من أبناء وطننا، وإزالة الجفاء الظاهري الذي كان موجودًا.

□ ألم تكن هناك حوارات داخل ملتقى الحوار الوطني؟.

هذه خطوات مباركة يشارك فيها الجميع تحت مظلة الحوار الوطني، وأثمرت مناخًا صحيًا، يشعر به الجميع، وهذا لا يعني أن تكون لنا حواراتنا الشخصية التي نقوم بها كدعاة وأهل فكر ودعوة، وللأسف لم يكن لهذه الحوارات الشخصية مكان، كان كلُّ منا في مكانه، وكلُّ في موقعه، ولذلك لا بدّ من إعادة النظر وأن نقرب من بعضنا بعضًا ونتحاور، في عرض منهجنا السلفي على الإخوة الشيعة، حتى يسمعوا منا مباشرة، ومن خلال كتبنا المعتمدة، لا من خلال أقوال تنقل عن المنهج السلفي ويكون النقل غير واضح، وقد تتسبب هذه الأقوال في حساسيات، أما الحوار المصحوب بالنقاش فهو المثمر الذي يؤدي إلى نتيجة.

□ لقد أثارت زيارتك الكثير من الاعتراضات لدى بعض المشايخ وطلاب العلم، فلماذا؟ وكيف تواجه هذه الاعتراضات؟.

كانت هناك بعض التحفظات من البعض ولكن أؤكد أنّها لم تكن كثير؛ لأنّ هناك

من يعارض مبدأ الذهاب أصلاً، وهذا لا يتفق مع منهج الرسول ﷺ، في الحوار مع الفرق الإسلامية، بل مع غير المسلمين.

□ ولكن هل الوقت كان مناسباً لزيارتكم؟ هناك من يرى أنه لم يكن مناسباً؟.

الوقت مناسب، والحوار جرى حول الوحدة الإسلامية، في وقت نحن في أمس الحاجة إلى هذه الوحدة، وأعتقد أنّ جسوراً من التفاهم المشترك مدّت ولا بُدّ من مواصلة الزيارات.

□ لماذا لم يذهب معك بعض طلبة العلم والمشايخ إلى القطيف؟.

دعوت بعض الإخوة من طلبة العلم، وهناك من جاء معي وهناك من منعه ظروفه واعتذر، كذلك الشيخ حسن الصفار دعا لفيماً من الشيعة والسنة للقاء وجاؤوا.

□ في اعتقادك ما أبرز القضايا التي هي جديرة بالمناقشة مع الشيخ حسن الصفار وغيره في القطيف؟.

قضايا كثيرة، وقد تطرقنا لبعضها، وأهمها توضيح منهجنا في توحيد العبادة، وهو أنّ الله هو المستحق للعبادة، ولا يشاركه فيها أحد، وأنه لا يدعى إلا الله، ولا يذبح إلا لله، ولا ينذر إلا لله، ولا تطلب الحوائج إلا منه سبحانه، وهذا موضوع يعدّ حجر الزاوية في القضايا المشتركة، ولا بُدّ من وضع حسم لها، ونحن كلما اقتربنا من منهج رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم، ابتعدنا عن الخلاف.

الأمر الثاني: هو القرآن الكريم، كتاب الله عزّ وجل، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويزعجنا وجود أصوات، وإن كانت قليلة تقول إنّ القرآن الكريم غير كامل، وقد أُلّف شخص يدعى ميرزا حسين محمد النوري كتاباً، أسماه (فصل الخطاب في تحريف كتاب ربّ الأرباب) وقد توفي صاحبه ١٣٢٠، ومن هنا لا بُدّ لإخواننا الشيعة من حسم المسألة بشأن مثل هذه الكتب، بإصدار بيان شامل ووافٍ

ينشر للتبرؤ من هذا الكتاب وغيره، تلك التي تثير شكوكًا حول كتاب الله.

الأمر الثالث: الموقف من صحابة رسول الله ﷺ، وأهل بيته الكرام، وأن من الأصول عند أهل السنة والجماعة، عدالة صحابة رسول الله ﷺ، ولا يجوز القدح في أحدهم على الإطلاق؛ لأنّ القدح فيهم أو الشك فيهم يعدّ قدحًا في الدين؛ لأنّهم هم الذين نقلوا إلينا كتاب الله ورويت عنهم سيرة وسنة رسولنا ﷺ.

وقد أكّد لي الشيخ حسن الصفار أنه لا يوجد قرآن لدى الشيعة غير الذي بين دفتي المصحف الموجود لدى كلّ مسلم، والذي يقول غير ذلك إما جاهل أو مغرض، وكذلك ما يتعلق بصحابة رسول الله ﷺ فمن يسبهم أو يمسهم إما جاهل أو مغرض، وقد أعجبني قول الشيخ الصفار لأنه قد يندس بين المسلمين من له ثأر تاريخي يريد أن يلبسه لباسًا دينيًا، وكان الشيخ الصفار دقيقًا في كتابه (نحو علاقة أفضل بين السنة والشيعة).

□ ولكن هناك في الجانب السنّي من لديه موقف يصادّ الشيعة وقد يكفّرهم.

لا أعرف سنّيًا واحدًا يكفّر أشخاصًا بعينهم، ولكن عندنا مبدأ أننا قد نقول إن هذا فعل كفر، وإن هذا القول كفر، وقد لا يؤدي إلى كفر القائل أو الفاعل، فهناك شروط ثلاثة للتكفير، هي: العلم والتعمّد والاختيار، فإن كان جاهلًا أو متأولًا أو مكرهًا لا يمكن تكفيره، لهذا فما نسمعه من بعض علماء أهل السنة من تكفير من قال كذا أو فعل كذا هو لا يقصد أشخاصًا بأعينهم ولكن يقصد الأقوال والأفعال.

□ ألم تشعر بأية حساسية وأنت تتحدث في لقاء القطيف؟.

الحقيقة أنني رأيت كلّ خير، ترحيبًا ومودة وفرحًا باللقاء، لدرجة أنني فوجئت بالعدد الكبير من الحضور، وبعد اللقاء كان الحرص على السلام من الحضور. هل حدث كلام خاص بعد أو قبل اللقاء بينك وبين الشيخ حسن الصفار؟.



قبل اللقاء المفتوح كان هناك لقاء مصارحة مع الشيخ حسن الصفار، وكان كعادته صريحاً في قوله.

□ المرجعية السياسية والمرجعية الدينية وكيفية الاتفاق على الثانية خاصة إذا كانت لدى البعض خارج الحدود؟.

المرجعية السياسية لنا جميعاً متفقون عليها، ولا يمكن أن تكون خارج الحدود، وهي خط أحمر لا يمكن لأحدٍ تجاوزه، فنحن نعيش في كيان سياسي واحد، وهو الدولة السعودية، التي تراضى عليها الجميع قبل ٢٦٠ سنة، أما المرجعية الدينية، فهناك مرجعية لدى الإخوة الشيعة خارج البلاد، فيما يتعلق بأمور مذهبهم، ولا نجد أيّ حساسية لذلك، ما دامت لا علاقة لها بالسياسة.

□ هل تؤيد انضمام الشيعة للمرجعية الدينية في البلاد؟ أعني هيئة كبار العلماء؟.

الذي يريد أن ينضمّ إلى هيئة كبار العلماء لا بدّ أن يلتزم برأي المرجعية الدينية، ويتفق على الأصول التي تنطلق منها، والالتزام بما بعدها، فهل يقبل الإخوة الشيعة ذلك؟.

□ هل ستكرر هذه الزيارة في لقاءات مفتوحة من نفس النوع؟.

نعم سأكررها، وقد تلقيت دعوة من الشيخ عادل بو خمسين المدير العام لمركز البصائر والتنمية الاجتماعية بالأحساء، وسوف ألبّيها بإذن الله، وعلمت أنّ الشيخ هاشم السلّمان من مراجع الشيعة في الأحساء يريدني أن أزوره وسوف أقوم بهذه الزيارة، وطلب مني الإعلامي وعضو مجلس الشورى محمد رضا نصر الله زيارة القطيّف في شهر شعبان المقبل بإذن الله وسوف ألبّي الزيارة، ووجهت لي دعوة من الشيعة الذين يسكنون في الدمام وأصلهم من الأحساء وسوف ألبّي الزيارة قريباً.

الصفار ينتقد الاصطفاف «الطائفي» ويدعو المسلمين لبث ثقافة الانفتاح والتسامح^(١)

القطيف - منير النمر

دعا الشيخ حسن الصفار في ندوة حضرها مساء أول من أمس مئات الأشخاص في محافظة القطيف أبناء العالم الإسلامي إلى عدم الانجراف وراء الاصطفاف الطائفي الذي يمزق الأمة ولا يقربها من بعضها، مؤكِّدًا أن الاصطفاف الطائفي يبعد الإنسان عن العدل والمساواة، وهما قيمتان أساسيتان في الدين الإسلامي.

وأضاف «إننا نجد اصطفافًا طائفيًا ينصر فيه الشخص ابن طائفته أو دينه أو مذهبه أو قبيلته حتى وإن كان الشخص ظالمًا للطرف الآخر الذي يسيء للطائفة الأخرى، إذ يتم الدفاع عنه ومناصرته ظلمًا وعدوانًا، بل لعل البعض يجهد نفسه ليجد تبريرًا لفعله».

وتابع «إن هذا الاصطفاف لا يقتصر على طائفة دون أخرى، بل يشمل الطوائف والأديان والقبائل وكلّ إثني في المجتمعات العربية»، مشدّدًا على أهمية أن يلعب العقلاء في مختلف الأطراف دورًا يحدّ من هذه الظاهرة التي وصفها بـ «المقيبة القاسمة للبنية الاجتماعية».

ورفض الصفار الإساءة للآخر تحت أيّ مبرّر يظن أصحابه أنه شرعي قائلاً: «هناك

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٤٣١هـ الموافق ٢ فبراير ٢٠١٠م، العدد ١٥١٩٨.

مبررات كثيرة للإساءة يستخدمها المسيء، كما تقابل تلك الإساءات بمبررات من قبل الطرف الآخر المساء له»، وأضاف الصفار «أنّ على كلّ طرف أن يحترم الآخر ولا يسيء له أو لرموزه لئلا تنشأ فتنة لاسمح الله».

ورأى أنّ تجاوز الحالة الطائفية والاختلاف الديني والمذهبي والقبلي يعطي نتائج أفضل من وجود الخلاف المقيت، وضرب مثلاً بالمبادرة الأممية من أجل «قطاع غزة»، وقال: «شهدنا ما قام به بعض المتممين إلى ديانات وقوميات مختلفة من تضامن مع الفلسطينيين العرب والمسلمين، سواء قافلة (شريان الحياة ٣) التي تحركت في ٦/١٢/٢٠٠٩م من لندن متجهة إلى غزة، وفيها المسيحي واليهودي، أو قافلة (مسيرة الحرية لغزة) التي تضمّ امرأة يهودية عمرها ٨٥ سنة اسمها (هيدي أبشتاين)، وهي من الناجين من الهلوكوست»، متسائلاً «ما الذي دعا ٢٧٠ أوريبا و١٧٠ تركيا و٣٠ أمريكياً للتحرك والتضامن مع الفلسطينيين ضمن قافلة شريان الحياة، أو ١٣٦٢ فرداً من ٤٣ دولة ضمن مسيرة الحرية لغزة.. إنهم ليسوا من قوميتهم ولا من ديانتهم ولا من مذهبهم!».



في محاضرة بعنوان «التأسيس
للتسامح الديني» بديوان الكاظمي

الصفار: الانشغال بالجدل
المذهبي. مدخل للفتن
والتمزق والصراعات^(١)

- لو عدنا إلى القرآن الكريم لوجدنا فيه الهداية والبصيرة.
- التعددية الدينية أمر قائم إلى يوم القيامة.
- من يفكر أنه يستطيع اكتساح الآخرين بدينه ومذهبه.. فهو واهم.
- علينا أن ندعو بالحكمة والموعظة الحسنة وبلا تشنج.

أشار سماحة الشيخ حسن الصفار إلى أنّ كثيراً من الدينيين ينظرون للاختلاف في القضية الدينية بين أتباع الديانات والمذاهب نظرة سطحية ساذجة، وقال خلال كلمة ألقاها مساء أمس الأول بعنوان «التأسيس للتسامح الديني» في ديوان زيد الكاظمي: كلّ صاحب دين ومذهب يعتقد أنّ معتقده هو الحقّ وأنّ ما عداه باطل، إلى هنا والأمر مفهوم؛ لأنّ الإنسان لو لم يكن يعتقد أنّ دينه هو الحقّ لما اعتنقه، وإن لم يكن معتقداً أنّ مذهبه هو الحقّ لما التزم به، مضيفاً: إنه من الطبيعي أن كلّ إنسان يلتزم بالدين أو المذهب الذي يعتقد، لكن الساذجة والسطحية تكمن في أمر آخر هو النظر إلى الآخرين بصورة أخرى، فالبعض يتعجّب من أتباع الأديان والمذاهب الأخرى، ويتساءل كيف يلتزمون بأديانهم ومذاهبهم وهي باطلة وفسادة؟ بل وينظر إلى ما هو أبعد، لماذا لا يأخذون بديني وبمذهبي؟

(١) جريدة الدار الكويتية الصادرة يوم الاثنين ١ فبراير ٢٠١٠م، العدد ٦٢٠.

وأوضح الصفار أنّ تلك النظرة، نظرة ساذجة، فالآخرون أيضًا يمكنهم أن يقولوا نفس الكلام تجاهك. وتابع: من يعتنق ما نراه أنها من أسخف الديانات وأسخف المذاهب، هو نفسه يرى أنّها أفضل الديانات والمذاهب، القرآن الكريم حينما تقرأ آياته يحاول السعي من أجل أن يتسلح المؤمن بنظرة موضوعية وواقعية للآخرين.

المسلم يؤمن بالإسلام أنه الدين الحق، وأنّ غير الإسلام غير مقبول عند الله، لكن كيف ينظر للآخرين ويتعامل معهم ممن يعتنقون الديانات والمذاهب الأخرى؟ هنا تتجلى واقعية الرؤية القرآنية، فالقرآن يبلغنا أنّ الناس في اعتناقهم لأديانهم ومذاهبهم لا ينطلقون من منطلق الدليل والبرهان، إنّما هناك عوامل أخرى.

عائلي مجتمعي

ولفت الصفار إلى أنّ قرار العقيدة والدين ليس قرارًا فرديًا وشخصيًا، كما هو الواجب عقلاً، وقال: إنّ الأمر الواقعي غير ذلك، فالعقيدة عند أغلب الناس ليست قرارًا شخصيًا فرديًا إنّما قرار عائلي مجتمعي، ويتبين ذلك من خلال ملاحظة أنّ الدين نشأة عائلية كما أنّ الطفل يكتسب لغته وعاداته وأنماط حياته من الأسرة، كذلك يتشرب عقيدة أسرته ويأخذ دين ومعتقد أسرته، وهذا هو تفسير استمرار الأديان والمذاهب. قد يحدث أنّ البعض يبحث عن الحقّ والحقيقة بعد الكبر، وقد يهتدي إلى الحقيقة إلاّ أنّ الغالب يأخذ الدين نشأة عالية، والقرآن الكريم ينقل عن الأمم السابقة حينما ينقل الأنبياء والرسول برسالات الهدى الإلهي قالوا: «إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون» وقد يكون هذا هو لسان الحال.

وأضاف قائلاً: إنّ الإنسان يأتي للحياة وهو صفحة بيضاء بينما العائلة تطبع الصفحة وفق حالتها ومسيرتها، ففي مجتمعنا الشيعي نفتخر بأن نقول «لا عدّب الله أمني إنها شربت حبّ الوصي وغذنته باللبن، وكان لي والد يهوى أبا حسن فصرت من ذي وذا أهوى أبا حسن»، كاشفًا أنه في بعض الأحيان تمارس العائلة القمع على الأبناء لو أرادوا تغيير معتقداتهم.

رموز وزعامات

وقال الصفار إنه بالإضافة إلى ذلك لا بُدَّ وأن نعلم أنّ البنية الاجتماعية محض ديني؛ لأنّ الإنسان يعيش وفق مجتمع يريد أن يتكيف معه ويسايره، ولا يريد أن يكون منبوذاً أو مختلفاً عنه، كما أنّ المرء يفتح عينيه في مجتمعه على رموز وكبار الشخصيات، ولا يعتقد أنّ تلك الزعامات والقيادات تأخذه إلى باطل. فالحالة العامة وجود مجتمع يؤثر على الإنسان، ففي كلّ مجتمع مراكز قوة وهذه المراكز تعتبر نفسها هي الحامي لدين المجتمع، وقد لا يكون الحاكم مهتماً بالدين إنّما يفعل ذلك ليكرس شرعيته، فالسلطة السياسية في كلّ مجتمع تدفع باتجاه الدين السائد في المجتمع، كما أنّ المؤسسة الدينية داخل المجتمع تدافع عن المعتقد الموجود في المجتمع، وبالتالي تحدث أجواء البنية الاجتماعية التي يعيشها الإنسان ويرى نفسه منسجماً ومتكيفاً معها.

مصالح شخصية

وأضاف: المصالح في بعض الأحيان يكون لها دور، فالإنسان قد يعرف الحقيقة إلا أن أتباعها يتضارب معه ومصالحته فيضرب عن الحقيقة لئلا تتضارب مصالحه. وشدّد الصفار على أنه لا بُدَّ على الإنسان أن يأخذ في عين الاعتبار كلّ هذه الأمور وهو ينظر لمن يختلف معه في الدين أو المذهب، وعليه ألا يتكلف في التعامل معه وألا يتشبّث ضده.

واستطرد الصفار: قائلاً: نحن نعيش في مجتمعاتنا الإسلامية في حالة من الانشغال بالجدل المذهبي، وأصبح مدخلاً للفتن والتمزق والصراعات، والفضائيات متخصصة في ذلك، ومواقع الإنترنت والمجالس، ولو عدنا إلى القرآن الكريم لرأينا فيه الهداية والبصيرة.

وطالب الصفار بالواقعية في التعامل مع الآخرين، وقال: أيّها الانسان المسلم

المؤمن، أنت متمسك بدينك وعقيدتك لكن عليك أن تكون إنسانياً وواقعياً في التعامل مع الآخرين المختلفين معك، مشيراً إلى أن التعددية الدينية أمر قائم إلى يوم القيامة، وأن الديانات لا تعتمد ولا تتمحور حول موضوع الحق والباطل، فلو كانت مسألة منطق ودليل وبرهان هل هناك من هو أفضل بيئاً وفصاحة وإلزاماً بالحجة من نبينا محمد يحمل الحق الصريح معه، وهو مؤيد بالمعجزات من قبل الله وعنده القدرة على البيان والإفصاح والتوضيح، لكن مع ذلك هل تغير كل اليهود في عصره؟ هل أسلم كل النصارى في عهده؟ هل أقبل إليه كل المشركين؟ وهذا لا يُعدّ تقصيراً من رسول الله.

وقال الصفار: من يفكر أنه يستطيع أن يكتسح دينه أو بمذهبه الآخرين يعيش في وهم. وذلك لا يعني ألا ندعو إلى ديننا ومعتقدنا الصحيح، علينا أن ندعو لكن بموضوعية ولباقة في الطرح والدعوة بلا تشنج، بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن لم تكن قادرًا على ذلك فلا تدعو.

الهدف السامي

وروى الصفار عن الإمام الصادق قائلاً: سأل أبو بصير الإمام جعفر الصادق: أدعو الناس إلى ما في يدي؟ فأجاب الإمام الصادق: لا، فرد أبو بصير: وإن استرشدني أحد؟ قال الإمام: إن استرشدك أحد فارشده، وإن استزادك فزده، وإن جاحدك فجاحده. هذه الروايات والأحاديث ونصوص كثيرة تدل على أن الإنسان لا ينبغي أن يدعو إلى مذهبه وعقيدته دائماً وأبداً، فالإمام رأى أنه في حالة حماس واندفاع وتكلف في الطرح. وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق يقول: لا تخاصموا الناس في دينكم.

وفي السيرة النبوية كان يوم أحد ووقت صلاة المسيحيين وكانوا آتين من نجران، فقالوا: يا رسول الله، هذا وقت صلاتنا وعبادتنا، فأعطاهم رسول الله طرفاً من المسجد ليؤدّوا عبادتهم.

وذكر الصفار أنّ هذا يعني أنه علينا أن نتعقل وأن نخرج من حالة الحماس والاشتعال، الحماس الذي يشعل أجواء الفتنة في كل مكان ويشغلنا عن قضايانا الأساسية، والتحديات التي نواجهها وتهدد مستقبلنا وديننا ووجودنا بالخطر، ونحن نشغل في النزاعات والصراعات. والسؤال هنا: ماذا أنتجت هذه الصراعات والتوجهات التكفيرية؟ والاحتراق الأهلي؟ إننا نقول إنّ هناك من ينطلق بهدف الانتصار للذات والتفاخر، مع أنّ المجادلة لا بُدّ وأن تكون من أجل هدفٍ سامٍ.

وأضاف الصفار: الدعوة يجب أن تكون كما أمر الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والقرآن الكريم يؤكد لنا أنّ مسألة العقيدة والدين مسألة حرية ورأي شخصي، ولا إكراه في الدين. والله سبحانه وتعالى لم يأذن للأنبياء أن يضغطوا على الناس. الله سبحانه وتعالى يمنع عن المسلم مناقشة الآخرين في الموضوع الديني إلا إذا امتلك الأسلوب الأفضل، «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن»، مشيراً إلى أنّ الأئمة كانوا يعيشون مع أتباع الديانات الأخرى في علاقات طبيعية، وقال: إنّ كان الأئمة هكذا يتعاملون فما حدث فينا؟ وتحوّل حياتنا إلى ساحة جدل ونقاش، وتساءل الصفار: من المستفيد من هذه الحالة التي نعيشها؟

وتابع: القرآن الكريم يوجّهنا ويرشدنا إلى أن نتعامل مع الآخرين تعاملًا مناسبًا وأن نحترم الآخرين ونعترف بحقوقهم، وإن اختلفوا معنا في الدين، وهذه الرؤية القرآنية نحن في أمس الحاجة إلى نشرها وإلى بثها في أوساط مجتمعاتنا وبين أبناء أمتنا حتى نتجاوز هذه التحديات التي نمرّ بها.





الشيخ حسن الصفار يحرم سب الصحابة

العبيكار والعلوي:
نقاط اتفاق مع الشيعة
ونسعى معاً للعيش
المشترك^(١)

خالد المطويح وأحمد المسري، الدمام، القطيف

أكد المستشار القضائي في الديوان الملكي الشيخ عبد المحسن العبيكان بأن الحوار بين السنة والشيعة من شأنه أن ينتج اتفاقاً على الأصول ونقاطاً للتلاقي، واعتبر الشيخ العبيكان تأكيد الشيخ حسن الصفار وهو أحد الرموز الشيعية بالمنطقة الشرقية بتحريم سب الصحابة وأمّهات المؤمنين إيجابياً.

وقال الشيخ العبيكان: الشيخ حسن الصفار سبق وأكد في جلسة مشتركة بأن المصحف الذي يطبع في مطابع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة هو المصحف المعترف به، وأضاف أن الشيخ الصفار حرّم سب الصحابة وحرّم التعرض للأمّهات المؤمنين وسبهن.

وقال العبيكان: تأكيد الصفار بحرمانية كلّ هذا يشكل أمراً إيجابياً ونقطة تلاقٍ، وقال المستشار القضائي في الديوان الملكي الشيخ عبد المحسن العبيكان لـ اليوم: إننا نسعى إلى الجلوس معاً للحوار والاتفاق على الثوابت لما فيه الخير، أما

(١) جريدة اليوم الصادرة يوم الجمعة ١٧/٤/١٤٣١هـ الموافق ٢/٤/٢٠١٠م، العدد ١٣٤٤٠.

الفروع فقد جعل الإسلام فيها مساحة كبيرة للاجتهاد، وكان الشيخ حسن الصفار قد أفتى في وقت سابق بتحريم التعرض لصحابة رسول الله ﷺ وأمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ ما ألقى ارتياحًا كبيرًا لدى أهل السنة.



من جهة أخرى، لا تزال المحاولات

بالنيات الصافية تتوالى وتنبع من هنا وهناك من أجل زيادة اللحمة الوطنية من جميع الأقطاب وفي مختلف الأماكن فتنبع فكرة هنا وفكرة من هناك لجمع الصفوف حيث احتضن منتدى الوسطية في مدينة صفوى مؤخرًا ندوة ضمت كلاً من الشيخ الدكتور محمد صالح العلي والشيخ حسن موسى الصفار في حوار تحت عنوان «ثقافة السلام والعيش المشترك» ليجسد الشيخان ثقافة تبشر بالأمل وضمان العيش المشترك المبني على التسامح والعفو والثقافة المرتكزة، حيث قال الدكتور العلي من جامعة الإمام محمد بن سعود فرع الأحساء قسم كلية الشريعة: لا بُدَّ أن نمتلك صفة التسامح والتعايش والاعتراف بالآخر مشيرًا إلى وجود احتقانات، وهناك من ينفخ فيها، ومن هنا يكمن الخطر في ذلك ولن تنتهي هذه الاحتقانات إلا إذا وجد العيش المشترك والتسامح والسلام، فالدين الإسلامي هو أول من أسس وأرسى هذه القيم، فالقرآن والسنة النبوية يغرسان فينا هذه القيم.

فيما قال الشيخ حسن الصفار: نحن المسلمون لا بُدَّ وأن نقضي على الخلل المتواجد عندنا ونعالج ذلك حتى لا يفرز لنا نتائج وصراعات متنوعة، ونحن نحتاج إلى ثقافة تصنع السلام وتفرز العيش المشترك، والمسلمون لا يوجد عندهم أيّ تعصّب في عرق أو عنصرية ولكن يوجد لدينا حديث «الفرقة الناجية» الذي سيطر علينا حيث الكلّ يرى نفسه هو المعني بذلك، ونحتاج لثقافة تذويب هذا الأمر، وتجمع بيننا وتقضي على مواطن الفرقة لنعيش جميعًا بسلام وعيش مشترك.



أطلع الجاليات الإسلامية في أمريكا على
المشروع الوطني:

الشيخ الصفار: تجربة الحوار
الوطني بدأت تؤتي ثمارها^(١)

القطيف - منير النمر

اعتبر الشيخ حسن الصفار مشروع الحوار الوطني الذي أرسى دعائمه خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله أحد أهم الأسس التي وضعت دعائم التعايش في المملكة، ونقل لشخصيات عربية وإسلامية حضرت لمركز الإمام علي في العاصمة الأمريكية واشنطن أهمية الحوار ونتائجه، مؤكداً أن التجربة بدأت تؤتي ثمارها بين مختلف مكونات الشعب السعودي. وقال في حشد كثيف من الجاليات المقيمة في أميركا: «إن إصرار العقلاء في البلاد على مواصلة الحوار حقق النتائج الطيبة، علماً أن المتطرفين لا يزالون يواصلون طريقهم المناوئ لهذه التوجهات»، مضيفاً «هناك متطرفون يصرون على مواصلة تشددهم رغم كل تلك التغيرات».

وعن الحوار الوطني وأهميته قال: «إن انطلاقة المشروع في المملكة جعلنا نشعر بتغيير ملحوظ في الأوضاع الداخلية العامة، وكان ذلك جلياً سواء على الصعيد الحراك الفكري والإعلامي، أو على الصعيد الاجتماعي».

وتابع «إن العقلاء في البلاد تبنا مبدأ الاعتراف بالآخر واحترام الرأي والرأي

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ٢ يونيو ٢٠١٠م، العدد

الآخر، وكذلك الاعتراف بالتنوع المذهبي على وجه التحديد، وكل تلك المبادئ أدوات حضارية ودينية ووطنية للتواصل بين مختلف شرائح المجتمع»، مشيراً إلى أن الأوضاع الثقافية والفكرية تغيرت بسبب اعتماد العقلاء الحوار كأداة حضارية ودينية، بدلاً من فتاوى التكفير وتجاهل الآخر وعدم الاعتراف بالتعددية».

واستدلّ الصفار بكثير من الآيات القرآنية التي تحث المسلمين جميعاً على الحوار، وأضاف «علينا الاستمرار في سبيل تحقيق الأهداف السامية، خاصة أنها لا تأتي بالتواكل واللامبالاة أو بضيق الأفق والتهرّب من المسؤولية، بل بتحقيق الجهاد في سبيل تحقيق الأهداف»، مشيراً إلى أن النجاحات تتحقق بتراكم الخبرة والتجربة، وأن المنجزات تصان بعملية تراكمية مستمرة.

والصفار الذي عاد إلى أرض الوطن مساء أول من أمس تطرق إلى تجارب الشعوب الخاصة بالتعايش، وقال: «إنها تزودنا بالكثير من الدروس التي يمكن أن نقتبسها لمعرفة حقيقة وفلسفة النجاحات التي تتحقق عادة بالإصرار والعزيمة الثابتة التي لا تلين».

وأضاف «إن الأمة الإسلامية نجحت في تجاوز حقبة الاستعمار بالجدّ والتضحيات الكبيرة، وأنّ الله تعالى سينزل عليها النصر المؤزّر عندما يرى فيها الصدق والعزيمة والإصرار على تجاوز المرحلة بكلّ ما أوتيت من قوة».





الصفار: مشروع الحوار الوطني بدأ يؤتي ثماره^(١)

قال الشيخ حسن موسى الصفار: إن تجربة الحوار الوطني الذي انطلق قبل عدة سنوات في المملكة بدأ يؤتي ثماره، وأضاف: تغيرت الأوضاع الثقافية والفكرية في البلد، بسبب اعتماد العقلاء الحوار كأداة حضارية ودينية للتواصل.

وأوضح الصفار خلال لقاء أقيم مؤخراً في العاصمة الأميركية واشنطن أنه ومنذ أن انطلق مشروع خادم الحرمين الشريفين للحوار الوطني في المملكة فإن الأوضاع الداخلية العامة بدأت تشهد تغييراً ملحوظاً إما على صعيد الحراك الفكري والإعلامي، أو على الصعيد الاجتماعي، فلقد تبنى العقلاء في البلد، وفي إطار مشروع الحوار الوطني، مبدأ الاعتراف بالآخر واحترام الرأي والرأي الآخر وكذلك الاعتراف بالتنوع المذهبي على وجه التحديد، كأدوات حضارية ودينية ووطنية للتواصل بين مختلف شرائح المجتمع، الأمر الذي ساعد كثيراً على تهدئة الأجواء وتليين المواقف.

واستعرض الشيخ الصفار بعض مشاهد الحراك الثقافي والاجتماعي في المملكة، كما تناول بعض العوائق والتحديات التي تعترض مسيرة الإصلاح والتطوير، وكان الصفار قد أجاب في نهاية محاضراته عن أسئلة الحضور الكريم التي تنوعت بين الأسئلة الفكرية والأخرى السياسية.

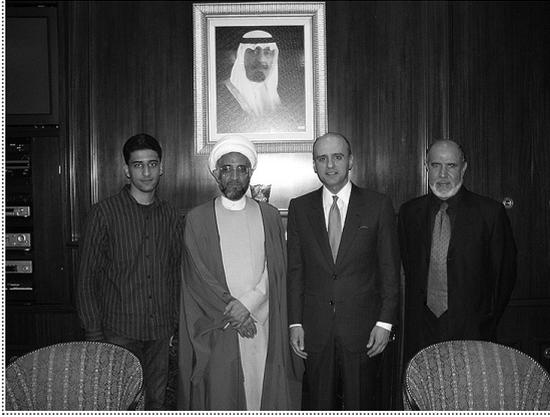
(١) جريدة اليوم الصادرة يوم الجمعة ١٤/٦/١٤٣١ هـ الموافق ٢٨/٥/٢٠١٠ م، العدد ١٣٤٩٦.

وقدّم الشيخ الصفار نصائح للطلاب المبتعثين للدراسة في الولايات المتحدة الأميركية بآلا يألوا جهداً من أجل تحقيق الهدف الذي جاؤوا من أجله إلى بلاد الغربية، ألا وهو طلب العلم، وأتمنى عليهم أن يواصلوا دراساتهم العليا وتخصّصاتهم في كلّ المجالات التي يدرسون فيها، فهم قادة المستقبل وبناءة البلد.

وأشار إلى أنّ المشكلة في معظم جامعاتنا هي أنها تخرج موظفين، أما الطلبة المبتعثون فإنّ عليهم ألا يفكروا بهذه الطريقة وإنما يسعون من أجل أن يكونوا مفكرين ومخترعين ومبدعين في اختصاصاتهم العلمية التي يدرسون فيها.

وعلى صعيد آخر أقام سفير خادم الحرمين الشريفين في الولايات المتحدة الأمريكية عادل الجبير مأدبة غداء على شرف الشيخ حسن الصفار بمناسبة زيارته لواشنطن في مقرّ السفارة بحضور أركان السفارة والملحق الثقافي وسائر الملحقين الرسميين، وأكد السفير الجبير أنّ اهتمامه بأوضاع المبتعثين تنفيذاً لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، كما أشاد بدور الأندية السعودية وبروز الطاقات الجادة في دراستها التي أحرزت التفوق ونيل مراتب الشرف في الجامعات التي تدرس فيها.





الصفار يشيد ببرنامج خادم الحرمين ويعتبره عنصراً مهماً لتقدم المجتمع السعودي^(١)

القطيف - منير النمر

أشاد الشيخ حسن الصفار خلال تلبيته دعوة من سفير المملكة في الولايات المتحدة الأمريكية عادل الجبير بدور واهتمام ورعاية السفير للطلاب المبتعثين في مختلف أنحاء أمريكا، مؤكداً أن سفير خادم الحرمين الشريفين حريص جداً على سلامة وراحة أي سعودي مقيم أو زائر للولايات المتحدة الأمريكية، معتبراً أن برنامج الابتعاث الذي أطلقه خادم الحرمين الشريفين يعدّ أهمّ عوامل التقدم في المجتمع السعودي.

وأقام السفير حفل غداء بمناسبة زيارة الشيخ حسن الصفار في مقر السفارة بواشنطن، والحفل الذي حضره في وقت سابق أركان السفارة والملحق الثقافي وسائر الملحقين الرسميين استعرض فيه الصفار ما رآه من أوضاع الطلاب المبتعثين، مشيداً ببرنامج الابتعاث الذي أتاح الفرصة لعشرات الألوف من أبناء الوطن لتلقي العلم والمعرفة من أرقى الجامعات، وأضاف «إنّ فرصة الدراسة ستتيح للطلاب السعودي

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم السبت ١٥ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ الموافق ٢٩ مايو ٢٠١٠م، العدد ١٥٣١٤.

التعرف على تجارب الأمم والشعوب، ما يترك استفادة لديه فينقل ما رآه من قيم التقدم والتطور لمجتمعه السعودي». وتابع «إنّ على أجهزة الدولة والواعين من أبناء الشعب المساعدة على إنجاح هذه التطلعات الواعدة التي يحملها برنامج الابتعاث». من جانبه شدّد السفير الجبير على اهتمامه البالغ بأوضاع المبتعثين، تنفيذًا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، كما أشاد بدور الأندية السعودية وبروز الطاقات الجادة في دراستها التي أحرزت التفوق ونيل مراتب الشرف في الجامعات التي تدرس فيها.

إلى ذلك لبيّ الشيخ الصفار دعوة وجهها له الملحق الثقافي في أمريكا الدكتور محمد العيسى، واصطحب العيسى الصفار في جولة على أقسام الملحقية، مقدّمًا شرحًا وافياً عن دورها ونشاطها.





الشيخ حسن الصفار وأمريكا والورقة الطائفية^(١)

سعود عبد الله القحطاني

■ إنَّ عدوان الولايات المتحدة على العراق واستمرار احتلالها له، وما رافق هذا الوضع من رعب وإرهاب وانعدام للأمن، يدلُّ على زيف كلِّ الشعارات التي تطرحها أمريكا حول حقوق الإنسان وانتهاك الحريات الدينية.

كان ردُّ الشيخ حسن الصفار على تقرير الخارجية الأمريكية حول الحريات الدينية ردًّا وافيًّا وشفافيًّا وصارمًا في آنٍ واحد، وقد أوضح في ردِّه حقيقة وقوف جميع المواطنين السعوديين ضدَّ كلِّ تدخل خارجي في شؤون بلادهم.

جاء رد الشيخ حسن الصفار معبرًا عن رأي الكثير من إخواننا المواطنين الشيعة في هذه البلاد، الذين يراعون مصالح الوطن والطائفة الشيعية - أيضًا - في نظرتهم للأمر على المستوى البعيد.

والقارئ لتصريح الشيخ الصفار يخرج منه بالحقائق التالية:

١. إنَّ ليس للولايات المتحدة الأمريكية أن تتحدث عن حقوق الإنسان وهي من ترعى العدوان الصهيوني المتكرر في فلسطين.

٢. إنَّ عدوان الولايات المتحدة على العراق واستمرار احتلالها له، وما رافق هذا الوضع من رعب وإرهاب وانعدام للأمن، يدلُّ على زيف كلِّ الشعارات

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الاثنين ١٣ شعبان ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٤ م، العدد ١٣٢٤٤.

التي تطرحها أمريكا حول حقوق الإنسان وانتهاك الحريات الدينية.

والمتمعن بين السطور في خطاب الشيخ يقرأ فيه تلميحا أن اللعب في الورقة المذهبية لم ينجح في العراق، بل كان فشله واضحا وذريعا، ولم يجرّ على العراق إلا المصائب والويلات.

٣. إن العرب والمسلمين يتعرضون لحالات تمييز عرقي وديني في الولايات المتحدة ذاتها.

٤. تأكيد الشيخ على رفض المواطنين الشيعة اللعب بالورقة المذهبية في الوطن السعودي، وأنقل هنا كلام الشيخ بالنص لأهميته: (ويهمني أن أؤكد هنا أن المواطنين الشيعة في المملكة العربية السعودية يرفضون التدخلات الأجنبية في شؤون بلدهم، وهم جزء لا يتجزأ من وطنهم، ويرفضون استخدام اسمهم للضغط والابتزاز من قبل أيّ جهة أخرى).

وإذا كان الشيخ الصفار حازما في رده ومصرحا بوطنيته، فإنه كذلك كان واقعا في تصريحه، حيث بيّن أن (وإذا كانت لديهم (المواطنين الشيعة) مشكلات فإنهم كبقية مواطنيهم يتواصلون مع حكومتهم لمعالجة هذه المشكلات) فالشيخ لم ينكر وجود بعض المشاكل، التي لا تخلو منها أمة من أمم العالم أجمع على اختلاف هذه المشاكل، غير أنه أوضح أن حلّ هذه المشكلات لن يكون عن طريق الأجنبي كائنا من يكون، وأكد على (ضرورة تفويت الفرصة على الأعداء والطامعين بترسيخ الوحدة الوطنية ومعالجة الثغرات ونقاط الضعف، وأن يأخذ الحوار الوطني مساره الحقيقي في تفعيل الإقرار بالتعددية المذهبية التي أقرتها توصياته، وعدم إتاحة المجال لأيّ ممارسات وإثارات طائفية لا يستفيد منها إلا الأعداء).

حقيقة أنا معجب جدا بكلام هذا الشيخ الجليل، الذي ضرب درسا مجانيا في الوطنية والأخلاق والحصافة السياسية في تصريحه الأخير.

إنّ المواطن الشيعي هو شريك لأخيه السني في هذه البلاد، يتساوى وإياه في

الحقوق والواجبات، ويشترك معه في مصلحة الحفاظ على هذا الوطن موحدًا وقويًا كما كان وكما سيكون إن شاء الله.

إنّ المواطنة حقّ، ولا يقلل من هذا الحقّ الصريح اختلاف مذهبي أو إقليمي أو قبلي، فالكلّ متساوون أمام القانون، وإذا كانت هناك تجاوزات حصلت في الماضيين القريب والبعيد، فلا بُدّ من التسليم بأنّ دولتنا ما زالت حديثة نسبة إلى غيرها من الدول الأخرى، كما أنّ ثقافة التعدد والاختلاف والذوبان في مفهوم الوطن ما زالت حتى الآن -ربما- مفهومًا جديدًا على عقلية بعض السعوديين.

لقد كان الحوار الوطني -بتقديري- بداية حقيقية ومنذ جلسته الأولى لنشر هذه المفاهيم ومن ثم تطبيقها كما يجب أن يكون على أرض الواقع.

إنّ الغلو والتطرف والتعصب المذهبي ليسوا إلاّ سمًا ينخر في الجسد السعودي، وقد وصف سمو ولي العهد العلاج والترياق في كلمته للمواطنين بمناسبة إعلان موافقة خادم الحرمين على قيام مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بقوله: (وإنّ شعبنا السعودي لا يرضى بديلاً عن الوسطية المعتدلة التي ترفض الغلو والتعصب بقدر ما ترفض الانحلال والإباحية).

لا بُدّ أن نعترف أننا والعالم كلّ يمرّ في وقت عصيب نتيجة للأحادية القطبية الحالية، كما أنّ المتربصين في هذه البلاد كثر، وهم لن يفرطوا في أيّ ورقة يستغلونها في سبيل زعزعة هذا الكيان الشامخ، وفي ظلّ موجة الإرهاب الحالية، فلا ورقة لهم يلعبون بها، أفضل من ورقة التعصب الديني والتطرف المذهبي.

إنّ نتائج اللقاءات الوطنية الأربعة هي في واقع الأمر طوق نجاة لنا في هذا البحر المتلاطم الأمواج، والمرحلة والمصلحة وطبيعة الأمور تقتضي التعجيل بتطبيق توصيات اللقاءات في أسرع وقت ممكن.

إنّ الغلاة والمتطرفين لن يرضوا بتطبيق مثل هذا الفكر المستنير، وسيقاومونه بكلّ الطرق، هذا صحيح، وهذا هو ديدن الغلاة في كلّ زمان وفي كلّ حين، غير أنّ

للحزم مكانه في مثل هذه الحالة، فما جرّ علينا تسامحنا مع التطرف إلا كلّ ويل وثبور، وبمناسبة الحديث عن التطرف، فليت تقرير وزارة الخارجية الأمريكية تحدّث لنا عن أثر الجهاد ضد السوفييت في أفغانستان - الذي كانت تدعمه الولايات المتحدة بكلّ قوتها - على تطرف بعض أبنائنا في الوقت الحالي، الذين كان ثمن تطرفهم باهظاً علينا بشكل لا يخفى على أصدقائنا الأمريكيين!

لقد اخترنا في وقت سابق أن نكون أصدقاء لأمريكا، غير أنّ بعض الأصوات الأمريكية كما نشاهد حالياً تريد أن تضع حدّاً لهذه الصداقة الطويلة المدى، متجاهلة كون السعودية ثقلاً سياسياً ودينياً واقتصادياً، قد يكون له في اختيار أصدقائه خيارات أخرى متى ما استلزمت الظروف مثل هذا الخيار، لا أقول هذا الكلام بسبب تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، ولكن أقوله بسبب الأصوات المتطرفة التي أخذت تزايد في حملتها الانتخابية على الوطن السعودي.

لقد تناسى ساسة أمريكا وكما هي عاداتهم كلّ مواقفنا السابقة معهم، وجعلوا من أبراج نيويورك قميصاً لعثمان لا أدري كيف تسرب إلى ثقافتهم، ولكن لماذا العجب؟ فقد علمتنا التجارب أنّ أمريكا التي نحبّ ثقافتها في داخل حدودها الإقليمية، تتحول إلى وحشٍ كاسر في خارج حدود هذا الإقليم، فسيادة القانون في الداخل، تتحول إلى تجاهلٍ لكلّ ما هو شرعي في الخارج، وقيمة الإنسان في الداخل تتحول إلى تحطيم لكلّ ما هو إنساني في الخارج، هذه هي أمريكا، كما عرفتها.

إنّ بلادنا مهددة، ويجب علينا أن نقف صفاً واحداً تجاه مثل هذا التهديد، لقد كان رهان بعض العراقيين على التدخل الخارجي رهاناً خاسراً بكلّ معنى الكلمة، فتحت ظلّ هذا التدخل احتلت البلاد، واستعبد العباد، وما زال العراق مهدّداً بحرب أهلية تأكل الأخضر واليابس في أيّ وقت.

الوحدة والتلاحم هو خيارنا الوحيد حكومة وشعباً، فهذا الوطن ولد ليبقى، رغم كلّ المصاعب والتهديدات.



حلّ ضيفًا على صالون مركز ساس
الوطني بالمدينة المنورة

الصفار يؤكد أهمية
الالتفاف حول مشروع
التنمية ونشر ثقافة
التسامح^(١)

المدينة المنورة: خالد الطويل

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ هناك ثلاثة أمور أساسية ترتقي باهتمامات الرأي العام في المجتمع، وهي: ترسيخ مفهوم المواطنة، والالتفاف حول مشروع البناء والتنمية، ونشر ثقافة التسامح. وأضاف الصفار الذي كان ضيف صالون مركز ساس الوطني لاستطلاع الرأي بالمدينة المنورة أنّ مفهوم المواطنة رغم حداثة بعد قيام الدولة القطرية الحديثة في العالم، على أنقاض العالم الأوروبي القديم الذي كانت تهيمن عليه الكنيسة، فإنه أصبح الطريق الأفضل لتعايش أبناء الشعوب في أوطانها، الذي يضمن الاستقرار السياسي والاجتماعي، مع التنوع القومي والعرقي والديني.

وقال أستاذ الحديث وعلومه بكلية التربية بجامعة الملك عبدالعزيز سابقًا الدكتور نايف الدعيس في مداخلة إنّه يعيش هذه الأيام حياة ملؤها التعب لما يشاهده بين أفراد المسلمين من تناحر في كلّ مكان، مؤكّدًا أنه على الأمة الإسلامية ألاّ تتبع كلّ ناعق يشرخ صف المسلمين - في إشارة لما تبثه بعض القنوات الفضائية التي تدفع في طرحتها نحو الفرقة.

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الأربعاء ١١ رجب ١٤٣١هـ الموافق ٢٣ يونيو ٢٠١٠م، العدد ٣٥٥٤.

وقال الدعيس: علينا أن نحاسب المخطئ على قدر خطئه وألا تأخذ المجتمعات بخطيئة الأفراد، مبيِّناً عبر حزمة من الأدلة الشرعية أهمية اللحمة بين أبناء أمة الإسلام بكافة مشاربهم، مشيراً إلى أن المشتركات الفكرية التي تجمع أبناء الوطن كثيرة، ولا بُدَّ من تعزيزها في ظلِّ دولة انتهجت مشروع الحوار الوطني منذ سنوات.

وكان رئيس مركز ساس الوطني لاستطلاع الرأي الدكتور محمد بن صنيان قد أشار في كلمته الافتتاحية إلى أن الأرض تنازعها ثقافتان: الثقافة الغربية والحضارة الإسلامية، ولا بُدَّ أن تكون الأرض سلماً لثقافة واحدة. وحلَّ ابن صنيان خلفيات الصراع بين الحضارة الإسلامية والثقافة الغربية ومحركاته، مشيراً إلى أنه عندما قامت الدولة السعودية بدورها القومي والإسلامي سمعنا ما سمعنا من حديث يشير إلى أنَّها سحبت البساط من تحت مصر وهو ذات الأمر الذي سمعناه قبل أسبوع عن تركيا بسبب مواقفها من قضايا المسلمين حيث بتنا نسمع من يقول: إنَّها تريد أن تعيد الخلافة العثمانية وغيرها من أقاويل.

وذهب ابن صنيان إلى أن المجتمع السعودي لا توجد فيه ثنائية عرقية أو دينية، فالدين واحد والقبلة واحدة حتى إن كان في فقه العبادات كلُّ له اجتهاده وكلُّ مذهب يتشظى إلى مذاهب لا متناهية، مؤكِّداً أهمية الاتفاق على ما يوحد الجميع انطلاقاً من إستراتيجية دولتنا وقيادتنا الرشيدة - على حدِّ قوله.

وأضاف ابن صنيان: معركتنا ليست مذهبي ومذهبيك، بل تكمن في مكافحة الفساد مع تنشئة الأسرة التي هي نواة المجتمع على التراحم والتعاطف والسلم الاجتماعي والأخلاق الفاضلة والصدق وكلِّ صفات المسلم التي حثَّ عليها الإسلام.

وأشار إلى أن الدول المتقدمة وظفت هذا المفهوم لصهر مواطنيها في بوتقة النظام والقانون الواحد الذي يتساوون أمامه، ويجتهدون جميعاً في الدفاع عنه. مذكِّراً بصحيفة المدينة التي هي أول وثيقة للتعايش في مجتمع إنساني متعدد الانتماءات وضعها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوائل هجرته وقدمه للمدينة المنورة.

وحول أهمية الالتفاف إلى مشروع البناء والتنمية ذهب الصفار إلى أنّ المجتمعات الواعية تنشغل بالبناء وتطوير بلدانها اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً، ولا تنشغل بالجدالات والخلافات والنزاعات، التي يملؤون بها فراغهم من الاهتمامات الحضارية، مستشهداً بنهضة ماليزيا وسنغافورة مثلاً، رغم تعدد الأعراق والأديان والمذاهب فيما بينهم، إلا أنهم وجّهوا جهودهم واهتمامهم نحو التنمية الاقتصادية، وتوافقوا على سلمهم الاجتماعي، واحترموا تعدديتهم، فتطورت بلادهم وقطعت أشواطاً على طريق النمو والتقدم.

وقال الصفار: إنّ في بلادنا ثروات وخيرات كبيرة، وإنّ القيادة السياسية تقرّ كلّ عام أضخم الميزانيات، وتضع مختلف المشاريع، فعلى الموجهين الدينيين والنخبة المثقفة أن يدفعوا الناس باتجاه العمل والإنتاج، ومكافحة الفساد ومعوقات التنمية، ومواجهة الأخطار التي تستهدف شبابنا وأبناءنا كالمخدرات والانحرافات الأخلاقية، بدلاً من الانشغال بالجدل المذهبي والخلافات الجانبية، التي تزيّف اهتمامات الناس، وتشغلهم عن قضاياهم الرئيسة.

ولابدّ كذلك من نشر ثقافة التسامح، ليحترم الناس بعضهم بعضاً، فالاختلافات في المسائل الدينية قائمة حتى داخل علماء المذهب الواحد، فلا بُدّ من لغة الحوار التي هي أحسن كما يؤكّد القرآن الكريم، مضيفاً أنّ مشروع خادم الحرمين الشريفين للحوار الوطني هو أفضل ردّ على توجهات التعبئة والتحريض على الكراهية بتصنيف المواطنين والتشكيك في أديانهم وولائهم الوطني.

وأبدى الشيخ الصفار تفاؤله بالحراك الثقافي الفكري الذي تشهده المملكة، وعليه الرهان في إنضاج وعي المجتمع والرقى باهتماماته.



دعوة لإحباط مساعي الفتنة بين السنة والشيعة^(١)

فهمي هويدي

أرى في الأفق بوادر فتنة تحاول إحياء الشقاق بين السنة والشيعة، من خلال ممارسات ربما كانت حسنة النية وسليمة القصد في بداياتها، لكنها محفوفة بالمخاطر في مآلاتها. أتحدّث عن التباين في مواقف السنة والشيعة في صدد الانتخابات العراقية، وعن سحب الشقاق بين الطرفين التي تتجمع في سماء بعض دول الخليج، وعن محاولات استعادة توترات علاقة الزيدية والشوافع في اليمن، إثر الزوبعة التي أثارها العلامة حسين الحوثي وانتهت بمقتله، وعن تطاول بعض الذين ينسبون أنفسهم إلى الشيعة في مصر على بعض الصحابة (عمر وبن العاص بوجه أخصّ)، إثر تورط أحد الكتاب في سبّه والتحقير من شأنه.

لا أستطيع أن أدعي بأنّ يدًا واحدة وراء كلّ هذه المشاهد، لكن بوسعي أن أقطع بأمريّن، أولهما: أنّ إحياء الشقاق بمنزلة لعب بالنار، ولا يخدم في النهاية سوى كلّ الذين لا يرجون خيرًا للأمة ويتمنّون لها كلّ مكروه، وثانيهما أنّ تلك المؤشرات موحية بأنّ الجسم العربي والإسلامي تراجع مناعته وحصانته وعراه الوثقى، حتى

(١) جريدة الشرق الأوسط الصادرة يوم الأربعاء ٢٠ رمضان ١٤٢٥هـ الموافق ٣ نوفمبر ٢٠٠٤م، العدد

أصبح يعاني بشدة من حالة القابلية للتفكيك التي هي من مقدمات السقوط. أدري أن بعض وسائل الإعلام الساعية إلى الإثارة لعبت حثيثاً على مسألة الشيعة والسنة، واستدعت مرارات وأوجاعاً طويت صفحتها، لتحقيق مرادها ذلك، ولم تحدث اللعبة أثرها نظراً لمحدودية الذين تلقوا الرسالة، خصوصاً أن ذلك تم من خلال بث تلفزيوني صدر من لندن، لكنني لم أسترح كثيراً ولم أطمئن، حين قرأت أن قناة الحرة أعدت برنامجاً عن مطالب الشيعة في منطقة الخليج، اشترك فيه ممثلون للشيعة في ثلاث دول، هي: البحرين والسعودية والكويت.

لم أشاهد البرنامج الذي جرى بثه يوم الاثنين الماضي، ليس فقط لأنني معرض عن مشاهدة الحرة بسبب توجهاتها الأميركية الفجّة، التي تفتقد إلى الذكاء في العرض، (لاحظ كيف تدنّت معاييرنا وهبطت سقفونا وأصبحنا مستعدين للتعامل مع منبر أميركي شريطة أن يكون ذكياً، وكيف أن مأخذنا لم يعد منصباً على الأمركة، ولكن على الغباء في التعبير عنها!)، ولكن لأنّ موعد بث البرنامج كان مساء الاثنين، في حين أنّ موعد تسليم هذه المقالة هو ظهر اليوم ذاته.

قلت إنني لم أسترح لتخصيص برنامج لمطالب الشيعة؛ لأنه يقدّمهم باعتبارهم كياناً خاصاً مختلفاً أو متميزاً عن المجتمعات التي يعيشون فيها، وهم أهل السنة بطبيعة الحال. أما كوني لم أطمئن، فذلك راجع إلى طبيعة المحطة التي بثت البرنامج؛ لأنّ أول سؤال يخطر على بال المرء حين يقع على الخبر، هو: لماذا تعنى محطة أميركية المنشأ والتمويل والهوى، بملف الشيعة في هذه الظروف؟ ولست أتردد في القول إنّ الارتباب مشروع في هذه الحالة، باعتبار أن الأصل هو عدم البراءة في المبادرات الأميركية التي تخصنا؛ لأنّها لن تخرج عن أحد احتمالين: خدمة المصالح الأميركية، أو خدمة الأطماع الإسرائيلية.

لا أستطيع وأنا أتابع مشاهد إحياء التوترات الشيعية السنية أن أتجاهل الموقف الإسرائيلي من التمايزات الطائفية والعرقية الموجودة في العالم العربي، وهو موقف

عبرت عنه شهادة أشرت إليها من قبل، أوردها أحد ضباط الاستخبارات السابقين، موشي قرحي، في كتاب عن إسرائيل وجنوب السودان، أصدره مركز ديان للأبحاث التابع لجامعة تل أبيب، وهو يشرح خلفيات مساندة إسرائيل للحركة الانفصالية في السودان، ذكر صاحبنا صراحة أن الاستراتيجية الإسرائيلية إزاء المنطقة تقوم على تشجيع وحث الأقليات في المنطقة للتعبير عن ذاتها، للحصول على حق تقرير المصير والانفصال عن الدولة الأم، والفكرة الكامنة وراء ذلك، هي التأكيد على أن المنطقة ليست كما يؤكد العرب وحدة ثقافية وحضارية واحدة، وإنما هي في حقيقة الأمر خليط متنوع من الثقافات والتعدد اللغوي والديني والإثني، هي فسيفساء تضم بين ظهرانيها شبكة معقدة من أشكال التعدد اللغوي والديني والقومي، ما بين عرب وفرس وأتراك وأرمن وإسرائيليين وأكراد وبهاثيين، ودروز وبروتستانت وكاثوليك، وعلويين وشيعة وسنة وتركمان وصابئة... إلخ.

بالتالي، والكلام لا يزال لضباط الاستخبارات الإسرائيلي، فإن المنطقة تعدّ رقعة واسعة تعيش فوقها أقلييات عدة، لا يوجد تاريخ موحد بينها، ومن ثم يصبح التاريخ الحقيقي هو تاريخ كل أقلية على حدة، والغاية من ذلك تحقيق هدفين رئيسين، أولهما: رفض مفهوم القومية العربية، والقضاء على فكرة الوحدة العربية، وثانيهما تبرير شرعية الوجود الإسرائيلي في المنطقة، إذ طالما أنها تضم خليطاً من القوميات، وثمة استحالة في إقامة وحدة بينها، فلماذا لا تكون لكل قومية دولتها الخاصة؟ وهو الإطار الذي يكسب إسرائيل شرعيتها، باعتبارها واحدة من تلك الدول القومية. أكرّر أنني لست بصدد الربط بين ما يثار بصدد وضع الشيعة في العالم العربي، ومثل هذه المخططات والتدابير، لكنني فقط أردت أن أنبه إلى الأطراف التي يمكن أن تستفيد من التعامل غير الصحي وغير الرشيد مع الملف.

من حق أي أحد أن يسأل: هل يعني وجود مثل هذه المحاذير أن يغلق باب الحديث في موضوع، ويغلق الملف على ما فيه من جروح ومثالب؟ ردّي الفوري هو

النفي؛ لأنّ تجاهل أيّ مشكلة ليس سبيلاً إلى حلّها، وإنما هو مؤدّب إلى تفاقمها لا ريب، ولكن إذا ما أردنا أن نتعامل بمسؤولية مع الملف الشيعي، فيتعيّن أن نتفق على أمرين، أولهما أن يكون الحديث في الأمر مع العقلاء والمعتدلين، وليس الغلاة والمتطرفين، وثانيهما أن تعالج القضايا العالقة من منظور اجتماعي وسياسي وليس طائفياً بحال.

قرأت كلاماً طيباً في هذا الصدد للشيخ حسن الصفار، وهو من عقلاء علماء الشيعة، نشرته صحيفة «الوطن» الكويتية في ٣١ أكتوبر الماضي تحت عنوان دالّ، هو: هموم الطائفة وهموم الأمة، كان التركيز الأساسي فيه على الدعوة إلى إعطاء الأولوية لهوموم الأمة وقضاياها الكبرى، والتحذير من الانشغال بالمشاكل الطائفية والفرعية، حتى لا تسعى الأطراف المختلفة إلى إحراز الانتصارات الداخلية على بعضها بعضاً، بينما تنزل الأمة كلّها إلى هاوية الهزيمة النكراء في معركتها المصيرية.

قال الشيخ الصفار إنّ ذلك الموقف المبدئي الواعي هو نهج آل البيت، الذين كانوا ينطلقون من الحرص على وحدة الأمة، وإعلاء شأن الدين، وتفويت الفرصة على الأعداء الطامعين متجاوزين معاناتهم وآلامهم رغم قساوتها وفظاعتها، يقول الإمام عليّ بن أبي طالب فيما روي عنه، متحدّثاً عن موقفه من الخلافة بعد رسول الله: فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدمًا، تكون المصيبة به على من فوّت ولايتكم، التي إنّما هي متاع أيام قلائل.

وهو يعلق على هذا الموقف قال: انطلاقاً من هذه الرؤية المبدئية الرسالية، وقف الإمام عليّ إلى جانب الخلفاء الثلاثة، مشيراً وناصحاً وداعماً ومؤيِّداً لكلّ ما يخدم مصلحة الدين والأمة، وعلى ذات النهج كان قبول الإمام الحسن للصلح مع معاوية، وكانت توجيهات الأئمة لشيعتهم وأتباعهم بأن يتظموا في جماعة المسلمين، وأن يحافظوا على مظاهر وحدة الأمة.

تحدث الشيخ الصفار عن خطاب جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الإسلامية،

الذي انطلق دائماً من الغيرة على مصالح الأمة بأسرها، من دون أن يشوبه أيّ لون مذهبي أو طائفي، وعن موقف شيعة العراق الذين عانوا من الاضطهاد في ظلّ الدولة العثمانية، لكنهم استعلوا فوق جراحهم ووقفوا إلى جانبها ضدّ الاحتلال البريطاني، دفاعاً عن الوطن، كما أشار إلى موقف المقاومة الإسلامية في لبنان ووقوفها ضدّ الاحتلال الإسرائيلي، ثم قال: هذا هو المطلوب والمأمول من شيعة أهل البيت في كلّ أوطانهم، أن يتمثلوا نهج أئمتهم الهداة في حمل هموم الأمة وخدمة مصالحها العامة والعليا.

مثل هذا الخطاب ينبغي أن يكون محلّ حفاوة وترحيب؛ لأنه يمدّ جسراً قوياً يتيح لكلّ الأطراف الغيرة على مستقبل الوطن أن تلتقي عليه، وهو من هذه الزاوية يُعدّ نموذجاً لخطاب الاعتدال الذي ننشده، في التعامل مع الملف الشيعي أو غيره من الملفات.

إذا ما تنادى العقلاء للتعاطي مع الموضوع الذي نحن بصدده، وأتيح لهم أن يتحاوروا في شأنه بهدوء وروية، فسوف تتضح لهم ثلاثة أمور: الأول، أنّ ثمة مشاكل للشيعة في العالم العربي لا سبيل إلى إنكارها، والثاني، أنهم ليسوا وحيدين في ذلك، وإنّما لكلّ فئة مشاكلها، فالمسيحيون لهم مشاكلهم، والجماعات السياسية المعارضة بوجه أخصّ تعاني بدورها من المشاكل، وكذلك الجماعات العرقية المنتشرة في بعض الأقطار العربية. والأمر الثالث المهم هو أنّ مدخل المشاركة الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان وكرامته، هو الأساس في حلّ كلّ تلك المشاكل، إذ بالمشاركة الديمقراطية يدرك الجميع أنّهم يتمون إلى وطن واحد وينخرطون في نسيج واحد، وأنّهم جميعاً مسؤولون عن مصير الوطن وهمّ العام، ذلك أنّ خبرة السنين علّمتنا أنه في غياب الديمقراطية والمشاركة تضيق مظلة الوطن، بحيث يتظلل بها المحتكرون والمتفعون، وحين تضيق مظلة الوطن فإنّ الناس يبحثون عن شيءٍ آخر يستظلون به، قد يكون الطائفة أو العشيرة أو الحزب، من ثمّ فإنّ الحلّ الناجع يكون باستعادة المظلة

الكبيرة والواسعة التي تنتظم المواطنين جميعاً، متجلية في المشاركة الديمقراطية. الركيزة الثانية التي أشرت إليها متمثلة في احترام حقوق الإنسان وكرامته، فمن شأنها تحقيق المساواة بين الجميع، بحيث يكون التفاضل بين المواطنين بقدر إخلاصهم للوطن وغيرتهم عليه وإسهامهم في البناء وإنجازهم فيه. إن كثيراً من المشكلات الفئوية والطائفية ليس مصدرها في حقيقة الأمر اضطهاداً لفئة أو أخرى، وإنما هي ناشئة عن تغييب دور المواطن العادي، بمعنى أنها مشكلات يعاني منها المجتمع بأسره، ولكن كل فئة فيه تقرأها من زاويتها الخاصة، بمعزل عن المنظور الكلي، فتسميها اضطهاداً في حين أنها أزمة مجتمعات بكاملها. ومن هنا فالعقلاء وحدهم هم الذين يستطيعون إدراك هذه الحقيقة، ليتهم يتنادون قبل أن يسبقهم المتطرفون والغلاة، ومن أسف، أنهم الأعلى صوتاً والأسرع حركة.

الصفار: شيعة السعودية لا يريدون شيئاً خاصاً لأنفسهم^(١)

نشرت الرأي العام الكويتية تصريحاً لسماحة الشيخ حسن الصفار في عددها الصادر يوم السبت الموافق ١٦ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ (٧ فبراير ٢٠٠٤ م)، وفيما يلي نص ما نشرته الصحيفة:

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن الأقلية الشيعية في المملكة تريد معاملة أكثر عدلاً، لكنها لن تستغل القوة المتزايدة للشيعية في العراق للحصول على مكاسب سياسية.

وأعلن الصفار أن طائفته موالية للسعودية وليس لديها طموحات للحصول على قدر أكبر من الاستقلالية «حتى إذا ظهر مشروع محتمل لدولة فيدرالية في شكل فضفاض في العراق» بعد إطاحة صدام حسين.

وصرح لـ «رويترز» في مقابلة مساء أول أمس الخميس: «الحكومة السعودية تعرف ولاء المواطنين الشيعة في البلاد»، وأضاف «الشيعة لا يريدون شيئاً خاصاً لأنفسهم». ويعتقد أن الشيعة يشكلون الغالبية في المنطقة الشرقية الغنية بالنفط، وإن كانوا يشكلون عشرة في المئة فقط من إجمالي عدد السكان في المملكة ولهم علاقات وثيقة مع شيعة العراق.

(١) جريدة الرأي العام الصادرة يوم السبت ٧/٢/٢٠٠٤ م.

وأعربت الحكومة السعودية عن قلقها من تقسيم العراق على أساس عرقي وديني مما يفجر نزاعاً قد يمتدّ إلى الدول المجاورة.

وقال الصفار إن الشيعة بدأوا يجدون صوتاً في السعودية لأسباب منها «الحوار العقلاني» الذي أجراه في العام الماضي وليّ العهد الأمير عبد الله بن عبدالعزيز، وأضاف: «لم يتحدث أحد في الإعلام عن الشيعة في المملكة».

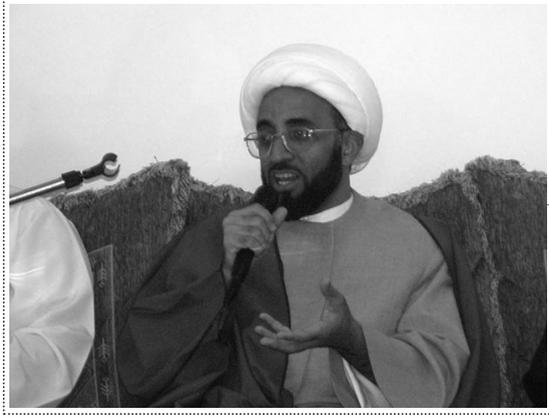
وأكد الصفار أنّ مطالب الشيعة متواضعة، وأضاف: «ليس هناك أيّ طلب خاص للشيعة سوى المساواة، وتعرف الحكومة ذلك».

ورغم أنه على اتصال دائم بالمرجع الأعلى للشيعة في العراق آية الله علي السيستاني، إلا أنّ هذه الاتصالات لأغراض دينية محضة، وقال الصفار إنّ «فيما يتعلق بالسياسة فإنّ قراراتنا محلية ولا يتخذها أيّ طرف خارج البلاد».

وقال الصفار إنّ الموقف بدأ يتحسن وإنّ الحكومة أصدرت بعض التصاريح لبناء مساجد لكن بشروط تشمل قيوداً على الحجم.

وذكر أنّ البيان الذي صدر عن اجتماع تمهيدي للحوار الوطني في العام الماضي، والذي اعترف صراحة بالتعددية في الفكر الإسلامي في المملكة، ودعا إلى مشاركة سياسية في النظام الملكي، لم يؤت ثماره بعد.

وأضاف: «نريد أن نرى تطبيق هذه التوصيات».



في منتدى الثلاثاء بالقطيف
الشيخ الصفار يستعرض نتائج
اللقاء الوطني^(١)

استضاف منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف سماحة الشيخ حسن الصفار في برنامجه الأسبوعي، متحدّثاً حول (الحوار الوطني.. نتائجه ومستقبله)، وأدار الندوة الزميل الصحفي ميرزا الخويلدي، بحضور نخبة متنوعة من مثقفي وإعلاميي ورجال أعمال المنطقة، حيث تميّز بحضور متميز وكثيف. وبدأ الشيخ الصفار حديثه عن وصف اللقاء الثاني، الذي عقد مؤخراً في مكة المكرمة، بأنه تميّز عمّا سبقه بزيادة الأعضاء المشاركين في الحوار، وتنوع توجّهاتهم وكذلك مشاركة المرأة لأول مرة. حيث شارك في اللقاء ممثلون عن مختلف التوجّهات الفكرية في المملكة. وأضفت التشكيلة في الحضور على اللقاء حالة من التنوع الواضح، وفرصة للحديث الجريء والصريح. كما تميّز اللقاء أيضاً بإعداد بحوث مكتوبة ودراسات حول مختلف محاور النقاش من قبل باحثين متخصصين، وقدم الباحثون ملخصات لأبحاثهم ثم تتم المداخلات للمشاركين في اللقاء.

وأكد الشيخ الصفار حسن اختيار عنوان المؤتمر (الغلوّ والاعتدال.. رؤية منهجية شاملة)، حيث إنه ذلك يعتبر من أبرز التحدّيات التي تواجه الوطن في هذه المرحلة، وساعد تنوع الأطياف المختلفة المشاركة في اللقاء في أن تكون لغة التخاطب واضحة وجريئة، وأن يكون الهدف هو تسليط الأضواء على الثغرات والمشاكل، وليس المدح

(١) جريدة اليوم الصادرة يوم الثلاثاء ١٣ يناير ٢٠٠٤م، العدد ١١١٦٩.

والثناء كما حصل في السابق. وسيطر على اللقاء محاور أساسية، كنقد سياسات الإلغاء والإقصاء والطائفية، التي تمارس على الجميع، والمطالبة بإعادة النظر فيها، كحرية التعبير عن الرأي، خاصة أنها حالات عامة، وليست ممارسات فردية. وكذلك توسيع رقعة المشاركة الشعبية في القرار السياسي.

وأشار المحاضر إلى أن التوصيات تعتبر متقدمة جداً على توصيات المؤتمر السابق، وأعطى سمو ولي العهد دفعةً كبيراً للمؤتمر، من حيث تشجيعه على استمراره. وكانت للتغطية الإعلامية للمؤتمر دوراً مهماً في انعكاسه الإيجابي على المجتمع ثقافياً وإعلامياً.. وأكد أن من أبرز النتائج هو الإقرار بالتنوع والوجودات المختلفة في المجتمع السعودي، وتعزيز العلاقات بين مختلف الأطراف، الأمر الذي قد يشكل أرضية مناسبة لمشروع الإصلاح السياسي، ولكن من الواجب التفكير في آليات تنفيذية لتحويل هذه التوصيات إلى مشاريع عمل تخدم مصلحة الوطن. وهناك توقعات إيجابية كبيرة لدى عموم المواطنين، بتفعيل هذه اللقاءات وتحويلها إلى واقع ملموس.

وعلق الشيخ الصفار على تأكيد سمو ولي العهد وإشارته إلى ضرورة الحد من الاتجاهات الطائفية والمواقف المتشججة التي تعبر عنها مواقع الإنترنت.. منوهاً بحضور مختلف المسؤولين في الدولة في هذا اللقاء.. ومشيراً إلى أهمية مشاركة جميع التيارات في الحوار، وضرورة تعرفهم على وجهات نظر القوى الاجتماعية الأخرى.. ومؤكداً أن التعاطي معهم يجب أن يتسم بالحكمة والمرونة، بحيث يكون الدافع هو حماية الوطن، وإشراك كل القوى الفاعلة والمؤثرة، وعدم إقصاء أي طرف قائم. وأشار إلى أن الروح الوطنية كانت سائدة في اللقاء، وانعكست على حالة التضامن في مختلف القضايا التي كانت تتكامل أطروحاتها مع بعضها، ولم تكن هنالك حالة تخندق من قبل أي فئة على نفسها.

وبدأت تعليقات ومدخلات الحضور، مؤكدين ضرورة تفعيل التوصيات التي

خرج بها المؤتمرون، بقيام الدولة باتخاذ الإجراءات التنفيذية لتحويل هذه التوصيات إلى برامج عمل، وتشكيل فرق عمل أهلية لدراسة بعض القضايا المهمة، كالوحدة الوطنية ووضع المرأة مثلاً، وتقديم مشروع عملي بهذا الخصوص، وضرورة المشاركة الشعبية في متابعة وتنشيط التواصل بين الفئات الاجتماعية، ودفع الحوار الوطني لتوسيع رقعته عبر رسائل تأييد للمسؤولين، تحدد المسؤوليات المرحلية المهمة، ومتوافقة مع المطالبات الشعبية القائمة.

كما أكد أحد الحضور ضرورة تفعيل حاضنات للمجتمع المدني، كأمر سابق لأي حوار جاد، حيث إنها ستكون ممثلة للتوجهات المختلفة، ويكون الحوار بينها فاعلاً وعبر وجود آليات واضحة.





الأحادية الفكرية^(١)

م / عبدالله بن يحيى المعلمي

أنهيت قبل أيام قراءة كتاب صغير في حجمه، كبير في مضمونه ومعانيه، هو كتاب «الأحادية الفكرية في الساحة الدينية» لمؤلفه الشيخ حسن الصفار، وأبدأ بالقول: إنَّ بيننا وبين الشيخ الصفار خلافات جوهرية في قضايا عقديّة وتاريخية، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نقرّ بالحقّ أيّما كان مصدره، فالحكمة ضالة المؤمن، والحقّ لا يعرف بالرجال وإنّما يعرف الرجال بالحقّ، كما أنّ مضمون الكتاب في حدّ ذاته يدعو إلى قبول حق الغير في الرأي الحر والفكر الذي يعتقدونه دون قبول هذا الفكر أو المعتقد في حدّ ذاته، وأنّ مواجهة أيّ فكر أو رأي إنّما تكون عن طريق الحجّة والبرهان عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ».

يبدأ المؤلف حديثه بالقول إنّ «اختلاف الآراء وتباين الأفكار أمر طبيعي في واقع المجتمعات البشرية، فلا تخلو ساحة من ساحات المعرفة من تعدد المدارس والنظريات»، ثم ينتقل المؤلف ليقول: «ليس من الخطأ أن يقتنع الإنسان برأي، أو ينتمي إلى مدرسة، أو يؤمن بقيادة، أو يثق بمرجعية، لكن الخطأ هو احتكار هذا الحقّ

(١) جريدة المدينة الصادرة يوم الاثنين ١٢/١٢/٢٠١١م.

لنفسه وإنكاره ذلك على الآخرين» وهو ما يعرفه المؤلف بأنه الوصاية الفكرية التي يسعى أصحابها إلى فرض رأيهم على الآخرين والنيل من حقوق المخالفين وتحقيرهم وإساءة معاملتهم، كل ذلك بحجة إخلاصهم لما يرون أنه الحق في رأيهم ورغبتهم في نشره وهداية الآخرين إليه، ويقول المؤلف: لو كانت هذه الحجة كافية لتبرير فرض الوصاية الفكرية لوجدنا لها دليلاً في القرآن الكريم أو في سيرة الرسل والأنبياء ﷺ، ولكننا في الواقع نجد خلاف ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾، وفي شأن الرسل يقول الله عز وجل: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

لقد وجدت في كتاب الشيخ الصفار دعوة إلى الانفتاح وإلى الحوار وإلى التجديد وإلى المراجعة التاريخية وإلى القبول بتعدد الآراء والأفكار والمعتقدات وإلى تنشيط الساحة الفكرية والعلمية عن طريق التواصل والنقاش ومراجعة الحجة بالحجة والابتعاد عن فرض سلطة الرأي الواحد حتى وإن جاء ذلك تحت حجة حماية النقاء العقدي، وهي دعوة لا بُد لنا من أن نعتزف بوجاهتها وبأهميتها في عصرنا الحالي الذي يتعذر فيه حجب الآراء أو الانطواء على فكرٍ واحدٍ، ولا شك في أن أحسن وسيلة لتحسين المجتمع تتمثل في زيادة انفتاحه على التيارات الفكرية المختلفة مع تزويده بالحجة والرأي السديد وبذلك يتمكن الإنسان الرشيد من تكوين قناعات راسخة لا تهتز بمجرد سماع رأي مخالف أو فكر طارئ.

عالم الدين الشيعي السعودي حسن الصفار يدين أعمال
العنف في القطيف ويدعو لكلمة حانية من القيادة
وتعزيز تلبية المطالب المشروعة ويطالب المجتمع لنبذ
الاحتقان الطائفي والبعد عن العنف وردود الافعال^(١)

دعا عالم الدين الشيعي السعودي حسن الصفار في خطبة الجمعة اليوم في القطيف
السعوديين إلى نبذ الفرقة والتعنصر الطائفي وتهيج المشاعر وحدّر من هذا الانزلاق
نحو هاوية العنف وسفك الدماء.

وقال الصفار إن كلمة حانية من قيادة البلاد، ومعالجة سريعة لبعض المشكلات،
واهتماماً تنموياً جاداً بالمنطقة وأبنائها، سيكون له أكبر الأثر في النفوس، ويساعد
العقلاء والمصلحين في المجتمع على النجاح في دعوتهم للهدوء والوئام.

وأشار الشيخ الصفار: ويهمني من منطلق الشعور بالمسؤولية والحرص على
مصلحة المجتمع والوطن أن أؤكد على الأمور التالية:

أولاً: أن تقوم قيادة البلاد بمبادرة طيبة تنفس بها الاحتقان، وتضمّد الجراح،
وتفوت الفرصة على المغرضين، وتستوعب هؤلاء المواطنين الذين لا يطلبون شيئاً
يعسر على الدولة، ولا يريدون إلا التمتع بحقوق المواطنة المشروعة، ورفع أيّ تمييز
أو حيف بحقهم.

(١) صحيفة الوكاد الإلكترونية ٢٥/١١/٢٠١١م.

أما ترك العنان للتعبئة الطائفية، والدخول في معادلة ردود الأفعال، والاقتصار على المعالجة الأمنية، فإن ذلك هو ما يريده أعداء الوطن، وما يجب أن نحذر منه جميعاً حكومة وشعباً، فالاضطرابات وانفلات الأمن ضرر على المواطنين وعلى الدولة، وخسارة للوطن، نسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا ومجتمعنا من هذا المنزلق الخطير.

ثانياً: لا بُدَّ من تأكيد الانضباط في أوساط أفراد وأجهزة الأمن العاملة في المنطقة، بمنع حصول أيِّ إساءة تستفز المواطنين، والأهمَّ من ذلك عدم الاستجابة لما قد يواجههم من الاستفزاز في غمرة أجواء الانفعال والحماس. فلا يصل الأمر إلى سفك الدماء. ومن المهم جداً التحقيق في الحوادث الدامية التي وقعت ومحاسبة المسؤولين عن وقوعها.

ثالثاً: أتوجّه إلى شبابنا الأعزاء للتأكيد على ما ورد في بيان علماء القطيف الصادر يوم أمس الخميس ٢٨ ذو الحجة من الالتزام بالوسائل السلمية في التعبير عن الرأي والمطالبة بالحقوق، وعدم الانجرار إلى أيِّ شكلٍ من أشكال العنف.

شبابنا الأعزاء.. إن الشعوب العربية تفاخر اليوم وفي موسم الربيع العربي بنهجها السلمي كما رأينا في تونس ومصر واليمن والبحرين، حيث لم يواجه الجمهور عنف السلطات بعنف مضادّ. فاحذروا أيّها الشباب الأعزاء أيّ دعوة باتجاه مظاهر العنف، ولا تُستدرجوا للعنف، ولا تسمحوا المندسّين أن يشوّها حراككم بممارسات عنفية، وكونوا كما عهدناكم أبناءً برة لمدرسة أهل البيت.

حفظكم الله يا شبابنا الأعزاء وكلّ شباب الوطن من كلّ مكروه وحقق آمالنا وآمالكم في العيش بأمن وأمان وكرامة في وطننا الغالي العزيز.

رفض استغلال الحادث من قبل أفراد معدودين للتحريض على الكراهية

الصفار: «حادث العوامية» يجب أن يؤدي لتعزيز
التلاحم الوطني ضد أي إخلال بالأمن^(١)

المدينة - القطيف

■ الصفار: «حادث العوامية» يجب أن يؤدي لتعزيز التلاحم الوطني ضد أي
إخلال بالأمن.

أدان الشيخ حسن الصفار استخدام العنف ضد المواطنين ورجال الأمن في
حادث الاعتداء على مركز شرطة العوامية.. وقال: إن استخدام العنف مرفوض من
قبل كل القيادات الشيعية والمواطنين الشيعة، وقال: إن حفظ الأمن مصلحة للوطن
والمواطنين، وينبغي أن يدفع هذا الحادث إلى تعزيز الوحدة والتلاحم الوطني ضد أي
إخلال بالأمن. ورفض استغلال الحادث الذي حصل من قبل أفراد معدودين للتحريض
على الكراهية، والتعبئة ضد المواطنين الشيعة المعروفين بإخلاصهم وولائهم لوطنهم.
جاء ذلك في خطبة الجمعة الماضية بمحافظة القطيف شرق المملكة.

وأضاف الشيخ الصفار: إن من يثون التفرقة بين المواطنين يخدمون أهدافاً
شيطانية كما يقول الله تعالى: (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء).

ودعا وسائل الإعلام والمنابر الدينية إلى نشر روح الوحدة، والتآخي والاندماج
بين المواطنين والتصدي لمثيري الفتن والتحريض والخلاف بين المواطنين.

(١) جريدة المدينة الصادرة يوم الأحد ٠٩/١٠/٢٠١١م.



حسن الصفار.. الولاء لمن: المذهب أم الوطن؟^(١)

د. محمد حلمي عبد الوهاب

يمثل سماحة الشيخ حسن الصفار حالة خاصة بين فقهاء الشيعة المعاصرين؛ إذ يجسّد الرجل المرجعية الدينية المنفتحة على غيرها من جهة، والمتسمة بقدر كبير من الحياد والموضوعية مع التزامها بمنهج الوسطية في معالجات الإشكاليات ذات الحساسيات التاريخية من جهة ثانية. فما الأسباب التي جعلت من تكوينه العلمي والأدبي أمرًا مميزًا؟ وما سمات الوسطية في كلّ من تفكيره ومواقفه؟! وما دوره في التقريب بين قطبي المعادلة الاجتماعية والسياسية في الأمة الإسلامية: السنة والشيعة؟! هذا ما نحاول الوقوف عليه وبيانه في السطور التالية.

في الواقع، ساهم في التزام الشيخ بالوسطية وانفتاحه على الآخر مجموعة من العوامل البيئية والتكوينية التي ارتبطت في الغالب بالمناخ الذي نشأ فيه والمعلمين الذين تتلمذ عليهم، وقبل هذا وذاك قناعته الشخصية وإيمانه المتفرد بالإنسان بغض النظر عن اعتبارات الجنس أو اللون أو الدين.

إطلالة حيّة

ولد سماحة الشيخ سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م في مدينة القطيف بالمملكة العربية السعودية في أسرة كانت - ولا تزال - تتمتع بصيت ذائع في مجال الدراسات

(١) مجلة «رواق عربي» العدد ٤٨ الصادر يوم ١٨ / ١١ / ٢٠٠٨م.

والاهتمامات الدينية؛ فوالده هو الأديب الحاج موسى بن الشيخ رضا الصفار، ولد ١٣٤١ هـ، وكان حافظاً للقرآن ملماً بأصول الكتابة الأدبية كما مارس الخطابة الدينية. أما والدته فهي زهراء بنت الملا محمد بن الشيخ عبد الله، وقد توفيت في دمشق سنة ١٤١٤ هـ، ودفنت بمقبرة السيدة زينب.

في رحاب هذه الأسرة المتعلقة بالعلم الطاهرة بالوراثة، حفظ سماحته القرآن الكريم ومارس الخطابة الدينية مبكراً عام (١٣٨٨ هـ-١٩٦٨ م)، ولمّا يتجاوز بعدُ الحادية عشرة من عمره، والتحق بمدرسة زين العابدين الابتدائية ومدرسة الأيمن المتوسطة. ثم هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة في الحوزة العلمية سنة (١٣٩١ هـ-١٩٧١ م)، وانتقل بعدها للدراسة في الحوزة العلمية بمدينة قم الإيرانية سنة (١٣٩٣ هـ-١٩٧٣ م)، كما التحق بمدرسة الرسول الأعظم في الكويت سنة (١٣٩٤ هـ-١٩٧٤ م).

ونتيجة لجديته في التحصيل، حصل سماحته على العديد من الإجازات والشهادات، وشغل أيضاً العديد من المناصب الرسمية والشرفية، كعضوية الجمعية العمومية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، كما شارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية، مثل مؤتمر الحوار الوطني بالمملكة، ومؤتمرات مركز الشباب المسلم في الولايات المتحدة الأمريكية.

وفضلاً عن ممارسته الخطابة منذ عام ١٩٦٨، صدر له أكثر من ٤٠٠٠ مادة إذاعية ما بين أشرطة كاسيت وفيديو. كما ألّف سماحته أكثر من ٨٠ كتاباً في مختلف مجالات المعارف الدينية والثقافية، من أهمها: التعددية والحرية في الإسلام، التسامح وثقافة الاختلاف، التنوع والتعايش.. بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، علماء الدين.. قراءة في الأدوار والمهام، أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (٦ مجلدات)^(١)، شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين، الحوار والانفتاح

(١) صدر منه ١٠ مجلدات.

على الآخر، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، السلفيون والشيعة نحو علاقة أفضل، المذهب والوطن.. مكاشفات وحوارات، إضافة إلى العديد من البحوث والمقالات المنشورة بعدد من المجلات العلمية والثقافية.

نزعتة الإنسانية

ساهم كلٌّ من البيئة العلمية التي تربى الشيخ في أحضانها وتكوينه العلمي الذي حصل عليه في انفتاحه على الذات والآخرين، وليس غريباً - والحالة هذه - أن يؤكّد سماحته أن الهدف الأساسي للشرائع الإلهية يتمثل في إحقاق حقوق الإنسان، وتحرير إرادته من أيّ هيمنة جائرة ليخضع لربه وحده بملاء حرّيته، وأنّ أنبياء الله كانوا قادة الدفاع عن حقوق الإنسان عبر التاريخ بدعوتهم الناس إلى رفض الطغيان والفساد.

وليس غريباً أيضاً أن ينتقد موقف الخطابات الدينية من ثقافة حقوق الإنسان التي تبلورت وتكاملت برامجها في رسالة الإسلام؛ حيث أصل القرآن الكريم لهذه الحقوق أساسيات ومضامين فكرية فلسفية أصبحت جزءاً رئيساً من العقيدة الدينية، وحجر أساس في منظومة الفكر الإسلامي، كمفهوم خلافة الإنسان في الكون وتسخير الطبيعة له، وتقرير حرّيته الشخصية... إلخ.

وبحسب الشيخ.. فإنّ سيطرة الاستبداد السياسي على الأمة هي العامل الذي أفرغ الرسالة الإسلامية من محتواها الإنساني؛ لدرجة أن أصبح الإسلام غطاءً شرعياً لأبشع ممارسات القمع ومصادرة الحريات. ناهيك عمّا فرخه من ثقافة تبريرية بلونيتها الديني والأدبي، مدعومة بقوة الخلافة وإمكانات السلطة.

كما يؤكّد سماحته في كتابه «الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان» أنّ من أبجديات الثقافة التي حاول الإسلام تكريسها في نفوس الناس حتى تشكل قاعدة ومنطلقاً لسلوك حضاري رصين.. مبدأ قدسية الحياة وضرورة الحفاظ عليها. وأنّ الإسلام شدّد على خطورة العدوان على حياة الآخرين، وأنّ المتتبع لسيرة الرسول -صلى الله

عليه وسلم - يجد أن هناك تحفظاً وحثراً كبيراً من إراقة الدماء؛ إذ أحصى المؤرخون ٨٣ غزوة وسرية في عهده، ورغم ذلك لم يتجاوز عدد القتلى ١٤٠٠ شخص من المسلمين واليهود والمشركين، في وقت كانت فيه الحروب تحصد أعداداً كبيرة.

ويأسف سماحته كثيراً لأنّ ثقافة قدسية الحياة غابت مفرداتها عن عقلية الكثير من المسلمين المعاصرين، في حين أنّ الدول المتقدمة استثمرت هذه الثقافة الحية، وانطلقت بها تؤسس نظاماً وقوانين تحترم حياة الإنسان حتى أصبحت جزءاً من الخلفية الثقافية للمجتمع الغربي. وفي الوقت الذي يعيش الآخر فيه ثقافة احترام الحياة، يعيش المسلمون ثقافة الاستهتار بها من خلال التصرفات اللامسئولة لعقليات خربة عملت على تشويه صورة الإسلام في نظر الآخرين حتى صار الإرهاب سمة بارزة من سمات الإسلام عندهم.

الانفتاح على الذات.. الأسباب والمحددات

يمكن القول بأنه ليس في الإمكان بحث وسطية الشيخ دون ربطها بقضية الانفتاح على الآخرين والتي باتت تشكل محوراً أساسياً في كتابات بعض المثقفين والمجدّدين الدينيين لما لها من أهمية خاصة في تحديد الموقف من الآخر عامة، سواء كان هذا الآخر خارج نطاق الدين أو خارج نطاق المذهب. وبالنسبة للشيخ الصفار تُعدّ هذه القضية محوراً رئيساً في كتاباته بل ومواقفه الدينية والسياسية أيضاً؛ الأمر الذي تعكسه عناوين كتبه فضلاً عن مضامينها، فما سرّ اهتمامه بها؟ وهل يعكس انفتاحه على الآخر انفتاحاً على الذات؟ وهل هو نتيجة طبيعية لالتزامه بنهج الوسطية في معالجاته الفكرية أم لا؟.

بمعنى آخر: هل يرجع ذلك إلى الأسلوب الذي تربى عليه وظروف بيئته أم إلى تأثره ببعض أساتذته؟ وكيف تجلّى هذا الانفتاح بصورة خاصة في بعده السياسي؟ كيف استطاع أن يفكّ مثلاً - بحرفية نادرة - الاشتباك القائم ما بين حدود الولاء للمذهب الشيعي والولاء للوطن السعودي ذي المذهب السلفي، وبينهما ما بينهما من تناحر وعداوات وإرث تاريخي يقوم في الغالب على تشويه كل منهما للآخر؟!.

في الواقع.. يتميز سماحة الشيخ حسن الصفار بسمة نادرة تتعلق بموهبته في فكّ الاشتباك القائم بين ما هو ديني وما هو سياسي بصفة خاصة. فعلى خلاف العديد من أقرانه -الذين خلطوا الديني بالسياسي فأضروا بالاثنين معًا - يرى الصفار وجوب التفرقة بينهما بداية، وإعلاء الولاء للوطن على الولاء للمذهب الطائفي ثانيًا. فكيف استطاع فكّ هذا الارتباط الشائك؟ وما هي المرجعية التي عوّل عليها في قوله هذا؟ وهل ينبع رأيه هذا من رؤية دينية أم لا يزيد عن كونه مناورة سياسية تهدف إلى تحقيق أكبر قدر من الاستحقاقات السياسية وجلب تعاطف المؤسسات الرسمية مع أتباع المذهب الشيعي؟!.

يؤكد سماحة الشيخ أنه مع تشكّل الدولة وبسط هيمنتها على كافة مناحي الحياة بدأ المواطن الشيعي في المملكة يصطدم شيئًا فشيئًا بالقوانين المنظمة؛ لأنّها لا تأخذ بخصوصيات مذهبه بعين الاعتبار. إضافة إلى أنّ موظفي الدولة كانوا جميعًا من السنة، ومن ثم بدأ الشيعة يشعرون بعامل الإقصاء والتهميش، وأنهم مبعدون عن الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية؛ الأمر الذي أثار لديهم حساسيات وتساؤلات من مثل: لماذا يجد المواطن الشيعي نفسه مستثنى رغم كفاءته، مبعدًا رغم جديته، محرومًا من الوظائف العليا رغم أهليته وأحقيته؟!.

ثالث العوامل أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران أصبحت التعبئة الطائفية جزءًا لا يتجزأ من الصراع في المنطقة، وتم النظر إلى الشيعة داخل كلّ قطر عربي على اعتبار أنّ انتماءاتهم الوطنية موضع شك وريبة، وكما لو أنّ ولاءهم جميعًا للجمهورية الإيرانية!!!. وفي سياق هذا المناخ المحموم جاءت دعوة الملك عبد الله - وكان وليًا للعهد آنذاك- لعقد مؤتمر الحوار الوطني؛ وهو ما أنعش الآمال في القضاء على الطائفية وإعادة النظر والاعتبار ولو جزئيًا للمواطن الشيعي داخل المملكة.

الولاء للوطن أولًا.. وللمذهب ثانيًا:

ومن ناحية أخرى يؤكد سماحة الشيخ أنّ مسألة الولاء للوطن تأتي في سياق الردّ

الضماني على الولايات المتحدة الأمريكية التي تتحدث باسم الأقليات الدينية والعرقية في المنطقة. فالمراهنة على الأمريكيين وإن تمت من قبل الشيعة أنفسهم مراهنة خاسرة، والمطلوب تأكيد مبدأ الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات أمام الأعداء بدلاً من تبادل الاتهامات، والجلوس إلى طاولة الحوار مع المسؤولين لحلّ المشكلات الراهنة.

الموقف إذاً حسّاس وبحاجة إلى الحذر، والمشروع الأمريكي للهيمنة على المنطقة يستغلّ كافة القنوات بما يخدم أغراضه الدنيئة؛ فهم يلعبون على وتر الأقليات والصراعات الطائفية لتمزيق وحدة الشعوب العربية، ومن ثم الانقضاض عليها بيسر ودون تكلفة بشرية أو مادية.

وفي السياق ذاته، يؤكّد الشيخ أنّ مسألة اتّهام الشيعة بالولاء الخارجي تُعدّ مظهرًا من مظاهر معاناتهم اليومية، ونتيجة طبيعية للأجواء السلبية التي صنعت تجاههم. وأنّ وجود تيارات واتجاهات فكرية وسياسية أمر لا يخصّ المجتمع الشيعي دون غيره، فقد دارت رحى المعركة قديمًا بين السلفيين والحدائثيين، وحاليًا بين الإصلاحيين والسياسيين؛ فلماذا يتحول الأمر إلى تشكيك في الولاء والانتماء بالنسبة للشيعة دون غيره؟! لماذا يحاسب الصوت السني المعارض باعتباره فردًا فيما يحاسب الصوت الشيعي المعارض كطائفة؟! بالرغم من أنّ الشيعة في المملكة بادروا، إثر صدور تقرير الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية في المملكة، برفض التدخل الأمريكي في شؤونهم الداخلية.

يوضح سماحة الشيخ أسباب التمييز الطائفي ضدّ الشيعة، ساردًا بعض المعطيات التاريخية الدالة على عمق هذا الشرخ؛ ففي إطار تناوله للمسألة تاريخيًا، يذكر مسلمة اتّهام ابن العلقمي بخيانة الخليفة العباسي لصالح التتار، وكيف أنّ هذا الاتّهام لا يستند إلى أيّ أدلة تاريخية على مستوى البحث العلمي، مؤكّدًا أنه فضلًا عن دراسة السيد حسن الأمين (وهو شيعي) للغزو المغولي التي تبرئ ساحة ابن العلقمي، كانت هناك دراسة للدكتور سعد الغامدي (وهو سني يعمل أستاذًا للتاريخ بجامعة الملك سعود)

عن سقوط الدولة العباسية أورد بها أكثر من إحدى عشرة حقيقة تاريخية تدحض اتّهام ابن العلقمي بالخيانة، مؤكّدة أنّ مصدر اتّهامه كان يستند إلى اعتبارات طائفية.

وعلى الرغم من ذلك، صدر قرار من إحدى الجهات الدينية بجمع الكتاب وإحراقه ومنع تداوله!! وحتى النسخ المتاحة منه في مكتبات الجامعة محجوبة ولا يطلع عليها أحد إلا بإذن خاصّ من إدارة المكتبة!! ويخلص سماحته إلى أنّ ثمة اتّجاهًا وإصرارًا من قبل البعض على التسليم بالاتّهامات ورفض مناقشتها والإبقاء عليها، وأنّ الشيعة يعانون كثيرًا من الصور النمطية والأحكام التعميمية من قبل جهات سنية.

وسطية المعالجة وروح المبادرة

ختامًا.. يمكن تلخيص رأي الشيخ في مسألتي التقريب بين السنة والشيعة، وأحقية الولاء للوطن عن الولاء للمذهب من خلال النقاط التالية:

- شكّلت الدعوة الملكية لعقد مؤتمر الحوار الوطني إيذانًا ببدء مرحلة تاريخية جديدة، زادت من تطلعات الشيعة بالمملكة وآمالهم لاستحقاق حقوق المواطنة بمختلف مستوياتها.
- التأكيد على أنّ المناهج التعليمية بحاجة ماسّة إلى المراجعة الدقيقة، وأن تأخذ بعين الاعتبار خصوصية الفكر الشيعي، وأن تركز على القواسم المشتركة في مرحلة الطفولة بدلًا من التحريض ضدّ الآخر.
- التأكيد على أنّ المراهنة على الأمريكيين من قبل الأقليات الدينية رهان خاسر، والعراق أكبر دليل على ذلك، وأنه يجب التأكيد على الوحدة الوطنية وسدّ الثغرات ضدّ العدو بالجلوس إلى مائدة الحوار والوصول إلى حلول عملية.
- يجب التخلّي عن النظرة التقليدية للشيعة التي تشكّك في طبيعة ولاءاتهم وانتماءاتهم الوطنية.
- الجماهير الشيعية عامة مستعدة للتوقيع على ميثاق شرف إسلامي يتجاوزون به

الصراعات المذهبية والخلافات الطائفية، ويؤكدون فيه وحدة الأمة ومرجعية الكتاب والسنة.

■ يجب وقف الإثارات بكافة أشكالها ووقف التعبئة والتعبئة المضادة من كلا الجانبين، وتجريم ثقافة التحريض على الكراهية، والمحاسبة القانونية لمن يروج لها.

■ يراهن سماحته على الجيل الصاعد من كلا التيارين والذي، برأيه، يدرك طبيعة التحديات المستقبلية، ويتعامل مع المسألة المذهبية بمسؤولية وموضوعية.

■ الوحدة الوطنية على أساس الإسلام تشكل أمانة في أعناق المسلمين جميعاً سنة وشيعة. وما يزال انفتاح الشيعة على الثقافة السنية أكبر بكثير من انفتاح السنة على الثقافة الشيعية؛ نظراً لأنهم يعيشون مناخ الاحتقان الطائفي.

يبقى القول بأن سماحة الشيخ حسن الصفار يمثل حالة خاصة ويجسد في الوقت نفسه المرجعية الدينية المنفتحة على غيرها من جهة، والمتسمة بقدر كبير من الحياد والموضوعية من جهة ثانية، وفي كل الأحوال، تظل مسألة التقارب بين قطبي الأمة، والمعادلة السياسية أيضاً، رهناً بالآليات العملية التي تعكس المبادئ النظرية المتفق عليها.

فمن عجائب الزمن أن ثمة تعالياً على القضايا وحين تسأل مرجعاً دينياً سنياً عن الخلاف بين السنة والشيعة يقول لك بمنتهى البساطة: إنه ليس ثمة خلاف!! في حين يؤكد سماحة الشيخ أن هناك بالفعل ممارسات تمييزية ضد الشيعة في المملكة وأن البدء في الحوار الوطني أمر يحمد للإرادة السياسية، لكن المطلوب، والحالة هذه، هو الخروج من نطاق النظر إلى العمل وحل المشكلات الموجودة إلى جانب تفعيل القواسم المشتركة.

وفي النهاية يبقى القول بأن مسألة التقارب بين قطبي الأمة، والمعادلة السياسية أيضاً، رهن بالآليات العملية التي تعكس المبادئ النظرية المتفق عليها.



حتى نحمي مؤسساتنا وأمننا الاجتماعي^(١)

عقيل بن ناجي المسكين

المخلصون لهذا الوطن ما يزالون يدفعون باتجاه الحفاظ على الحالة الوطنية واحترام مبادئ وقيم المجتمع المدني بمؤسساته وأفراده.. بمختلف أطيافه وتوجهاته.. حق لأي مثقف من مثقفي هذا الوطن الكبير أن يعتزّ بأمثال هؤلاء أنى وجدوا ومتى برزوا وظهّرت نتاجاتهم وفعاليتهم سواء على مسرح الواقع الاجتماعي أو مسرح النتاج الثقافي أو الفكري أو الأدبي؛ لأنهم من جنود هذا الوطن الذين يدافعون عن وحدته وتضامن جميع أفراده مع قيادته الرشيدة، وحقّ لنا أيضًا أن نشكرهم على ما قدّموه من النصيح والإرشاد، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، فهم بلا شك من الذين قدّموا الكثير لحماية مؤسساتنا بمختلف أنشطتها الاجتماعية خصوصًا تلك التي تربط المجتمع بمنظومة المُثُل والمبادئ والقيم والأخلاق التي نص عليها ديننا الإسلامي، وهي من مصاديق شهادة التوحيد التي يرفرف بها علم بلادنا العزيزة ووطننا الكريم، ولست هنا بصدد ذكر أسماء هؤلاء الأوفياء فهم كثر، وقد مضى العديد منهم إلى سبيل ربه، وبقي من جيل الآباء منهم العديد ونسأل الله أن يطيل أعمارهم وأن يبارك لنا فيهم، كما يوجد في ساحتنا العديد من أبناء هذا الوطن من الجيل الحالي، ناهيك عن العديد ممن هم في مقتبل العمر ويحملون أفكارًا تنويرية تصب في ذات الأهداف النبيلة والغايات السامية لهذا الوطن العزيز.

(١) صحيفة اليوم الصادرة يوم الأربعاء ١٤/١١/١٤٢٩ هـ الموافق ١٢/١١/٢٠٠٨ م، العدد ١٢٩٣٤.

ومن الشموع المضيئة التي تستحق الالتفات إليها لما تقدّمه من إضاءة على الدرب لترشد السالكين للبناء بالحبّ والعمل الصالح، ما قدّمه الشيخ حسن الصفار في أحد كتبه الجديدة الصادرة عن دار أطيف للنشر والتوزيع بالقطيف وهو كتاب بعنوان (المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي)، وهو من القطع المتوسط ويتكون من ٤٠ صفحة.

وقد تناول فيه الكاتب بعد المقدمة عدة موضوعات بدأها بالمؤسسات الأهلية من حيث كونها قوة للمجتمع. فبدون المؤسسات الأهلية من جمعيات خيرية، ومراكز خدمة المجتمع، وأندية رياضية واجتماعية وثقافية، وأندية أدبية، وجمعيات للثقافة والفنون، وغيرها، بدون كل تلك المؤسسات لا يمكن ربط أفراد المجتمع ببعضهم بعضًا والصعود بالكفاءات وتنمية المواهب والطاقات.

ثم تطرق الشيخ الصفار إلى دور هذه المؤسسات في أمن المجتمع؛ لأنها توجّه جيل الشباب إلى ما ينميهم ويبني شخصياتهم إلى الخير دائماً، وبالتالي تقضي على حالة الفراغ المؤدّي إلى أحابيل الشيطان ودروبه، كما تطرق إلى اختلال الأمن الاجتماعي وأسبابه، وأورد الكاتب بعضًا من عوائق الدور الأهلي في الحفاظ على أمنه الاجتماعي مثل الاتكال على الدولة. فالدولة أيضًا تتكون من مؤسسات وأفراد، ولا تقوم الدولة إلا بتطبيق الأنظمة والقوانين، وقوام هذه الأنظمة والقوانين هو التزام هؤلاء الأفراد من موظفين بالتطبيق على مستوى الواقع، ولا ننسى أن جميع أفراد الدولة هم من المواطنين أيضًا وكلهم جنود لهذا الوطن. كما تطرق الكاتب إلى تشريع العمل الأهلي والقيود الحكومية عليه لما فيه المصلحة العامة للجميع، ثم تحدث الكاتب عن المجتمع وتحمل المسؤولية.

وفي القسم الثاني من الكتاب تحدث الكاتب عن أهمية حماية الأسرة ومواجهة الفقر، واحتضان الشباب، وتعزيز الأمن الفكري والأخلاقي، وكلّ هذه الموضوعات جديرة بالاهتمام وجديرة بالبحث والمناقشة والإثارة، وهي من الموضوعات التي ينبغي لشبابنا وشاباتنا أن تكون محورًا لأحاديثهم وحواراتهم، وبذلك نحتمي مؤسساتنا الأهلية وأمننا الاجتماعي بدءًا بجواهر المجتمع من هذا الجيل الصاعد.



افتتح «منتدى سيهات الثقافي»

الصفار: الأمن الاجتماعي
مسؤولية الدول
والمؤسسات الأهلية^(١)

القطيف - منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار أن الأمن الاجتماعي يناط بمسؤولية الدول بالدرجة الأولى، مستدرّكاً «أنها لا تتمكن منفردة من تحقيق ذلك»، وأشار في الندوة الأولى لـ «منتدى سيهات الثقافي» في مدينة سيهات بمحافظة القطيف إلى أهمية إنشاء مراكز دراسة وبحث مهمتها التركيز على الأمن في المنطقة.

داعياً لضرورة بلورة نمط جديد من الأدوار للمؤسسات الأهلية تضاف إلى ما هو موجود من أدوار تقليدية، مؤكداً على تخريج كوادر في المجتمع تهتم بقضايا الفكر والثقافة، وأضاف «ينبغي بيان دور المؤسسات الأهلية في حماية المجتمع وتحسينه بالمفاهيم السليمة، والبحث عن الطرق والسبل التي تحقق هذا الأمن وإيجاد الحلول لبعض المعوقات».

والندوة التي أقيمت مساء (الجمعة) تناولت فقراتها المؤسسات الأهلية وحماية الأمن الاجتماعي، إذ داخل فيها مثقفون من المحافظة، كما تنوعت فيها الأفكار والأطروحات طبقاً لمعارف وقدرات كل شخص. من جانبه حث صاحب المنتدى

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الأحد ١٤ رمضان ١٤٢٩ هـ الموافق ١٤ سبتمبر ٢٠٠٨ م، العدد ١٤٦٩٢.

كمال المزعل في كلمة ألقاها على ضرورة العلم والتعلم، مبيِّناً أهداف ومهام المنتدى التي تُعدّ الثقافة من أهمها، موضحاً أنّ المنتدى سيقوم بطرح مواضيع مختلفة تهتمّ المجتمع، تشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والرياضية. ويُعدّ منتدى سيهات الثقافي الذي سيعقد جلسته في شكل شهري أول منتدى ثقافي في المدينة، وهو منتدى تقوم عليه مجموعة من مثقفي المدينة.



الصفار ينتقد التطرف ويدعو لتعزيز الحوار الداخلي^(١)

القطيف - منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار في حديث له على ضرورة سنّ أنظمة وتشريعات رسمية تجرّم «إثارة الفتنة والتحريض على الكراهية»، وأضاف «ينبغي أن تدان كلّ التصرفات التي تصدر لتنال من طوائف وفئات الشعب السعودي».

والصفار الذي تحدث مساء أول من أمس (الجمعة) رأى أن دعوات التشدد الفكري والديني التي تصدر بين الحين والآخر تدخل البلاد في مأزق إن لم تعالج عن طريق سنّ القوانين التي تجرّم هذه الأعمال التي تنبذها قيادات البلاد.

وقال: «إنّ الأصوات المتطرفة لن تنتهي»، معللاً ذلك بـ «عمق جذورها». وأضاف «إنّ أسباب التطرف التي نراها في بعض الممتنمين للمذاهب الإسلامية تأتي من طريق ثقافة سلبية وفهم خاطئ، أو لوجود مصالح ومآرب شخصية، أو لأنها تتغذى من جهات خارجية أو داخلية تهدف لتمزيق صفوف المجتمع السعودي». وحذّر الصفار من مواجهة التطرف بـ «التطرف»، لأنّ ذلك يدخل البلاد ومجتمعها الكبير في أزمة مجتمعية لا تحمد عقباها، داعياً إلى انتهاج سلوك عقلاني في مواجهة موجات التطرف التي تخرج بين الحين والآخر، وأضاف «علينا أن نفضح هذه التوجّهات البغيضة»، مشدداً على ضرورة بثّ ثقافة الوحدة الوطنية بين أفراد المجتمع الذي يجب أن يكون متسامحاً ومتواصلاً ليفهم الجمع بعضهم.

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الأحد ١١ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ١٥ يونيو ٢٠٠٨م، العدد ١٤٦٠١.



تلقى تعازي الأمراء والمسؤولين
في المنطقة الشرقية

الشيخ الصفار يعرب عن
شكره لخدم الحرمين:
الملك عبدالله يشارك
المواطنين أفراحهم
وأتراحهم^(١)

القطيف - منير النمر

عبّر الشيخ حسن الصفار عن جزيل شكره لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي اتصل به معزياً السبت الماضي، وقال الصفار: «إنّ الاتصال الهاتفي الذي قام به خادم الحرمين الشريفين خفّف عنا مصابنا».

وأشار الصفار إلى أنّ هذه البادرة تأتي منسجمة مع اهتمام خادم الحرمين الشريفين بمواطنيه، مضيفاً «إنّ الملك يشارك المواطنين في أفراحهم وأتراحهم»، داعياً له بـ «التأييد والتسديد لخدمة الإسلام والأمة وحماية الوطن وتقدمه»، مؤكداً أنّ الاتصال خفّف من مصابه ومصاب أسرة الصفار لحدّ كبير.

وقدّم الصفار جزيل شكره إلى سمو وزير الداخلية وسمو أمير المنطقة الشرقية ومساعد وزير الداخلية للشؤون الأمنية الأمير محمد بن نايف، وإلى سمو سفير خادم الحرمين في أسبانيا، وإلى الأمير مشعل بن محمد بن سعود بن عبدالعزيز، وأصحاب

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الاثنين ٤ صفر ١٤٢٩ هـ الموافق ١١ فبراير ٢٠٠٨ م، العدد ١٤٤٧٦.

السمو الملكي الأمراء وأصحاب المعالي والسعادة على تعازيهم ومواساتهم، داعياً لهم بالخير والتوفيق لخدمة الوطن.

ويشهد مجلس الشيخ حسن الصفار توافد شخصيات رسمية واجتماعية كبيرة جاءت معزية إياه في وفاة الأديب موسى الصفار (٨٥ عاماً)، إذ زاره سمو نائب أمير المنطقة الشرقية الأمير جلوي بن عبدالعزيز بن مساعد ونقل تعازي خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد وسمو وزير الداخلية وتعازي سمو أمير المنطقة الشرقية.

كما توافد عدد من مديري القطاعات الحكومية في المنطقة الشرقية، منهم مدير الدفاع المدني اللواء حامد الجعيد، ومدير شرطة المنطقة الشرقية اللواء محمد الكلثم، وأمين المنطقة الشرقية المهندس ضيف الله العتيبي، ومدير التربية والتعليم الدكتور عبدالرحمن المديرس، ومدير جمعية المتقاعدين عبدالله المغاس، إضافة لنائب مدير الدفاع المدني العميد ناصر الغامدي، ومدير الدفاع المدني في محافظة القطيف العقيد سعيد المالحي.

كما زاره قضاة من محكمة القطيف العامة، ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المحافظة، إضافة لعدد من مسؤولي المؤسسات الحكومية.



قراءة في كتاب (الحوار والانفتاح على الآخر) للشيخ الصفار^(١)

تشهد الأمة الإسلامية تذبذبًا في علاقات أبنائها، فمرحلة لقاء، ومرحلة جفاء، ومجتمع متآخ، وآخر متناحر! من هنا كان لا بد من التقريب بين أتباع المذاهب كما يؤكد على ذلك الكاتب في مواطن عدة.

ففي هذا الأمر تعزيز وحدة الأمة، وألا نترك مساحة يعبث بها المتطرفون والغلاة الذين كان لهم دور في عرقلة مشروع دار التقريب في مصر.

الأعوام التي سبقت عام ١٤٠٠ هـ مثلاً، كانت المنطقة تعيش حالة من الانفتاح وتقبل الآخر، لم يكن اختلاف المذاهب والأطراف مانع من التلاقي والتواصل، وهناك شواهد كثيرة على ذلك كما يشهد بذلك آباؤنا وأجدادنا.

إلا أن ظهور تيار ذي فكر أحادي يرى منهجه الصواب وغيره في كفر وضلال، ولا يقبل رأي الآخر، ويرميه بشتى أنواع التهم، تيار أصبح له نفوذ رسمي وشعبية كبيرة أدى إلى وجود حالة القطيعة. وتضافر مع هذا الأمر الظروف السياسية التي جرّت المنطقة إلى حرب طويلة كان طرفاها سنيًا وشيعيًا أدى ذلك إلى تبادل التهم، والتراشق بالسباب والشتائم، وحصر الدين لجهة معينة، وإخراج ما سواها منه!

ولأن الفكر الديني الرسمي أحادي لا يقبل التعدد، جاءت مناهج التعليم على

(١) وكالة الأنباء القرآنية.

نفس السياق، معتمدة في نهجها التلقين، كذلك برز خطاب ديني متطرف يدعو إلى القطيعة وتتبع العثرات، وتغلغل هذا الأمر في الفكر الاجتماعي فصار التواصل مع الآخر خيانة للجماعة وانعدام الولاء.

وازداد الأمر حدة بتقبل الحكومات لهذا الفكر المتطرف وتبنيّه، مما أدى إلى جفاء بينها وبين شعوبها، بسبب التمييز بينهم، وسلب حقوق المخالف.

ولكن رغم كل هذا، كانت هناك أصوات عاقلة، إسلامية وطنية، تقدّر حجم خطورة هذا الأمر، وتدعو إلى التراجع عنه، مؤمنة بالتعددية والحرية، فتنادي بالتعايش مع الآخر، والانفتاح عليه، والتحاور معه، فهذا منطق العقل، وطبيعة إنسانية، ومطلب ديني.

كانت هناك كتابات واعية، وخطابات رزينة، ومشاريع واعية، كدار التقريب بين المذاهب في مصر، ورغم ما اعترض هذا الصوت المتعقل من مخاطر ومحاولات لتغييبه بشتى الوسائل، إلا أن صدهاء في الأرجاء ما زال مدويًا.

واليوم نحن نشهد حربًا ضدّ الإسلام ترميه بالإرهاب والتطرف، وتتهمه بتغييب دور العقل! ونحن نعلم أنّ الإسلام بريء من كل ذلك، إلا أنّ الفهم الخاطئ للدين ونصوصه من قبل بعض من ينتسبون إليه هو من صبغ الإسلام بهذه الصبغة السيئة.

أصبحت الأخطار تحدق بنا من كل صوب، لذا نحن بحاجة إلى أن نفتح على بعضنا أكثر، ونتحاور ونناقش أمورنا وقضايانا الهامة لتتعارف ويقبل كل منا الآخر لنحمي ديننا ووطننا، ونكون قوة لا نقهر.

وقد تميّز الكتاب بأن كاتبه خطيب مصقع، ومؤلف مبدع، ورائد من رواد الإصلاح في المجتمع، فهو ذو خبرة وتجربة.

خطبه في هذا الجانب كثيرة، وكتبه القيمة كذلك، ومنها: (التعددية والحرية في الإسلام - بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب)، (التنوع والتعايش)، (السلم



الاجتماعي مقوماته وحمائته)، (نحو علاقة أفضل بين الشيعة والسلفيين).
 كما أن له مشاركات عديدة في كثير من المؤتمرات والندوات في هذا الصدد، وفي
 كثير من الدول، كإيران، ولبنان، والبحرين، والسعودية.
 لذا تجده في هذا الكتاب قد تناول الموضوع من كل جوانبه، واضعاً جلّ تجربته
 فيه، فلم يعتمد على إشباع الكتاب بتجارب وآراء الآخرين.
 انطلق بفكرة الكتاب إلى فضاءات رحبة، قد لا تخطر ببال القارئ تناولها هنا،
 كالعناوين التالية مثلاً (منطلقات التجديد)، (روح التجديد)، (التدين والتعقل)،
 وبعضها قلّ أن تناولها غيره، ولربما لم يتناولها أحد (كالغرور الديني).
 كتاب صغير في حجمه، كبير وعميق بما احتواه، من أهمية الفكرة، وحسن العرض
 والبحث، وهو لذلك جدير أن يقرأ، ولأن كاتبه من رجال الدين، والمفكرين
 الإسلاميين الذين يطابق قولهم عملهم، فإنك تحس بصدق الكلمة ودفئها، في كلّ
 ما سطر.

كتاب يبشر بثقافة الحوار، وأهمية الانفتاح على الآخر.

طبع طبعته الأولى عام ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، دار الهادي، بيروت، في ١٩٢ صفحة
 من القطع الكبير، صدر ضمن سلسلة قضايا إسلامية معاصرة الذي يصدره مركز
 دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد بالتعاون مع دار الهادي للطباعة والنشر
 والتوزيع.

وقد قدّم له الدكتور الشيخ عبد الجبار الرفاعي رئيس تحرير مجلة قضايا إسلامية
 معاصرة، متحدثاً عن طغيان ظاهرة ثقافة العنف في الاجتماع العربي الإسلامي، وأن
 الصوت الداعي لنفي الآخر واستئصاله هو الغالب، حيث تلمس أصحابه مختلف
 الذرائع لبلوغ أهدافهم، وفي المقابل هناك أصوات عقلانية تدعو إلى التعايش واحترام
 الآخر، إلا أنها قليلة، ولا تجد من يساعد على إشاعتها بل عادة ما تواجه التخوين،

وسلب المشروعية، وتأجيج الجماهير ضدها.

مؤكداً أنّ واحداً من أصحاب هذه الأصوات العقلانية التي تبشر بنشر ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر سماحة العلامة الشيخ حسن الصفار، وهو صاحب تجربة، والكتاب الذي بين أيدينا يمثل مجموعة مساهمات للعلامة الصفار، وخلاصة تجارب عملية متنوعة في التفاهم، والحلقات النقاشية، وغرف الحوار، والمنتديات الثقافية، والمؤسسات الاجتماعية، مع أطراف عديدة. وتكمن أهمية هذه التجارب في أنّها حاولت أن تفتح الممنوع، وتتجاوز النزاعات التكفيرية لدى بعض الجماعات الأصولية والسلفية، المنغلقة والمنكفئة على نفسها.

وجاءت الطبعة الثانية عام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م في حلة جديدة، مطبوعات دار التآخي، دمشق، في ٢٤٨ صفحة من القطع المتوسط.

وقال عنه الناشر ما ملخصه: في الوقت الذي ترتفع فيه أصوات نشاز تدعو للفرقة والقطيعة، وتبشر بصراع الحضارات، وتعمل على إلغاء الآخر، وترى في ذاتها المحق الوحيد، وخطأ غيرها، وتنسب أعمالها للدين القويم، وهو بريء منها، في مثل هذه الأجواء تشتد الحاجة إلى الأصوات العقلانية، التي تحاور الآخر وتعترف به، وترعى حقوقه وحرمة.



فقيد القطيف^(١)

فقدت القطيف اليوم بل الوطن كله الأستاذ عبدالله الجشبي، الذي كان رمزاً من رموز ثقافتنا الأدبية المعاصرة، لقد كان رحمه الله من الأدباء الرواد الذين طوروا مضمون القصيدة الشعرية ووظفوه في خدمة القضايا الوطنية والإنسانية.

وقد أخذ موقعه في ساحة العمل الاجتماعي السياسي من أجل التغيير والتطوير على المستوى الوطني، وكان حرّ التفكير، واسع الثقافة والاطّلاع، منفتحاً في علاقاته يتواصل مع الجميع مهما اختلف معهم في الرأي السياسي والثقافي.

وكان يقدّس حرية الرأي، ويحترم اختيارات الآخرين، ويتعد عن كلّ ما يجرح مشاعر الآخرين أو يسيء لهم.

لقد فقدنا به قيمة أدبية ورمزاً وطنياً، أسأل الله له المغفرة والرحمة وأن يُلهم ذويه الصبر والسلوان.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

(١) جريدة الجزيرة الصادرة يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ الموافق ١١ مارس ٢٠٠٨ م، العدد ١٢٩٤٨.



قال إن تعريف الآخر بالهوية يُعدّ
مسؤولية ذاتية

الصفار يثني على
مبادرة المليك في
عقد مؤتمر الحوار^(١)

جعفر تركي - القطيف

أكّد الشيخ حسن موسى الصفار أنّ مدّ جسور التواصل خيار الأمة الوحيد لإزالة ترسّبات الماضي مثنياً على مبادرة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لعقد مؤتمر مكة للحوار الإسلامي العالمي، الذي كشف عن وجود صورة مشوّشة لدى كلّ طرف من الأطراف الإسلامية عن الآخر، مما يؤكّد أهمية وضرورة التلاقي والحوار.

وعلى صعيد التعريف بالذات الجمعية قال الصفار: إنّنا غالباً ما نُحمّل الآخرين مسؤولية التعرف علينا، في حين أنّ مسؤولية تعريف الآخر بالهوية الذاتية هي مسؤولية ذاتية قبل أن تكون مسؤولية ملقاة على الطرف الآخر.

وأشار إلى أنّ الحوار يُمثل حلاً أساسياً تجاه الواقع الذي تعيشه المذاهب الإسلامية من حالة القطيعة وعدم وضوح صورة الطرف المخالف، مبيّناً استنكاره لحالة الصراع والصدام مؤكّداً أنّها خيارٌ يضرّ الجميع، وقد كانت التجارب السابقة خير دليل على سوء هذا الخيار.

(١) جريدة اليوم الصادرة يوم ٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ١٠ يونيو ٢٠٠٨م، العدد ١٢٧٧٩.

وبالنسبة لمن يستعجل النتائج يؤكد الشيخ الصقّار لهم بأن القطيعة والتعبئة المضادة المتبادلة لأكثر من (١٤) قرناً من الزمن ليس من السهل إزالتها بين عشية وضحاها، إنها بحاجة لبذل الجهد المكثّف حتى تتقلّص شيئاً فشيئاً، مؤكّداً أنّ الأحداث والوقائع التي تجري تؤكّد أنّ آثار الحقب الماضية ما زالت شديدة وستترك مضاعفات سلبية كبيرة إذا لم تتجه الأمة باتجاه الحوار والتلاقي لتوضيح الصورة للأطراف الأخرى.





طالب القيادات الدينية بعدم الانشغال
بالتبشير الطائفي

الصفار يخالف القرضاوي
ويرفض التنكر لدوره^(١)

الرياض: عضوان الأحمري

طالب المرجع الشيعي الشيخ حسن الصفار القيادات السنية والشيعية بعدم الانشغال بقضية التبشير الطائفي وترك الأحداث المهمة التي تحيط بالامة. وقال الشيخ الصفار لـ «الوطن» في معرض تعليقه على تصريح الداعية الدكتور يوسف القرضاوي بشأن محاولات الاختراق الشيعي للمجتمعات السنية إنه يخالفه في بعض ما ورد في تصريحه، لكنه يرفض الإساءة لمقامه والتنكر لجهوده في خدمة الإسلام والامة.

وأضاف الشيخ الصفار قائلاً إنَّ الأجواء في ساحة الأمة تتلبّد فيها غيوم طائفية وشيء من الاحتقان المذهبي على خلفية الصراعات السياسية في العراق ولبنان، ومن ثم أدعو نفسي وجميع القيادات الدينية من السنة والشيعية إلى الانتباه للتحديات التي تواجه الأمة.

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الثلاثاء ٢٣ رمضان ١٤٢٩هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٨م، العدد (٢٩١٦).

مستنكرًا للإساءة من بعض الشيعة المتطرفين لعرض الرسول الكريم وأم
المؤمنين عائشة

الشيخ الصفار: اجتماع لندن «المشيين والبعيضي» لا يعبر عن شيعة أهل البيت^(١)

ندّد الشيخ حسن الصفار «بالحفل المشيين» الذي أقامته جماعات شيعية متطرفة
وتعرضت فيه بالإساءة الى عرض رسول الله ﷺ، والنيل من أمّ المؤمنين عائشة،
ووصفه بالعمل المشبوه والقبیح وهو انتهاك لحرمة رسول الله الكريم، وإثارة
لمشاعر المسلمين، وتأجيج للضغائن والأحقاد.

وأشاد الشيخ الصفار في تصريح لـ «الرياض» بالمواقف والتصريحات التي
صدرت عن مؤسسات وشخصيات شيعية في المملكة وعدد من البلدان تعلن
الرفض والاستنكار لهذا العمل البغيض.

وقد أصدر المجمع العالمي لأهل البيت، الذي يضمّ مئات العلماء والمفكرين
الشيعة من مختلف أنحاء العالم بيانًا شديد اللهجة دان فيه هتك مقام رسول الله ﷺ،
والتعرض لحرمة الشريف، والإساءة لعرضه الطاهر، وتوجيه التهم غير اللائقة
لبعض زوجات الرسول الكريم. وأكد أنّ هؤلاء الأشخاص لا يمثلون شيعة أهل
البيت، ويناشد المراجع والمؤسسات الشيعية والمفكرين للتنديد بهذه التصريحات
الباطلة.

ودعا الشيخ الصفار «الواعين المخلصين من قيادات الأمة إلى محاصرة التطرف

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الأحد ٣ شوال ١٤٣١ هـ الموافق ١٢ سبتمبر ٢٠١٠م، العدد ١٥٤٢٠.

والتعصب المذهبي»، وقال: «علينا ألا نقدم للمتطرفين فرص النجاح في تحقيق أغراضهم، بالوقوع في فخ الفتنة، فهم لا يمثلون إلا أنفسهم الشريرة، ولا يعبرون عن طوائفهم ومذاهبهم».

الصفار لـ «الوطن»: المذهب الشيعي بريء من المسيئين لأم المؤمنين^(١)

الدام: حامد الشهري

برأ الشيخ حسن الصفار المذهب الشيعي من أية مسؤولية تصدر عن متعصبيين أو متشددين شيعة في حقّ أمّ المؤمنين السيدة عائشة وغيرها من زوجات النبي رضي الله عنهنّ.

ووصف الصفار الحفل الذي أقامه متشدّدون شيعة في العاصمة البريطانية لندن وتضمن الإساءة إلى عرض رسول الله والنيل من أمّ المؤمنين عائشة، بأنه «مشبوه في غاية القبح والمهانة، وهو انتهاك لحرمة رسول الله، وإثارة لمشاعر المسلمين، وتأجيج للضغائن والأحقاد».

ورفض في تصريح إلى «الوطن» التوجهات التعصبية المتطرفة، محملاً إياها مسؤولية «إشغال ساحة الأمة بالفتن والصراعات المذهبية. وناشد المراجع والمؤسسات الشيعية والمفكرين التنديد بهذه الأفعال الباطلة، منوهاً، في الوقت ذاته، «بالمواقف والتصريحات التي صدرت من مؤسسات وشخصيات شيعية في المملكة وعدد من البلدان تعلن الرفض والاستنكار لهذا العمل البغيض».

أكّد الشيخ حسن الصفار براءة المذهب الشيعي من أية مسؤولية تصدر عن متعصبيين أو متشددين شيعة في حقّ أمّ المؤمنين السيدة عائشة وغيرها من زوجات النبي رضي الله

(١) جريدة الوطن الصادرة يوم الأحد ٣ شوال ١٤٣١هـ الموافق ١٢ سبتمبر ٢٠١٠م العدد ٣٦٣٥.

عنهن». ورفض الصفار في تصريح إلى «الوطن» التوجّهات التعصبية المتطرفة، محملاً إياها مسؤولية «إشغال ساحة الأمة بالفتن والصراعات المذهبية».

ووصف الحفل الذي أقامه متشدّدون شيعة في العاصمة البريطانية لندن وتضمّن الإساءة إلى عرض رسول الله والنيل من أمّ المؤمنين عائشة، بأنه «مشبوه في غاية القبح والمهانة، وهو انتهاك لحرمة رسول الله ﷺ، وإثارة لمشاعر المسلمين، وتأجيج للضغائن والأحقاد».

وأضاف أن «الأشخاص الذين ارتكبوا هذه الإساءات لا يمثلون شيعة أهل البيت»، وناشد المراجع والمؤسسات الشيعية والمفكرين التنديد بهذه الأفعال الباطلة، منوهاً، في الوقت ذاته، «بالمواقف والتصريحات التي صدرت من مؤسسات وشخصيات شيعة في المملكة وعدد من البلدان تعلن الرفض والاستنكار لهذا العمل البغيض».

وكان المجمع العالمي لأهل البيت الذي يضمّ مئات العلماء والمفكرين الشيعة من مختلف أنحاء العالم قد أصدر بياناً شديداً للهجة أدان فيه هتك مقام رسول الله ﷺ، والتعرض لحرمة الشريف، والإساءة لعرضه الطاهر، وتوجيه التّهم غير اللائقة لبعض زوجات النبي صلى ﷺ. وأكد الشيخ الصفار أنّ حقّ الاختلاف في تقويم الأحداث والشخصيات التاريخية لا يبرّر الإساءة للمقدسات والرموز المحترمة عند أتباع المذاهب الإسلامية، مضيفاً أنّ هناك إصراراً من التوجّهات التعصبية المتطرفة على إشغال ساحة الأمة بالفتن والصراعات المذهبية.

وطالب الصفار الواعين المخلصين من قيادات الأمة بمحاصرة التطرف والتعصّب المذهبي، وعدم السكوت والتزام الصمت تجاه التكفير لبعض طوائف المسلمين والتحريض عليهم والدعاء عليهم بالهلاك، مشيراً إلى أنّ هذا التحريض هو الذي يصنع تبريراً وتشجيعاً لأعمال العنف وسفك الدماء بين المسلمين، كما حصل في التفجيرات الأخيرة أيام شهر رمضان المبارك في باكستان، التي استهدفت تجمّعات دينية شيعة ذهب ضحيتها مئات القتلى والجرحى، وعلينا ألاّ نقدّم للمتطرّفين فرص النجاح في تحقيق أغراضهم، بالوقوع في فخّ الفتنة، فهم لا يمثلون إلاّ أنفسهم الشريرة، ولا يعبرون عن طوائفهم ومذاهبهم».



تشديد على رفض الطائفية في لقاء سني - شيعي بالرياض^(١)

شهدت العاصمة السعودية الرياض مساء الثلاثاء الماضي انعقاد لقاء سُني شيعي موسَّع هو الأول من نوعه جمع العشرات من الشخصيات الدينية والنشطاء والأكاديميين السعوديين من الطرفين.

وشارك في اللقاء الذي اتَّسم بأجواء من الصراحة والشفافية بحسب المشاركين عدد من أبرز رجال الدين الشيعة والسنة.

من الجانب السني كان هناك صاحب الدعوة الشيخ عبدالرحمن المحرج والقاضي بالمحكمة الكبرى بمكة المكرمة الشيخ هاني الجبير والشيخ حمد المهيزعي والدكتور محمد الهرفي.

فيما كان الشيخ حسن الصفار والشيخ علي المحسن والشيخ يوسف المهدي على رأس المشاركين الشيعة.

حضور اللقاء الأوسع وغير المسبوق على مستوى اللقاءات السنوية الشيعية في السعودية تنوعوا مناطقياً بين الرياض والقطيف والأحساء والدمام والقصيم ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

(١) جريدة شمس، الصادرة يوم ٥/٦/٢٠٠٩م، العدد ١٢٤١.

وافتح اللقاء الذي انعقد بإحدى استراحات الرياض بتعارف الحضور الذي قدر بأكثر من ٦٠ شخصية من الطرفين ثم كلمتين للشيخ الصفار والشيخ المحرج. وشدّد الصفار في كلمته على أهمية تجاوز النزاعات المذهبية، وعدم الانجراف وراء المهاترات العقديّة وعقلية تصيد كل طرف لأخطاء الطرف الآخر.

فيما دعا المحرج إلى تعزيز العلاقة بين أطراف الوطن، وإلى تجاوز محاولات قطع الجسور بين السنة والشيعة في السعودية التي تعمل عليها جهات متطرفة على الجانبين.

وكان من أبرز المحاور التي شدّد عليها العديد من المشاركين رفض الطائفية وعدم تكفير أتباع المذاهب الأخرى واحترام الرموز الدينية الكبيرة لدى مختلف الأطراف وتجنّب الإساءة لها.

وكان ضمن المشاركين من الجانب الشيعي الدكتور جمال الزاير، سعيد الحبابي، سعيد العمير، منسي حسون، محمد الشيوخ، صادق الرمضان، فؤاد نصر الله، علي البحراني ومطر النجدي.

يشار إلى أنّ اللقاء الذي يُعدّ الأحدث ضمن سلسلة اللقاءات السنوية الشيعية في السعودية جاء في أعقاب مراسلات ولقاءات جرت أخيراً بين الشيخ الصفار والشيخ المحرج.





أضعف الإيمان - بين حسن الصفار والعريفي^(١)

داوود الشريان

قبل أسابيع ألقى الواعظ السعودي محمد العريفي خطبةً جرح فيها المرجع الشيعي آية الله علي السيستاني، وأحدثت هذه الخطبة ردود فعل غاضبة في السعودية وخارجها. وقبل أيام ردّ الشيخ حسن الصفار على كلام العريفي من على منبره في مدينة القطيف شرق السعودية، وقال: «أعتقد بأنّ هذا الشيخ وأمثاله لا يجروا أن يصف بهذه الصفات زعيم المسيحيين، لا يجروا أن يصف البابا بهذه الصفات، ونحن لا نقبل طبعاً بأنّ يصف البابا بهذه الصفات، لكنه لا يتجرأ أن يصف زعيم المسيحيين ولا زعيم الديانة اليهودية، ولا زعيم البوذيين، ولا زعيم أيّ من الديانات.

قبل سنوات نشرت كاتبة في جريدة الرياض مقالاً فيه نوع من الإساءة الى الديانة اليهودية أو اليهود من الناحية الدينية، صارت ضجة، واضطرت الرياض لنشر مقال اعتذار عن ذلك المقال والكلمة. هذا مع الآخرين، وتجاه مرجعية شيعة، يتحدث هذا (العريفي) في خطبة جمعة وخطابه ينتشر، ولا اعتذار ولا كلام، وكأنّ الموضوع مقبول من الجميع. إن شاء الله هذا غير مقبول، إن شاء الله هذا تصرف فردي وشخصي، لكن

(١) جريدة الحياة الخميس ٢٨ يناير ٢٠١٠م.

المطلوب أن يكون هناك اعتذار، والمطلوب أن يكون هناك ردّ، المطلوب أن يكون هناك توضيح؛ لأنّ في هذا إساءة الى طائفة كبيرة من المسلمين».

الشيخ الصفار أثار قضيتين مهمتين في خطبته، الأولى: أنه كان على الجهة التي يعمل لديها العريفي أن تصدر اعتذاراً للمواطنين السعوديين الذين مسّت مشاعرهم خطبته. فهو ألقى الخطبة المسيئة من على منبر الجمعة، ومنابر الجمعة تتبع لوزارة الشؤون الإسلامية، وترك الخطبة تمضي من دون توضيح واعتذار، يعني أنّ منابر الجمعة في البلد أصبحت تعبيراً شخصياً عن الخطباء، وهذه قضية خطيرة، تحتاج معاودة نظر، فضلاً عن أنّ هذه المنابر ينبغي أن تبتعد عن التجريح والشحن المذهبي والطائفي، وتمتنع عن زجّ الدين في السياسة، وتستثمرها لإشاعة الاعتدال والتعايش والوفاق، وتأكيد وحدة البلد.

القضية الأخرى التي أثارها كلام الشيخ حسن الصفار هي أنّ الخطاب الإسلامي تجاوز، في السنوات الأخيرة، وإلى حدّ بعيد، التعرض للأديان الأخرى السماوية، لكنه ما زال متمسكاً بالشحن المذهبي، بل إنّ الخطباء والوعّاظ المتطرفين من الجانبين ساهموا في تأجيج الفتنة المذهبية بين المسلمين، وسخروا الخطاب الديني لإشاعة حال من الكراهية بين أبناء البلد الواحد، ولا بُدّ من وضع حدّ لهذا النزق.



الإمام الحسين بين الشيخين: الهاشم والصفار^(١)

محمد علي الهرفي

شاء الله أن أستمع ومن دون قصد إلى كل من الشيخ حسن الصفار والشيخ أحمد الهاشم، وكل منهما كان يتحدث عن الإمام الحسين ومقتله وطبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين السنة والشيعة...

الشيخ حسن الصفار - لمن لا يعرفه - من علماء الشيعة البارزين في السعودية ومقيم في القطيف وله جهود كبيرة، علمية واجتماعية وقد أخذ على عاتقه الدعوة إلى التقارب بين السنة والشيعة وبذل - ولا يزال - جهوداً طيبة في هذا المجال.

أما الشيخ أحمد الهاشم - لمن لا يعرفه - فهو واحد من أشهر خطباء الجمعة في محافظة الأحساء ومسؤول عن مكتب الدعوة فيها وله جهود طيبة في مجال الدعوة.

الشيخ الصفار كان يلقي درساً في اليوم السابع من أيام محرم وكان محور الحديث يدور حول التقارب بين أبناء البلد الواحد وأهمية الانفتاح على الجميع ليفهم بعضنا بعضاً؛ لأنّ هذا الفهم هو بداية الطريق الصحيح للتقارب الحقيقي الذي يولد القوة والتلاحم بين جميع أبناء الوطن على اختلاف توجهاتهم الفكرية.

من الأشياء التي حرص الشيخ الصفار على إيضاحها أن هناك سوء فهم متبادلاً بين

(١) صحيفة الوسط البحرينية الصادرة يوم الثلاثاء ٢٣ / ١ / ٢٠٠٨م الموافق ١٣ محرم ١٤٢٩هـ العدد

الطرفين (سنة وشيعة)، وهذا يكرّس للفرقة والاختلاف الذي يصل إلى حدّ تكفير كلّ طائفة الأخرى.

وقد حرص الشيخ على ذكر بعض الأمثلة التي يسمّعها تتردد في أوساط بعض السنة مثل القول بوجود قرآن خاصّ بالشيعة، أو أن الرسالة نزلت - أساساً - للإمام عليّ بن أبي طالب وأن جبريل خان أماتته وأعطاهها للرسول، كما أشار إلى ما يطلق عليه «ليلة الطفية» التي يقول البعض إنها موجودة عند الشيعة ليلة العاشر من المحرم. أراد الشيخ في النهاية تأكيد أهمية التلاقي بين أبناء الطائفتين ليفهم كلّ منهم الآخر بصورة صحيحة؛ لأنّ هذا الفهم هو الذي يوجد التلاحم والقوة لكلّ أبناء المجتمع.

الشيخ أحمد الهاشم في خطبة الجمعة يوم ١٠ محرم تحدث في الخطبة بكاملها عن الإمام الحسين ومكانته العظيمة عند المسلمين وكذلك مكانة والده ووالدته - رضي الله عنهم - كما تحدث بإسهاب عن الأحاديث النبوية الواردة في فضل الحسين وأخيه الحسن - رضي الله عنهما - كما أشار كذلك إلى مكانة آل البيت جميعاً وكيف أن صلاة المسلم لا تصحّ إلا إذا قال في صلاته: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» وهذا كلّ مؤشّر إلى عظم مكانتهم في قلوب المسلمين.

وأشار الشيخ في خطبته إلى حادث كربلاء وفظاعته وكيف أنه أثر سلبيّاً على كلّ المسلمين...

وتحدث باختصار، كيف أن «البعض» يظنّ أن السنة لا يحبّون أهل البيت، وأن هذه نظرة خاطئة؛ فحب أهل البيت جزء من عقيدة أهل السنة، لكنه حبٌّ يميل إلى الاعتدال وهذه - كما يقول - عقيدة أهل السنة في آل البيت جميعاً.

الذي أود قوله - بعد أن اختصرت ما قاله الشيخان - إننا بحاجة ماسة إلى لغة الاعتدال ولغة العقل ولغة العلم، ونحن في أمسّ الحاجة إلى دعوة العامة وبعض أدعياء العلم إلى الابتعاد عن الغلو وتحميل الآخرين ما لا يحتملون.

هذه الحاجة التي يحتاجها مجتمعنا المسلم في كل أنحاء العالم الإسلامي لن يقوم بها إلا العلماء الحقيقيون والمثقفون العقلاء الذين يدركون أهمية الوحدة في حياتهم وحياة بلادهم، وأن هذه الوحدة هي السبيل الوحيد لحماية بلادهم من الاعتداء الخارجي أو التمزق الداخلي.

علينا أن ننظر إلى ما حدث ويحدث في باكستان والعراق من قتل مستمر بين أبناء الطائفتين - السنة والشيعة - وعلينا أن ننظر إلى الجدل العقيم والاتهامات المتبادلة بين الفئتين - أيضًا - في معظم الدول التي توجد فيها هاتان الطائفتان وكيف أن هذه الاتهامات المتبادلة أبعدت بعضهم عن البعض الآخر وأضعفتهم جميعًا.

إن ما يحدث في بلادنا يحتم على كل علمائنا - كما قلت - أن يبادروا إلى دعوة مريديهم وتلامذتهم إلى التقارب مع أصحاب المذهب الآخر، وعليهم أيضًا أن يتحدثوا معهم عن الشبه التي كانت - أو ما زالت - عالقة في أذهانهم عن الطرف الآخر، هذه الشبه التي يركز عليها أهلها في كراهية الآخرين مع أن معظمها متهافت لا يستند إلى دليل.

أعداؤنا يلعبون على خلافاتنا، ويستفيدون منها لصالحهم، والتاريخ كله يؤكد أن العدو أول ما يستفيد منه هو خلافات من يريد استغلالهم أو احتلالهم، ومن العيب أن نمكن أعداءنا منا بسبب خلافاتنا.

وأخيرًا... الشكر للشيخين على ما قدّماه ونحن في انتظار آخرين يعملون بكل طاقاتهم لمصلحة الأمة كلّها وليس لمصلحة طائفة وحدها...

في عقلانية الشيخ حسن الصفار واعتداليته^(١)

عبدالله السعدون

ثمة رجال دين مسلمون في الخليج يفرضون احترامهم ووقارهم العلمي الواثق على الجميع.. داخل طوائفهم أو مذاهبهم، وداخل طوائف أو مذاهب الآخرين، فضلاً عن أوساط سائر القوى والتيارات السياسية والثقافية الناشطة، الرسمية منها والمعارضة.. فضلاً عن القوى العلمانية، والأخرى المستقلة أو غير المؤطرة، التي يمكن تصنيفها من ضمن ما يسمى بحراك المجتمع المدني، والنخب أو الفئات الليبرالية، والحدائثوية والتنويرية، إلخ...

ومن رجال الدين هؤلاء، نذكر باحترام وتقدير الشيخ حسن الصفار، أحد رجال الدين الثقات من الطائفة الشيعية الكريمة في المملكة العربية السعودية، الذي طبقت شهرته الآفاق الخليجية والعربية والإسلامية كافة؛ نظراً لعقلانيته واعتداله، ووسطيته ومرونته ووطنيته وسعة صدره وخلاصاته الوازنة والراجحة في الحكم على التطورات المعقدة والملتبسة من حولنا هذه الأيام وبخاصة في الواقع الإسلامي الخليجي والعربي بشكل عام.

كان هذا الشيخ ولايزال، يخرج من كل عقدة شبه مستعصية، أو التباس شبه مغلق، بمزيد من نجاح التجاوز، والاستيعاب، وتحقيق رضا جميع المختلفين من حواليه. ومن

(١) صحيفة أوان، السبت ٢١/١١/٢٠٠٩م، العدد: ٧٢٨.

آخر إنجازات آرائه العقلانية المحترمة، موقفه من مسألة المتمردين الحوثيين، واختراقهم الحدود السعودية، وقتلهم وجرحهم لعدد من الجنود وحرس الحدود السعوديين، إذ دعا سماحته إلى دعم سياسة بلده المركزية هنا، والآيلة إلى الحفاظ على التراب الوطني السعودي، وصدّ أيّ عدوان عليه، ومنع أيّ لعب بالنار المذهبية، أو القبائلية هذه التي تشتعل - مع الأسف - في غير مكان من عالمننا العربي والإسلامي، ويراد لها أن تشمل هذه المرة منطقة جنوب الجزيرة العربية، ودول الخليج، انطلاقاً من الشقيقة الكبرى السعودية، فما يفعله الحوثيون يمكن أن يتحول، إذا لم يقطع دابره فوراً، إلى حرب تأخذ بالفعل طابع الفتنة الكبرى، بين أكبر بلدين في المنطقة: السعودية وإيران.. مع ما يستتبع ذلك من قسمة أكبر وأخطر مما هي عليه الآن لعالمنا العربي والإسلامي، الذي يكاد يكون هو المنطقة الوحيدة المشتعلة بالحروب دون سائر مناطق العالم.

إنّ موقف الشيخ الصفار ينطلق أولاً، من حرصه على تراب بلده، ومجمعه السعودي، واستطراداً على إسلامه، الذي لا يريد له مزيداً من التمزق والتخلع والحروب المستدامة.. تماماً كما يطبخون لذلك في الغرف الدولية السوداء، التي لا يهّمها من منطقتنا إلا تحقيق أمن إسرائيل وسيطرتها المطلقة على المنطقة بشرواتها وقراراتها السيادية والمستقبلية. ولن يتحقق لهم ذلك إلا بإثارة الفتن المذهبية بين المسلمين، ودفعهم دفعاً إلى التقاتل، وبأيّ ثمن، وتحت أيّ راية سياسية، أو شعار سياسي.. فكلّ شيء جاهز للفتنة.. من مال وسلاح وإعلام ومذكيات شتى، طالما أنّ الهدف واحد، وهو ضرب وتمزيق ديننا الحنيف، ومجتمعاتنا الآمنة، وبلداننا التي باتت اليوم مهددة عملياً لا نظرياً بتقسيمها إلى دويلات طائفية ومذهبية وإثنية لا يقرّ لها قرار.. وهذا الأمر بات واضحاً وضوح الشمس في رابعة النهار، ونشرته العديد من مراكز الأبحاث الإستراتيجية في الغرب والشرق على السواء.. وجربت ترجمته، وعملائاً على الأرض، (ولا تزال) قوى غربية بعينها، وبخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر.

إذاً ما يفعله الحوثيون يصبّ في خانة إذكاء الفتن، والتحريض على الاقتتال

المذهبي، وإن تحت شعارات تستجّر وراءها ما تستجره من تأييد من طوائف ومذاهب بحالها في اليمن وجواره.

نعم، شهادة الشيخ الصفار، تثنى هنا بامتياز، ولها دلالاتها الكبيرة والقاطعة الساطعة في مثل هذه الظروف الحرجة والحساسة جدًّا التي تمرّ بها بلداننا وأمتنا.

وهذا على كلّ حال ليس بمستغرب من رجل دين حكيم مثل الشيخ حسن الصفار، كان وما يزال داعية حوار حول كلّ المختلف عليه، دينياً وسياسياً وثقافياً، وقد لقي في ذلك تجاوباً عميقاً من مركز القرار في عاصمة بلده الرياض، لا بل سكة الحوار عينها، هي التي قادتته للعودة إلى بلده، بعدما كان معارضاً مقيمًا في الخارج. يقول الصفار في واحدة من أحاديثه الصحافية: «هناك تغييرات واضحة طرأت على أوضاع الشيعة في السعودية منذ العام ١٩٩٤، فالحوار الذي جرى بيننا وبين الحكومة، قاد لإنهاء عملنا السياسي والإعلامي المعارض للحكومة في الخارج، وعدنا للمملكة لينفتح الباب أمام حوارات مباشرة مع المسؤولين من أجل معالجة المشكلات، وإلى غاية الآن لم تعالج كلّ الأمور، ولكن لا يزال التواصل قائماً».

وجرت في المملكة جولات حوار دينية سنوية - شيعية، وأخرى بين قوى إصلاحية، مع قوى رسمية في السلطة، وكانت النتائج مقبولة، وتبشر بمزيد من التحول الإيجابي، الذي لا يضرب الأمن والنظام من جهة، ويحقق مزيداً من الاتجاه نحو الإصلاح في المؤسسات السياسية والتعليمية والاجتماعية وحتى على مستوى تمكين المرأة من جهة ثانية.. وكانت الثمرة مؤخرًا قيام مشروع «كاوست» أهمّ صرح تعليمي حدثوي في المملكة يقبل التشارك بين المرأة والرجل كطلاب في صرح تعليمي واحد.

عبر كلّ جولاته الحوارية في الرياض، وفي مكة، كان الشيخ حسن الصفار رجلاً جريئاً، واقعيًا، وموضوعيًا في طرح الأمور، والخروج منها بحلّ يفيد المجتمع والدين، ويخرجهما واحدًا متماسكًا في الخطاب والرؤية المنهجية.

ويكفي الحوار أنه حقق كسرًا للجمود الذي كان حاصلًا بين القوى الدينية على

الأرض، وخروج الجميع إلى التنفس الصحي خارج دوائر الشرنقات الضيقة، التي كادت تطبق على عقول الكثيرين.. ولا نخلص هنا للقول بأن الأمور باتت جيدة، أو شبه جيدة.. على العكس إنها تحتاج إلى مزيد من ثقافة الانفتاح، وتعضيدها، وجعلها حالة دائمة من كلا الطرفين وبمساعدة أو رعاية من القرار القيادي السعودي.

ولا نكون في وضعية المغالاة البتة، إذا قلنا إن الشيخ حسن الصفار، هو داعية توحد إسلامي بامتياز، وهو ينطلق بذلك، ليس من موقعه كأقلوي شيوعي في المملكة، يريد لطائفته أن تسلك أمورها في واقع أكثر طائفياً، وإنما من حرص على الإسلام الواحد، الذي يتعرض، هذه المرة، لحرب منهجية هي الأخطر عليه منذ وجود الرسالة وإلى اليوم.

وفي الوقت الذي تصنف فيه بعض المنظمات والهيئات الدولية الشيعة في السعودية بأنهم، مثلاً، يشكلون ١٥ في المئة، أو ٢٠ في المئة من مجموع السكان.. وبعضهم يرى أن نسبتهم أقل من ذلك بكثير إلخ.. وهذا كله ينظر إليه الشيخ الصفار بعين الريبة والشك. ولذلك نراه مثلاً، يرفض إجراء أي إحصاء، أو تصنيف للشيعة داخل مجتمعهم. يقول: «إننا لا نرغب في تصنيف المواطنين طائفياً. فكلنا مواطنون مسلمون، ولا ينبغي أن يكون التنوع المذهبي سبباً للفرز، أي إن الرجل ينطلق من أن مجرد حدوث مسألة النسبة، وما نستهدفه من الإعلان عنها، يحصل الفرز التوظيفي السلبي، ويتم التعامل مع السنة والشيعة في المملكة، وخارجها، على أنهم «شعبان» أو «هويتان» أو «دينان».. وفي هذا مخالفة فادحة لأبسط تعاليم الدين الحنيف، وكذلك لمفهوم الهوية والأمة والجماعة.

إن موقف الشيخ الصفار ضد الإحصاء والفرز هنا ينم عن موقف جديد، ومنيع، ضد الفرقة، أو الشردمة الإسلامية، ويكاد يكون فيه من أجراء وأنبل وأعظم الظواهر الموقفية التي وجدناها من رجال دين مسلمين، وأهميته أنه يصدر في جو هستيري طائفي محموم، يضرب مع الأسف عالمنا العربي والإسلامي من أقصاه إلى أقصاه.



في منزل الشيخ حسن الصفار^(١)

سمر المقرن

تشرفت ومجموعة من الزميلات معي بزيارة لمنزل سماحة الشيخ حسن الصفار، في منطقة القطيف، عندما تمت دعوتنا من قبل منتدى نون النسائي، الذي تشرف عليه الصديقة الشاعرة نهى فريد. التي اقترحت أن تتزامن زيارتنا مع فعاليات عاشوراء، فكما قالت: «نريدكن أن تشاهدن الطائفة الشيعية على طبيعتها».

ثمة أمور لفتت نظري من الوهلة الأولى التي وقعت فيها عيناى على منزل سماحة الشيخ، وتهايمست مع إحدى الزميلات التي شاركتني الملاحظة نفسها، وهي أن منزل سماحة الشيخ يُعدّ متواضعاً جداً إذا ما قارناه بمنازل المشايخ الآخرين الذين نراهم، أيضاً استقباله البشوش وتواضعه الجسم، ورغبته في الاستماع لآرائنا، وتجاوبه مع أسئلتنا كان مبهجاً، حيث دار النقاش حول التسامح الذي هو سمة الدين الإسلامي، والذي ينبغي أن يكون سمة لأبناء هذا الوطن من سنة وشيعة، حيث ردّ سماحة الشيخ بقوله: «الاختلاف هو طبيعة البشر، المهم هو قدرتهم على التعايش مع هذا الاختلاف».

أيضاً حدثنا سماحته عن الوثيقة التي قام بصياغتها مع الشيخ التنويري الدكتور عبدالمحسن العبيكان، والتي كان هدفها التقارب بين الطائفتين الشقيقتين المتنافرتين:

(١) صحيفة أو ان يومية سياسية اقتصادية اجتماعية تصدر عن شركة حوار للإعلام بالكويت، الثلاثاء ٨

صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٣ فبراير ٢٠٠٩م، العدد ٤٤٠.

السنة والشيعة، إلا أنه كما ذكر لنا فإنَّ الأحداث السياسية والتوجَّهات المختلفة لعبت دورًا في الفرقة التي استمرت منذ ألف وثلاثمئة سنة وأكثر، إضافة إلى تدخل بعض المتطرفين السلفيين الذين أعاقوا إطلاق هذه الوثيقة. لم يفت سماحة الشيخ دعوتنا إلى مكتبته الخاصة التي كانت تشتمل على مختلف العلوم والمعارف.

حقيقة، خرجنا من تلك الزيارة ونحن نحمد الله على وجود علماء الدين والمشايخ المعتدلين من الشيعة كما وجدناهم عند أهل السنة، وكم تمنينا ودعونا الله أن تكلل جهود المعتدلين بالنجاح لكي يزيلوا ذلك الكمِّ الهائل من الأوهام والصور المخيفة التي تحملها كلُّ طائفة عن الأخرى، وكتاهما تشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله وتصلي الخمس وتؤدي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت، ألا يكفي كلُّ هذا لكي نقول: هذا دين واحد؟ ألا يكفي كلُّ هذا لندفن إلى الأبد كلَّ عداوات التاريخ وجذور البغضاء وثارَات التناحر؟ ألا يكفي كلُّ هذا لكي تجتمع أمتنا في طريق واحد لتتغلَّب بقضايا التنمية وحقوق المواطنة وبناء المجتمعات المدنية الحديثة المرتبطة بالمستقبل أكثر من غرقها في قصص الماضي الذي عبثت به أصابع السياسة؟ أليس السنة والشيعة في مجتمعاتنا جيراناً؟ أيِّ حياةٍ هذه التي لا يأمن الجار جاره؟ أعتقد أنَّ الوقت قد حان للجواب عن هذه الأسئلة بجواب جديد أراه في وجوه الجيل الجديد من الشباب، الذين أجزم أنهم لن ينجرفوا في دوامات الكراهية التي لا تعود على من غرق فيها إلا بزراعة قلب أسود في صدره.

الشيخ حسن الصفار رمز للوحدة الإسلامية^(١)

ناصر الحلفي

إنّ ما يقوم به سماحة الشيخ حسن الصفار من جهود استثنائية من أجل بلورة التقارب بين أبناء الدين الواحد بأساليب معاصرة وواعية، وبلغه سلسلة وجميلة يفهمها الجميع، تبدأ من البسيط السهل إلى المستوى المطلوب من خلال تدليل نقاط الاختلاف والتركيز على الثوابت الإسلامية الكبرى، التي منها يجب أن يكون المنطلق. وهذا الاتجاه كفيل بأن ينقذ الأمة من حالات التداعي والتراجع الفكري بل يجعلها أكثر حصانة فكرية ومناعة أخلاقية. ومن هنا جاء سماحة الشيخ الصفار، ليؤسس لمرحلة يجب أن تتحرك بهذا الاتجاه وهذه التقارب بين أبناء الدين الواحد.

وهذه الثقافة تستحق أكثر من وثقه أمام التحديات الشرسة من قوى الاستكبار العالمي الذي يهدف إلى تقسيمنا وتجزئة المجزئة كما يصفها سماحة الشيخ. ولو كانت الأمة الإسلامية متماسكة كما أرادها الإسلام لما نرى اليوم إسرائيل هذه الغدة السرطانية كما وصفها الإمام الخميني تعيش في قلب الوطن الإسلامي وتقوم بظلم المسلمين كما هو الحال في فلسطين، هذا لم يدل على قوة الكيان الصهيوني بل يدل بإرادة أكيدة على ضعفنا وتفرقنا ولو كنّا متماسكين لما تجرأت بعض الدول الأوربية الإساءة إلى رسول الإنسانية محمد صلّى الله عليه وآله وسلم من خلال عرض الصور

(١) شبكة البرلمان العراقي، الإصدار رقم ٢٧٥ - ٢٧ / ٠٦ / ٢٠٠٨.

المسيئة إلى ساحة الرسول المقدسة.

لو كنا متماسكين لم نجد اليوم فقيراً أو محتاجاً في الساحة الإسلامية وأرض المسلمين تحمل ثروات هائلة من النفط والفوسفات والزئبق الأحمر، ولهذا جاء الخطاب الوجداني والتقريبي الذي يتبناه الشيخ حسن الصفار، وهو قراءة متأنية من الوعي يحمل في طياته عمق علمي وإنقاذي للحفاظ على ثوابتنا وللاتفاف حولها.

وأن القراءة المنصفة بين العلماء تشكل حضوراً متقدماً في فهم الأمة، وإن وجود الدكتور الشيخ محمد بن يحيى النجيمي ضيفاً على القطيف بمنزل الشيخ حسن الصفار هو مصداق لهذا التوجه، والنجيمي هو خير بالمجمع الإسلامي الدولي ورئيس الدراسات الإسلامية بكلية الملك فهد الأمنية، وعضو لجنة المناصحة بوزارة الداخلية. وقد كان الدكتور يحمل خطاباً معتدلاً يضع المصلحة الإسلامية فوق كل اعتبار، وقال إن الفكر الإرهابي الذي تتبناه القاعدة لم يمت بصله لمذهب أهل السنة بل هذا فكر منحرف، وهذه الآراء المنصفة والواعية تولد حالة من حالات التماسك بين المذاهب الإسلامية وتمنع التشطي بيننا.

وللشيخ الصفار أكثر من حضور من خلال كتاباته القيمة التي تحث على الوحدة ومن خلال لقاءاته التلفزيونية وحضوره المتواصل في المؤتمرات الإسلامية ولم يختصر عمله على مستوي الخطاب والتبليغ، بل هناك له حضور اجتماعي كبير في تفعيل كثير من المشاريع الخدمية والخيرية في تشجيع الشباب على العمل في المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية من أجل بناء الإنسان فكرياً وتأسيس حضور اجتماعي للشباب من خلال الموازنة ما بين المسجد والمجتمع، ويبقى الشيخ الصفار صوتاً إسلامياً أصيلاً نابغاً من عمق الوجدان الإسلامي.



شراكة شيعية سلفية.. في الكويت! (١)

ضياء ضياء الدين

هل يمكن الاتفاق وعقد شراكة شيعية - سلفية في الكويت؟! كما في لبنان حيث احتوت وثيقة التفاهم بين حزب الله والسلفيين على الامتناع عن التحريض وتهييج العوام؛ لأن ذلك يساهم في إذكاء الفتنة، والسعي بجدّ وجهد للقضاء على الفكر التكفيري الموجود بين السنة والشيعية.

وثيقة التفاهم التي تم توقيعها بين حزب الله في لبنان وبعض التيارات السلفية هناك، هي خطوة مهمة لتجسير العلاقة (المستحيلة) بين أشدّ المختلفين بين الطوائف الإسلامية، فالفتنة الطائفية التي تطلّ برأسها بين الحين والآخر تتغذى عادة على الصراع المحتدم بين الطرفين، سواء في لبنان أو في أي بقعة من عالمنا الإسلامي.

كسر جمود العلاقة بين الأطراف المختلفة في الوطن الواحد، يحتاج إلى الكثير من الشجاعة، وهو لا يتطلب التنازل عن المطالب والحقوق والمعتقدات، بل إلى قدر من الجرأة والتقدير للمشتركات، وهي كثيرة وأن يحاول البعض من المتشدّدين في أطراف النزاع إلى اختصارها وتضييقها.

وأذكر هنا أن الشيخ حسن الصفار (بالسعودية) كتب قبل سنتين تقريباً كتاباً سمّاه (نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعية)، وهو موضوع من الجرأة ما يكفي لأن يعترض عليه بعض أقرب المقربين منه، مع ذلك فإنه خاض غمار هذا الموضوع الشائك، وفتح أذرع الحوار الشيعي باتجاه التيار الذي يُعدّ الأبعد عنه وخاصّة في المملكة العربية السعودية.

(١) جريدة الدار الكويتية ٢٢/٨/٢٠٠٨م.

ولعل مشاركة الشيخ الصفار في ملتقيات الحوار الوطني التي رعاها ويرعاها خادم الحرمين الشريفين، هو الطريق الذي فتحه الصفار للحوار مع الآخر، وهو استطاع بهذا الفتح أن يزيل الكثير من الشكوك والظنون والإشاعات والأخبار المدسوسة لدى العقل الآخر، والتي شكّلت في مجملها الجبهة التي حاصرت أبناء الوطن الواحد في كانتونات مستقلة عن بعضها بعضاً!

في الكويت، من يقرأ صحفنا اليومية، يجد أصحاب الرأي في الجبهات المختلفة تتقاتل على أبسط الأمور، ومن يدقق النظر فيما يكتب نجد أنفسنا أمام متاريس محصنة بالمواقف المسبقة، والفهم الخطأ والظنون والشكوك، وكثيراً ما تحال المشاريع الوطنية وخاصة الإصلاحية إلى المهاترات والمزايدات التي تنتهي في الأخير إلى اللاقرار واللاتفاهم! هذه الظاهرة ليست جديدة على الكويت، ولكنها في واقع الأمر أصبحت أكثر حدة وأكثر تشدداً، والسبب سيادة ثقافة إقصاء وإلغاء الآخر، التي جعلت الآخر في الطرف المقابل يتحصن ويتخندق حتى لا يخسر كل شيء، ولا يفقد حقوقه التي أثبتتها الدستور، وكرستها الممارسة الديمقراطية خلال العقود الماضية.

معقول! يمكن عقد شراكة شيعية - سلفية في الكويت؟!!

هل يمكن الاتفاق كما في لبنان حيث احتوت وثيقة التفاهم بين حزب الله والسلفيين على الامتناع عن التحريض وتهييج العوام؛ لأن ذلك يساهم في إذكاء الفتنة، والسعي بجدّ وجهد للقضاء على الفكر التكفيرى الموجود بين السنة والشيعية، وإن كلّ جهة حرّة فيما تعتقد ولا يحقّ لأيّ جهة أن تفرض فكرها واجتهاداتها على الجهة الأخرى، وبحث نقاط الخلاف بين المذهبين داخل لجان تضمّ علماء الطرفين..

حلم معقول، ولكن الواقع غير معقول.. فنحن بحاجة لثقافة (شركاء في الوطن) و(شركاء في الهم العام) و(شركاء في الإصلاح)، لا أن تعتبر كلّ فئة أو حزب أو تيّار ما يقوم به هو الصحيح فقط والآخرين كلهم على باطل، وهي عقلية عملت عبر الزمن على تغذية المتطرفين في الجبهات المتنافسة والمتصارعة، فأصبح صوتهم يعلو على كلّ الأصوات، ولا صوت يعلو على صوت البندقية!



لقاء القطيف^(١)

عبد الهادي الصالح

بدعوة كريمة من المفكر والناشط الوطني السعودي المعروف الشيخ حسن الصفار زرنا مدينة القطيف بالمنطقة الشرقية في السعودية لحضور اللقاء الودي الذي يجمع لفيئاً من علمائها الأجلّاء سنة وشيعة، حضره كذلك رجال الصحافة وأعضاء في المجالس الوطنية والبلدية ومسؤولون كبار في حفل أعدّ لاستقبال الوجيه السعودي رجل الأعمال المعروف الشيخ عبدالمقصود خوجة وفي معيته جمع كذلك من علماء منطقة الحجاز (من مفكرين وفقهاء وقضاة سابقين) التي تشمل مدينة جدة ومكة المكرمة، وكان - كما رأيت - حفلاً يثلج قلب كلّ مسلم يحرص على الوحدة والألفة الإسلامية علاوة على الوحدة الوطنية، ويبدو أنّ هذه إحدى ثمار الحوار الوطني الذي يجري هناك تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث ألقىت الكلمات الطيبة التي تؤكّد هذه الوحدة وبعضها تحدّث بصراحة عن أهمية الثقافة الدينية التعددية التي تغلق أبواب الجهل المؤدي إلى إثارة الظلم والبغضاء بسبب أوهام دسّها المغرضون للنيل من العلاقة بين السنة والشيعة، وقد حان الوقت للتفاهم وتكريس كلّ ما من شأنه رصف الصفوف عل الخير والمحبة.

وقد أتحت لي فرصة لمداخلة قصيرة بين هذه الكلمات والقصائد التي ألقىت، معتذراً من أن أكون متطفلاً على البيت السعودي، فأكدت أنّه من المعلوم أن الورقة

(١) جريدة الأنباء الكويتية ٢١/٣/٢٠٠٨م.

الدينية هي إحدى الأوراق المهمة التي يعث بها التكفيريون والإرهابيون لمزيد من الاضطراب والصراع والفساد في إقليمنا، وقلت «بصراحة إن الحركات والتجمعات الإسلامية في الكويت يلاحظ أنها تتأثر بأقوال وأفعال علماء المملكة العربية السعودية نتيجة للترابط الفكري والفقهي والتاريخي والأخوي بين الشعبين الكويتي والسعودي»، وأكدت أن هذا الحوار الوطني الذي يجمع علماء من مختلف أطياف المجتمع السعودي هو مشروع نموذجي ينبغي الاقتداء به واستيعابه في منطقتنا الخليجية الأوسع وهو محل اهتمام ومتابعة المراقبين.

وأضفت أن أي نجاح لهذا الحوار فإنه يمثل نجاحاً وخطوة طيبة لحوار إسلامي أشمل وله آثاره الإيجابية على العلاقات الدينية بين تلك التجمعات، وإن أي فشل - لا سمح الله تعالى - يمثل انتكاسة مؤلمة في تلك العلاقات، فإن الورقة الدينية في بيتنا الخليجي تمثل عاملاً مهماً في أمن واستقرار ورفاهية شعوبنا.





حسن الصفار على قناة الإخبارية^(١)

علي سعد الموسى

في ردهات فندق الحوار المكي حول الإسلام والحوار، كان الشيخ حسن الصفار ضيفاً يملأ شاشة قناتنا الإخبارية. وقصة ظهوره كرمز وطني ومذهبي أعمق من الصورة التلفزيونية بكثير. قد يتذكر الشيخ حسن الصفار قصة لقائنا القصير، ليوم واحد، في ردهات جلسة حوار وطني.

يومها دعيت مع الشيخ لتسجيل ندوة تلفزيونية قصيرة فاعتذر فضيلته بلباقة عن الحضور للأستوديو التلفزيوني، وعندما سألته عن مبررات الاعتذار أجاب: لا أودّ التسجيل في برنامج أعرف مسبقاً أنه لن يعرض. اشتكى يومها (عام ٢٠٠٣)، من أنّ ذات التلفزيون قد سجل له حلقات متعددة كانت للعرض في شهر رمضان، ثم مرت أشهر من رمضان، دون أن تجد هذه السلسلة طريقها للعرض.

اليوم تغيّر المناخ ونحن بالفعل نجني ثمرة الحوار. وأولى ثمرات الحوار الوطني ليست في التوصيات الهائلة التي قد يصعب على الكثير منها أن ترى النور وتظهر على أرض الواقع، بل إنّ الثمرة الأساس من نتائج الحوار الوطني ليست إلا ترسيخ القناعة لدى جميع الأطراف على الطاولة بأنّ ذات الطاولة دائرية بانورامية بألوان قزح.

الحوار الوطني تباين وألوان ومدارس ومذاهب لم يعد فيها مجال لصوت واحد

(١) صحيفة الوطن الاثنين ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ٩ يونيو ٢٠٠٨م العدد (٢٨١٠).

ولون واحد كي يصبغ الوطن الكبير بلون يصادر كلّ الألوان الموجودة المقابلة. في الحوار الوطني جلس النجيمي يستمع للمزيني، والموسى ينصت للقرني، وفي ذات الحوار كان حسن الصفار يجاور واحداً من هيئة كبار العلماء جمعهما بالصدفة جوار الحرفين الأولين في الاسم.

في الحوار الوطني اقتنع الجميع أن التباين يخلق القوة، وأنّ اللون الواحد يبعث على السأم والملل. يوم مقابلي لحسن الصفار، أهداني بعض مؤلفاته وكان بينها كتاب عن الحوار انتهيت من قراءته خلال استراحة ما بين جلستين. قلت له بعدها باستفزاز إن الحوار بين الأطياف ينبع من الاتفاق على الثابت المشترك بالموازاة مع الولاء وصدق المواطنة.

والحقيقة التي قد يسكت عنها الجميع ولن أتحرج في البوح بها أن أتباع المذاهب والمدارس من سواد العوام في كامل الولاء والمواطنة لولا أنهم يشحنون بأطروحات الرموز التي لن أستثني منها مذهباً، فهذه الرموز تلجأ لخطاب لا تسمع فيه المفردة الوطنية. هنا أقف تماماً، فقط لانتهاء المساحة!!



أربعينية الراحل الكبير «عبدالله
الجشري» تجلّى الشعر، وتألّق
الشيخ حسن الصفار^(١)

الشاعر والأديب علي الدميني

في مساء رفرفت فيه حمامات الروح البيضاء..

وحضرت ماثلة في اللقاء..

تجاوز الحضور طعنة الفقد الآني، ومضوا إلى استحضار ما تركه الروح من أثر
باق، كمشهد من تفاصيل الحياة.

توقفوا عند ما يبقى لامعاً في مسيرة الراحلين..

والتفتوا إلى كثير من انشغالات الراحل الحاضر، ومواقفه اللمعة كضوء مشرق
في الأعالي.

كان الشعر فيّاضاً في أمسية اجتمع حولها محبّو الراحل الكبير، وعشاق المعنى في
تجربته الغنية..

المعنى الذي أفنى عمره لكي يجعله شاخصاً بين أيدينا أو في قلوبنا، أو حياً في
ذاكرتنا، أو لكي نذهب إليه لتأمل دوافعه، ومآلاته.. منجزاته وشحوب الضوء حول

(١) منبر الحوار والإبداع ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٨ م.

النهايات، التي لا نملك إلا الوقوف إجلالاً لها.

أنشد الشعراء والشاعرات قصائدهم.. حلقنا معهم.. وبقي منهم من ينتظر دوره الذي لم يأت، لضيق الوقت!!

في هذه الليلة، انشطر المعنى بين استهدافين، يقف أحدهما على أعتاب ذكرى مثقف وأديب وشاعر، فيما توقف الآخر أمام ضوء شاعر يعيش الوطن والإنسان والنضال بين جوانحه.

كنت أقف غير بعيد من استأذنا محمد العلي الذي كان يصغي بهدوء عميق للقصائد والكلمات، وكان إلى جانبي الشاعر الدكتور محمد رضي الشماسي، وهمست له: كأننا أوغلنا كثيراً في التركيز على شعر الفقيده دون أن نخرج على جوهر ما في شعره من معانٍ وتجارب أخرى أشدّ لمعاناً من الشعر بحدّ ذاته؟ وهمس لي بأننا ما دمنا في حضرة شاعر فلا بُدّ أن تحضر جماليات الشعر وتداعياته.

هزّتنا قصائد للعديد من الشعراء والشاعرات، ومنها قصيدة للدكتور الشماسي نفسه، والدكتورة نهاد الجشي، وقصيدة للشاعر المتألق جاسم الصحيح، وغيرهم، ولكن من أكمل المنقوص في تلك الليلة الضافية هو الشيخ حسن الصفار!

لقد تحدّث سماحته عن المسكوت عنه في حديث أشجان الليلة، حين أشار بعين الضمير الرائي، إلى أهمية التوقف أمام ثقافة «التنمية السياسية» المنبئية على الانشغال على قضايا الشأن العام، وإلى ما تميّز به الراحل الكبير عبد الله الجشي ورفاقه من مختلف ألوان الطيف السياسي في بلادنا من انشغال حيويّ على قضية «التنمية السياسية»، حين ذهبوا إلى الأفاصي.. إلى ما تفتقده حضارتنا وتاريخنا الإسلامي والعربي في تاريخها الطويل.. حين ذهبوا إلى مقاربة الهمّ العام، وعانوا جرّاء كلّ ذلك مشقات التعب والعتب والمطاردة، والسجون، والغربة في الأفاصي، من أجل ترسيخ ثقافة حقوق المواطنة، وحقوق الإنسان في التعبير السلمي عن الرأي.

وخلص الشيخ الجليل إلى مناشدته لكلّ المساهمين في ذلك المعترك السياسي من مختلف ألوان الطيف السياسي والفكري الذين ما زالوا يعيشون بيننا، للمبادرة إلى تدوين تفاصيل تلك التجارب السياسية، بما لها وما عليها، لكي يتعرف الجيل الجديد في بلادنا على تلك التجارب المهمة في حياتنا.. حياة بدايات المطالب بالإصلاح والتطوير.

وختم سماحته كلمته بالإشارة إلى ما علمه من أنّ المناضل الوطني الكبير الراحل «سيد علي العوامي» كأحد المشاركين في ذلك المعترك، قد ترك مخطوطة حافية بتفاصيل العمل الوطني في الخمسينيات والستينيات، وشدد على أهمية نشرها للقارئ، لكي يتعرف المواطنون على تلك الحيوية وبرامجها وأهدافها الإصلاحية النبيلة، التي طواها الصمت والنسيان!!.

.. والصفار يدعو الشباب إلى عدم الانجرار لـ (العنف)^(١)

القطيف - ياسمين الفردان

دعا الشيخ حسن الصفار في خطبة الجمعة إلى تجنب بلادنا شرور التعبئة الطائفية السلبية، محذراً من مخاطر الاضطرابات وانفلات الأمن وما يستتبع ذلك من خسارة للوطن، داعياً شباب المنطقة إلى توخي الحذر من أية دعوة تستدرجهم باتجاه العنف، وألا يسمحوا لمندسين بأن يتسببوا في توريطهم بصدمات خطيرة لا مبرر لها، وطالب تعليقاً على الأحداث التي شهدتها منطقة القطيف، الشباب بالتزام الوسائل السلمية وتجنب الانجرار إلى أي شكل من أشكال العنف، كما أشار إلى ذلك بيان موقع من كبار العلماء في القطيف صدر أول من أمس. وقال الصفار إن وجود مبادرة رفيعة المستوى كفيل بتنفيذ الاحتقان وتضميد الجراح وتفويت الفرصة على الأعداء والمغرضين، ورأى أن توجه الجهات الرسمية نحو معالجة سريعة لبعض المشكلات سيترك أثره في نفوس الأهالي، كما سيساعد العقلاء والمصلحين في المجتمع على النجاح في دعوتهم للهدوء والوئام.

وأكد ضرورة الإسراع في التحقيق حول ما وقع من أحداث الأسبوع الماضي.

(١) جريدة الحياة السبت ٢٦ فبراير ٢٠١١م.



مدرسة العلامة ابن فهد الحلي. تستقبل أصحاب الفضيلة الصفار وآل سيف والصويلح^(١)

زار حوزة كربلاء العلمية - مدرسة العلامة أحمد بن فهد الحلي عليه الرحمة بتاريخ الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ١٤٣٢ هـ فضيلة العلامة الشيخ حسن الصفار وبمعيته العلامة الشيخ فوزي آل سيف والعلامة الشيخ حسين الصويلح. فضيلة آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري قدّم الضيوف قائلاً (باسم حوزة كربلاء العلمية ومدرسة العلامة ابن فهد الحلي رحمه الله وباسمكم جميعاً نرحّب بسماحة العلامة الحجة الشيخ حسن الصفار وبسماحة العلامة الشيخ فوزي آل سيف وبفضيلة الشيخ حسين الصويلح، فأهلاً بالضيوف الأكارم ومرحباً، كما ويسعدنا أن نستمع إلى كلمة الشيخ الصفار بالمناسبة فليتفضل).

ومن ثم وجه فضيلة الشيخ الصفار كلمته قائلاً: بداية أتوجه بالشكر والتقدير إلى سماحة العلامة الحجة الشيخ عبد الكريم الحائري الذي أتاح لي فرصة الحضور بين أيديكم وأنا سعيد لكوني في هذا المكان المقدس وفي هذه البقاع المقدسة التي طالما سألت الله سبحانه وتعالى أن يشملنا بلطفه ورحمته ويوفقنا إلى زيارة أوليائه.

ومن ثم حمد الله وأثنى عليه واستهل حديثه بما ورد عن إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: معاشر شيعتنا، إنكم قد نسبتم إلينا، فكونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً، كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم.

فعقب قائلاً: ندرك جميعاً أننا نعيش في عصر ظهور ونهوض مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد أن عاش أتباع هذه المدرسة عصوراً من التهميش والتجاهل. الآن بحمد الله أتاحت الفرصة وأصبح أتباعها يشكّلون قوة فعالة في المنطقة فلا يمكن أن تذكر منطقة الشرق الأوسط دون ذكرهم وحساب أمرهم، ولذا أقول إننا أمام فرص تاريخية عظيمة لا بُدَّ أن نتحمّل المسؤولية الدينية والتاريخية تجاه هذه المدرسة.

وأضاف كذلك: إننا نعتقد أنّ مسيرة البشرية تسير مسيرة تصاعدية أنها تتقدم خطوات إلى الأمام تجاه الحرية وحفظ الحقوق الإنسانية.

كانت البشرية تعاني مشاكل كثيرة، فعلى سبيل المثال كانت تعاني من مشاكل العبودية والرق، كان الناس يباعون ويشترون، كان الأوروبي البشع يأتي إلى أفريقيا ويخطف الناس ويبيعهم كأرقاء، وقد تجاوزت البشرية هذه المحنة فلا رق ولا عبودية.

وكذلك كانت تعاني من مشكلة الإقطاع وبعد كفاح ونضال أصبحت أثراً بعد عين، كما وعانت البشرية من ظاهرة الاستعمار فكانت ترزح تحت نير التسلط وسرقة الثروات واستطاعت بعد ذلك التغلب على هذه المشكلة وانتهت ولم يتبقّ الآن من الدولة المحتلة إلا فلسطين.

مشكلة أخرى ما زالت البشرية تعاني منها، وهي مشكلة الدكتاتورية والاستبداد وعدم التداول السلمي للسلطة وإن كانت البشرية الآن في طور الانتهاء من هذه المشكلة، فلو دققنا النظر لنجد أنّ أكثر من سبعين إلى ثمانين من الدول هي ديمقراطية مقابل عشرين بالمئة تحكّمها الدكتاتورية، منطقتنا العربية تعاني من هذه المشكلة وإن كانت هي الآن في طريقها إلى الحلّ، فالعالم اليوم أصبح كقرية صغيرة تتأثر فيه الدول

بعضها ببعض، فالاستبداد في دولة ما يؤثر على العالم أجمع خلافاً للسابق، لذا ومن أجل أن يتخلص العالم من الأضرار الاقتصادية والسياسية الناتجة عن الاستبداد أخذ بتشجيع حركات التحرر والديمقراطية.

واستطرد قائلاً: ما حصل في العراق كان مورداً من الموارد وما يحصل في الدول العربية وإن كان تلك الشعوب هي التي تحركت أصبح من مصلحة الدول الكبرى مساعدة تلك الشعوب للانتقال نحو الحرية والديمقراطية.

إذاً فالبشرية تعيش عصر الانفتاح والحرية والديمقراطية، فينبغي علينا نحن كطلبة علوم دينية ورجال دين وكشيعة لأهل البيت عليهم السلام أن نتحمل المسؤولية وأن نقوم بنشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام فالفرصة متاحة وعقول الناس تتجاوب معنا؛ لأن الحق معنا، وقد ولت عهود التعقيم والتشويه التي كانت تقف عائقاً أمام الشعوب في الماضي فوسائل الاتصال اليوم توفر الفرصة الملائمة لإيصال الحق ومن هنا أوكد على أمرين مهمين:

الأول: أهمية أن نقدم النموذج المشرق الذي نستطيع بواسطته استقطاب الناس وجذبهم فبقدر ما يستهويهم الواقع ننجح في إيصال ما نؤمن به، وبقدر ما ننجح في بناء مجتمع مثالي متطور ننجح في استقطاب العالم وإيصال رسالتنا، والعراق بلد واعد فيه الثروة الروحية والثروة الاقتصادية بالإضافة إلى وجود الانسان العراقي ذاته الذي يختزل التاريخ.

الثاني: الخطاب الديني من قبل العلماء والخطباء ورجال الدين لا بُدَّ أن يكون موجهاً للعالم أجمع وأن يكون بمستوى راقٍ منبثق من صميم مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبخاصة وأنتم في كربلاء المقدسة ومركزها هذا الذي يستهوي قلوب المسلمين في العالم أجمع.

كما وجرت مناقشات وتبادل وجهات النظر حول الأوضاع الحالية واستشراف المستقبل.



مشاركون في الملتقى الوطني للحوار الفكري للرسالة^(١)

المؤتمر استجابة واعية للتحديات التي تواجهها الأمة والدولة في هذه المرحلة

حسن الصفار: الحوار وسيلة لتثبيت وتكريس السلم الاجتماعي.

أحمد عدنان - جدة

اختتمت أمس فعاليات الملتقى الوطني للحوار الفكري برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله وليّ العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء بحضور ٣٥ شخصية من التوجّهات المذهبية السنية والشيعية المختلفة الذي عقد بمقر مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في العاصمة السعودية الرياض. وقد شهد الملتقى حضوراً كبيراً من العلماء والدعاة المعروفين، فبالإضافة للشيخ صالح الحصين مدير الجلسات الذي أثنى معظم المشاركين على رقي إدارته والذي أدار الجلسات بفعالية واقتدار وساهم أسلوبه كثيراً في تخفيف حدة التوتر عند اختلاف الآراء واشتداد النقاش، كان من المشاركين محمد عبده يماني وعبدالله نصيف وسلمان العودة وعوض القرني وعبدالوهاب الطيريري، فقد شهد الملتقى حضوراً من الجانب الشيعي بمشاركة كل من: حسن الصفار والدكتور إحسان بو حليقة، طاهر الهاجوجي، وفهد أبو العصاري ومن الإسماعيلية في منطقة نجران (جنوب السعودية) شارك الدكتور مهدي بن راشد آل ملجم، وصالح بن مانع الهائل.

الرسالة أجرت اتصالات مع أربعة من المشاركين الذين أبدوا تحفظاً حيال التصريحات الصحفية ولكنهم أجمعوا على أهمية الملتقى وضرورته في ظل الظروف

(١) جريدة الرسالة الجمعة ٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠ يونيو ٢٠٠٣م.

التي تمرّ بها الأمة والدولة. وقال حسن الصفار - أحد العلماء المشاركين من القطيف: أرى أنّ هذا المؤتمر يمثل استجابة واعية للتحديات التي تواجهها الأمة والدولة في هذه المرحلة، وتصوّري أنّ جميع أبناء الأمة والدولة يتطلعون للحوار ويرغبون فيه، هذه الآمال والتطلعات كانت بحاجة إلى التشجيع والتبني من الطرف الرسمي لترجمتها واقعًا. وقد تحقق ذلك بمبادرة ورعاية سمو وليّ العهد.

وتعليقًا على أجواء المؤتمر يقول: الأجواء طيبة ومبشرة بالخير وهناك تفاعل طيب من جميع المشاركين، أمّا بالنسبة للمواضيع التي طرحت وتناقشنا حولها فهي متروكة للجهة التي ترأس المؤتمر ستفصح عنها في وقت لاحق، وحول سؤاله عن الهدف الأعلى للمؤتمر ردّ: الغاية هي إشاعة أجواء التقارب بين مختلف طوائف المجتمع وإشعارهم بأنّ قيادتهم حريصة على آرائهم التي محلّ احترام الدولة، وهذا بالطبع سيفضي في النهاية إلى الوصول لرؤى تساعد المسؤولين وتعبئ المواطنين في مواجهة الظروف الراهنة.

وإشارة إلى دور الظروف في فتح باب الحوار يعلّق: ما نعرفه من سمو وليّ العهد حرصه على سماع وتقدير آراء مختلف الشرائح المجتمعية، وقد عبّر عن ذلك في أكثر من مبادرة داخلية وخارجية وهذا يدلّ على أنّ رغبة الحوار موجودة من الأساس وما كان دور الظروف سوى التعجيل بإظهارها حاضرًا وواقعيًا.

وأخيرًا يجيب عن تساؤلنا الباحث فيما إن كانت الدعوة للحوار من باب البحث عن السلم الاجتماعي - الذي تحدّث عنه في أكثر من موقع - بكلامه: الحوار وسيلة لتثبيت وتكريس السلم الاجتماعي وحمائته، وإن كان متوفرًا فتوفره لا يعني وقاية جسمه من الجراثيم الضارة. مجتمعنا ولله الحمد به نسبة طيبة من الاستقرار والسلم الاجتماعي مع عدم إغفال أنّه بحاجة إلى تطوير ودعم من ناحية، ومن ناحية تنقيته مما يكدر صفوه.

مبدأ إسلامي^(١)

نتطلع والمواطنون جميعاً في المنطقة الشرقية إلى هذه الزيارة المباركة التي يقوم بها سمو وليّ العهد وذلك لما لسموه من مكانة رفيعة ومقام كبير في النفوس حيث يلمس الجميع في مواقف سموه الحرص على مصلحة الوطن ورعاية المواطنين وخدمة قضايا الأمة الإسلامية ولما تحمله هذه الزيارة من بشائر الخير بافتتاح ووضع حجر الأساس لمجموعة من المشاريع الوطنية الهامة التي ترتبط بحاجة الناس ومصالحهم، وتتيح هذه الزيارة المباركة المجال لالتقاء أبناء المنطقة بسموه الكريم، فيعبّرون له عن حبّهم وولائهم، ويعرضون عليه قضاياهم وأمورهم.

إنّ التواصل المفتوح بين القيادة والشعب مبدأ إسلامي عظيم يؤكّد التلاحم الوطني ويزيد الثقة المتبادلة ويمكن القائد من الاطلاع على شؤون شعبه ورعيته بشكل أوضح وأعمق.

وأهمّ ما تحتاجه الأمة الإسلامية في هذه الظروف وأمام التحديات الخطيرة شيئان:

الشيء الأول: الحفاظ على وحدة الأمة ولم شملها وجمع صفوفها في مقابل المؤامرات الخارجية والداخلية التي أمعنت في جسم الأمة تمزيقاً، وعلى هذا الصعيد نرى أنّ لسمو وليّ العهد دوراً ريادياً رائعاً من أجل حفظ وحدة الأمة وخطابه التاريخي

(١) جريدة اليوم الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٢٧ ذو الحجة ١٤١٩ هـ الموافق ١٣ أبريل ١٩٩٩ م.
بمناسبة زيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني للمنطقة الشرقية بتاريخ ٢٨ ذو الحجة ١٤١٩ هـ الموافق ١٤ أبريل ١٩٩٩ م.

في المؤتمر الاسلامي الأخير الذي انعقد بطهران يوضح بجلاء اهتمام سموه بهذا الأمر الخطير وسعيه الجادّ في جمع شمل وتوحيد صفوف الأمة الاسلامية مع تعدّد دولها وقومياتها ومذاهبها.

الشيء الثاني: مواجهة الغطرسة الإسرائيلية التي تتحدّى مشاعر هذه الأمة وتجرح كرامتها باحتلال الأراضي العربية خاصة أراضي فلسطين حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

ولسمو وليّ العهد موقف واضح حاسم تجاه الاحتلال والعدوان الإسرائيلي حيث يعتبر أنّ تطهير الأراضي العربية من الاحتلال الإسرائيلي مبدأ غير قابل للمساومة وقد تناقلت وكالات الأنباء عن جولة سموه العالمية الواسعة، حيث زار دولاً عديدة وهامة، من بينها الولايات المتحدة الأمريكية، رفض سموه لأيّ مساومة أو تنازل في هذا المجال.

وهو بهذا يعكس الموقف المبدئي للسياسة السعودية الثابتة في الدفاع عن الحقوق العربية والاسلامية بقيادة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله.

انتشار الجريمة: الأسباب والمعالجات^(١)

لا يخلو مجتمع من المجتمعات البشرية من حالات انحراف تظهر بين الفينة والأخرى على سطحه، بعضها فردي والآخر جماعي، وتكشف تلك الحالات عن وجود خللٍ ما في بنية المجتمع، فهي كالأعراض المرضية التي تشير إلى وجود المرض، وقد تحتاج كل حالة من الحالات إلى تشخيص طبيعتها لمعرفة نوع المرض الذي يدفعها للظهور.

واللافت للنظر في مجتمعنا المسلم والمحافظ أن تظهر حالات من الانحراف الخطرة، وأن يتوالى حدوث تلك الحالات فتتحول إلى ما يطلق عليه الظاهرة، واللافت جداً أن يصبح القتل ظاهرة، وأن يصبح اللجوء إلى وسائل العنف والإيذاء ظاهرة.

إنّ من الممكن أن يكون لبعض حالات القتل والاعتداء على النفوس بالجرح أو الإصابة عوامل وأسباب قوية.

ولكن ما ينذر بخطورة هذه الظاهرة أن تكون الأسباب المؤدية إلى حدوثها أسباباً واهية وضعيفة، كأن يختلف طرفان على مبلغ مادي بسيط فيقتل أحدهما الآخر لأجله، أو يؤدي إلى ذلك صراع بسيط بين طفلين، أو مشادة كلامية حول قضية جزئية.

(١) مشاركة في ملف لجريدة البلاد حول موضوع الجريمة بعنوان: انتشار جريمة القتل في الآونة الأخيرة).

في مثل هذه الحالات ينبغي التعامل مع هذه الظاهرة باهتمام شديد ووعي تام. ورغم أن الحالات التي حدثت في المملكة هي حالات محدودة ومعدومة قياساً إلى نسبة مثيلاتها في مجتمعات أخرى، غير أنها تبقى حالات تستدعي منا ومن المهتمين اخضاعاً للدراسة الموضوعية والتحليل العميق.

ذلك أن بلادنا ومجتمعنا - في نظر الكثيرين من المجتمعات والشعوب الإسلامية - هو الأسوة والقدوة. وفيه الحرمان الشريفان، وفيه مهبط الرسالة وبذرة التوحيد ويشكل مرجعية دينية يتوجه المسلمون شطرها، ويتمتع بسمعة عالية في الأمن والاستقرار الاجتماعي.

من هنا فإن مبادرة جريدة البلاد، بطرق هذا الموضوع وإثارة النقاش حوله هو جهد طيب ومشكور يكشف عن وعي بالمصلحة العامة للوطن والمجتمع.

من أسباب الظاهرة:

أولاً: الخواء الروحي

فالانغماس الشديد في المادة واللهات وراء المغانم دونما مراعاة للقيم والمبادئ يحجب قلب الإنسان عن الاستماع إلى نداء الضمير وصرخة القيم التي تنطبق من هذا الواعظ أو ذاك.

ففي جو يسوده الجفاف الروحي والجذب المعنوي لا يستبعد أبداً أن تحدث هذه الظواهر، ولكنك لن تجد الحالة كذلك لو تكثف حضور القيم وقويت خطوط الاتصال والارتباط مع الله سبحانه وتعالى، حيث يتقلص دور المادة وضغط الشهوة وسلطة الأنا، وحيث يعلو صوت الحق ونداء القيم والمثل.

فالحدود المادية الضيقة حينما تؤطر الحياة تجعل مساحات التلاقي بين المرء والآخرين ضيقة، وتجعل المتخالفين أقرب إلى التنافر منهم إلى التلاقي.

وربما لذلك نجد أن كثيراً من النصوص الروحية عند المسلمين التي يقرأها الإنسان في حالة الدعاء والانقطاع إلى الله تؤكد تصحيح هذه الزاوية في النفس البشرية. انظر قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

ثانياً: ضعف التوعية والثقيف

هنالك كثرة الوعاظ والمرشدين في مجتمعنا المسلم، وخصوصاً في المملكة وهو وضع يغبطن الكثيرون عليه، وهذا الوضع يفترض فيه أن يكون سبباً قوياً لتجسيد القيم والمبادئ في مجتمعنا، ويفترض في هؤلاء الوعاظ أن يقوموا بدور كبير لمعالجة المشاكل الحقيقية التي تنشأ في المجتمع.

والملاحظ على حركة الوعظ والإرشاد أنها تحتاج إلى كثير من الجهد والتطوير حتى تستطيع أن تعالج المشاكل المتفاقمة المحلية والواردة التي يعيشها الناس.

فالوعظ بطريقة فوقية أو بأسلوب سطحي لا ينفذ إلى العمق، أو التحدث بلغة المفروضات والواجبات دون مراعاة الصعوبات والمعوقات واستخدام لغة التعنيف أو التكفير وما شابه، كل ذلك وغيره يفقد هذا الجانب والجهة التي تبناه تأثيرها المطلوب، وأكثر من ذلك حيث مرور الزمن تزداد الهوة بين الناس وبين هذه الطبقة. ومن هنا ينبغي على رجال العلم والأئمة والمرشدين أن يطوروا خطابهم وأساليبهم، وأن يصلوا إلى مستوى القدرة على التأثير والتغيير ومعالجة المشاكل المختلفة للناس، وذلك لا يتحقق إلا بطرح حلول حقيقية للمشاكل القائمة وخلق ظروف وأطر مناسبة لمعالجتها، وابتكار لغة خطاب قادرة على جذب الجمهور نحو تحمل المسؤولية والمشاركة الفعالة في تجاوز المشاكل الاجتماعية.

وقد يفرض هذا على الوعاظ والمرشدين أن يتحولوا إلى مؤسسين وشركاء في إرساء مؤسسات اجتماعية تقدم حلولاً منطقية للمشاكل وأن يمارسوا مهمة الوعظ

والنصيحة من خلال الجهد العملي لا التنظير والكلام فقط.

ثالثاً: الاحتواء والاستيعاب

في بعض المجتمعات المتقدمة هنالك أجهزة ومؤسسات قادرة على التعامل مع الانحرافات الصدمية وقادرة على التعامل مع الأشخاص الذين يسلكون العنف من أجل الوصول إلى مآربهم وبعض المؤسسات تعمل على سحب فتيل العنف قبل انفجاره، فالخبراء الاجتماعيون والاستشاريون النفسيون والمصحات العقلية والنفسية وفرق مواجهة المنتحرين، كل تلك الجهات تحاول التخفيف والتنفيس من حالات الاحتقان التي قد تنشأ بفعل الإحباط أو مواجهة مشكلة اقتصادية أو اجتماعية أو قد تنشأ من أسباب نفسية أو ظروف أخرى غير معلومة.

لقد بات من الضروري أن يكون في كل مجتمع جهات استشارية يلجأ إليها الناس حينما يشعرون بمواجهة مشكلة ما وتكون مهمتها في الحدود الدنيا، إتاحة الفرصة للناس للتعبير عن مشاكلهم والبوح بما يشعرون به في ذواتهم تجاه أي تحدٍ يواجهونه. ويمكن أن يقوم بهذه المهمة الأخصائيون النفسيون، والمرشدون الاجتماعيون ورجال العلم الواعون، وأهل الرأي والخبرة في المجتمع.

وإذا كانت الأمور في المجتمعات الأخرى تجري بأسلوب أن صاحب المشكلة هو الذي يعرض مشكلته، فإننا قد نحتاج من أهل الرأي والحصافة أن يبدأواهم بإعطاء المجال لأصحاب المشاكل للتعبير عن معاناتهم.

إن مجرد شعور الشخص بأن ثمة جهة ما تستمع إليه وتتفهم ظروفه ومعاناته، سوف يخفف كثيراً من وقع المشكلة عليه، ويجعله أكثر اقتناعاً بإمكانية إيجاد حلٍّ مناسب لها.

حسن موسى الصفار

١٠ ذو القعدة ١٤٢١ هـ



الشيخ السعودي حسن بن موسى الصفار في جامع الزهراء^(١)

يوسف داوود

يوم السبت الماضي الخامس عشر من شهر مارس الجاري الساعة السادسة مساءً كنت في اجتماع مصغر للجمعية العراقية الأمريكية في أورنج كاونتي وإذا برنين الهاتف يقطع علينا الحديث وغالبًا لا أجيب على المكالمات إلا في حالات الضرورة القصوى، وقد تبين أن المتحدث هو الشيخ فلاح العطار، فاستأذنت لأجيبه وخاصة أننا لم نلتق منذ مدة ليست بالقصيرة، وبعفويته الأخوية أبلغني بزيارة عالم ديني من المملكة العربية السعودية منطقة القطيف وسيكون اللقاء معه في جامع الزهراء في لوس أنجلوس ولم أتردد لأنقل بعد إنهاء الاجتماع إلى موقع اللقاء وقدمني الحاج حسن الحكاك إلى الشيخ الفاضل حسن بن موسى الصفار الذي التقاني بوجهه الصالح البشوش والابتسامة في عينيه وعلى شفثيه، وكان يجيب عن كل سؤال بموضوعية وشفافية وصدق لم أعهد لها في غيره، وخاصة أنه من الطائفة الشيعية في المملكة العربية السعودية وقبل إكمال محاورتي للشيخ حسن الصفار تم تقديمه إلى الحضور الكريم من قبل الشيخ فلاح العطار الذي قال:

إن الشيخ حسن الصفار هو فكر مستنير وحيوية متدفقة في إعادة صياغة التاريخ

(١) جريدة العرب لوس انجلوس السنة الواحدة والعشرون، العدد ٨٦٩، الأربعاء ١٦ مايو ٢٠١٠م.

والتجديد في الفكر الإسلامي وخاصة لآل البيت، ومن الشخصيات الدينية المعتدلة والمقربة من خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدالله، والصفار كان قد التقى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله السعودي، الذي يعمل جاهداً لتغيير الواقع الاجتماعي والديني للأقليات على أرض المملكة، كما شارك ضمن الوفد السعودي في مؤتمر مدريد لحوار الأديان الذي كان برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله، وأكد أن خطابه التاريخي في مؤتمر مدريد لحوار الأديان السماوية والتسامح بينها كان له أجمل الآثار على المشاركين من الأديان والطوائف المختلفة في العالم أجمع وستبقى كلماته في نبد الكراهية والأحقاد دليل عمل للأجيال المستقبلية، فإذا كانت نظرة جلالته إلى العالم بهذه التصورات والأفكار النيرة فكيف به تجاه أبناء شعبه في المملكة حيث أكد في أكثر من مناسبة ولقاء مع علماء الشيعة في المملكة على التغيير باتجاه منح الأقليات الحقوق والمساواة في المواطنة.

الشيخ حسن الصفار أينما حلّ حقق إنجازاته في الدفاع عن الحقوق المدنية والسياسية، ففي عام ١٩٨٠ في لوس أنجلوس أسس مركز الشباب المسلم ثم وبدعم مباشر منه وبالتعاون مع المؤمنين تأسست سبعة مراكز أخرى. الشيخ الفاضل حسن الصفار لم يتوقف نشاطه على تأسيس مراكز للشباب المسلم فحسب بل تعداه إلى القراءة والكتابة، فكان له من المؤلفات لحدّ كتابة هذه الأسطر مئة وخمسة من الكتب الدينية والثقافية والعلمية، ومنها أذكر ما رأيته من ضمن كتب مكتبة الشيخ فلاح العطار:

١. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، تسعة مجلدات.
٢. التعددية والحرية في الإسلام.
٣. الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان.
٤. شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين.
٥. الطائفية بين السياسة والدين.

وفي حديث الشيخ العميق بكلماته والعمق بإيمانه تحدّث عن ذكرى فاطمة الزهراء بقوله إنّها قطعة من أفضل خلق الله، وهي جزء من هذا الشيء الجميل، وأكد أنّ التمني لا يكفي في الحياة، فالواقع لن يكون جزءاً من التمني، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ فبالأحلام الوردية في اليقظة لن تتحقق الطموح فالعمل الصالح هو الذي يقربك إلى الله. واستطرد الشيخ الصفار: حملك لخير عقيدة لا يعني خير واقع، فبدون تطبيق العقيدة على الواقع لا خير فيها، فمن سماتها أن تدفع الإنسان إلى العمل الأفضل، فبالعمل والجهد تثبت العقيدة فتأتي ثمارها.

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فمن آمن وعمل صالحاً كان أفضل من المؤمن بدون عمل، وهناك عشرات الآيات في القرآن الكريم تتحدّث عن الإيمان تردفه بالعمل وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فالصلاة لها أهداف وليست فقط قياماً وعوداً، وعلينا أن نعرف وظيفتنا تارة بالعمل على مستوى الأفراد وتارة على مستوى الجماعات، ففي الماضي كنا نعتذر بالأمر السياسي والاجتماعية، أمّا الآن فالظروف مواتية، والتحديات هي التي تجعل الإنسان مبتكراً مبدعاً، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ولأول مرة يتم تأسيس مؤسسات إنسانية في المملكة، منها:

١. هيئة حقوق الإنسان بأمر ملكي وهي رسمية حكومية.
٢. الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان وهي أهلية بإشراف حكومي.

أعزّانا القراء، في الأسبوع القادم أقرأ نظرة خادم الحرمين الشريفين إلى التغيير وفق معطيات حقوق الإنسان والتجارة العالمية. ولقاء الشيخ الصفار مع شيخ الوهابية (السلفية) السابق عبد العزيز الباز في المرة الأولى وبعدها، وغيرها من داخل أرض المملكة.





البروسترويكا المذهبية^(١)

حمزة قبلان المزيني

برهن المؤتمر الذي عقد في الدوحة (للتقريب) بين المذاهب الإسلامية أن هذا المشروع لا يزال هدفًا بعيدًا في أحسن أحواله. فعلى الرغم مما ساد فيه من الكلام عن الرغبة في (التقريب) بين المذاهب الإسلامية المختلفة إلا أن ممثليها أظهروا أنهم لا يزالون يتخذون في مواقعهم السابقة.

فقد اشتكى الشيخ يوسف القرضاوي من النشاط الشيعي التبشيري في البلاد الإسلامية السنية، وطالب الشيخ التسخيري السُّنَّة بـ (وقف عمليات التبشير السني)، وبالتوقف عن وصف الشيعة في إيران بـ (الصفويين) أو (القرامطة الجدد) أو (تكفيرهم).

ويصرح الشيخ التسخيري بأن: «ما حدث بيني وبين أخي العلامة الشيخ القرضاوي كان حوارًا أخويًا صريحًا وواضحًا»، وأنه «لا خلافات بين شيوخ المذهبين السني والشيعة في المؤتمر وإنما هو مصارحة وشفافية في طرح القضايا». وكان الشيخ محمد حسين فضل الله أكثر دقة في وصفه الخلاف بين المذاهب إذ قال: «إن الاختلافات بين السنة والشيعة وبين المذاهب الإسلامية تشكل القضية الأخطر على الوجود الإسلامي ومستقبله بعد محاولات قوى التكفير والتعصب خطف الساحة

(١) صحيفة الوطن الصادرة بتاريخ ٢/٢/٢٠٠٧م.

الإسلامية». ثم وجه دعوة إلى مراجعة ما بين هذه المذاهب من اختلاف مصرحاً بأنه لا يعتقد: «أن مشروع الأمة ورسالة التقريب بين المذاهب الإسلامية غير قابلة للتطبيق والتحقق على المستوى العملي، مؤكداً أن هذا المشروع عرف طريقه في كثير من محطات التاريخ الإسلامي وفي الحاضر».

والمحصلة المنطقية لهذه الجهود «التقريبية» أنه لا فائدة منها ما دام أن هدف كل فريق أن يدافع عن مذهبه ويحاول إثبات أن المشكلة تقع في مذهب الفريق الآخر.

والواقع أن هذه الجهود «التقريبية» تحتاج إلى أن يسبقها عمل تأسيسي آخر يتمثل في مراجعة كل مذهب من المذاهب الإسلامية مصادره العقدية والفقهية والتاريخية ونقدها من أجل التخفيف من عبء الماضي المثقل بالتفسيرات الإقصائية التي أملتتها الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية القديمة. وكنت أشرت في مقال سابق إلى أن هذه الخطوة ضرورية لمواجهة حدة العداء بين الطوائف الإسلامية، وبين الشيعة والسنة خاصة.

وأشرت إلى أن «علماء» الطرفين، ربما لا يكونون الأقدر على إنجاز هذا المشروع؛ لأنهم هم أنفسهم نتاج لتلك المصادر القديمة وهو ما يعني أنهم يؤمنون إيماناً خالصاً بصحة التاريخ بصورته التي توردها تلك المصادر. ومن هنا فليس ممكناً لكثير منهم أن يتخذوا مواقف نقدية منها؛ لأن ذلك يتطلب قدرًا عاليًا من الحياد والموضوعية.

ومع هذا فقد كانت هناك بعض الجهود التي يقوم بها بعض «العلماء» للتصدي لبعض الآراء التقليدية التي تجعل من التقارب أمرًا متعذرًا. فقد بذل بعض «العلماء» على الجانب الشيعي، مثلاً، في العقود القليلة الماضية جهوداً معروفة في هذا المنحى. ومن أبرز هؤلاء علي شريعتي، ومحمد حسين فضل الله، وهاني فحص، ومحمد مهدي شمس الدين، وأحمد الكاتب. وجلبت عليهم تلك الآراء الإيجابية في مراجعة بعض القضايا المسببة للخلاف بين الشيعة والمذاهب الأخرى كثيراً من الأذى. وتحوي بعض المواقع الشيعية على الشبكة العنكبوتية هجوماً عنيفاً على هؤلاء بسبب

ما اقترحوه من مراجعة لبعض القضايا.

ومن الذين بذلوا مثل هذا الجهد على المستوى السعودي الشيخ حسن الصفار الذي أبدى كثيراً من الآراء التي تصلح أن تكون أساساً لمسار موضوعي في هذا السبيل. وقد أبداهما في منتديات أكثر روادها من الشيعة مما ينفي عنها أن تكون من قبيل المداهنة والتزلف.

ومما يشهد بصعوبة هذه المراجعات على الصعيد المحلي ذلك الغضب والنقد اللذان قوبلت بهما آراء الشيخ الصفار وبعض العلماء الشيعة السعوديين قبل سنتين عن بعض المظاهر الطقوسية التي تصاحب المراسم الدينية الشيعية.

ومن الأمثلة التي تبيّن الاتجاه الإصلاحي الذي يقوم به الشيخ الصفار محاضرتان ألقاهما في الأسابيع الماضية القريبة في متدينين مختلفين ونشرهما موقع يشرف عليه سعوديون شيعة وضمّنهما كثيراً من الآراء الإيجابية التي يمكن أن يُبنى عليها لتجاوز الاتهامات المتبادلة التي ينشأ عنها أشدّ الشحناء وأسوأ مظاهر العداة بين السنة والشيعة (وأرجو العذر لنقل نصوص طويلة من هاتين المحاضرتين).

يقول في إحدى هاتين المحاضرتين، وكانت بعنوان «إمامة عليّ ووحدة الأمة»، إنّه «لا يجوز لأيّ فرقة من فرق المسلمين أن تسقط الفرق الأخرى أو تكفّرها فالجميع يرجع إلى مصادر تشريعية واحدة وأن الاختلاف هو في فهم النصوص، فبدلاً عن لغة التكفير لا بدّ أن تسود لغة الحوار؛ لأننا مأمورون أن نحاور أهل الكتاب بالتي هي أحسن فكيف بنا نحن المسلمين ونحن إخوة من دين واحد تجمعنا كثير من المشتركات! فبدلاً من نظرة الفرق لما يفرقها لا بدّ أن ننظر للمشتركات التي تجمعها فمصلحة الأمة وما يحيط بها من كوارث تستدعي أن يكون المسلمون يدّاً واحدة إذ العدو عدو الأمة بسنتها وشيعتها لا يفرق بين أحدٍ منهم فلماذا نفرق نحن؟!».

و«أنّ لغة التبعئة كانت قد تراجعت، ولغة الحوار والمحبة والتقارب كانت قد تقدّمت وخطت خطوات كبيرة تجاه الأمام إلّا أنّ أحداثاً كأحداث العراق وما يجري

فيه من سفك للدماء جعل لغة التعبئة الطائفية تعود إلى السيادة، وأخذنا نرجع إلى الوراء مرة أخرى»، منبهاً إلى أنه يجب على المسلمين أن يتنبهوا لهذه اللغة والآل ينساقوا خلف دعاة الفرقة بين الأمة.

و«أن لغة الشتم واللعن ليست هي اللغة التي ينادي بها الإسلام، بل الإسلام يمقتها ويرفضها ويوجّهنا إلى لغة الحوار الواعي، ودعا جميع المسلمين ألا يكونوا أسرى للكتابات القديمة التي دعت للعنف والسب والتكفير، وأن نتجاوز ذلك إلى لغة الحوار والأخوة واحترام معتقدات الآخرين واحترام مقدّساتهم».

وذهب إلى أبعد من هذا في المحاضرة الثانية إذ يقول: «هناك فئة محدودة من الأمة يُظهرون العداة لأهل البيت، ولكن أغلب الأمة يُعلنون حبّهم لأهل البيت، صحيح أنّ المحبّة لأهل البيت درجات، وأنّ أغلب المسلمين يحبّون أهل البيت قلبياً ونفسياً، لكنهم لا يعتقدون بأنهم هم قيادة الأمة، وأنهم خلفاء رسول الله ﷺ أقوالهم واجبة الاتباع، فهذه حالة اختصّ بها شيعة أهل البيت.

فأصل محبّة أهل البيت يتفق عليها المسلمون، أما دورهم ومكانتهم فهي محلّ نقاش، وكما يقول السيد الإمام الخوئي -رحمة الله عليه- في موسوعته الاستدلالية: «الضروري من الولاية إنّما هو الولاية بمعنى الحبّ والولاء، وهم غير منكرين لها -بهذا المعنى- بل قد يظهرون حبّهم لأهل البيت ﷺ. وأما الولاية بمعنى الخلافة فهي ليست بضرورة بوجه وإنّما هي مسألة نظرية وقد فسروها بمعنى الحبّ والولاء ولو تقليدياً لأبائهم وعلمائهم وإنكارهم للولاية بمعنى الخلافة مستند إلى الشبهة كما عرفت، وقد أسلفنا أنّ إنكار الضروري إنّما يستتبع الكفر والنجاسة فيما إذا كان مستلزماً لتكذيب النبي ﷺ كما إذا كان عالماً بأنّ ما ينكره مما ثبت من الدين بالضرورة وهذا لم يتحقق في حقّ أهل الخلاف؛ لعدم ثبوت الخلافة عندهم بالضرورة لأهل البيت ﷺ نعم الولاية -بمعنى الخلافة- من ضروريات المذهب لا من ضروريات الدين».

«فالمعنى واضح: خلافة أهل البيت ﷺ وقيادتهم للأمة من ضرورات المذهب الجعفري، وهو ما اقتنع وآمن به شيعة أهل البيت، أما بقية المسلمين فعندهم قناعة ورأي آخر، بالطبع المجال مفتوح للنقاش وللحوار، فنحن لنا أدلتنا ولنا براهيننا وبقية المسلمين عندهم تأويل لهذه النصوص».

وقد صيغت هذه الآراء المعتدلة التي تخالف ما يظن كثير من السنة والشيعة أنه الحقيقة بلغة متزنة تقوم على ضرورة حسن الظن بالسنة الذين لا يتفقون مع الشيعة في بعض تفسيرات النصوص الكريمة ولا في تفسير أحداث التاريخ.

وليس من العدل، أمام هذه الآراء الإيجابية الجريئة، أن نشكك في نية الشيخ الصفار و«العلماء» الآخرين الذين يعلنون مثل هذه الآراء التي يمكن أن تحدث ردود فعل إيجابية عند كثير من السنة المعتدلين. بل الواجب علينا أن نقدّرها ونشجعها وأن نستنكر اللغة الحادة المشكّكة التي يستخدمها بعض من اتخذوا الجدل بين المذهبين حرفة لهم. ومن هؤلاء بعض خطباء الجمعة من السعوديين السنة الذين يتخذون مواقف متطرفة من الشيعة، وكذلك بعض الكتاب الذين يشككون في نيات الشيعة.

كما يجب أن تقابل هذه الجهود بجهود مماثلة يقوم بها علماء السنة لمراجعة الآراء والمقولات التي تشرع للتناوب والأحقاد.

وأعود لما أشرت إليه في مقالي السابق من أن المراجعة المجدية للمذهبين تتطلب أن يتصدى لها المتخصصون في التاريخ والأناسة والعلوم الإنسانية الحديثة الأخرى. ذلك أن هؤلاء ليسوا عرضة للتأثر بالمصادر المذهبية القديمة وهم أكثر كفاءة في البحث العلمي المعاصر.

أما في غياب هذه المراجعة فلا بديل عن الاهتمام بما يعزز التعايش بين المسلمين بغض النظر عن مذاهبهم في إطار وطن يتسع للجميع ولا يضار فيه أحد بسبب انتمائه المذهبي.

كرامة الإنسان^(١)

من مناطق الخلل الرئيسة في مساحة واسعة من الخطاب الإسلامي القول بتجزئة الكرامة الإنسانية، وأنها خاصة بالمسلمين فغير المسلم يشملته التكريم، وتضييق الدائرة أكثر بتخصيصها بالمؤمنين، أي أتباع المذهب فقط، وما عداهم من المخالفين والمبتدعة، لا ينطبق عليهم عنوان التكريم، وتستباح بعض حقوقهم المادية والمعنوية، مع أن القرآن نصّ على منح الكرامة من الله تعالى لعموم بني آدم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية ٧٠].

معنى التكريم:

قال الجوهري: «التكريم والإكرام بمعنى واحد، والاسم منه: الكرامة، وجاء في القاموس: يقال: أكرمه وكرمه: عظّمه ونزّهه».

والمعنى: التكريم هو التنزيه.

ما المراد بالتكريم في الآية الكريمة:

جاء في الميزان: «يظهر أن المراد بالآية بيان حال لعامة البشر مع الغصّ عمّا يختصّ به بعضهم من الكرامة الخاصة الإلهية والقرب والفضيلة الروحية المحضّة

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٤ م.

فالكلام يعمّ المشركين والكفار والفسّاق وإلا لم يتم معنى الامتنان والعتاب».

وحملناهم: أحد مظاهر تكريمهم.

ورزقناهم من الطيبات: من الأشياء التي يستطيعونها من أقسام النعم كأحد مظاهر التكريم.

مثل من يدعى إلى الضيافة وهي تكريم ثم يرسل إليه مركوب يركبه للحضور لها وهو تكريم ثم يقدم له أنواع الأغذية والأطعمة اللذيذة الطيبة وهو تكريم. فهو من قبيل عطف المصاديق المترتبة على العنوان الكلّي المنتزع فيها^(١).

روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ قوله: «كلّ شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم فإنه يأكل بيديه».

ومن طريف ما يحكى في هذا الصدد: أنّ الرشيد أحضرت عنده أطعمة فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف، فقال له: جاء في التفسير عن جدك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ جعلنا لهم أصابع يأكلون بها، فردّ الملاعق وأكل بأصابعه.

هل هناك فرق بين التكريم والتفضيل أم أنه جاء على نحو التكرار؟

المراد بالتكريم تخصيص الشيء بالعناية وتشريفه بما يختصّ به ولا يوجد في غيره، وبذلك يفترق عن التفضيل فإنّ التكريم معنى نفسي وهو جعله شريفاً ذا كرامة في نفسه، والتفضيل معنى إضافي وهو تخصيصه بزيادة العطاء بالنسبة إلى غيره مع اشتراكهما في أصل العطية، والإنسان يختص من بين الموجودات الكونية بالعقل ويزيد على غيره في جميع الصفات والأحوال التي توجد بينها والأعمال التي يأتي بها. قال الإمام عليّ عليه السلام: «إن الله عزّ وجلّ: «ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركّب

(١) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٥٢-١٥٤، الطبعة الأولى ١٩٩١م بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما. فمن غلب عقله شهوته، فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله، فهو شرٌّ من البهائم». ويقول صاحب الميزان: «لا يبعد أن يكون المراد بمن خلقناهم أنواع الحيوانات ذوات الشعور والجن»^(١).

الغرض بيان ما كرم الله به بني آدم وفضلهم على سائر الموجودات الكونية وهي فيما نعلم الحيوان والجن، وأما غيرهم فهم خارجون عن محلّ الكلام؛ لأنّهم موجودات نورية غير كونية ولا داخلية في مجرى النظام الكوني، والآية إنّما تتكلم في الإنسان من أنه أنعم عليه بنعمٍ نفسية وإضافية.

وأما الملائكة فوجودهم غير هذا الوجود فلا يتعرض لهم في ذلك بوجه، وبذلك يظهر فساد ما استدللّ به بعضهم بالآية على كون الملائكة أفضل من الإنسان.

إنّ الذي تعرّضت له إنّما هو التفضيل من حيث الوجود الكوني الدنيوي والملائكة غير موجودة بهذا النحو من الوجود.

المراد بالكثير في الآية الجميع ومن بيانية والمعنى فضلناهم على من خلقنا وهم كثير.

التكريم أصل فقهي:

تنبّه العلامة السيد محمد فضل الله - من بين أغلب المفسّرين - لهذه الحقيقة في سياق تفسيره للآية الكريمة حيث قال:

قد يخطر في البال ألا يكون هذا الإعلان عن تكريم الله لبني آدم مجرد حديث عمّا أفاض الله على الإنسان من أطفاف التّكريم التّكوينيّ في طبيعته ودوره في الحياة، بل يتعداه إلى الخطّ التشريعيّ الذي يوحى بكرامة الإنسان كأصلٍ من أصول النّظرة

(١) المصدر السابق.

القرآنيّة إليه، بحيث تؤكّد كلّ تصرّف يكرّس كرامته، وترفض كلّ ما يؤدّي إلى إهانته من موقعه الإنساني، بعيداً عن العناوين الثانويّة التي قد تجيز إهانته والتعدّي على حرّمته على أساس بعض الأوضاع أو الصّفات أو الانتماءات المنحرفة عن خطّ الله، لتكون لنا من خلال ذلك قاعدة شرعيّة، هي احترام الإنسان في نفسه وماله وعرضه، كأصل إسلامي فقهيّ، لا يجوز الخروج عنه إلّا بعنوان آخر مخصّص له...

وقد يكون الأساس في استيحاء هذا الأصل الفقهيّ من الآية، هو أنّ الله إذ كرّم بني آدم في إعدادهم التكوينيّ والعمليّ، فإنّنا نستفيد من ذلك أنّه يريد لهم أن يؤكّدوا هذه الكرامة على مستوى وجودهم الحيّاتيّ، وفي علاقاتهم الاجتماعيّة التي تحكم تصرّف كلّ واحد منهم تجاه الآخر، ولا سيّما أنّ التصرف السلبيّ المخالف لذلك، يتنافى مع خطّ الكرامة الإلهيّة للإنسان؛ لأنّه ينتهي إلى الإهانة لمن يريد الله احترامه^(١).

نظرة تاريخية:

لقد عانت البشرية طوال عهودها من انتشار تصورات خاطئة تحصر الكرامة الإنسانية في فئة من الناس وتحطّ من شأن وقدر من سواهم، مما يؤسّس لتبرير العدوان وانتهاك الحقوق والحرّمات.

فاليهود والنصارى كانت تسود في أوساطهم نظرية الشعب المختار، التي تبرّر ازدياد بقية الشعوب، والتجاوز على حقوقها، كما تحدّث عن ذلك القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨]، هذا هو المنطق الإلهي الذي يقرّر التساوي بين أبناء البشر في ذاتيتهم الإنسانية ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

ولا يعني الانتماء لعرق أو دين تبرير الازدياد أو التجاوز على حقوقهم، كما كان

(١) محمد حسين فضل الله، تفسير من وحي القرآن، ج ١٤، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م، (بيروت: دار الملاك)،

يرى أولئك اليهود باعتبارهم أميين لا إثم في مصادرة حقوقهم، كما يقول عنهم تعالى: ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٧٥].

إنهم ينسبون إلى شريعتهم المنزلة في الأصل من الله تعالى بأنها تجيز لهم مصادرة أموال غير الممتنين إلى دينهم ﴿قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ ويأتي الرد القاطع من الله تعالى أن ذلك القول كذب وافتراء، حيث لا يمكن أن يشرع الله تعالى للعدوان على حقوق الآخرين، ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية ٧٥].

ويبدو أن تنديد القرآن الكريم بمثل هذه الآراء والتصورات، وردّه عليها، لم يكن لمجرد الإدانة والتشهير بأولئك اليهود والنصارى، وإنما الأهم من ذلك تحذير الأمة الإسلامية من الوقوع في نفس المنزلق بأن تشيع في وسط المسلمين نظرات ازدراء وتحقير تجاه الآخرين وتبرز لتجاوز حرمتهم والاعتداء على حقوقهم.

إن القرآن الكريم إذ يقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ فهو يقصد أن بني آدم مكرّمون لأنهم بنو آدم، فحينما يقال حقوق الإنسان، معنى ذلك أن للإنسان شرفه وكرامته بما هو إنسان حتى ولو كان كافراً؛ لأنّ الإنسان محترم بذاته عند الله، وهذا صريح معنى الآية. ويقول الإمام عليّ (عليه السلام): في عهده لمالك الأشر: الناس صنفان: «إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق» وبالتالي فإنّ للإنسان حرمة بما هو إنسان.

إذاً إن هدف القرآن الكريم تأصيل مبدأ كرامة الإنسان لإنسانيته أولاً وقبل كلّ شيء، فمن عرق انحدر وإلى أيّ دين وعقيدة انتمى، فهو إنسان له كرامته الذاتية.



أكد ضرورة ردع المناهج الطائفية
والمتشددة في الأمة

الشيخ الصفار يؤكد
لـ«الرياض» أهمية دور
الإعلام في التصدي
للمنهج الطائفي

ويحث على تبني استراتيجية لمكافحة^(١)

منير النمر

أكد المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار أهمية أن تلعب مختلف وسائل الإعلام العربية دورًا إيجابيًا ينبذ التطرف والطائفية، وبخاصة أن الوطن العربي يعيش أوضاعًا سياسية صعبة في هذه المرحلة الزمنية، منتقدًا ذبح الأطفال والنساء والرجال على يد المتشددین الذين يؤججون الفتنة الطائفية، في مناطق الصراع بهدف القتل والتخريب. ورأى بأن من المهم أن تعمل النخب الإعلامية على التقريب بين مكونات المجتمعات العربية، وداخليًا شدد أثناء لقاء جمعه مع إعلامي «الرياض» في مكتبه في محافظة القطيف: «لا بد أن يكون المنهج الإعلامي معتدلًا، ومؤمنًا بالرأي والرأي الآخر»، مشددًا على أن الاختلاف في الرأي ظاهرة إيجابية، مؤصلاً رؤيته في التقارب بين المذاهب والأديان بسلسلة من الأحاديث النبوية الشريفة المعتمدة عند السنة والشيعة، مستشهدًا بأقوال الفلاسفة العالميين الذين تعزز مقولاتهم الإيمان بالرأي

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم السبت ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٥ أكتوبر ٢٠١٤م، العدد ١٦٩٢٤.

الآخر، وقال: «نجد فولتير يقول: قد أختلف معك حتى الموت؛ لكنني على استعداد لأن أقاتل حتى الموت من أجل أن تقول رأيك»، وشدّد الصفار على أن الاحترام للرأي الآخر يستوجب إيماناً داخلياً، إذ إن عالمنا العربي مليء بحالات الإقصاء.

وتطرق الصفار إلى أن هناك أفكاراً متطرفة تقصي حتى المعارضين لها داخل المذهب الواحد، وأضاف «هناك من يكفر من يختلف معه داخل دائرته المذهبية، وذلك بعد أن كفر من هم خارج دائرته المذهبية، وهؤلاء داخل الشيعة والسنة»، مشيراً إلى أهمية أن يؤمن الجميع بأن الاختلاف السياسي لا يوجب أن يتحول لشتيم طائفة كاملة، ف«حين تقتل جماعة بوكو حرام لا يعني أن نستخدم عبارات تدين مجموع السنة، وحين يحصل خلاف مع مجموعة شيعة كالحوثيين في اليمن لا يعني أن نصف الشيعة بالروافض والمجوس، ويجب أن يقتصر الأمر حول الاختلاف السياسي بعيداً عن مذهب الصراع».

وشدّد الصفار على أن الأمة الإسلامية بحاجة لفكر الاعتدال المدعوم بالحوار، مؤكداً أن مشروع الحوار الوطني في المملكة كان بادرة جيدة للمجتمع السعودي، وقال: «لدينا مشروع حوار مع الجميع، ونحن نستقبل الضيوف من مختلف مناطق المملكة، ويلقون الندوات ويعبرون عن وجهة نظرهم، كما قمنا بإلقاء سلسلة من المحاضرات في جدة والرياض والقصيم وغيرها من المناطق»، مؤكداً أهمية التواصل، وأهمية لعب الإعلام لدور وطني يخدم اللحمة الوطنية.

وتطرق إلى خصائص الدين الإسلامي، إذ رأى بأنه دين سلام وانفتاح، وليس دين امتلاك للبشر كما يعتقد الكثيرون، فيمارس البعض العنف الأسري بحجة أن زوجته أخطأت، مؤكداً أن الأخطاء الصادرة عن الزوجة أو الزوج التي فيها حدود موكلة للحاكم الشرعي، وليس للزوج أو الزوجة.

يشار إلى أن اللقاء حضره زملاء: المدير الإقليمي لجريدة «الرياض» في المنطقة الشرقية علي العمري، ومسؤول التحرير في مكتب المنطقة الشرقية سعيد السلطاني، ومدير مكتب محافظة القطيف منير النمر.

الشيخ الصفار: نأمل أن يكون المضيف عنواناً لاستيعاب الطاقات وخدمة المجتمع

قال الشيخ حسن الصفار إنه يأمل أن يتحول المضيف والموكب إلى عنوان لاستيعاب طاقات الشباب، عبر برامج وأنشطة دائمة، ينطلقون منها لخدمة مجتمعهم، رافضاً أن يكون عملهم موسميّاً.

وأضاف: علينا أن نطرح برامج نستوعب من خلالها الشباب، ونواصل العلاقة معهم إلى ما بعد المناسبة، ليكونوا متصلين بقيم الدين، وبالرسالة التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، فلا ينبغي أن تنتهي صلتنا بهذه الطاقات الشابة المعطاءة بانتهاء المناسبة.

ورفض سماحته أن تقتصر هذه الأنشطة وخدمة الشعائر على الذكور فقط، وقال ينبغي «أن نبكر برامج لفتياتنا حتى يشاركن في إحياء هذه المناسبات في أجواء من العفة والنزاهة والالتزام الأخلاقي».

جاء ذلك خلال كلمة بثتها اليوم (٥ محرم ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٩/١٠/٢٠١٤ م) قناة «حديث القطيف» على اليوتيوب بمناسبة حملة «إطعام وإسهام» للعام الثاني.

وقال الشيخ الصفار: مجتمعنا مجتمع شاب، ونسبة الشباب نسبة عالية، ويحتاجون إلى استيعاب واحتضان، ويمكن لهذه المضاف والمواكب أن تقوم بدور كبير في استيعاب طاقات أبناء المجتمع، وتوجيهها لما ينفعهم وينفع مجتمعهم.

وأبان سماحته: إن التركيز في إحياء المناسبات والشعائر الحسينية ينبغي أن يكون على نشر الوعي، وتعزيز القيم في نفوس الناس، وتبني حاجات المحتاجين في المجتمع. وتابع: في مثل هذه المناسبات، وفي أجواء الشعائر الحسينية، تكون النفوس مهياة لتقبل الفكر والتوجيه والموعظة، فعلى أن نهتم بتوفير الثقافة السليمة، والوعي الذي يحتاجه المجتمع، من خلال الكتاب، أو الأفلام القصيرة، والمسرحيات الهادفة، وكل وسائل التأثير في أفكار الناس ونفوسهم.

وطالب بعدم إغفال الدور الاجتماعي لهذه الشعائر، وتوجيهها في خدمة المجتمع، وتساءل: كم لدينا من العوائل تعيش في بيوت غير صالحة للسكن، وتحتاج إلى التأهيل والترميم والإصلاح؟.

وأضاف: لو أن كل مضيف حمل على عاتقه وتبنى فكرة ترميم مجموعة من بيوت العوائل الفقيرة، وأعلن عنه، وسعى خلال العام لذلك، لكان العمل مباركاً ومضاعفاً وفيه صفة الديمومة.

وتحدث سماحته عن بذل الطعام للناس، فهو عنوان الكرم والسخاء الذي يشجع عليه الإسلام، وقد وردت نصوص كثيرة تحث على الإطعام، لكن بذل الطعام ينبغي أن يكون مستهدفاً للفئات الأكثر حاجة للطعام والإطعام.

وتابع: ندعو هذه المضائف الكريمة التي هي عنوان من عناوين إحياء الشعائر الحسينية، إلى الاهتمام بحاجات العوائل الفقيرة، والتعاون مع الجمعيات الخيرية لمعرفة المحتاجين، ورصد أوضاعهم، والسعي لحل مشاكلهم.

واقترح أن يُشترى كميات من الطعام كمؤونة للعوائل المحتاجة، كما يحدث في شهر رمضان المبارك، حيث تقوم بعض الجهات بتوفير المؤونة للمحتاجين، وتقوم بتوصيلها إليهم، وبدل أن يقدم الطعام المتهىء فقط يقدم لهم مؤونة من الطعام تكفيهم لعام كامل.

وعن موارد الخدمة لأهل البيت عليهم السلام قال سماحته: إن أبرزها هو إحياء ذكرهم؛ لأنّ ذكرهم هو معلم ومنار في طريق البشرية، وتعزيز القيم التي عاشوا من أجلها، والرسالة التي خدموها، ونذروا حياتهم من أجل تثبيتها، والتأسي والافتداء بهم في خدمة الناس والاهتمام بالأمم الفقراء والمحتاجين.

وأوضح أنّ من الواجب علينا أن يبقى ذكر أهل البيت خالداً في الحياة، ويجب أن نورثه للأجيال المقبلة، فكلّ عمل له دور في إحياء ذكر أهل البيت وتخليدهم، له أجر وثواب عظيم عند الله.

وتابع: أهل البيت عليهم السلام مشروع رسالي قيمي، وخدمتهم هي خدمة مشروعهم القيمي، وفي كلامهم وسيرتهم اهتمام بعباد الله الفقراء، والمستضعفين، والمحتاجين. يُشار إلى أنّ حملة «إطعام وإسهام» بإشراف «لجنة المحبة بالقطيف» تنطلق للعام الثاني على التوالي وهي تدعو المضاييف الحسينية المنتشرة في المنطقة، بأن يضيفوا إلى خدمة الإطعام إسهامات أخرى. وتدعو اللجنة الجمهور بالمشاركة في الحملة على هاشتاق #إطعام_إسهام.



الشيخ الصفار: ثمن دماء الشهداء تجفيف منابع الإرهاب^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار لاستثمار الحدث الكبير الذي جرى في قرية الدالوة، وأن يكون ثمن دماء الشهداء تجفيف منابع الإرهاب والتطرف والتكفير.

وقال سماحته: علينا أن نعمل جميعاً لكي لا نضيع هذه الدماء الطاهرة هدراً، وأن نبحث عن أفضل استثمار يخدم المجتمع والوطن.

جاء ذلك خلال الكلمة التي ألقاها سماحته في مخيم المعزّين، في قرية الدالوة في الأحساء، يوم الاثنين ١٧ محرم ١٤٣٦ هـ الموافق ١٠ نوفمبر ٢٠١٤ م.

وأبان سماحته أن تحقق الفائدة، واستثمار هذه الدماء الزكية، لا يكون إلا بالوقوف في وجه الإرهاب الذي عاث في بلاد المسلمين، وشوّه سمعة الإسلام في العالم.

وتابع: لا بُدّ من تضافر الجهود والقوى في مواجهة هذه التيارات المتطرفة، التي طال تخريبها كلّ البلدان، وذلك بتجفيف منابع ثقافة التكفير، والكرامية.

ودعا الشيخ الصفار: لتضافر جهود المخلصين من أبناء الوطن، للوقوف في وجه هذه الثقافة المدمرة، قبل أن تستشري فلا تبقي ولا تذر.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١ / ١١ / ٢٠١٤ م

وقال: إنَّ الإرهاب لم يأت من فراغ، وإنما كانت له أرضية، هي الفكر المتطرف، الذي نما فيه، وأصبح سبب كلِّ هذا البلاء الخطير والعظيم على الأمة والدين. وأوضح: إنَّ أهمَّ ما يجب السعي له هو استثمار هذه الدماء، وتوظيف هذا التعاطف الوطني الذي حصل بعد هذه الحادثة المرعبة.

وأضاف: لا بُدَّ من توظيف هذا التفاعل الوطني الرائع، من أجل تصليب الوحدة الوطنية، ووضع حدٍّ لهذه التوجّهات الإرهابية المتطرفة.

وأشاد سماحته «بأهالي الأحساء الكرام، الذين بيّضوا وجوهنا على مستوى الوطن، ومستوى العالم، بأدائهم الوطني والإسلامي والوحدوي، وهو موضع افتخار واعتزاز من الجميع».

وأبان: إنَّ هذه الحادثة أظهرت لأبناء الوطن والعالم مدى الطيب والصدق الذي يكمن في نفوس المؤمنين في الأحساء.

يذكر أن عددًا من الإرهابيين أطلقوا الرصاص في ليلة العاشر من المحرم، على حسينية المصطفى بقريّة الدالوة في الأحساء، مما أدّى إلى استشهاد ٨ من المشاركين وإصابة عدد آخر.

وسبق أن أصدر الشيخ الصفار بياناً أكد فيه: أن المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء إنما أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية .

وقال: «إنَّ الرّدّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي».

وأشار الشيخ الصفار إلى أن ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبرار، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن



يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم حيث أثبتوا ما كان متوقعاً منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.





الصفار: أرادوا إشعال الفتنة^(١)

أكّد حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال: إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي. وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتّاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمّن الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء، وقدموا أرواحهم، وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء.

(١) جريدة مكة المكرمة الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤م



الشيخ حسن الصفار يؤكد أنّ منفذ العملية الإرهابية بالأحساء أرادوا تفجير

النسيج الاجتماعي الوطني في المملكة^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنّما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال في تصريح لوكالة الأنباء السعودية: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي.

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني

(١) صحيفة اليوم الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤م.

والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأن هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمّن الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه، الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله -، نحو التقدم والإصلاح.



الصفار: منفذو جريمة الأحساء أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي^(١)

أكّد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال في تصريح لوكالة الأنباء السعودية: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي».

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة التي انطلقت على مستوى

(١) صحيفة المدينة الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤ م.

الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأن هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثنّ الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحدّيات، ويسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله - نحو التقدم والإصلاح.



علماء الأحساء والقطيف: جريمة

«الدالوة» لن تشق الصف

أثنا على الإنجاز الأمني.
بالقبض على الإرهابيين..
وأشادوا بموقف مفتي
السعودية وهيئة كبار
العلماء^(١)

وقال رجل الدين البارز الشيخ حسن الصفار، إن المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية، داعياً للردّ على هذه الجريمة عبر «تعزيز التلاحم والتعايش الوطني».

إلى ذلك، أكّد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنما أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال إن «الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي».

(١) صحيفة الشرق الأوسط الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤ م.

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم «نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمن على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة»، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، «حيث أثبتوا ما كان متوقعاً منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح».

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، «استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوى وعزاء، ويجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ».

وثنى الجهود المبذولة من رجال الأمن «الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن»، مقدّماً إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعياً الله أن يلهم أهلهم الصبر والسلوان.

ودعا الشيخ الصفار «الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله، نحو التقدم والإصلاح».



الصفار: منفذو عملية الإحساء الإرهابية أرادوا إشعال الفتنة الطائفية^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي».

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسّلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

(١) صحيفة الجزيرة الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤م.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتّاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.



حسن الصفار: الإرهابيون استهدفوا قتل حزب النسيج الاجتماعي الوطني.. الرد بتعزيز التلاحم^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية. وقال في تصريح لوكالة الأنباء السعودية: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي. وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى

(١) جريدة الاقتصادية الصادرة يوم الأربعاء ١٢ محرم ١٤٣٦ هـ. الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١٤ م، العدد ٧٦٩٥.

الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأن هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثنّ الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان. ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه، الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحدّيات، وسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله -، نحو التقدم والإصلاح.



الصفار: منقذو العملية الإرهابية
أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي
الوطني

تعزير التلاحم بنشر

ثقافة التسامح

وتجريم التحريض على

الكراهية^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال: «إنّ الرد المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزير التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي»، مضيفاً: «إنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخيري الدنيا والآخرة»، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

(١) جريدة عكاظ الصادرة يوم الخميس ١٣ محرم ١٤٣٦هـ، الموافق ٠٦ نوفمبر ٢٠١٤م، العدد: ٤٨٩٠.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمّن الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه، الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّ خطوات قاداتها - حفظهم الله - نحو التقدم والإصلاح.



«الصفار»: منقذو الجريمة النكراء أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنما أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال في تصريح صحفي أمس إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي. وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبرارًا، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخيري الدنيا والآخرة. وأشاد بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعًا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح. كما أشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى

(١) صحيفة الوطن الصادرة يوم الخميس ٦ نوفمبر ٢٠١٤م.

الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأن هذه المواقف المشكورة هي خير سلوى وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمن الصفار الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحدّيات، وأن يسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله - نحو التقدم والإصلاح.



الصفار: زُذُوا على جريمة الدالوة بالتعايش واللحمة الوطنية^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار إلى الردّ على جريمة الدالوة الإرهابية، بتعزيز التلاحم والتعايش الوطني، ونشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي، ورفض ممارسات التمييز والإقصاء، داعياً الله لقادة البلاد والمسلمين بالسّداد نحو التقدم والإصلاح.

وأكد الصفار أنه حين يستهدف المتطرفون الإرهابيون مجلس عزاء ديني في الأحساء ليلة العاشر من المحرم، فإنهم يتبعون تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال: «نحتسب ضحايا العدوان الأثيم عند الله تعالى شهداء أبراراً»، ونسأل الله تعالى لهم عظيم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسّلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة. وأكد أن أهلنا الكرام في الأحساء أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح، وكانت مواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتّاب وإعلاميين، تستنكر

(١) صحيفة الشرق الصادرة بتاريخ ٠٦ / ١١ / ٢٠١٤م، العدد رقم (١٠٦٨)، صفحة (٩).

العدوان الأثيم وتؤكد على الوحدة والمساواة بين المواطنين سنة وشيعة، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها المتطرفون التكفيريون.

وختم الصفار حديثه بالدعاء أن يحمي الله بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ مكروه، ويعين أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، ويسدّ خطوات قادتها نحو التقدم والإصلاح.



الصفار: الجريمة
لإشعال الفتنة الطائفية
... والردّ بتجريم
«الكراهية» وتعزيز
التلاحم^(١)

أكّد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة (محافظة الأحساء) «أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية». وقال الصفار، في تصريح بثته «وكالة الأنباء السعودية»: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح وتجريم التحريض على الكراهية وإدانة الشحن الطائفي».

وأردف: «إنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخيري الدنيا والآخرة»، مشيداً بـ «موقف أهل الأحساء ووطنيتهم، إذ أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح». كما أشاد الصفار بمواقف «التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء

(١) جريدة الحياة الصادرة يوم الخميس، ٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤م.

وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير»، مضيفاً: «إنّ هذه المواقف هي خير سلوى وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ».

وثنّى الصفار الجهود المبذولة من رجال الأمن، «الذين سقط منهم شهداء، وقدّموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن»، مقدّماً إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعياً الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان. ودعا «الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا من كلّ شرٍّ ومكروه، وأن يُعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحدّيات، وأن يسدّد خطوات قادتها نحو التقدم والإصلاح».



حسن الصفار: الردّ على جريمة الأحساء هو التلاحم^(١)

أكّد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء إنّما أرادوا من ذلك تدمير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال في تصريحات نقلتها وكالة الأنباء السعودية «واس»: إنّ «الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي».

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم» نحسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسّلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخير الدنيا والآخرة مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامح على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح».

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى

(١) العربية.نت الأربعاء ١٢ محرم ١٤٣٦هـ - ٥ نوفمبر ٢٠١٤م.

الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأن هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.



الصفار: تعزيز التلاحم الوطني هو الردّ على جريمة الأحساء^(١)

جمال عبدالله - القطيف

دعا الشيخ حسن الصفار إلى استثمار ما جرى في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء في تعميق الوحدة الوطنية وتجفيف منابع الإرهاب والتطرف والتكفير. وقال: إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، من خلال نشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها الصفار بمخيّم المعزّين في قرية «الدالوة» في الأحساء يوم أمس. وأشار إلى ضرورة الوقوف في وجه الإرهاب الذي عاث في بلاد المسلمين وشوّه سمعة الإسلام في العالم، مؤكّداً أنه لا بُدّ من تضافر الجهود والقوى في مواجهة هذه التيارات المتطرفة التي طال تخريبها كلّ البلدان من خلال تجفيف منابع ثقافة التكفير، والكراهية، داعياً إلى تضافر جهود المخلصين من أبناء الوطن للوقوف في وجه هذه الثقافة المدمّرة قبل أن تستشري فلا تبقي ولا تذر.

وأوضح أنّ أهمّ ما يجب السعي له هو توظيف هذا التعاطف الوطني الذي حصل بعد هذه الحادثة المروعة، وهذا التفاعل الوطني الرائع في سبيل تعميق الوحدة

(١) صحيفة المدينة الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤ م.

الوطنية، ووضع حدّ لهذه التوجهات الإرهابية المتطرفة، مشيداً بأهالي الأحساء، وقال: إنهم بيّضوا وجوهنا على مستوى الوطن ومستوى العالم بأدائهم الوطني والإسلامي والوحدوي، وهو موضع افتخار واعتزاز من الجميع».



الصفار: الحادث أظهر صفاء القلوب^(١)

حمزة بوفهيد - الأحساء

طالب الشيخ حسن الصفار خلال تقديمه واجب العزاء في شهداء بلدة الدالوة، بأن نعمل جميعاً حتى لا تضيع دماء شهداء الوطن هدراً، والتي يجب أن تصان ويجب أن تحفظ وذلك لا يتحقق إلا إذا كانت هذه الدماء سبباً في تجفيف منابع التطرف والإرهاب والتكفير والتوجّهات الإجرامية التي عاثت في أوطان المسلمين فساداً وتخريباً وشوّهت سمعة الإسلام في العالم، وقد وصل بلاؤها وخطورها إلى مختلف الأرجاء، أن تتصافر الجهود والقوى في مواجهة هذه التيارات المتطرفة وذلك لا يكون إلا بتجفيف منابع الثقافة التكفيرية ثقافة التحريض على الكراهية وعلى البغضاء والتعبئة التعصبية التي نجدها في مختلف المجالات والأوساط، أن للوطن أن تتكاتف جهود أبنائه المخلصين حتى يضعوا حدّاً لهذه الثقافة الإرهابية الإجرامية. الإرهاب لم يأت من فراغ وإنما جاء من هذه الأرضية التي نما فيها والتي أصبحت لكل هذا البلاء الخطير والعظيم على الأمة والدين.

إنّ أهم ما نسعى إليه أن يستثمر الوطن هذه الدماء وأن نوظف هذا التفاعل الوطني الرائع الذي حصل بعد هذه الحادثة المروعة من أجل تصنيف الوحدة الوطنية ووضع حدّ لهذه التوجّهات الإرهابية المتطرفة، ولا يفوتني أن أشيد بأهالي الأحساء

(١) صحيفة اليوم الصادرة بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٤ م.

الكرام الذين بيّضوا الوجوه على مستوى الوطن وعلى مستوى العالم بأدائهم الوطني
الوحدوي. هذه الحادثة أظهرت للعالم كلّه ولأبناء الوطن مدى الطيبة والصدق الذي
يكمّن في نفوس الأحسائيين وكلّنا نعيش هذا الصفاء وهذا الإخلاص.



دعالتجفيف منابع الإرهاب بالمملكة

الشيخ الصفار يشيد بأهالي الأحساء ويثني على تعزيزهم للحملة الوطنية^(١)

القطيف: منير النمر

طالب المفكر الإسلامي الشيخ حسن الصفار من على منبر مجلس العزاء المقام لشهداء بلدة الدالوة الذين أطلق عليهم إرهابيون النار مساء التاسع من شهر محرم الحالي بأهمية تجفيف منابع الإرهاب، داعياً لاستثمار الحدث الكبير الذي جرى في الدالوة بمحافظة الأحساء، وقال: «لا بُدَّ أن يكون ثمن دماء الشهداء تجفيف منابع الإرهاب والتطرف والتكفير».

وأضاف أمس «علينا أن نعمل جميعاً؛ لكي لا تضيع هذه الدماء الطاهرة هدراً، وأن نبحث عن أفضل استثمار يخدم المجتمع والوطن». وتابع «إنَّ تحقق الفائدة واستثمار هذه الدماء الزكية لا يكون إلا بالوقوف في وجه الإرهاب الذي عاث في بلاد المسلمين وشوّه سمعت الإسلام في العالم»، مضيفاً «لا بُدَّ من تضافر الجهود والقوى في مواجهة هذه التيارات المتطرفة التي طال تخريبها كلَّ البلدان، وذلك بتجفيف منابع ثقافة التكفير، والكراهية». وأبان بأنَّ هناك مخلصين من أبناء الوطن،

(١) جريدة الرياض، الأربعاء ١٩ محرم ١٤٣٦ هـ - ١٢ نوفمبر ٢٠١٤ م - العدد ١٦٩٤٢، صفحة رقم (٦).

يجب أن يقفوا جميعاً في وجه هذه الثقافة المدمرة قبل أن تستشري فلا تبقي ولا تذر. وأضاف «الإرهاب لم يأت من فراغ، وإنما كانت له أرضية هي الفكر المتطرف الذي نما فيه وأصبح سبب كل هذا البلاء الخطير والعظيم على الأمة والدين».

وأبان بأن أهم ما يجب السعي له هو استثمار هذه الدماء، وتوظيف هذا التعاطف الوطني الذي حصل بعد هذه الحادثة المروعة، مضيفاً «لا بُدَّ من توظيف هذا التفاعل الوطني الرائع من أجل تصليب الوحدة الوطنية، ووضع حدٍّ لهذه التوجهات الإرهابية المتطرفة»، مقدِّماً إشارات بموقف أهالي الأحساء، إذ قال: «لقد بيّضتم وجوهنا على مستوى الوطن، ومستوى العالم بأدائهم الوطني والإسلامي والوحدوي، وهو موضع افتخار واعتزاز من الجميع». وذكر بأن الحادثة أظهرت لأبناء الوطن والعالم مدى الطيب والصدق الذي يكمن في نفوس المؤمنين في الأحساء.



الشيخ الصفار: منفذو العملية الإرهابية
بالأحساء أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي
الوطني. في المملكة^(١)

القطيف منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنّما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي. وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوّضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

(١) جريدة الرياض الخميس ١٣ محرم ١٤٣٦هـ - ٦ نوفمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٩٣٦، صفحة رقم (١٥).

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمّن الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه، الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّد خطوات قادتها حفظهم الله نحو التقدّم والإصلاح.



الشيخ حسن الصفار يؤكد أنّ منفذى العملية الإرهابية بالأحساء أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي الوطني في المملكة^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار أنّ المتطرفين الإرهابيين الذين استهدفوا قتل أبرياء في قرية الدالوة بمحافظة الأحساء، إنّما هم أرادوا من ذلك تفجير النسيج الاجتماعي الوطني، وإشعال الفتنة الطائفية.

وقال في تصريح لوكالة الأنباء السعودية: «إنّ الردّ المطلوب على هذه الجريمة النكراء، هو تعزيز التلاحم والتعايش الوطني، بنشر ثقافة التسامح، وتجريم التحريض على الكراهية، وإدانة الشحن الطائفي.

وأشار الصفار إلى أنّ ضحايا هذا العدوان الأثيم نحتسبهم عند الله تعالى شهداء أبراراً، ونسأل الله تعالى لهم المغفرة والرضوان ورفيع الدرجات، وأن يلهم ذويهم الصبر والسّلوان، وأن يمنّ على الجرحى والمصابين بالشفاء العاجل، ويعوضهم بخير الدنيا والآخرة، مشيداً بموقف أهل الأحساء ووطنيتهم، حيث أثبتوا ما كان متوقّعا منهم، وما هو معروف في تاريخهم من التسامي على الجراح، ونضج الوعي الديني والوطني، والتمسك بنهج التعايش والتسامح.

(١) وكالة الأنباء السعودية ١٢ محرم ١٤٣٦هـ، الموافق ٠٥ نوفمبر ٢٠١٤ م.

وأشاد بمواقف التعاطف والتضامن الواعية النبيلة، التي انطلقت على مستوى الوطن، من مسؤولين وعلماء وكتاب وإعلاميين، استنكروا هذا العدوان الأثيم، والتي تؤكّد الوحدة والمساواة بين المواطنين، وترفض نهج التطرف والإرهاب والتكفير، وأنّ هذه المواقف المشكورة هي خير سلوة وعزاء، يجب استثمارها والتأسيس عليها لتعزيز الوحدة الوطنية، وسدّ الثغرات التي ينفذ منها أصحاب الفكر الضالّ.

وثمّن الجهود المبذولة من رجال الأمن الذين سقط منهم شهداء وقدموا أرواحهم وبذلوا كلّ جهدهم في مواجهة الإرهابيين وحماية الوطن، مقدّمًا إلى أهلهم وذويهم واجب العزاء، داعيًا الله أن يُلهم أهلهم الصبر والسّلوان.

ودعا الشيخ الصفار في ختام تصريحه، الله العليّ القدير أن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من كلّ شرٍّ ومكروه، ويعين الله أمتنا على مواجهة الفتن والتحديات، وسدّد خطوات قادتها - حفظهم الله -، نحو التقدّم والإصلاح.



الشيخ حسن الصفار: وطننا
مستهدف من قوى الإرهاب..
وعلينا مواجهتهم «بصف
واحد»^(١)

القطيف - منير النمر

قال الشيخ حسن الصفار أمام حشدٍ من المصلين أمس: «إنَّ وطننا مستهدف من قوى الإرهاب.. وعلينا مواجهتهم بصفٍّ واحد.. ودعا إلى تجريم التحريض الطائفي والحضّ على الكراهية وإثارة العنصرية بين فئات الشعب السعودي، مؤكِّدًا أنه لا يصحّ أبدًا ترك الساحة مفتوحة للمحرّضين ضد مكونات المجتمع والوطن.

وتابع «إنَّ تجريم التحريض على الكراهية وإثارة العنصرية إنّما يأتي في مصلحة الأمن واستقرار المجتمعات».

وأضاف «لا يكفي مواجهة حالات التعدي على الحقوق المعنوية للآخرين بالوعظ والنصيحة».. وقال «إنَّ هجوم الدالوة أيقظ الضمير الوطني». وأشاد الصفار بالتعاطي الإيجابي الذي أظهره أهالي الأحساء في أعقاب وقوع «فاجعة الدالوة»، وسقوط ثمانية شهداء برصاص العناصر الإرهابية. وقال: «إنَّ الأهالي أثبتوا للجميع

(١) نشر بجريدة الرياض، الأحد ٢٣ محرم ١٤٣٦هـ - ١٦ نوفمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٩٤٦، صفحة رقم

ما هو معروف في تاريخهم من الإصرار على وحدة الصف وإدانة المعتدي دون تعميم أو انجرار إلى الفتن»، مضيفاً «العملية الإرهابية أيقظت الضمير الوطني».

وأشاد الصفار بالتعاطي الرسمي والتعاطف الشعبي على المستوى الوطني مع ضحايا الحادثة، ورأى أنّ الوقت بات مناسباً لمعالجة ملفّ التحريض الطائفي، داعياً انتهاز الفرصة وأخذ زمام المبادرة ومعالجة ملفّ التجيش والتعبئة الطائفية.

يشار إلى أنّ أعضاء في مجلس الشورى تقدّموا بأوراق عمل تدعو لسنّ قوانين تجرّم الطائفية والتحريض عليها، وينظر المجلس حالياً هذه الطلبات الجادة عبر أعضائه الذين توقعوا أن يتمّ اعتمادها وفق الآليات القانونية في مثل هذه الحالات.

الصفار يدعو لتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة الإرهاب^(١)

جعفر الصفار - القطيف

دعا الشيخ حسن الصفار إلى سنّ قانون يجرّم التحريض الطائفي والحضّ على الكراهية وإثارة العنصرية بين فئات الشعب السعودي.

وأضاف الصفار أمام جمع من المواطنين في محافظة القطيف، الجمعة بقوله: «لا يصحّ أبداً ترك الساحة مفتوحة للمحرّضين ضدّ مكونات المجتمع والوطن»، مضيفاً: إنّ قوانين تجريم التحريض على الكراهية وإثارة العنصرية إنّما تأتي في مصلحة الأمن واستقرار المجتمعات. وتابع: إنّ التعبئة الطائفية تخلق أرضية للاحتراب والعنف وتقود حتماً لأعمال العنف والقتال، وهذا ما لا يرتضيه أيّ مجتمع أن يتحول إلى ساحة نزاع واحتراب.

وقال الصفار: «لا يكفي مواجهة حالات التعديّ على الحقوق المعنوية للآخرين بالوعظ والنصيحة»، داعياً إلى مواجهة ذلك بإيقاع العقوبات المباشرة كما يقضي الشرع والقانون. وأشاد الشيخ الصفار بما وصفه بالتعاطي الإيجابي الذي أظهره أهالي الأحساء في أعقاب وقوع «فاجعة الدالوة» وسقوط ثماني ضحايا برصاص العناصر الإرهابية.

(١) نشر في جريدة اليوم: الأحد ٢٣ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ١٦ نوفمبر ٢٠١٤، العدد ١٥١٢٩.

وقال الشيخ الصفار: إنَّ الأهالي «أثبتوا للجميع ما هو معروف في تاريخهم.. من الإصرار على وحدة الصف وإدانة المعتدي دون تعميم أو انجرار إلى الفتنة».

وأضاف: إنَّ فاجعة الدالوة أيقظت الضمير الوطني وسلّطت الأضواء على خطورة التجيش الطائفي وضرره على الجميع بما يخلقه من أرضية للاحتراب والافتتال. وأشاد بالتعاطي الرسمي والتعاطف الشعبي على المستوى الوطني مع ضحايا الحادثة. ورأى الشيخ الصفار أنَّ الوقت بات مناسباً لمعالجة ملفِّ التحريض الطائفي. ودعا إلى انتهاز الفرصة وأخذ زمام المبادرة.

وتابع: إنَّ وطننا مستهدف من قوى الإرهاب، داعياً إلى مواجهة هذه القوى «بصفِّ واحد»، مشيراً إلى أنَّ الجميع ينتظر أن تكون حادثة «الدالوة» منعطفًا إيجابياً في تاريخ البلد بفضل تعاون الجميع.

الصفار يدعو لتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة الإرهاب^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار إلى سنّ قانون يجرّم التحريض الطائفي والحضّ على الكراهية وإثارة العنصرية بين فئات الشعب السعودي.

وأضاف الصفار أمام جمع من المواطنين في محافظة القطيف، الجمعة وفق صحيفة اليوم السعودية اليوم الأحد (١٦ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٤): «لا يصحّ أبدًا ترك الساحة مفتوحة للمحرّضين ضدّ مكونات المجتمع والوطن»، مضيفًا: إنّ قوانين تجريم التحريض على الكراهية وإثارة العنصرية إنّما تأتي في مصلحة الأمن واستقرار المجتمعات.

وتابع: إنّ التعبئة الطائفية تخلق أرضية للاحتراب والعنف وتقود حتمًا لأعمال العنف والاقتيال، وهذا ما لا يرتضيه أيّ مجتمع أن يتحول إلى ساحة نزاع واحتراب.

وقال الصفار: «لا يكفي مواجهة حالات التعدي على الحقوق المعنوية للآخرين بالوعظ والنصيحة»، داعيًا إلى مواجهة ذلك بإيقاع العقوبات المباشرة كما يقضي الشرع والقانون. وأشاد الشيخ الصفار بما وصفه بالتعاطي الإيجابي الذي أظهره أهالي الأحساء في أعقاب وقوع «فاجعة الدالوة» وسقوط ثماني ضحايا برصاص العناصر الإرهابية.

(١) صحيفة الوسط البحرينية - العدد ٤٤٥٣ - الأحد ١٦ نوفمبر ٢٠١٤ م الموافق ٢٣ محرم ١٤٣٦ هـ.

وقال الشيخ الصفار: إنَّ الأهالي «أثبتوا للجميع ما هو معروف في تاريخهم.. من الإصرار على وحدة الصف وإدانة المعتدي دون تعميم أو انجرار إلى الفتنة».

وأضاف: إنَّ فاجعة الدالوة أيقظت الضمير الوطني وسلّطت الأضواء على خطورة التجيش الطائفي وضرره على الجميع بما يخلقه من أرضية للاحتراب والافتتال. وأشاد بالتعاطي الرسمي والتعاطف الشعبي على المستوى الوطني مع ضحايا الحادثة. ورأى الشيخ الصفار أنَّ الوقت بات مناسباً لمعالجة ملف التحريض الطائفي. ودعا إلى انتهاز الفرصة وأخذ زمام المبادرة.

وتابع: إنَّ وطننا مستهدف من قوى الإرهاب، داعياً إلى مواجهة هذه القوى «بصفِّ واحد»، مشيراً إلى أنَّ الجميع ينتظر أن تكون حادثة «الدالوة» منعطفاً إيجابياً في تاريخ البلد بفضل تعاون الجميع.

القطيف.. سيدات وفتيات نادي «خطوة واعدة» في زيارة للشيخ الصفار^(١)

فرات آل خليف

زارت ٣٣ فتاة وسيدة مكتب الشيخ حسن الصفار، صباح اليوم، بتاريخ ٢٤ محرم ١٤٣٦ هـ الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠١٤ م ضمن فعاليات البرنامج الأسبوعي لنادي خطوة واعدة للفتيات بالقطيف.

وبدأت الجلسة مع مديرة نادي خطوة واعدة، افتخار آل دهنيم، بالتحدث عن النادي، وأهم الإنجازات الجديدة، والتطورات المصاحبة لتنفيذ خطة الموسم لهذا العام، التي كان من أهمها افتتاح فرع نادي خطوة واعدة للفتيات بمنطقة الأحساء، الذي سوف يشارك في تنفيذ ملتقى موحد مع النادي بالقطيف، عند انتهاء البرنامجين، بالإضافة الى فوز النادي بجائزة أفضل مشروع اجتماعي منجز في المنطقة، في مسابقة رسالة للفرق التطوعية.

من جهته أبدى الشيخ الصفار سعادته وسروره بتواجد مثل هذا الصرح التربوي الواعد، حسب تعبيره في المنطقة، الذي واكب نشاطه منذ بداية مواسمه الأولى، متأملاً بأن يصبح النادي نموذجاً يقتدى به ويؤخذ بحذوه، وتنفيذه في كل مدينة في المنطقة، بسبب أهمية الأهداف التي يمثلها، والتي تخدم الفتاة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام.

(١) جبهة الإخبارية ١٧ / ١١ / ٢٠١٤ م.

وتحدّث الشيخ عن المراحل التعليمية والحياتية التي يمرّ بها الانسان، مؤكّداً أهمية العمل في كلّ مرحلة من أجل الوصول إلى النجاح في المراحل التي تليها، والتي قد ينسى الإنسان دور كلّ منها في بناء مستقبله، إما بسبب استهلاكه لطاقاته، أو التخاذل عن السعي وراء أهدافه، أو بسبب الكسل وعدم الرغبة في مواجهة الصّعوبات.

وذكر الشيخ الصفار أهمية تأسيس شخصية الإنسان، التي تبدأ منذ مرحلة الطفولة، تتلوها مرحلة المراهقة والشباب.

وأكد أهمية تهذيب وكبح جماح الرغبات، وعدم الانقياد وراءها، في أيّ مرحلة؛ لأنّه إذا أطلق لها العنان قد تدمّر المراحل القادمة في حياته، التي سوف تؤثر بالتالي في أبعاد شخصيته العقلية والجسمية والروحية بجميع جوانبها.

اختتم الشيخ الجلسة بذكر بعض التوصيات المتعلقة بتطوير النادي، وشدّد على أهمية السعي في تشجيع جيل الشباب، وحثّهم على تسخير طاقاتهم في خدمة المجتمع، وتقديم أفضل ما لديهم لرفع مستوى أبناء المنطقة والوطن.



الشيخ الصفار: مجتمعنا واعد ومليء بالكفاءات^(١)

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن مجتمعنا مجتمع واعد، ومليء بالكفاءات والقدرات، لكن أبناءنا في حاجة إلى الأجواء التي تساعدنا على اكتشاف أنفسنا، وعلى التعبير عن ذاتهم.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها سماحته ضمن برنامج «مهرجان الإمام الحسين الخطابي الثاني» الذي نظّمه نادي واحة القطيف، بحسينية الرسول الأعظم بحى الدخل المحدود في جزيرة تاروت، مساء يوم الجمعة ٢٨ / ١ / ١٤٣٦ هـ الموافق ٢١ / ١١ / ٢٠١٤ م.

وأوضح سماحته: أنه يقرأ في وجوه الحاضرين ما يدلّ على أن هناك طاقات وكفاءات تشقّ طريقها نحو التعبير عن ذاتها، وخدمة مجتمعها ووطنها.

وطالب بدعم كلّ الأنشطة، وكلّ الأطر، وكلّ البرامج التي تساعدنا على اكتشاف المواهب والطاقات، في أبناء مجتمعنا، وعلى تنمية وتفجير هذه الكفاءات والمواهب.

وأبان: أنه ومن خلال تجربته في ممارسة الخطابة، وجد أن الخطابة تفيد الإنسان ذاتاً، لأنّها تمكّنه من التعبير عن نفسه، وتمكّنه من تفجير مختلف الكفاءات والقدرات في شخصيته.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٤ / ١١ / ٢٠١٤ م.

وتابع: لذلك عادة ما يكون الخطباء رواداً مؤثرين في مجتمعاتهم؛ لأنّ الخطابة هي التي تساعدهم على نمو الشخصية القيادية في ذواتهم.

ومضى يقول: إنّ الخطابة تمكّن الإنسان من القيام بدور أكثر فاعلية، وأكثر إسهاماً في بيئته ومحيطه، بل وعلى المستوى العالمي.

وأشار إلى أنّ جزءاً من المقاييس التي تقوم بها الشخصيات السياسية أو الإدارية أو العلمية، امتلاكهم لهذه الملكة ملكة الخطابة.

كما أشاد بهذا البرنامج وبالجهود الطيبة المبذولة، داعياً للجميع بالتوفيق والقبول.

هذا وقد تولّى سماحة الشيخ الصفرار تكريم الفائزين، حيث حقق الدكتور ماهر السيف المركز الأول من بين ١١ متسابقاً من خلال مشاركته بخطبةٍ تعنونت بـ «ويبقى الحسين»، وفاز بالمركز الثاني علي المطوع، وجاء في المركز الثالث إبراهيم العبيدي.

وتمثلت لجنة أعضاء التحكيم في كلّ من الأساتذة: أحمد القريش، وصادق الجشي، ومقداد بن حسين.

وتسابق في هذا المهرجان كلّ من: حسن الصالح، ومحمد خزعل، ومصطفى الغزوي، ومحمد العيسى، وعلي السويدي، وإبراهيم العبيدي، وفاضل الصفرار، وعلي المطوع، ومحمود الدبيس، ورائد العلق.





ندوة جريدة الرياض (ندوة الثلاثاء) التي استضافها مكتب الشيخ الصفار^(١)

استعرض الصف الوطني المتماسك وحدة وتلاحماً حضوره بعد «حادثة الدالوة» الإرهابية في الأحساء، حيث أظهرت مشاعر المواطنين الصادقة تجاه وطنهم وقيادتهم ورجال أمنهم استنكارهم للجريمة، ووعيهم بأن ما حدث كان هدفه ضرب الوحدة الوطنية، من خلال إثارة فتنة طائفية بغیضة، وشقّ الصف، وتهديد السلم المجتمعي، ولكنّ الله ردّ كيدهم في نحورهم.

لقد منحت «حادثة الدالوة» المجتمع فرصة جديدة ليختبر مدى قدرته على تحمّل الصدمة، واتخاذ موقف منها، والمضي معاً في مواجهتها مهما كانت التحديات؛ لأنّ الوطن الكبير هو مظلة الجميع، ولا يمكن أن ينزف طرف منه من دون أن تتأثر بقية أطرافه؛ ولذا كان الجميع حاضراً على موعد مع الوطن.. أخوة متحابين متعاونين.

وأظهرت المشاعر الوطنية تجاه الحادثة مدى أهمية الرسالة الإعلامية في التعبير عن الموقف، بلا مزايدات، أو تبادل اتهامات، أو لوم أو تقصير، حيث لم يكن السنّي بأفضل حالاً من الشيعي أو العكس، بل كان الجميع واعياً بقيمة الوحدة الوطنية التي

(١) جريدة الرياض الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٣ صفر ١٤٣٦هـ - ٢٥ نوفمبر ٢٠١٤م - العدد ١٦٩٥٥، صفحة رقم (٤١).

تستلزم نبذ التعصب، والكراهية، وخطاب الإقصاء بين أبناء المجتمع الواحد. «ندوة الثلاثاء» التي نظمتها صحيفة الرياض تناقش هذا الأسبوع دور وسائل الإعلام في تعزيز الوحدة الوطنية بين مكونات المجتمع المتعدّد مذهبياً وثقافياً.

مسؤولية مشتركة

في البداية أكّد الشيخ «حسن الصفار» على أنّ الوحدة الوطنية لم تعد مجرد شعار سياسي، وإنما أصبحت ضرورة تفرض نفسها على ذهن كل مواطن واع، خاصة بعدما رأينا ما أصاب شعوباً مختلفة، وبلداناً متعدّدة من التمزّق والتناحر والاحتراب.

وقال: «يجب أن نكون أكثر حرصاً على حفظ وحدة وطننا، وحفظ الأمن والاستقرار فيه»، مشيراً إلى أنّ هذه الضرورة لا تؤدّيها جهة بمفردها، فلا الدولة بمفردها قادرة، ولا المواطنون وحدهم قادرون، ولا حتى العلماء والنخب أيضاً.

وأوضح أنّ الله سبحانه وتعالى قد نفى عن نبيه القدرة على تأليف القلوب، لولا المنهج الإلهي الذي كان عنده ﴿لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾.

وأكد على أنّ تطبيق المنهج الإلهي هو الذي يصنع الوحدة، وهذا المنهج هو خارطة يضعها الله سبحانه وتعالى لأبناء البشر، على أساس من العدل والحقوق والواجبات المتبادلة، حتى يقوم الناس بالقسط، كما هو هدف الأنبياء، ولذا الجميع شركاء في تحمّل مسؤولية حماية هذه الوحدة، وكلّ في موقعه يجب أن يؤدي هذا الدور.

وسائل الإعلام

وتطرّق الزميل «منير النمر» إلى دعم الإعلام لتوجّهات الوحدة الوطنية، قائلاً: «لا يمكن أن يُحمّل الإعلام وحده المسؤولية».

واستدرك «نحن نحتاج لفهم عميق للمشكلة أولاً، ثم التفكير في العلاج، ولذا



أجد كثيرًا ممن تحدّثوا عن الوحدة الوطنية اعتبروا أنّ المشكلة هي في الخلاف المذهبي، ورأيي بأنّ هذا ليس هو المشكلة، فالمملكة مثل كلّ دول العالم متعدّدة الثقافات والمذاهب والتوجّهات، وإن علمنا أنّ العالم ليس فيه إلاّ دولتين ليس فيهما تنوع عرقي أو ديني من أصل ١٩٠ دولة في العالم، وهو أمر طبيعي».

وأشار إلى أنّ المملكة مجتمع متنوع ومتعدّد، وهذا بطبعه يولد مشكلات، فإمّا أن توجه تلك المشكلات باتجاه التكامل والإغناء، أو التفارق، مبيّنًا أنّ تركيز الإعلام على التنوع المذهبي أدّى إلى تعسير وإعاقة حلّ المشكلات التي نعاني منها».

وأضاف «الخلاف المذهبي هو أحد التظاهرات للمشكلات، بيّد أنّ كلّ دول العالم فيها مشكلات من هذا النوع، لكننا لا نشهد مشكلات كبيرة كما نشهده في دول عربية، وهذا يُظهر أنّ الصراع ليس مذهبيًا بالدرجة الأولى»، مبيّنًا أنّ الاختلافات بطبعها سياسية، وليست مذهبية.

مشروع فرز

ندوة صحيفة الحياة في بيت الشيخ حسن الصفار وعلّق الأستاذ «محمد بن محفوظ» على حديث الزميل «منير النمر»، قائلاً: «هناك ثلاث نقاط رئيسة في التعاطي الإعلامي مع موضوع الوحدة الوطنية، وهي «أولاً» ألاّ يكون الإعلام ساحة لنشر الأفكار المضادة للوحدة، فكلّنا يعلم أنّ الوحدة مشروع، وحين يسمح الإعلام لنفسه نشر ما يزعزع أمن ووحدة المجتمع؛ فهي محاولة إعلامية مقصودة لتضعيف الوحدة الوطنية، و«ثانياً» أنّ الإعلام يعدّ سلطة رابعة، وكلّنا يعلم ذلك».

وأضاف: وأحسب أنّ هذه السلطة تمارس دور فضح الممارسات والسلوكيات المضادة لحقيقة الوحدة الوطنية، وحينما ترصد المؤسسات الإعلامية هذه الممارسات المضادة على المستوى الوطني سواء كانت على خلفية مناطقية أو مذهبية أو عشائرية أو قبلية؛ ستساهم المؤسسات الإعلامية بشكل كبير في الحدّ من الظواهر السلبية التي نجدها في المجتمع».

وأشار إلى أن «النقطة الثالثة» تكمن في قدرة وسائل الإعلام على تشكيل وتوجيه الرأي العام في المجتمع على أساس تعزيز ثقافة الوحدة كسلوك في نفوس الناشئة تحديداً. وأضاف متسائلاً: «هل لدينا إعلام يملك منظومة إعلامية ذات رؤية واضحة محدّدة الأهداف وبعيدة المدى؟ وهل هو بعيد عن الضغوط المجتمعية التي تمارس دوراً مضاداً للتوجّهات المتفق عليها؟».

وأكد على أن إعلامنا بحاجة إلى «مشروع فرز» على مستوى نوعية الوسائل، وطبيعة مضمونها، وإمكانات القائمين عليها، فمثلاً لدينا إعلام رسمي، وآخر غير رسمي «خاص»، وإعلام افتراضي في تويتر وفيسبوك يصعب السيطرة عليها، والمشكلة أن هذه الإعلامات الثلاثة لم تساهم كما هو مطلوب في دعم الوحدة الوطنية، ضارباً المثل ببعض الصحف التي نشرت مقالات تحمل نَفَسًا طائفيًا أو قبليًا، وهي مشكلة مضادة لمشروع تعزيز القيم الوحدوية.

مجتمع متعدّد

وزاد الأستاذ «محمد الغانم» على حديث «محمد بن محفوظ» بضرورة إيمان الإعلامي بأنه في مجتمع متعدّد، مؤكّداً على أن هذه النقطة لا بُدَّ أن تناقش بكلّ شفافية ووضوح، إذ إن هناك عقليات لا تقبل بأيّ شكلٍ من الأشكال التعددية.

وقال إن هذه العقليات لا تقبل التعدّد الواقعي في المجتمع السعودي، ولا بُدَّ أن يكشف الإعلام التعدّد في المجتمع بكلّ أطيافه، وهو ما لا نشهده في شكل واضح، فإن أخفينا الحقائق التي توجد على أرض الواقع في القطيف والشمال والجنوب والرياض وغيرها سوف يتعوّد المواطن بأن التفكير في بلادنا على منهج واحد، وسيُنظر الطرف الآخر على أساس أنه مارق عبر الأزمات التي تحصل، وينصدم بأن هناك واقعاً غير الذي اعتاده في عقله عبر الإعلام الذي يكرّس جانباً واحداً من التفكير، بينما الواقع يقول غير ذلك.

الرأي العام

وتساءل الزميل «علي العمري» عن تأثير شبكات التواصل الاجتماعي تجاه مشروع الوحدة الوطنية، وأجاب الشيخ «سّطام الخالدي»، قائلاً: «مهما كانت توجّهات المشاركين في شبكات التواصل، ومستوى نقدهم وانتقادهم، إلا أنّ الجميع يقفون مع أمن مجتمعهم ووحدته، وينبذون مظاهر التطرف والغلوّ والإرهاب، ومع ولي الأمر في قراراته وتوجّهاته».

وعلق «محمد الغانم»، موضحاً أنّ الإعلام الإلكتروني ما يزال غير منظم، ومعظمه من الشبان ممن يبحثون فيه عن الحرية ولكن بانفلات أحياناً، مؤكداً على أنّ تويتر اليوم يشكّل الرأي العام السعودي ويمكن القياس عليه.

التنمية والتغيير

وشدّد «د. توفيق السيف» على أهمية الإيمان بالتعددية في المجتمع، قائلاً: «الوحدة الوطنية لن تتعزّز إن اكتفينا بكتابة مقالات عنها، فلدينا مشكلة تحتاج إلى تحديد مصدرها ومعالجتها».

وأشار إلى أن كتاب «د. سعيد الغامدي» «البناء القبلي والتحصّر» لخصّ كثيراً من مراحل النهوض المجتمعي على مستوى التفكير والممارسة، حيث ناقش في فترة زمنية محددة الانتقال من الاقتصاد الزراعي إلى الاقتصاد النقدي، وبداية ظهور آثار البترول، وذلك بالتطبيق على قرية بن أحمر في الجنوب، حيث يساعدنا هذا الكتاب على فهم مشكلتنا، خاصة أنّ المجتمع السعودي كان يعيش في قرى مغلقة، ثم انفتحت فجأة من دون تمهيد وبشكل سريع.

وأضاف وهو ما نتج عنه مشكلة تحدي الهوية التي كانت صلبة وشديدة، وهذا معروف في تلك الحقبة، ثم بعد التحول السريع كان هناك انكسارات في الهوية حصلت

في نفوس آلاف الشباب الذين انتقلوا للمدن، وأصبحوا أثرياء وتغيّر الاقتصاد، وأصبح بديلاً لذلك الواقع».

وأضاف: «نحن لم نبذل جهداً في عملية الانتقال على الصّعيد الاجتماعي، وبالذات مع انطلاق خطة التنمية الأولى ١٩٧١؛ إذ صار الاهتمام على العمران فقط، وليس على استيعاب التنمية الاجتماعية والتغيير الناشئ والسريع، كما لم نطرح أسئلة مثل ما الذي سيحدث في نفسية الناس وعقولهم إن فتحنا شوارع ومدارس ومنحنا جوازات سفر وغير ذلك، وهذه المشكلة هي التي نواجهها».

ويبين أن الناس حين يشعرون بقلق على الهوية يبحثون عن غطاء للصراع سواء كان مذهبياً أو دينياً أو قبطياً، بيد أن أساس المشكلة لا يكمن في هذه العناوين بل في مدى القدرة على استيعاب التغيير، فنجد في بلدان عربية صراعاً سنياً سنياً مثل الصراع في ليبيا، وصراع الإخوان المسلمين مع السلطة المصرية، وكلها عناوين للقلق الحقيقي على الهوية، وهو ما يعني أن الصراع مجرد غطاء لواقع المشكلة في أوطاننا العربية».

وتابع «إن المشكلة سابقة على المذاهب في منطقتنا، فإن قلنا إن المشكلة شيعية سنية، فكيف نفسر مشكلة الإخوان مع غيرهم من نفس المذهب والمنطقة والقبائل أحياناً؟ وهذا يبين أن لدينا مشاكل سابقة، وتم تجاوزها وخرجنا في النهاية بنتائج خاطئة».

تطوير فكرة التعددية

وتساءل الزميل «علي العمري» عن الحلول للحد من الصراع وقلق الهوية، وأجاب «د. توفيق السيف»، مبيّناً أن من الحلول تطوير فكرة الدولة التعددية، وأن الإنسان ليس وحده؛ فمثلاً يرى الشيعي أنه على حق، ويرى السنّي كذلك؛ إذ لا بُدّ أن نؤمن بتعدد الحق، حتى في العالم هناك خيارات مختلفة لا بُدّ أن نؤمن بها، وهذا لا يعني أننا نتنازل عن ثوابتنا وقيمنا، بل المطلوب الإيمان الحقيقي بثقافة التعددية».

وأضاف: «في داخل كلّ مذهب ودين تعدّد، والفكرة التعدّدية مطبقة في الغرب قديماً؛ ففي عام ١٩٧٢ تم تطبيقها في بريطانيا، ونحن في بلادنا يوجد تعدّد، خاصة أنّ بيننا مليون مسيحي ووثني في السعودية من الأجنبي، ولا بُدّ أن نُؤمن بتعدّدهم، وأبناؤنا يعرفون بوجود الأجنبي ودياناتهم، وفي بريطانيا تعايشوا مع التعدّد حتى في مدارس الأطفال، حيث يحتفلون بمناسبات بعضهم بعضاً بما فيها المناسبات الإسلامية، وكانت المدرسة تصرّ على التعدّد طالما أنّ أتباع الدين المعين يزيدون على خمسة طلاب في المدرسة».

مشتركات المجتمع

وشدّد الزميل «محمد الغامدي» على أهمية ترسيخ ما هو بيننا من قيم مشتركة، بدلاً من التركيز على ما أثاره «د. توفيق السيف» من ثقافة الإقصاء على أساس الحقّ الذي يتمسك به كلّ طرف.

وأشاد بوجهة نظر «د. السيف» من أنّ الرجوع لجذور المشكلة هو الحلّ، مستدرّكاً من أنّ الفكرة التعدّدية تبقى فكرة واحدة، ولا يمكن تجزئتها.

وعقب الشيخ «سظام الخالدي» على ما طرحه «د. توفيق السيف»، قائلاً: «الجميع من أصحاب المنهج الوسطي المعتدل يعترف بالآخر وبمكوناته، مع الاحتفاظ بقداسة الإسلام السمح في بلادنا الإسلامية».

وأكد أنّ هذا لا يعني أننا ضدّ الآخر أو نحرض عليه، بل إنّ التآخي بين الأديان أمر مطلوب على المستوى العالمي، وداخلياً علينا أن نحترم ما تؤمن به شعوبنا وننظر لما بيننا، ونركز على التلاحم لخدمة ديننا ووطننا الكبير الذي يجمعنا.

وأضاف: «حين نُؤمن بأننا واحد ونطبق ذلك؛ فإننا على الطريق الصحيح الذي لا يحيد قيد أنملة عن الحقّ»، مشدّداً على أهمية احترام الآخرين ومعتقداتهم التي يؤمنون

بها، وهذا يدلّ على التحضّر والإنسانية وبعد الأفق، مشيراً إلى أنّ الدين الإسلاميّ يحثّ دائماً على الوسطية حتى في عهد نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم. وشدّد الشيخ «الخالدي» على أنّ التعايش مطلب ملحّ في المكون السعودي، مشيداً بتجربة قاطني محافظة القطيف، إذ اعتبر التجربة ناجحة لحدّ أنّ مثيري الفتنة بين الشيعة والسنة لا يمثلون أكثرية في المحافظة، كما أنّ الجميع هنا واحد ويعيش حياته بشكل طبيعي، ولم يؤثّر فيها الإعلام التحريضي، كما أنّ الجميع أيضاً شيعة وسنة يؤمنون بالوحدة الوطنية والتوحد خلف قائد البلاد.

ودعا بالصحة والعافية وطول العمر لخدام الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله تعالى -، قائلاً: «هذا الرجل أسس لنا طريقاً للوحدة والتآخي، وما الحوار الوطني إلا دليل على التعايش في البلاد».

واقع جديد

ورأى الشيخ «جعفر آل ربح» بأنّ الإعلام عليه مسؤولية كبيرة في تعزيز اللحمة الوطنية، ودائماً ما يكون جزءاً من الحلّ في الأزمات التي يشهدها الوطن، وليس هو الذي يزيد من التحريض ضد المكونات المختلفة في المملكة.

وأكد أنّه عضوٌ ضمن مجموعة «زكا» الناشطة اجتماعياً، وتمّ رصد نحو ٣٠٠ مقال يجرم الطائفة الشيعية في مختلف وسائل الإعلام، مستدرّكاً: «لا ننسى أنّ هناك أقلاماً شريفة كثيرة من إخواننا السنة في المملكة تدافع عن الوحدة الوطنية».

وأضاف: «الإعلام الأكثر تأثيراً وهو القادر على صناعة واقع جديد ولا بُدّ أن نلتفت لنقطة مركزية وتاريخية وهي أنّ هناك تحالفاً بين السلطة السياسية والسلطة الإعلامية في الدول العربية، والإعلام ينبغي أن يكون ترجماناً صادقاً لسياسة الدولة من النواحي الاجتماعية، ولا نطالب بأنّ تنفكّ السلطة الإعلامية عن السياسية، ولا بُدّ من

ترشيد وتعاون يصبّ في خدمة الوطن ووحدته الوطنية؛ فكثير مما يكتب في الإعلام يعبر عن توجهٍ ما، ونطالب بأن يكون هنا حرية أكثر في الحديث لإتاحة الفرصة أمام الرؤى التعددية».

وأشار إلى أنّ الإعلام لن يتمكن من صياغة ثقافة جديدة ولن يتمكن من ترسيخ الوحدة في نفوس الناس ما لم يؤدّ كل طرفٍ واجبه في موقعه.

الخطاب الديني

ورأى «محمد بن محفوظ» أنّ من المهم إعادة صياغة الخطاب الديني، قائلاً: «لا شك أنّ خطابنا الديني خلال الثلاثة عقود الماضية يعتبر خطاباً مأزوماً، ويتعامل مع المجتمع السعودي بوصفه رأياً واحداً وقناعة واحدة، والمطلوب من الجميع الانسجام والتكيف مع هذا الرأي، وكلّ شخص في هذا الخطاب الديني أراد أن يفصل الوطن بمقاسه هو، ووفق قناعاته، رغم أنّ الوطن أوسع من رأيي ورأي الآخرين».

ودعا وسائل الإعلام المساهمة إلى صياغة خطاب ديني جديد يأخذ في عين الاعتبار التنوع والتعدّد الموجود على أرض الواقع في المجتمع السعودي، وضرورة تفكيك خطاب التعصّب الديني؛ لأنّ العلاقة بينه وبين الممارسة الفعلية للإرهاب في مجتمعنا علاقة قصيرة، ومن المهم ألاّ نتغافل عن الثقافة التي تؤسّس لثقافة التعصّب الديني فهي المقدمة التي تقود لممارسة الإرهاب.

حادثة الدالوة

واستثمر المشاركون في الندوة الأجواء الوجدانية التي أفرزتها حادثة الاحساء الأليمة، والبناء عليها وتحويلها إلى نهج دائم، وعلّق الأستاذ «عبد المحسن القحطاني»، قائلاً: «حادثة الدالوة أصبحت الآن رمزاً لوحدة المجتمع السعودي وتعايشه؛ لأنّ ما حصل لا يرضي أحداً في المجتمع».

وأشار إلى أننا كمسلمين قبل أن نكون سعوديين نعتبر حادثة دخيلة وجديدة علينا، ولا نقبلها، ونطالب بمعاينة فاعليها، ومواجهتها - وهو ما حصل - ونحن أكثر تماسكاً ووحدة وتلاحماً، كما أننا شعب واحد وحكومتنا واحدة وقيادتنا واحدة وهذا ما يوجب التوحد».

وأضاف: «نحن نشاهد في أمريكا مثلاً أن هناك ديانات عدة لكن الجميع يرفع العلم الأمريكي»، مؤكداً أن تربية البيت يجب أن تكون على أسس وطنية وليس طائفية أو دينية، ففي أمريكا المواطن الأمريكي يُحترم؛ لأنه أمريكي بصرف النظر عن ديانته، والشيء الصحيح أن يتعايش أبناء البلد الواحد على أساس أن الجميع مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات.

وتابع: «وأن الجميع له الفرص المتساوية بصرف النظر عن المذهب، وكل شخص تكون له قناعته وحسابه على الله في نهاية الأمر، وأن نتعامل على أساس أنه يعيش معك في بلدك الكبير الذي يحتضن الجميع، والأساس يبدأ من البيت الذي يعدّ الأساس في عملية التربية الصحيحة».

وأوضح أن أبناءه كلهم درسوا مع إخوانهم الشيعة بمدرسة في مدينة صفوى واستمروا حتى أنهوا دراستهم المتوسطة، ولهم أصدقاء من الشيعة، والتعايش بينهم قائم على أساس واقعي، وهذا هو المطلوب، وليس أمامنا كأبناء مجتمع إلا أن نتعايش لنحقق مصلحة بلادنا ونظرة ولاة أمرنا».

وأشار إلى أن الجميع عليهم أن يدركوا أنهم شركاء في كل شيء، وألا أحد يمكنه الاستئثار؛ فكل شيء للجميع من المواطنين الذين يعيشون في بلدنا الحبيب، خاصة أن هويتنا واحدة في محافظة القطيف، ونحن شراكة في كل شيء، فالشيعي مع السني شركاء».

وأشاد بدعوات الشيخ «حسن الصفار» التي تهدف للوحدة الوطنية، مؤكداً أهمية دور الأب في عملية الوحدة والإيمان بالتنوع والتعدد، وهو الحجر الأساس الذي



يغرس المبدأ في نفوس أبنائه؛ لذا على الآباء أن يهتموا بهذا الأمر. وأشار إلى أنّ الخطاب الطائفي شحن بعض النفوس، رغم أنه لم يكن موجوداً منذ زمن؛ حين كان الجميع يتعايشون فيما بينهم من دون أن يعرف أحدهم مذهب الآخر أحياناً.

الردع النفسي

وقال الشيخ «محمد العمير»: «لحين الوصول للنموذج المعرفي التعددي، ولحين الوصول لقانون تجريم الطائفية؛ على الإعلامي بعد حادثة الدالوة أن يستشعر مسؤولياته في نشر المحبة والسلم الأهلي في وطننا الغالي»، داعياً إلى تغيير الواقع النفسي والتربوي في المجتمع، وأن يلعب الإعلام الدور الكبير في ذلك باعتباره سلطة تغيير.

وأضاف: لا بُدّ أن تتضمن رسالة الإعلامي أنّ هناك مستقبلاً واعدًا ومشرقاً ينتظر الجميع؛ لبنى نفسيات سليمة قادرة على مكافحة الفكر المتعصب والمتشدد، مشيراً إلى أهمية الدور الإعلامي الوسطي الذي يؤكّد تعزيز الوحدة بين مكونات المجتمع السعودي.

وأوضح أنه إذا لم يتحقق سنّ قانون يجرّم الكراهية يمكن تحقيق الردع النفسي عبر الإعلام الذي يوجّه الرسائل بهذا الشأن للمجتمع، بما يحقق الرضا النفسي بين الجميع.

أمن واستقرار

وشدّد الشيخ «جعفر آل ربح» على أهمية ألاّ تتحول «حادثة الدالوة» لمجرد حادثة احتفالية عابرة برتوكولية، قائلاً: «يجب أن نستثمر حادثة الدالوة، وأعتقد أنه لن تمرّ مناسبة بهذا الحجم يمكن استثمارها في تعزيز الوحدة الوطنية».

وأثنى على مقالة نشرتها الرياض للكاتب «فاضل العماني» وكانت تحمل أفكاراً

وطنية متميِّزة، ما جعله يستعيرها في خطبة الجمعة في بلدة العوامية.

وأوضح أنّ المقال ركّز على تشكيل «قروبات» بين الطوائف في المملكة عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وقلت في خطبة الجمعة: «المهم أن تجد هذه الأفكار طريقاً للتنفيذ، وعلى الإعلام ترويج هذه الأفكار، خاصة بين الشباب والفتية الذين لم تتشكّل عقليتهم على العداء بعد».

وعن الوحدة الوطنية وما صنّعه «حادثة الدالوة» وما تعزّزه في اللحمة الوطنية وقبول التعدّد، قال الأستاذ «سامي العميري»، موضّحاً أنّ جميع ما طرح نحن معه، ونحن في دارين وتاروت أسرة واحدة وتواصل، وما حصل في الدالوة لا أحد يرضى به وحركّ الناس ومشاعرهم ووعاهم للخطر القادم إن لم يتكاتفوا يداً بيد».

وأشار إلى أنّ ردة الفعل التي حصلت بعد الاعتداء الارهابي أمر رائع، والحلّ هو في التمسك بالوحدة والأمن والاستقرار للوطن، مؤكّداً أنّ تكاتف الجميع في حادثة الدالوة أظهر الحسّ الوطني وبعث الوحدة في كلّ أبناء الوطن، وأصبحنا الآن نتحدّث عن استثمار شيء موجود وهو وحدتنا الوطنية».

سمات الخطاب المطلوب

وتساءل الشيخ «عبد الجليل الزاكي»، قائلاً: «نحن ماذا نريد لخطابنا أن يكون؟ ولمنتدياتنا أن تكون؟» مجيباً أنّ المنتديات يجب أن تكون جادّة وطموحة من أجل الوصول للهدف المنشود الذي يكمن في الوحدة بين المسلمين، والوحدة الوطنية التي نسعى لها جميعاً، ونحن لا نريد أن تكون لقاءات منتدياتنا مجرد شعارات خالية من محتوى القيمة الحقيقي الذي تتحرك به على أرض الواقع.

وأضاف: خاصّة إنّ علمنا بأنّ الواقع الفعلي لا يكمن في الشعارات الخالية من التحرك الفعلي على أرض الواقع الاجتماعي والواقع الوطني، والقرآن الكريم يحثنا على هذا السلوك والعمل.



وأضاف أن القضية المشتركة بين المكونات في المجتمع هي هوية دينية تجمع الجميع في بلادنا، فماذا نريد أن يكون خطابنا في مثل هذه المنتديات الطيبة التي لها الأثر الفعال فيما لو عمل الجميع من موقعه.

وأكد أهمية الإعلام في تحقيق ذلك؛ فهو القادر على الترشيد أو عدم الترشيد في إصلاح أو في إفساد الواقع الاجتماعي من النواحي الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية أو التعليمية، كما نريد لهذه الخطابات في منتدياتنا أن تحمل مضموناً ربايئياً، وخطاباً متحرراً من كل الحسابات والاعتبارات الاجتماعية والسياسية، من دون إثارة الشك في الدوافع أو الغايات، كتلك المواقع التي تجيش لحالة الطائفية بامتياز في العالم وليس في وطننا الحبيب فقط، وأن يكون خطاباً أيضاً مرناً ومنفتحاً وليس خطاباً منغلماً على نفسه.

وأضاف هكذا يكون الخطاب قادراً على تحويل الكثير من نقاط الاختلاف في مجال الاقتصاد والسياسة والاجتماع إلى تآلف بين أبناء الوطن الواحد، كذلك أن يكون خطاباً صريحاً عاقلاً مليئاً بالمحبة والصفاء، ومتى فقدنا كل ذلك أو بعضه تحول خطابنا إلى حالة تكريس للتشنجات والحساسيات السلبية، وكما أن المجاملات المفرطة لها ضررها على المجتمع، كذلك الصراحة المفرطة غير الحكيمة لها ضررها أيضاً.

وأشار إلى أن المحبة والصفاء نحن بحاجة لهما، بأن يكون خطاباً عملياً واقعيّاً لا أن نجتمع في الملتقيات ضمن جو حميمي ثم ينتهي كل شيء، ولا بُدّ أن يكون هناك شيء ملموس في الواقع العملي، وإلا لن يكون لمثل هذه اللقاءات تأثير، كذلك أن يكون خطاباً مكرّساً لمؤكّدات الوحدة، ولضرورات الوحدة.

ودعا إلى إعطاء الخطاب حركته، من خلال فعاليات مشتركة بين أبناء الوطن الواحد منها فعاليات اجتماعية وخيرية وفقهية وروحية واقتصادية وإعلامية وغيرها، وهو ما يلعب دوراً كبيراً في صنع الوحدة الوطنية بين مختلف أطياف المجتمع السعودي، كما

أنّ الإعلام يلعب دورًا كبيرًا في ترشيد الأمة وتوضيح المفاهيم الأساسية في ترسيخ جوانب المحبة والألفة بين أفراد المجتمع، وعلى الإعلام مسؤولية كبيرة في رفض تجيش الطائفية والتمييز الطائفي.

الوعي أهمّ

وركّز «م. عبد الشهيد السني» في حديثه على مفهومين ذكرهما الشيخ «حسن الصفار»، و«د. توفيق السيف» أثناء الندوة، الأول تحدث به الشيخ «الصفار» عن سنّ قانون تجريم الكراهية، لكن السؤال: هل هذا كافٍ، علمًا أنّ هذا مطلب الجميع في بلادنا، ويمكن من هنا الربط بين كلام الشيخ «الصفار» وكلام «د. السيف» الذي يشير - وأتفق معه - إلى أهمية الرجوع لجذور المشكلة التي نعاني منها اليوم، وأن نخوض غمارها واكتشافها لنصل للحلول العملية التي تخرجنا بقانون مهم يجرم الطائفية والكراهية.

وأضاف: «لا أعتقد أنّ الطرح كقانون كافٍ، بل لا بُدّ من التشخيص الدقيق لمعالجة المشكلة التي نعاني منها اليوم؛ فالخمر محرّم ويوجد قانون يجرمه، والزنا والقمار كذلك، وفيه محاكم تطبق هذه القوانين بحزم، ولكن القانون وحده لا يكفي، والمطلوب أن يركز الإعلام على معالجة المشكلة وتشخيصها.

وأكد أنّ الوحدة الوطنية مسألة بالغة الأهمية في حياتنا وفي هذا الظرف بالذات، وعلينا أن نجتهد في إعلامنا للوصول لها عبر التمثيل الحقيقي لكلّ مكونات الشعب وثقافته التي تختلف من موقع لآخر، وألا نعتقد أنّ الرأي الواحد هو لصالح بلادنا، بل في تعدّد وجهات النظر التي يحملها الجميع خدمة وحبًا لوطنهم.

التسامح هو الأصل مهما كانت مبررات كلّ طرف

رأى الشيخ «حسن الصفار» أنّ الأمة الإسلامية تعاني من ذات الأسباب التي خلقت النزاعات الدينية في أوروبا خلال القرون الوسطى، وهي تحديدًا غياب دولة المواطنة، وسطوة الجماعات الدينية، وعدم الإقرار بمبادئ حقوق الإنسان، متطرّفًا



لليوم العالمي للتسامح.

وقال: «ثقافة الكراهية تصنع أرضية ملائمة للاحتراب والنزاع الديني»، داعياً في هذا الصدد إلى إعادة قراءة نصوص التراث الديني، مشدداً أن تعاليم الدين تنأى بالمؤمنين عن الانشغال بعقائد وأديان ومذاهب الآخرين.

وأضاف: «أقصى ما ذهبت إليه تعاليم الدين هو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة - إن تسنى ذلك -»، مبيّناً أن الشريعة حذرت بشدة من السب والشتم والصدام مع الآخرين تحت مزاعم الدعوة للدين.

وانتقد بشدة من يضعون أنفسهم «بوليساً على الناس»؛ فيجعلون لأنفسهم حقّ المراقبة والهجوم على آراء وتوجهات الآخرين؛ لعدم موافقتها لأرائهم وتوجهاتهم الخاصة.

وأوضح أن الله لم يجعل في كتبه المقدسة للأنبياء أنفسهم حقّ المراقبة والتدخل والهجوم على عقائد الناس؛ فكيف يُعطي هذا الحقّ لسائر الناس.

وأعرب عن استيائه من ابتلاء الأمة بالمتعصّبين الباحثين دوماً عن فرض آرائهم وقناعاتهم الدينية والطائفية قسراً على الآخرين حتى داخل المذهب الواحد، منتقداً تورّط بعض المنابر والمجالس في تبديد أوقات الناس في سجلات طائفية لا طائل من ورائها.

وأشار إلى أن ذلك يأتي على حساب قضايا مصيرية أكثر ضرورة وأهمية، مستدرّكاً: «الدعوة إلى الخير حقّ مشروع شريطة ألا تأتي عبر أساليب تخلق الأزمات وتفسد حياة الناس»، مضيفاً: «الدعوة إلى الدين أمر مطلوب على أن يكون في منأى عن سياق النزاع والاحتراب مع الآخرين».

إعلام قياديّ استباقيّ للمواجهة

أوضح الأستاذ «فاضل العماني» أن المنظومة الإعلامية تنطلق عبر مستويات،

فقديماً كانت المنظومة مجرد نقل أخبار، ثم زادت وتحولت حالياً لإعلام يقود المجتمع، وهو في المقدمة والمجتمع يأتي خلفه، وهذا تغير كبير في السلوك الإعلامي، ومن هنا نشهد تمظهرات يومية في «الوتس أب» و«تويتر» و«الفيس بوك»، وكلها تعكس المزاج العام وتقوده.

ويبين أن المنظومة السعودية في الإعلام ليس فيها تخصص، مشيراً إلى أن قضية الدالوة إفراز للخطاب الذي كان يمثله البعض في مقالاته المتشددة، وكان المتابع يتوقع أن تحدث قضية إرهابية بناءً على الكم الكبير من التحريض الذي قاد إلى إفراز تمثل في حادثة الدالوة الإرهابية بالأحساء.

واستدرك: صحيح ألا أحد كان يعرف التوقيت والحجم والكيفية لكن العمل كان متوقعاً، خاصة بعد كل سنوات التحريض وبث الكراهية.

وقال: إن الحل يكمن في إعلام قيادي استباقي واع لما يدور حوله من مؤامرات، موضّحاً: «يجب مراجعة نوعية الإعلام السعودي، والتركيز على وجود مخرجات تعليم جامعية قادرة على صنع إعلاميين يقودون الدفة بكل وعي وبصيرة».

وأشار إلى وجود مشكلة في هذا الصدد تتمثل في عدم وجود مخرجات من الجامعات، وتابع: «أعتقد أن الموضوع شائك ومعقد وتأثيره في المجتمع السعودي تأثير سلبي وبكل أسف التأثير الإيجابي محدود»!

ننتظر مشروعاً وطنياً للاندماج فكرياً وممارسة

شدّد الأستاذ «محمد بن محفوظ» على أن هناك ظواهر سلبية في مجتمعنا؛ بسبب غياب مشروع وطني للاندماج، فالإعلام ساهم في تعزيز الاندماج أكثر من غيره، وفيما يتعلق بالتطرف والإعلام سأعود لمسلمة بسيطة هي أن المساجد لله والوطن للجميع، وتارة نتحدث عن المسجد باعتباره مجرد بناء، وتارة عن روح المسجد، وروحه تشبه



روح الوطن؛ فهي عبارة عن روح جامعة تحتضن كلّ التنوعات والتعدّيات الأفقية والعمودية الموجودة في المجتمع.

وقال: «حينما يغيب مشروع اندماج وطني متكامل تبرز آفات وأمراض في المجتمعات التي تنتمي إلى بلد واحد، وحينما تأتي لعلاقة الأحاد بعضهم مع بعض لا توجد بينهم مشكلة بأيّ عنوان من العناوين سواء كان مذهبياً أو قبيلاً، لكن العلاقة بها مشكلة بين المجموعات التي يتشكّل منها الوطن».

وأكد أنّ جرثومة التطرف تساهم في إبقاء الحواجز والمفاضلة الشعورية والاجتماعية بين المجموعات البشرية التي تشكّل الوطن.

وأشار إلى أنّ الإعلام بإمكانه أن يساهم في نشر ثقافة حقوق الإنسان باعتبارها الثقافة المضادة للتطرف؛ فحينما نعيد الاعتبار إلى الإنسان في مجتمعنا وجوداً ورأياً وحقوقاً بشكل طبيعي تتضاءل ثقافة التطرف سواء من مصادر دينية أو اجتماعية.

وأضاف أنه في مجتمعنا تمّ التعامل مع ثقافة التنوع بوصفه عيباً، والإعلام ساهم في تغييب حقائق التنوع في المجتمع السعودي، ويبدو أنّ هناك رؤيتين في هذا الصّعيد؛ فهناك من يرى أنّ اللون واحد مثل سطح البحر، فالثقافة واحدة والرؤية واحدة والمذهب واحد، وهذا ما ساهم الإعلام به، وفي تقديري هذا أمر خطأ جداً.

وأشار إلى أنّ المجتمع السعودي ليس بدعاً من المجتمع البشري، فهو متعدّد بتكوينه، وفيه تعدّيات تقليدية وحديثة متعلقة بالعصر الحديث من طبيعة الآراء الفكرية والاجتماعية، والمطلوب من الإعلام المساهمة الفاعلة في إظهار هذا التنوع بكلّ صيغة وواد التطرف، وألا يتعامل مع حقيقة التعدّد والتنوع في المجتمع بوصفها عيباً يجب أن يستر، وهذا ما ساهم في تغييب آراء أخرى، كما ساهم في تغييب آراء على المستويات الدينية والاجتماعية والثقافية.

وصف «الرافضة» ودعوات الإساءة في المنابر.. مستفزة!

دعا الشيخ «حسن الصفار» إلى ضرورة الاعتراف بوجود ثقافة تشجع على التطرف في مجتمعنا، وهذه الثقافة تسربت لبعض وسائل الإعلام رغم الجهود الكبيرة التي بذلتها الدولة لمنع هذا التسرب والحد منه، ولكن الآثار السلبية ما تزال موجودة.

وقال: «باعتبارنا مجتمعاً متديناً، إلا أن الخطاب الديني السائد في بلادنا فيه تشجيع على النظرة الحادة تجاه الآخر المختلف دينياً أو مذهبياً أو فكرياً، وهذا ما نراه في بعض المنابر مع شديد الأسف؛ إذ وصل الأمر إلى الدّعاء على أصحاب الأمم وأتباع الأديان والمذاهب الأخرى بأن يهلكهم الله، ويجفّ الدماء في عروقهم، وغير ذلك من الدعوات، إلى جانب أنّ هناك سلسلة من الفتاوى المتشدّدة التي تصدر تجاه نبد الآخر، والكتب التي تؤلّف في هذا الاتجاه».

وأكد دور وسائل الإعلام في هذه المرحلة تحديداً في نشر ثقافة الوسطية والتسامح ومنع تسرب هذه الثقافة المتطرفة إليهم.

وأضاف أن بعض وسائل الإعلام مثلاً لا تزال تصف الشيعة بالرافضة، مشيراً إلى أنّ إحدى الصحف نشرت مقالاً تناولت فيه أحد رجال القطيف الوطنيين ووصفته بالرافضي، كذلك صحيفة أخرى حذفت في حوار صحافي لقب الشيخ فلان القاضي الشيعي الذي عينته وزارة العدل والاكتفاء بالاسم من دون لفظة شيخ، وهذا فيه انتقاص من مكانة الرجل العالم، كما تمت إزالة كلمة الشيعة من اللقاء، وكلمة «شهداء الدالوة»، وهذا نموذج على بعض وسائل الإعلام أن تتجاوزها، وتتخلى عنه، خاصة أنه يعبر عن لغة المتشدّدين.

وأشاد في الوقت نفسه بقرار رئيس تحرير إحدى الصحف المحلية حينما أقال محرّره؛ بسبب تغريدات طائفية أطلقها في حسابه على تويتر.

ويبين لو أنّ كلّ مؤسسة إعلامية وقفت بصرامة تجاه أيّ تجاوزات طائفية أو قبلية

تؤثر في الوحدة الوطنية لتحسن الوضع كثيرًا، وتحديدًا تجاه دعم مشروع ثقافة الوسطية والاعتدال»، داعيًا إلى ميثاق شرف إعلامي لتعزيز الوحدة الوطنية، ونبذ ثقافة التطرف والتشدد، واحترام كافة المذاهب».

«الدولة» تحولت إلى لوحة وطنية رائعة

وجه الزميل «محمد سعد» سؤالاً إلى الشيخ «حسن الصفار» عن ردة فعل المجتمع حكومة وشعباً ومؤسسات وعلى رأسها هيئة كبار العلماء على حادثة الدالوة، وكيف رسم الجميع لوحة رائعة لعمق التلاحم بين أبناء الوطن الواحد، وتأثير ذلك على الرأي العام، وتحديدًا شبكات التواصل الاجتماعي في تويتر؟.

وأجاب الشيخ «الصفار»، قائلاً: «اللوحة الوطنية الرائعة التي ارتسمت بعد حادثة الدالوة لها عوامل عدة، منها ردّ الفعل الواعي لذوي الضحايا، فالمغرضون اعتقدوا أنّ ردة الفعل ستكون سلبية على الدولة، وعلى أبناء الوطن، وردّ الفعل الواعي أحبط هذه الخطة منذ البداية، حينما أدرك الجميع أنها مؤامرة بقصد شقّ الصف والوحدة الوطنية».

وأضاف أنّ المبادرة السريعة من قبل القيادة السياسية والسلطة كانت مهمة جدًّا، كما أنّ إعلان إلقاء القبض على الجناة، والمواقف الإيجابية لصاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وصاحب السمو الملكي الأمير سعود بن نايف أمير المنطقة الشرقية، إلى جانب عامل المؤسسة الدينية في المملكة التي ساهمت في رسم هذه اللوحة الجميلة للوطن».

وأضاف علينا أن نستثمر هذا الحدث لما يعود بالنفع للوطن، ومن ذلك تشريع نظام يجرم الطائفية والحث على الكراهية في المجتمع، إلى جانب تعزيز اللغة الوطنية في وسائل الإعلام وتعزيز التواصل الوطني، إذ لا بُدّ من أن نشجعه وندعمه بكلّ قوة، وألاّ نعتمد فقط على مؤسسة رسمية مثل مؤسسة الحوار الوطني، فهناك منتديات

في الوطن يجب دعمها، كذلك على المجتمع أن يردع التصرفات الفردية وتصويب الأخطاب لما فيه خير الوطن، أيضًا التخلي عن سياسة الفصل بين الناس في المناطق المشتركة على أساس طائفي أو قبلي».

وأشاد بتجارب في محافظة القطيف، منها جائزة الإنجاز التي هي مفتوحة للجميع سنة وشيعة ممن تنطبق عليهم الشروط ليدخلوا فيها من أبناء المحافظة، وهذا ما يجب التشجيع عليه.

وعلق الشيخ «سظام الخالدي» على حادثة الدالوة، قائلاً: «ربّ ضارة نافعة؛ فحادثة الأحساء أراد فاعلوها أن تحدث شرخاً في الوطن، ولكن الله ردّ كيدهم في نحورهم، فنحن في المملكة ملكاً وشعباً زدنا تلاحماً، وأكثر قوة».

لن تكون معتدلاً وأنت لا تحترم حقوق الإنسان ومعتقده

تساءل الأستاذ «محمد بن محفوظ»، قائلاً: «هل يمكن أن يكون الإنسان معتدلاً ومتسامحاً وهو ينتهك حقوق الإنسان، ويتعدّى على مقدّساته وخصوصياته ولو أزمه الإنسانية»، مجيباً: «إننا نعتقد أنه لا يمكن للإنسان أن يصبح معتدلاً بدون احترام الإنسان بصرف النظر عن دينه وعقيدته وصيانة حقوقه الأساسية؛ فالاختلاف في الدين والعقيدة لا يشرع للإنسان مهما علا شأنه أن ينتهك حقوق المختلف معه، أو يتعدّى على خصوصياته، بل إن هذا الاختلاف يلزم الإنسان أخلاقياً ودينياً إلى المبالغة في احترام الإنسان وصيانة حقوقه الأساسية».

وأضاف: «الناس صنفان: إمّا أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، ولا يجوز بأيّ حالٍ التعديّ على حقوقه أو عدم احترام آدميته وإنسانيته، وعليه فإنّ كلّ المشروعات الإيدلوجية والفكرية التي تسوّغ لنفسها التعديّ على حقوق المختلفين معها؛ هي مشروعات متطرفة حتى وإن ادّعت الاعتدال والتسامح؛ فالعبرة دائماً بالسلوك العملي ومستوى الالتزام الفعلي باحترام الإنسان وصيانة حقوقه الأساسية».



وأشار إلى أنه لا يمكن صيانة حقوق الإنسان بدون وجود رؤية متكاملة لهذه الحقوق، وكيفية حمايتها وصيانتها، وتوفير إرادة مجتمعية متكاملة، لتحويل تلك الرؤية إلى واقع حيٍّ على صُعد الحياة المختلفة؛ فالمجتمع المعتدل والوسطي والمتسامح، هو الذي يحترم ويصون حقوق الإنسان، ويعمل عبر مؤسساته المختلفة الرسمية والأهلية لتوفير كل الأسباب والشروط المفضية للإعلاء من شأن الإنسان وجوداً وحقوقاً.

التعددية مصدر التسامح والتحصُّر وحكمة العقل

شدّد الأستاذ «محمد بن محفوظ» على أنّ التعدد حقيقة، قائلاً: «أهمّ المحدّدات التي ترصد بدقة معنى التسامح وحدوده المعرفية والاجتماعية والسياسية؛ هي مدى القبول والانسجام مع حقيقة التعددية الموجودة في المجتمعات الإنسانية بكلّ مستوياتها ودوائرها».

وأوضح: «لا يمكن أن يكون الإنسان معتدلاً ومتسامحاً، وهو يرفض هذه الحقيقة، أو لا يلتزم بمقتضياتها ولوازمها».

وأضاف: «إننا نعتقد أنّ المعنى الدقيق والمعرفي للتسامح ليس هو الذي يفسر هذه القيمة بوصفها القيمة الخيرة التي تقف في الوسط بين رذيلتين، وهما الغلوّ والتشدّد من جهة، ومن جهة أخرى الانسلاخ والاستلاب القيمي والمعرفي؛ فالتسامح يعني: الموقف المعرفي الأخلاقي الذي يعترف بحقيقة التعدّد، ويتعامل مع قيمة التنوع بوصفها من القيم الخالدة التي لا يمكن محاربتها أو العمل على استئصالها».

ويبيّن «كلّ إنسان يحارب هذه القيمة والحقيقة، هو إنسان غير معتدل ومتسامح، حتى وإن ادّعى ذلك؛ فالمعتدل حقاً هو الذي يتعامل بعقلية حضارية ورؤية متسامحة مع حقيقة التعدّد بكلّ مستوياتها، وإننا نعتقد أنّ القبول بهذه الحقيقة الإنسانية الخالدة، هو من أهمّ محدّدات مفهوم التسامح.

وأضاف: وعليه فإنّ كلّ فرد أو مجتمع يحترم هذه الحقيقة، ويتعامل معها بعقلية حضارية، هو إنسان ومجتمع معتدل بصرف النظر عن دينه أو أيولوجيته، وعلى هذا المقياس قد يكون المعتدل مسلماً وقد لا يكون، فالعبرة في تقديرنا هو في مدى التزام الإنسان فرداً وجماعة بالقبول بحقيقة التعددية والتزام كلّ لوازما ومقتضياتها».





مشاركًا في ندوة جريدة الرياض
«ندوة الثلاثاء»

الشيخ الصفار: ننتظر
قانونًا يجرّم التحريض
وميثاقًا إعلاميًا يعزّز
الوحدة^(١)

قال الشيخ حسن الصفار إن خير استثمار وتقدير للمواقف الوطنية بعد حادثة «الدالوة» يتمثل في إصدار قانون يجرّم التحريض على الكراهية والتنافر الطائفي، وأن تقرّ وسائل الإعلام ميثاق شرف لتعزيز الوحدة الوطنية.

جاء ذلك في مداخلة لسماحته في «ندوة الثلاثاء» التي أقامتها جريدة الرياض واستضافها الشيخ الصفار في مكتبه يوم الخميس ٢٧ / ١ / ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٠ / ١١ / ٢٠١٤ م، ونُشرت في الجريدة تحت عنوان: (حادثة «الدالوة» أعادت هيبة الصف الوطني المتماسك وحدة وتآلفاً بين كافة مكوناته الفكرية والمذهبية.. الوطن للجميع «السنّي» و«الشيوعي» بلا تفرقة أو تجريح) يوم الثلاثاء ٣ صفر ١٤٣٦ هـ - ٢٥ نوفمبر ٢٠١٤ م - العدد ١٦٩٥٥، صفحة رقم (٤١).

ميثاق إعلامي لحماية الوحدة الوطنية

وفي التفاصيل قال الشيخ الصفار: أدعو جريدة الرياض بما تمثل من ثقل إعلامي متميّز إلى الدعوة إلى تبني ميثاق إعلامي وطني في صحافتنا لحماية الوحدة الوطنية،

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٧ / ١١ / ٢٠١٤ م.

يحظر لغة التناوب الطائفي، والإساءة إلى المذاهب القائمة في الأمة، والتشكيك في الولاء الوطني على خلفية الانتماء المذهبي، وكذلك مذهب الصراعات السياسية الدائرة في الساحة العربية والإسلامية.

وأوضح أنّ سبب هذه الدعوة أن ما يجري من صراعات لها أسبابها ودوافعها السياسية، وقد يُستغلّ فيها الدين والمذهب، لكن قبول هذا الاستغلال وترويجه، ينشر الفتن ويحقق أغراض أعداء الأمة.

وأضاف: فحرية التعبير عن الرأي مكفولة، لكنّ الإساءة والتحريض على الكراهية، واتّهام الناس في أديانهم وولائهم الوطني، أمر مرفوض، ويشكّل أرضية للتنافر والنزاع.

وأكد أن دور وسائل الإعلام في هذه المرحلة تحديداً في نشر ثقافة الوسطية والتسامح ومنع تسرب هذه الثقافة المتطرفة إليهم.

وأضاف إنّ بعض وسائل الإعلام مثلاً ما تزال تصف الشيعة بالرافضة، مشيراً إلى أنّ إحدى الصحف نشرت مقالاً تناولت فيه أحد رجالات القطيف الوطنيين وعلمائها البارزين ووصفته بالرافضي.

وتابع: إحدى الصحف المحلية أجرت معي حواراً وحذفت لقب (الشيخ) لعالم شيعي جاء ذكره في الحوار وهو قاضي شيعي سابق في الأحساء واكتفت بالاسم من دون لفظة (شيخ)، وفي ذلك انتقاص من مكانة الرجل العالم، كما تمت إزالة كلمات من الحوار ككلمة «شهداء الدالوة».

وأشاد في الوقت نفسه بقرار رئيس تحرير إحدى الصحف المحلية حينما أقال محررة؛ بسبب تغريدات طائفية أطلقتها في حسابها على تويتر، مبيّناً: «لو أنّ كلّ مؤسسة إعلامية وقفت بصرامة تجاه أيّ تجاوزات طائفية أو قبلية تؤثّر في الوحدة الوطنية لتحسّن الوضع كثيراً، وتحديدًا تجاه دعم مشروع ثقافة الوسطية والاعتدال».



تجريم التحريض على الكراهية

وأوضح أنّ الأجواء الوجودية التي أفرزتها حادثة الأحساء الأليمة، تكشف عن تقدم مستوى المجتمع الوطني، وأنه قادر على تجاوز آثار الشحن والتعبئة الطائفية التي تعجّ بها المنطقة، بسبب التحولات والتجاذبات السياسية.

وطالب باستثمار هذه الأجواء لإصدار التشريعات والقوانين اللازمة لحماية الوحدة الوطنية، بتجريم التحريض على الكراهية، والآثار الطائفية وممارسة التمييز بين المواطنين على أساس انتماءاتهم المذهبية أو القبلية.

وأوضح أنّ بعض الشخصيات الوطنية دعت إلى ذلك من زمن، وكذلك أعضاء في مجلس الشورى، وبعد فاجعة الدالوة تعالت أصوات المثقفين والغيورين على الوطن داعية إلى الإسراع في إصدار مثل هذا القانون، الذي سبقتنا إليه بعض دول المنطقة.

وأسف لوجود من ينتابه القلق من مثل هذا القانون، موضحًا أنّ ما حصل يشير إلى أخطار عظيمة تهدّد الوطن، وأنّ هذا القانون مطلب للرأي العام الوطني، فلا بُدّ وأن تتخلى تلك الأوساط عن تحفظاتها، ترجيحًا للمصلحة الوطنية العليا.

رصد الخروقات للوحدة الوطنية

وأشار إلى وجود مسافة - عادة - بين الشعار الوطني وتوجيهات القيادة السياسية وبين بعض ما يجري على أرض الواقع، بسبب ضعف أداء بعض الأجهزة الرسمية، أو تدخلات بعض النافذين، ومنتج عن ذلك ما يعاني منه المواطن من خلل في الخدمات في المجالات المختلفة.

وتابع: هنا يمكن للإعلام أن يقوم بدور أساس في تسليط الضوء على هذا الخلل الذي يحصل، ليشكّل ضغطًا على الجهات التنفيذية لتقوم بواجبها، ولتصل معاناة المواطنين للمسؤولين، وليعرف الناس أنّ التقصير مخالف لإرادة الدولة.

وطالب وسائل الإعلام بأن ترصد الخلل والمخالفات في تحقيق السياسة الوطنية الوجودية، كما ترصد المخالفات في مجالات التعليم أو الصحة أو سائر المرافق؛ لأنّ الصمت عمّا يخرق وحدة الصف الوطني جريمة بحقّ الوطن وخيانة لتوجيهات القيادة السياسية التي تؤكّد الوحدة الوطنية.

فرص التعارف بين المكونات الوطنية

ودعا لإتاحة الفرصة للتعارف بين المواطنين، وقال: في وطن تتنوع فيه مذاهب المواطنين ينبغي أن تتاح الفرصة ليتعرفوا على بعضهم بعضاً، مستنكراً التعتيم على الانتماءات المذهبية، وكأنّ ظهورها عيب، وكأنّ التنوع المذهبي خلل.

وأوضح أنّ هذا التعتيم يعطي مجالاً لانتشار الظنون السيئة والانطباعات الخاطئة عند كلّ شريحة عن الأخرى، وتتكون الصور النمطية السلبية، فإذا كان شركائي في الوطن سنة وشيعة، إسماعيلية وزيدية، صوفية وسلفية، فلماذا أُحرم من التعرّف عليهم كما هم، وضمن واقعهم الاجتماعي، بعيداً عن النقولات والتقوليات؟

وأبان الشيخ الصفار أنّ الهدف الأساس لإنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، أن يؤكّد المواطنون على اختلاف انتماءاتهم الفكرية ووحدة انتمائهم الوطني، مع القبول بالرأي الآخر، والحوار معه، والتعايش السلمي، في ظلّ قيادة واحدة ونظام وطني جامع. ولتعزيز الوسطية ومواجهة التطرف.

وتوقع من وسائل الإعلام المحلية ألا تتجاهل مختلف مكونات المجتمع السعودي، فالتنوع الفكري المذهبي ثراء وجمال، كما هو التنوع في الطبيعة والحياة.

المجتمع الأهلي ومبادرات التواصل

وعن تعزيز الوحدة والتآلف الوطني قال سماحته إنه يقتضي تشجيع مبادرات التواصل الأهلية الاجتماعية، ويمكن لوسائل الإعلام أن تقوم بدور كبير على هذا الصعيد.

وتابع: هناك مبادرات رائعة لتواصل أبناء الوطن ضمن المنتديات الثقافية والأنشطة الاجتماعية، وتسليط الضوء عليها يشجع على المزيد منها، فالحوار والتواصل ليس مهمة حكومية فقط، حتى نعتمد فيه على أجهزة الدولة، بل هو سلوك وثقافة ينهض بها المجتمع.

شارك في الندوة كلٌّ من: الشيخ حسن الصفار والدكتور توفيق السيف والكاتب محمد محفوظ، والناشط الاجتماعي محمد الغانم، والشيخ سطاتم الخالدي (ناشط اجتماعي وأحد شيوخ قبيلة بني خالد بمدينة عنك)، والشيخ جعفر آل ربح (باحث وإمام جماعة ببلدة العوامية)، وعبدالمحسن القحطاني (عضو مجلس أعمال فرع غرفة القطيف، وعضو المجلس المحلي بمحافظة القطيف سابقًا)، والشيخ محمد العمير، والكاتب فاضل العماني وعمدة دارين سامي العمير، والشيخ عبدالجليل الزاكي، والمهندس عبدالشهيذ السني (الأمين العام لجائزة الإنجاز بمحافظة القطيف وناشط اجتماعي وثقافي)، ومدير مدرسة الخليل بن أحمد عيسى حمدان.

إلى جانب فريق من المكتب الإقليمي لجريدة الرياض ضمَّ كلاً من: المدير الإقليمي لجريدة «الرياض» في المنطقة الشرقية علي العمري، ومسؤول التحرير في مكتب المنطقة الشرقية سعيد السلطاني، ومدير مكتب محافظة القطيف منير النمر، وعوض المالكي، ومحمد الغامدي، ومرشد الخالدي، ومحمد سعد الغامدي، والمصور زكريا العليو.





الشيخ الصفار: أنشطة «تطوع» تساهم بتنمية المجتمع^(١)

استقبل الشيخ حسن الصّفار مساء أمس الأربعاء وفد مركز العمل التطوّعي بالقطيف «تطوع» التابع للجنة الاجتماعية الأهلية للتعريف بالمركز وعرض الفعاليات المعتمز المقيام بها للاحتفاء باليوم العالمي للتطوع.

وتحدث مدير مركز العمل التطوعي بالقطيف السيّد منير العوّامي حول قصة تأسيس المركز وانطلاقته ليكون نقطة الربط بين المؤسسات التطوعية والمتطوعين، وأشار إلى أهمية إحتضان الشباب في المركز حيث يقوم المركز بتدريب وتأهيل المتطوعين من الجنسين، وكذلك تبني المبادرات الجديدة والمبتكرة من قبل أعضاء المركز.

وعرف عضو المركز زهير العبدربّ الرسول بالأنشطة المعتمز المقيام بها باليوم العالمي للتطوّعي الذي سيُحتفى به لثلاثة أيام مطلع الشهر القادم حيث سترتكز الأنشطة على عقد اللقاءات باستضافة مجموعة من رواد المجتمع واستضافة أركان اللجان والجمعيات التطوعية بالإضافة إلى إقامة مبادرات تطوعية ميدانية.

وعرّف باقي أعضاء المركز عن نفسه وانطلاقاتهم التطوعية ويبيّن كلّ منهم كيف استطاعوا تطوير مهاراتهم التطوعية بمختلف المجالات من خلال المشاركة بأعمال المركز.

(١) جبهة الإخبارية ٢٩ / ١١ / ٢٠١٤ م.

وشكر الشيخ حسن الصّفار جهود المركز في المجتمع حيث استطاع احتضان الشباب وتنمية مهاراتهم وذلك في سبيل خدمة المجتمع بشكل فعّال.

وأكد الشيخ ضرورة إحياء المناسبات العالميّة مثل يوم التسامح ويوم الطفولة وكذلك يوم العمل التطوّعي لمواكبة الدول المتقدّمة فيما تقوم به من زيادة الوعي في هذه المناسبات وتقديم الندوات المتعلّقة فيها وهذا ما يلامس واقعنا الذي نعيشه فمن الضروري تطوير علاقتنا بهذه الايام.

وتمنّى الصفار أن يتوسّع المركز بالعمل وتقديم ورشات عمل تتعلّق بضرورة الانسجام بالعمل وتخطّي العقبات البسيطة بشكل سلس دون تضخيم المشاكل الصغيرة مما يؤدي إلى الانقسام والتفكّك.

وشكر مدير المركز منير العوّامي الشيخ على كلمته التي تحفّز أعضاء المركز والمتطوعين للاستمرار في العطاء والخدمة الاجتماعية.





الأحساء: الشيخ الصفار: كفاءة المعلم وإخلاصه يسدّ النقص والخلل في منظومة التعليم^(١)

تقرير: صادق راضي العلي

وصف الشيخ حسن الصفار دور المعلم بأنه أساس ومحوري في العملية التعليمية، ويمكن أن يسدّ النقص ويجبر الخلل الذي قد يكتنف سائر جوانب التعليم.

وقال: إن المعلم المخلص لدينه ومجتمعه ينظر إلى عمله في التعليم كرسالة ومهمة مقدّسة، وليس مجرد مهنة لتحصيل راتب للمعيشة.

جاء ذلك خلال كلمة ألقاها الشيخ الصفار ضمن برنامج «معلمي قدوتي» في مجلس الأستاذ حسن العبدالله «أبو هيثم» بقرية «الحوطة» في الأحساء مساء يوم الجمعة ليلة السبت ١٣ صفر ١٤٣٦ هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠١٤ م.

وطالب الشيخ الصفار المعلمين بالاجتهاد في الارتقاء بالمستوى التعليمي لطلابهم، محدّراً من مؤشّرات الانخفاض والتدهور الذي تشكو منه كثير من أوساط الطلاب في مختلف المراحل.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٧/١٢/٢٠١٤ م.

وقال: إنَّ على المعلم أن يكون ملماً بالمادة العلمية التي يقدمها لطلابه، وأن يصرف جهداً في التحضير وفي أسلوب الأداء والعرض، ليتأكد من استيعاب الطلاب للدرس.

مضيفاً: إنَّ على المعلم أن يوسّع أفق اطلاعه على المادة التي يدرّسها، بمواكبة الأبحاث والنظريات حولها، وألا يكتفي بحدود المنهج التعليمي في تحضيره للدرس.

من جهة أخرى، أكدّ الشيخ الصفار أهمية الدور التربوي والتوجيهي للمعلم، الذي عليه أن يدرك مدى التحديات التي يواجهها أبناء هذا الجيل، على صعيد الالتزام الأخلاقي والقيمي، وتشكيل الوعي الاجتماعي.

واعتبر الصفار أنّ المعلم الواعي هو الذي يجتهد في تأهيل الطلاب ليكونوا أعضاء فاعلين وصالحين في مجتمعهم، وعلى مساعدتهم للنجاح في حياتهم. فهو بهذا الدور يقوم بعمل عبادي يقربه إلى الله تعالى، ويؤهله لنيل مرضاته، ويقدم في نفس الوقت أجلاً وأعظم خدمة لمجتمعه ووطنه.

وأوضح في قبال ذلك الثمرة التي سيجنيها هذا الجيل فيما لو قام المعلم بدوره الحقيقي تجاههم، فمنهجية تعاطيه معهم ستؤثر إلى حدّ كبير في تشكيل شخصياتهم، وصنع مستوياتهم الدراسية.

وأمام تحدي الالتزام القيمي والأخلاقي، اعتبر سماحته أنّ الشعور بالمسؤولية الدينية والاجتماعية يجب أن تدفع المعلم لاستنفار كلّ طاقاته وقدراته، واستغلال موقعيته، للإسهام في تربية هذا الجيل، الذي تحدى به الأخطار من كلّ جانب.

مشيراً إلى أنّ المعلم يحظى بموقعية تتيح له ممارسة هذا الدور، وأداء هذا الواجب العظيم، فهو بشخصيته وسلوكه يجب أن يكون نموذجاً وقدوة طيبة لأبنائه الطلاب. لأنّه بذلك يغرس في نفوسهم هذه الموصفات، ويدفعهم إلى تقمّصها والاستفادة منها.



مشيداً سماحته بالدور الكبير الذي يمارسه بعض المدرسين على هذا الصّعيد، من خلال تخريج مجموعة من الطلاب يُشهد لهم بالعطاء والتفوق.

من جانب آخر ركز الشيخ الصفار على أهمية تشكيل الوعي الاجتماعي، ومساعدة الطلاب والأبناء على التكيف مع التغيرات والتحديات التي تواجههم، وفهم العقلية التي يفكرون بها.

ونوّه إلى ضرورة تشجيع الطلاب ودفعهم نحو الأجواء النافعة والبرامج المفيدة، وابتكار السبل والطرق والمنابع التي تساعد على إقناعهم وتوجيههم الاتجاه النافع لينخرطوا في تنمية المجتمع والوطن.

الجدير بالذكر أنّ البرنامج شارك فيه الشاعر المبدع الشابّ حيدر العبدالله بقصيدة رائعة بعنوان: نزهة بين جنبيك.

وافتح البرنامج بتلاوة عاطرة من الذكر الحكيم للمقرئ الأستاذ عباس الشقايق.





الشيخ الصفار يتشرف بزيارة المدينة المنورة

تشرف الشيخ حسن الصفار صباح يوم الثلاثاء ١ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٣/١٢/٢٠١٤م بزيارة مسجد وقبر رسول الله ﷺ وأئمة البقيع في المدينة المنورة، حيث حل على ضيافة أمير المدينة المنورة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن سلمان بدعوة كريمة من سموه، وبمعيته الدكتور توفيق السيف، والمهندس جعفر الشايب، والأستاذ علي عبدالله الراشد، وكان اللقاء مع سمو الأمير مساء يوم الثلاثاء في قصره بالمدينة المنورة، حيث قدم سماحته التهاني لسموه بمناسبة اختياره أميراً للمدينة المنورة، ودار الحديث حول مختلف القضايا الوطنية، وخاصة ما يرتبط بتأكيد الوحدة الوطنية والسلم المجتمعي، وأهمية دور المدينة المنورة في تعزيز التواصل بين شعوب وطوائف الأمة الإسلامية؛ لأن زيارتها جزء أساس من رحلة جميع حجاج بيت الله الحرام.

وتم التركيز على إمكانية الاستفادة من قدوم البعثات والشخصيات الدينية من مختلف طوائف ومذاهب الأمة، بالانفتاح عليهم واطلاعهم على المشاريع الدينية والثقافية والتنمية التي تشهدها المدينة المنورة، حيث إن البعثات والشخصيات الدينية التي لا تأتي ضمن الضيافة الرسمية لا يتوفر لها أي برنامج على هذا الصعيد، مما يفوت فرصة التلاقي معها وإشعارها بالتقدير والاحترام، الذي ينعكس على نظرتها وانطباعاتها عن المملكة حكومةً وشعباً.

وقد أبدى سمو الأمير اهتمامه بهذا الموضوع وأنه سيوجه الجهات المعنية بمتابعته.

وقد حضر الشيخ الصفار ومرافقوه بعد اللقاء الجلسة الأسبوعية لسموه التي يستقبل فيها العلماء والمشايخ وكبار المسؤولين والشخصيات الاجتماعية.

كما لبي الشيخ الصفار دعوة الشيخ طاهر الهاجوج من شخصيات المدينة المنورة لتناول وجبة الغداء ظهرًا التي أقامها على شرفه، وحضرها جمع من العلماء والمثقفين ورجال الأعمال، وألقى الشيخ الصفار كلمة أكد فيها على أهمية التواصل وتعزيز الوحدة بين فئات المواطنين، وتفويت الفرصة على دعاة التفرقة الطائفية.

وفي يوم الأربعاء ٢ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٤ / ١٢ / ٢٠١٤ م قام الشيخ الصفار، والدكتور السيف، والمهندس جعفر الشايب بزيارة الدكتور محمد بن صنيان، وهو مؤسس ورئيس مركز ساس الوطني لاستطلاع الرأي العام والبحوث.

كما لبي دعوة عشاء أقامها على شرفه الشيخ أحمد الأبرق من شخصيات المدينة المنورة حضرها عدد من الأعيان.





الشيخ الصفار يطمن على صحة الملك ويلتقي أمير الرياض

قام الشيخ الصفار بزيارة مدينة الملك عبدالعزيز الطبية التابعة للحرس الوطني في الرياض للاطمئنان على صحة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، في يوم الثلاثاء ١٥ ربيع الأول ١٤٣٦هـ الموافق ٦ / ١ / ٢٠١٥م بصحبة الدكتور توفيق السيف، والمهندس جعفر الشايب، والأستاذ ميثم الفردان، والأستاذ كمال المزعل، والأستاذ عيسى العيد، حيث حضروا جلسة استقبال الزائرين وصافحوا ولي العهد الأمير سلمان بن عبدالعزيز، والأمير متعب بن عبدالله وزير الحرس الوطني، وعددًا من الأمراء والمسؤولين، ودعوا الله بالصحة والعافية لخادم الحرمين الشريفين.

وفي صباح يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول ١٤٣٦هـ الموافق ٧ / ١ / ٢٠١٥م التقى الشيخ الصفار ومرافقوه صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبدالله بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، لتهنئته باختياره أميراً للرياض، وللاطمئنان منه على صحة خادم الحرمين الشريفين، حيث استقبلهم في مكتبه بأمانة الرياض.



مدارس الخطابة الحسينية^(١)

مهدي صليل

يعتبر المنبر الحسيني صوت الثورة للجماهير، فهو الوسيلة الإعلامية الثقافية التي توصل رسالة الإمام الحسين وأهداف ثورته للمستمعين، فمن خلاله يستعرض الخطيب سيرة الحسين الثائر المضحى من أجل إحياء الدين وإنقاذ الأمة، كما يستعرض مبادئ وأفكاره ورؤاه، والمتتبع لواقع المنبر الحسيني المعاصر يلحظ تفاوتاً في مناهج الخطباء وأساليب عرضهم للسيرة الحسينية، تبعاً لما يحملون من فكر وما يقرؤونه من السيرة الحسينية ويفسرونه من أحداثها، هناك مدارس مختلفة في استعراض الثورة الحسينية والحديث عنها، يمكن أن نجعلها في ثلاث مدارس.

الأولى: مدرسة الحزن والبكاء

وفيها يسعى الخطيب لاستدراج الدفعة والتحفيز على البكاء، إضافة إلى شيء من المواعظ الدينية التربوية، وتنطلق هذه المدرسة من الأحاديث الصحيحة التي وردت في ثواب البكاء على الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه، فهي مدرسة أصيلة في منطلقاتها وأهدافها، لكن المبالغة في إبراز جانب المأساة والسعي الحثيث لاستدراج

(١) نشر المقال في كتاب كربلاء نبوة الألواح (أفكار وتأملات في النهضة الحسينية) - الطبعة الأولى

١٤٣٦ / ٢٠١٥م إعداد: رضي منصور العسيف / باسم إبراهيم البحراني، الصادر عن دار أطياف

للنشر والتوزيع.

الدمعة أوقع هذا الاتجاه في سلبيات وأخطاء غير مقصودة:

١. عدم التحقق من الروايات، والقبول بالضعيف والمرسل.
 ٢. إظهار الإمام الحسين والسيدة زينب في حالة من الضعف والانكسار.
 ٣. الاستغراق في وصف المصيبة بما يخرجها عن الحالة الثورية النهضوية.
- نعم .. إن الحزن والبكاء على مصاب الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه له أجر كبير وثواب عظيم، وقد وردت في ذلك روايات كثيرة، لكن المشكلة تكمن في جعل البكاء والمأساة تغلب على المجلس الحسيني، بما يظهر الثورة العظيمة في هيئة الفاجعة التي وقعت على أناس مساكين لا حول لهم ولا قوة، مما يؤدي إلى إفراغ الحدث من التأسّي المطلوب.

الثانية: مدرسة العلم والثقافة

وهي المدرسة التي استثمرت المنبر لرفع المستوى العلمي والثقافي للمستمعين، وأبرز أعلامها عميد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، وهي مدرسة رائدة تستحق الإشادة والثناء، بما قدمت وتقدم للأمة من دروس تربوية وأخلاقية ومعرفية، ومن مميزات هذه المدرسة:

١. استنطاق الآيات القرآنية في الجوانب التربوية والأخلاقية والاجتماعية، ففيها جانب رائع من تفسير القرآن الكريم.
٢. بيان المفاهيم الدينية من خلال النصوص الدينية، ومن خلالها تتشكل ثقافة راقية في التعامل والسلوك مع الآخرين.
٣. تقديم صورة مشرقة عن الخطبة الدينية الحضارية، في قبال الخطاب التقليدي المنتشر في العالم الإسلامي.
٤. دراسة التاريخ وتقديم النظريات العلمية في تفسير الأحداث ومسبباتها وآثارها على المجتمعات.

وقد سار على هذا النهج أكثر خطباء المنبر الحسيني في التاريخ المعاصر.

الثالثة: مدرسة إنهاض الأمة

وهي المدرسة التي جعلت من المنبر الحسيني منطلقاً لإنهاض الأمة، وتتسم بالعلمية والموضوعية، ففيها حسنات مدرسة العلم والمعرفة، لكنها تتميز بمطالبة الجماهير بالنهوض لتغيير واقعها، ففيها من المعالجات الواقعية للمشاكل المعاصرة بأسلوب عملي نهضوي، يتضمن مشاريع وبرامج مدروسة، وليست مجرد أفكار ومواعظ نظرية.

العلامة الصفار نموذجاً

ينتمي العلامة الشيخ حسن موسى الصفار إلى مدرسة إنهاض الأمة في عرض الثورة الحسينية، ويعتبر من أكثر الخطباء الحسينيين تمكناً في إبراز الجوانب الحضارية لهذه الثورة المباركة، ساعده على ذلك سعة اطلاعه، وبعد نظره، ومعايشته للواقع، فهو موسوعي الثقافة، بعيد النظر والتأمل، متفاعل مع قضايا الأمة المعاصرة، يمتلك رؤية واضحة عن ضرورة تطوير الخطاب الديني، ويرى أنّ هذا الخطاب يواجه تحديات مهمة في مستقبل الإسلام والأمة، ويحددها فيما يلي:

١. إنتاج ثقافة التنمية والبناء.
٢. العلاقة الإيجابية مع الآخر.
٣. ترشيد التوجهات والممارسات الدينية^(١).

وقد مكنته هذه الرؤية من اعتماد منهج متقدم في الخطابة، تميز به وأبدع فيه، ولاستعراض منهج سماحته في الخطابة نحتاج إلى دراسة متكاملة، ليس هنا محلّها، لكننا نشير إلى ملامح مختصرة.

(١) القيادات الدينية .. الخطاب والأداء الاجتماعي، ص ٨٣.

أولاً: العرض العلمي

فهو يحدّد موضوع بحثه تحديداً دقيقاً، ويضع له إطاراً لا يخرج عنه، ويقدم للمستمع عنوان البحث ومحاوره، ويبدأ عرضه بمقدمة موجزة، تجعل المستمع يتابع المحاضرة بصورة متسلسلة لا تشتت تفكيره.

ثانياً: الدراسة المتكاملة

قدّم الشيخ الصفار دراسة متكاملة لشخصية الإمام الحسين وثورته، عالج فيها الأبعاد السياسية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية، ففي كلّ محاضرة يتناول جانباً من حياة الإمام الحسين ويربطه بالواقع المعاصر ليقدم بذلك ثقافة متجدّدة ترتبط بحياة الناس واحتياجاتهم الملحة.

وقد كتب عن ثورة الإمام الحسين عدة كتب تظهر الأبعاد المختلفة لشخصية الإمام الحسين، بعضها تحرير لمحاضرات ألقاها في مواسم عاشوراء.

١. الإمام الحسين رمز التضحية والفداء.
٢. الحسين ومسؤولية الثورة.
٣. الحسين في وجدان الأمة.
٤. الإمام الحسين .. الشخصية والقضية.
٥. الحسين منهج الإصلاح والتغيير.
٦. عاشوراء .. خطاب التنمية والإصلاح.
٧. عاشوراء .. ثقافة النهضة والبناء.

ثالثاً: المشروع النهضوي

لأنّ سماحته يحمل مشروعاً إصلاحياً تغييرياً في الأمة، انعكس ذلك على اختياره للمواضيع والأبحاث، فهو يحمل همّ الأمة الإسلامية بشكل عام، ويوجّه خطابه إلى جميع المسلمين، ويستحثهم على إنشاء المؤسسات الثقافية والجمعيات الخيرية

والحقوقية، ويُنظر لذلك بشكل منهجي، فهو يستحث المستمع تحت منبره على العمل والفاعلية والإنجاز.

رابعًا: الدعوة إلى الوحدة

ليست الوحدة الإسلامية مجرد موضوع عابر يتطرق له سماحة الشيخ الصفار، بل هو محور يدور حوله في أغلب مواسم عاشوراء، ففي كل موسم، بل في كل محاضرة يشير إلى هذا العنصر الأساس في حياة الأمة، فهو - كما يقال - مسكون بهم الوحدة، متحرك في سبيل تحقيقها، والعمل على إرساء مقدماتها.

خامسًا: معالجة قضايا الساعة

يلاحظ المستمع تحت منبر سماحة الشيخ الصفار مواكبته الواضحة لقضايا الساعة المعاصرة، سواء على المستوى الوطني أو العالمي، فهو متابع مستوعب للأحداث العالمية والمحلية، متمكن من تقديم رؤية إسلامية واقعية. وكنموذج من معالجاته للقضايا المعاصرة، تحدّث سماحته عن ضرورة تجنب الصراعات في العالم الإسلامي، في محاضرة بعنوان (الصراعات والتزام الأخلاق) ضمن محاور ثلاثة: تجنب الصراعات، التزام الأخلاق في الصراع، عاشوراء أنموذجًا. وذلك سنة ١٤٢٨هـ. ففي المحور الأول بيّن سماحته أن حالة الصراع والنزاع تؤدي إلى آثار سلبية، منها:

١. تخلق حالة من التشاحن بين الأفراد، وتستهلك جهودهم في النواحي السلبية.
٢. تجعل الخصم يعيش حالة من الاضطراب والتوتر النفسي تجاه عدوّه وخصمه.
٣. خلق أجواء الرعب والخوف وعدم الاطمئنان.
٤. تقحم الإنسان في المحرّمات.

أما في المحور الثاني فقد عالج مسألة التزام الأخلاق عندما يضطر الإنسان للدخول في صراع ما، وذكر في ذلك نماذج من السيرة النبوية:

١. في إحدى المعارك وجد امرأة مقتولة، فغضب، وسأل: «من قتل هذه المرأة؟ ولماذا تقتل امرأة في الحرب؟».
٢. وفي إحدى المعارك مرَّ بلال بامرأتين مسيبتين على المعركة، ونظرنا إلى جثث القتلى من اليهود، فغضب رسول الله ونادى بلالاً، وقال له: «أنزعت الرحمة من قلبك، تمرّ بامرأتين على جثث قتلاهما؟!».
٣. وفي بعض المواقف كان المسلمون يفرقون في الأسر بين الأمهات وأولادهنَّ، فكان رسول الله ﷺ يغضب من مثل هذه الحالات والمعاملة غير الإنسانية.

أما في المحور الثالث فقدم بعض المواقف من أحداث ثورة الإمام الحسين كنماذج أخلاقية يجب أن تكون حاضرة عند القيادات الدينية في التعامل مع الأتباع والأعداء.

أ) تعامل الإمام الحسين مع أنصاره وصحبه

١. الشفافية والوضوح وعدم الخديعة.
 ٢. الحرية في المشاركة والنصرة.
- #### ب) تعامل الإمام الحسين ﷺ مع أعدائه.
١. تعامله مع الجيش الذي كان يقوده الحرّ بن يزيد الرياحي.
 ٢. امتناع مسلم بن عقيل عن قتل ابن زياد في الكوفة غيلة.
 ٣. إجابة شمر بن ذي الجوشن حين نادى العباس وإخوته، حيث التفت إليهم الإمام الحسين، وقال: «أجيبوه، فإن له بكم خوؤة».
 ٤. تجنّب البدء بالقتال في مواقف متعددة.

وهكذا نجد أنّ سماحة الشيخ الصفار يقرأ أحداث عاشوراء قراءة واعية، يستلهم منها الدروس والعبر، ويستفيد منها في معالجة قضايا الأمة المعاصرة.



الشيخ الصفار يدعو لتعزيز حسن الظنّ بالأخريين وتفعيل انعكاسات التراحم الاجتماعي^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار لتعزيز قيمة حسن الظنّ بالأخريين، وتفسير مواقفهم وأعمالهم بالتفسير الإيجابي، بعيداً عن النظرات السوداء، وسوء الظنّ الذي يُعدّ مؤشراً لخلل في النفس.

وجاء حديثه للحشد الكبير في جامع الرسول الأعظم بصفوى، في ليلة الاحتفاء بالمولد النبوي الشريف، وميلاد الإمام جعفر الصادق مساء الخميس ليلة الجمعة ١٧ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ٦ يناير ٢٠١٥ م.

وأكد الشيخ الصفار في كلمته خلال الحفل الذي شارك فيه كلُّ من المنشد حسين الحمادي، والشاعر سعيد آل رهين، على ضرورة الابتعاد عن سوء الظنّ الذي يُعدّ حالة سيئة تفسد النفوس والقلوب، والعلاقات بين الناس، كي تسود في المجتمع صفة الرحمة والتراحم.

وشدّد على أهمية الابتعاد عن ادّعاء تزكية النفس وفي المقابل اتهام المختلفين في

(١) جبهة الإخبارية ١٠/١/٢٠١٥ م.

الرأي بالأناية، وحبّ الظهور، والتراخي و نعتهم بمختلف الصفات لمجرد الاختلاف في الموقف ووجهات النظر.

ونوّه الشيخ الصفار للانعكاس الثاني للتراحم الاجتماعي والمتمثل في «لين الكلام»، داعياً لأن يكون اللسان عذباً بعيداً عن الفحش والكلام السيء والمزعج للآخرين، واختيار أفضل وأحسن العبارات والكلمات.

وحت على «التعامل برفق مع الآخرين دون أذى»، الذي يعدّ انعكاساً ثالثاً للتراحم بين الناس، مشيراً للحضور باتباع أسلوب الرحمة، وعدم الاستهانة في التعامل مع الآخرين.

وقال «كلّما كنت أقوى كنت محاسباً أكثر في التعامل مع الضعيف، حيث ينبغي أن يتعامل الإنسان مع الآخرين بالعدل والإحسان».

وأوصى بالتخلق بأخلاق «الهداة» على نحو بذل الإحسان والخير للناس، وعدم الإساءة لأحدٍ حتى في حالة التعرض للإساءة من قبلهم، أتباعاً للرسول الكريم ﷺ وأهل بيته ﷺ الذين كانوا النموذج الذي يجتذب القلوب بأخلاقهم وهديتهم وإحسانهم مع المسيئين.

وركّز على أهمية أن تسود في المجتمع أجواء التراحم والود والرفق، بعيداً عن الغلظة والقسوة والجفاف.

وتحدث الشيخ الصفار عمّا تمنحه حالة الصفاء والارتياح بين الناس، من سعادة واطمئنان، على نفوس وحياة أفراد المجتمع، على عكس ما تنتجه حالة الجفاف والغلظة من توترٍ وتشنجٍ في أعماق المجتمعات المعبئة بالقسوة.

وتطرق إلى أن المجتمع المتراحم يكون أكثر «إنتاجية وعطاء»، بسبب تكاتف ومساعدة الناس لبعضهم بعضاً، على خلاف ما ينتجه المجتمع الذي يعيش حالة القسوة والغلظة من محاربة الناس لبعضهم البعض، وعرقلة المسار، والمحاربة والأذى.

وأضاف بأن ذلك أحد أسباب التخلف في الإنتاج والعطاء والأعمار والتنمية.
وأوضح بأن المجتمع المتراحم يكون «أنموذجًا» يستقطب الآخرين، ويجلب احترامهم وتقديرهم، بينما المجتمع الذي يعيش أبناءه التشنج والتوتر، ينظرون له بدونية ولا يحترمونه، بل يكون الانطباع حياله سيئًا سلبيًا.
واختتم الشيخ الصفار حديثه بالتأكيد الديني على الاهتمام بصفة الرحمة، واقتباس الهدي النبوي، والتخلق بأخلاقه، وأن «نكون رحماء فيما بيننا».





لدى زيارته لمركز الملك عبد
العزیز للحوار الوطني

الشیخ الصفار: تفعيل الحوار الوطني أفضل ردّ على التحدّيات ومواجهة الأخطار^(١)

بحث الشیخ حسن الصفار سبل تفعيل الحوار الوطني في لقاءه مع الأمين العام لمركز الملك عبد العزیز للحوار الوطني معالي الأستاذ فیصل بن عبد الرحمن بن معمر، مشيداً بالجهود التي يبذلها المركز في نشر ثقافة الحوار، ومطالباً باهتمام أكبر من قبل المركز بالمنطقة الشرقية من الوطن، التي تعيش تنوعاً مذهبياً وفكرياً تريد بعض الجهات تحويله إلى سبب للنزاع والخلاف، بينما أثبت أهالي المنطقة من خلال تعاطيهم المسؤول مع حادثة الدالوة الأليمة، أنّهم أكثر وعياً والتزاماً وطنياً، مما كان يتصوره الآخرون.

من جهته أشاد معالي الأستاذ فیصل بن معمر بالطروحات الفكرية والمبادرات الاجتماعية التي يقوم بها الشیخ الصفار، في تعزيز الوحدة الوطنية والتواصل بين أبناء الوطن

وقد زار الشیخ الصفار مركز الملك عبد العزیز للحوار الوطني في الرياض بدعوة من معالي أمينه العام ظهر الأربعاء ١٦ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ٧ يناير ٢٠١٥ م،

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠ / ١ / ٢٠١٥ م.

والتقى عددًا من العاملين فيه، شاكرًا جهودهم ومساعدتهم في الإغلاء من قيمة الحوار، وتكريس ممارسته في مختلف الأوساط.

داعيًا إلى بذل المزيد من الجهود لتنشيط الحوار الوطني، باعتباره أفضل ردّ على التحديات ومواجهة الأخطار.

وقد نشر مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني خبر اللقاء على موقعه تجدونه

على الرابط: http://kacnd.org/news_descr.asp?newsid=1142



الشيخ الصفار: المسجد مظهر للتآخي و منار للوحدة في المجتمع الإسلامي^(١)

قال الشيخ حسن الصفار: إنَّ المسجد منطلق الحضارة الإسلامية، ومنطلق التآخي والتآلف في المجتمع الإسلامي، وهو المكان الجامع لعباد الله، يجتمعون فيه، ويتساوون فيه، ويتعاونون من خلاله.

وتابع: أول عمل قام به رسول الله ﷺ حينما هاجر إلى المدينة المنورة، أسس المسجد، ليكون المنطلق والمكان الجامع.

وأبان في كلمته بمناسبة افتتاح مسجد الرسالة بالقطيف يوم الجمعة ليلة السبت ١٨ ربيع الأول ١٤٣٦ هـ الموافق ١٠ يناير ٢٠١٥ م أن الفقهاء أكدوا عمومية المساجد لأبناء الأمة.

وأوضح الشيخ الصفار أنَّ المسجد يراد منه أساساً أن يكون إطاراً مادياً يجسّد حالة الاستيعاب لأبناء الأمة.

وأضاف: قد تتنوع الآراء والأفكار في الأمة، وتختلف فيها المواقف، لكن ذلك لا ينبغي أن يكون سبباً لتمزقها وتباعد أجزائها، فحقّ التنوع والتعدد والاختلاف في

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٥/١/٢٠١٥ م.

الرأي محفوظ، وهو أمر طبيعي.

وأشار إلى أن ذلك لا ينبغي أن يفقد الأمة أجواء الوحدة والانسجام، فلكلّ أحدٍ مبرره في اعتناق أيّ فكرة أو رأي.

وذكر أنّ بين الفقهاء نقاشًا فيما يرتبط بوقف المسجد، فهل يجوز التخصيص في وقف المسجد؟ فيكون مخصّصًا لطائفة، أو لشريحة؟ معظم الفقهاء لا يقولون بذلك، فإنّ المسجد لله، وما كان لله فهو لعباد الله.

وقال الشيخ الصفار: كلّ شيءٍ يمكن تخصيصه في الوقف، كأن توقف بيتًا على فئة من الناس، كوقف للعلماء أو أهل البلد الفلاني، أو الشريحة الفلانية، إلّا المسجد فلا يصح أن يكون وقفه مخصّصًا لفئة دون أخرى.

ونقل عن السيد الخوئي قوله: «وأما وقف المسجد فهو عبارة عن تحرير الأرض لله، وإزالة الملكية من أصلها، فإنّ الأراضي وإن كانت كلها له سبحانه إلّا أنّها تملك بإذنه، فإذا أوقفها فقد حرّرها، وأزال علاقة الملكية، وأرجعها إلى مالكيها الأصليين، وجعلها بيتًا من بيوت الله، وأصبح هو أجنبيًا عنها».

وتابع «فكيف يسوغ له التخصيص بطائفة دون أخرى؟ مع أنّ الجميع بالنسبة إليه سبحانه على حدّ سواء، وكلّهم خلقه وعبيده، وقد اشترك الكلّ في الاستفادة من المسجد بنسبة واحدة وبمناطق واحد».

وأبان: أنّ الفقهاء نصّوا على استحباب الصلاة في أيّ مسجد بغض النظر عمّن بناه، ومن يكون في المسجد من أيّ طائفة أو مذهب. وكذلك هي أحكام المساجد تنطبق عليها جميعًا، كحرمة تنجيسها، أو دخول الجنب والحائض إليها دون فرق بين مسجد سنة وشيعة.

واستشهد بما ورد في كتاب وسائل الشيعة في أحكام المساجد «باب استحباب الصلاة في المسجد وإتيانه حتى مساجد العامة» وباب «عدم كراهة الصلاة في مساجد

العامّة أداءً ولا قضاءً، فرضاً ولا نفلاً».

واستنكر سماحته واقع الأمة اليوم، حيث انحرفت عن المنهجية والمفاهيم الأساسية في الدين، وهذا الانحراف انعكس على واقع الأمة في مختلف المجالات. وتابع: حتى المجالات التي أرادها الدين أن تكون مناراً للوحدة ومعلمًا لها، أصبحت مجالاً للخلاف والتفرقة، مع أنها في الأساس كانت معالم للتوحد والتآلف. وأشار إلى أن اختلاف المواقف سواء كانت نابعة من اختلاف فكري أو فقهي، لا ينبغي أن يؤثر على الترابط والتواصل والانسجام في أجواء الأمة. ونوّه إلى ما نجده في حياة رسول الله ﷺ وسيرة أهل البيت  وكيف كانوا يؤكّدون هذه الحالة الاستيعابية.







لدى استقباله الدكتور عبدالعزيز
بن صقر

الشيخ الصفار: المأمول
من مراكز الأبحاث
معالجة القضايا
الوطنية

استضاف سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلسه مساء الثلاثاء ليلة الأربعاء ٢٢
ربيع الأول ١٤٣٦هـ الموافق ١٣ / ١ / ٢٠١٥م الدكتور عبدالعزيز بن عثمان بن صقر
مؤسس ورئيس مركز الخليج للأبحاث.

الدكتور بن صقر يزور القطيف للمشاركة في منتدى الثلاثاء الثقافي حيث يلقي
محاضرة بعنوان: التحديات الإقليمية وتأثيرها على دول مجلس التعاون.

وقد تحدث الشيخ الصفار مع الضيف الكريم عن الدور المأمول من مراكز
الابحاث والدراسات في معالجة القضايا الوطنية.

وأبان أن معالجة القضايا يكون باستطلاع آراء المواطنين عبر الأساليب والمعايير
المعتمدة عالمياً، وبحث جذور المشاكل موضوعياً بعيداً عن التهويل الإعلامي
والاستهدافات الفتوية، من أجل رسم المعالجات واقتراح الحلول أمام الجهات
المعنية والرأي العام الوطني والعالمي.

وقال الشيخ الصفار إن من الخطأ أن تمارس مراكز الدراسات ذات الدور الإعلامي
الذي تمارسه سائر وسائل الإعلام في خدمة السياسات القائمة.

موضحاً أن المطلوب من مراكز البحوث والدراسات التحليل الموضوعي والعرض المحايد للآراء والمعلومات.

من جهته شرح الدكتور بن صقر الجهود التي يقوم بها مركز الخليج للأبحاث، مطالباً الكفاءات الوطنية بالتعاون مع المراكز البحثية.

وأشاد بطروحات الشيخ الصفار الداعية إلى التسامح والتقارب وتجديد الخطاب الديني، مقدراً المبادرات التي انبثقت من محافظة القطيف للتواصل وتعزيز الوحدة الوطنية والانفتاح الوطني.

وقد حضر اللقاء عدد من المثقفين.



صورة للدكتور بن صقر في منتدى الثلاثاء الثقافي



في استقباله للدكتور العونى
الشيخ الصفار: تلاقى
علماء المذاهب أبلغ
رسالة لتعزيز التقارب^(١)

ثمّن الشيخ الصفار الجهود التي يبذلها المصلحون الواعون لنشر ثقافة التآلف والتقارب بين أبناء الأمة.

وقال: إنّ هذه الجهود مقدّرة ومشكورة، لكن مشاهد التلاقي والتواصل بين الرموز والشخصيات المتمية إلى مختلف المذاهب الإسلامية، تقدّم مصداقيةً عمليةً لأفكار الوحدة والتقارب، وتشكل أبلغ رسالة لجمهور المسلمين بضرورة تجاوز القطيعة، وممارسة الانفتاح والاحترام المتبادل.

جاء ذلك في كلمة للشيخ الصفار رحّب فيها بزيارة الدكتور الشيخ الشريف حاتم بن عارف العونى لمحافظة القطيف، مساء الثلاثاء ١٤ / ٤ / ١٤٣٦ هـ الموافق ٣ / ٢ / ٢٠١٥ م للمشاركة في منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف الذي يرعاه المهندس جعفر الشايب.

وأشاد الشيخ الصفار في كلمته الترحيبية بشخصية الدكتور العونى كفقيه بارز، وباحث أكاديمي في العلوم الإسلامية، وداعية منفتح على هموم الأمة والعصر، مقدّراً له جرأته وشجاعته الفكرية في مواجهة الجمود والتطرف، وانتصاره للعقلانية والاعتدال.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٤ / ٢ / ٢٠١٥ م.

وقال الشيخ الصفار: إنَّ الزيارات واللقاءات المتبادلة بين علماء وشخصيات السنة والشيعية في وطننا الغالي، تعزز الوحدة الوطنية، وتؤكد التآخي الإسلامي، وتشكّل ردًّا عمليًّا على دعاة الفتنة والتفرقة، لذلك يستنفرون لتخريب وتشويه هذه اللقاءات والزيارات، بإثارة الشكوك والاتِّهامات لكلِّ من يبادر نحو التواصل والتلاقي، كما رأينا ذلك في بعض الأوساط السنية والشيعية.

بدوره تحدث الدكتور الشريف حاتم العوني شاكرًا للشيخ الصفار دعوته وترحيبه، ومقدّرًا للحفاوة التي استقبل بها من قبل الحاضرين، وفي منتدى الثلاثاء الثقافي.

وأشاد الدكتور العوني بدور الشيخ الصفار في نشر ثقافة الاعتدال والإصلاح الثقافي، التي جعلته من الرواد البارزين ليس على مستوى المملكة فقط بل والعالم الإسلامي.

وقال الشيخ العوني: أنا أو من أن بيننا أخوة إسلامية، وأؤمن أن بيننا شراكة وطنية قوية، مثل أيّ فئة من فئات المجتمع، وبالتالي زيارتي هذه لا بطولة فيها ولا تحقيق معانٍ ولا شيئًا آخر.

ودار حوار ودي جميل بين الضيف وبعض الحاضرين، حيث كان اللقاء أمسية رائعة سعد بها الجميع.

وقد أقام الشيخ الصفار مأدبة عشاء في مجلسه على شرف الضيف الكريم، دعا لها جمعًا من العلماء والمثقفين ورجال الأعمال.

والدكتور العوني من مواليد الطائف سنة ١٣٨٥ هـ، من أبرز العلماء في مكة المكرمة، وعضو سابق في مجلس الشورى، وأستاذ مساعد في قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، وله عدد من المؤلفات المطبوعة والأبحاث المنشورة.



خلال حضوره الأمسية القرآنية
العاشرة بسيهات

الشيخ الصفار يشيد
بعمل اللجان القرآنية
بالمنطقة^(١)

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بالعمل الذي تقوم به لجنة أنوار القرآن بسيهات من خلال تدريسها للقرآن الكريم، ويجذبها الجيل الجديد من الشباب، عبر الأساليب المؤثرة، وجذب البراعم من خلال البرامج الترفيهية والثقافية، من وقت لآخر، خلال فترة التدريس، مما يحفز الطالب على المشاركة في لجان كهذه.

جاء ذلك خلال الأمسية القرآنية الخليجية العاشرة، التي أقامتها لجنة أنوار القرآن بسيهات، مساء الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ٣٠ يناير ٢٠١٥ م، بمسجد الإمام الباقر عليه السلام بسيهات، التي شارك فيها قرّاء من داخل المملكة وخارجها، بما يعكس حالة التواصل الإيجابي بين مختلف اللجان القرآنية في المنطقة.

وأوضح سماحته أنّ انتشار اللجان القرآنية جاء بعد مدة ليست بالقصيرة، وأتت فعّالة، بعد أن كان القرآن للتبرك والقراءة السطحية بغير عمل أو تطبيق، وكأنّ القرآن جاء لزمان قديم، وكأنه لم يخاطب كلّ الأقسام وكلّ الأزمان.

وأكد الشيخ الصفار أنّ المجتمع ينظر لهذه اللجان نظرة خاصة، حيث إنّها تساعدهم في تربية أبنائهم، بحضورهم البرامج والدروس، وتنظيمها للأمسيات

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٩/٢/٢٠١٥ م.

القرآنية، وبشكل منتظم.

متمنياً منهم أن يسيروا على هذا النهج والعطاء، وأن يضيفوا برامج ومناهج دراسية معتمدة، وأن يركزوا فيها على علوم القرآن والتفسير والثقافة القرآنية.





خلال استقباله الأديبة الكويتية القزويني
برفقة محررات «جهينة الإخبارية»

الشيخ الصفار: المبالغة في القلق على الهوية من دوافع التطرف والتشدد^(١)

أكد الشيخ حسن الصفار: أن المبالغة بالشعور بالقلق من الاستهداف للهوية، في كثير من الأحيان، هو الدافع لحالات التطرف والتشدد، والولوج في حالة غير إيجابية. ونوّه خلال استقباله صباح السبت ١٨ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ الموافق ٧ فبراير ٢٠١٥م الأديبة الكويتية خولة القزويني، برفقة عدد من محررات «جهينة الإخبارية»، إلى وجود العديد من الوسائل الإيجابية للدفاع عن الهوية. وأبدى أسفه ممن ينحو نحو الوسائل والمظاهر السلبية في الإعلان الصارخ عن الهوية الدينية، بشكل مبتذل.

وشدّد الشيخ الصفار على ضرورة أن يكون ذلك في الحدّ المعقول، دون أن يشكّل استفزازاً للآخر، لا سيما في ظلّ الحالة السائدة من التوتر والتشنج المذهبي. وأشار إلى أهمية مراعاة القوانين والأنظمة والظروف والمحيط، دون الانخراط في حالة من الحماس والاندفاع التي قد يتحمّس منها الآخر. وقال بأنّ (التعبئة الطائفية تربّي جيلاً من الأبناء على التشدّد والتطرف الفائض

(١) جهينة الإخبارية ٩/٢/٢٠١٥م.

بالتحدّي والحماس، بحيث لا يمكن السيطرة عليه).

ودعا الشيخ الصفار لضرورة التبشير بثقافة التسامح، والسعي لمسيرة التواصل والانفتاح والتلاقي الذي يؤتي ثماره وأكله بشكلٍ وبآخر، كي تخف حالة الاحتقان مع تكرار فرص التواصل والتعاون.

وتكلم عن أهمية أن يتحمّل كلّ المصلحين الواعيين واجبهم تجاه تشكيك البعض في جدوى الانفتاح والتواصل، في ظلّ عدم المقدرة على منع كلّ المظاهر السلبية، لكن السعي نحو تخفيفها وتنفيس الاحتقان أمر مطلوب ومفيد.

وذكّر بالحاجة للإيمان بأنّ جوهر الدين هو الاستقامة في الحياة، والإدارة الصالحة لحياة الإنسان، بعيداً عن الغلو الديني والمذهبي الذي بدا لصيقاً بالكثير من الممارسات والخطابات.

وعرج لضرورة الاهتمام بتنمية المجتمعات من الناحية السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية الذي يُعدّ بالدرجة الأولى واجب الحكومات فضلاً عن الدور الكبير للشعوب.

وأكدّ أهمية تشجيع الآباء لفتح الآفاق أمام الأبناء للعمل الاجتماعي والاقتصادي، لا سيّما وأنّ كثيراً منهم حينما ينخرط في مشروع عمل وينشغل به، يصبح تحصيناً له عن الانجراف للتوجّهات المختلفة.

وأوضح الشيخ الصفار أنّ الاجتهاد أكثر في التنمية الاجتماعية، يُسهم في استيعاب الأبناء، وملء فراغاتهم، واستهلاك فائض القوة والطاقة لديهم.

وأرجع سبب وقوع الفئة الشابة فريسة للتوجّهات والتيارات المختلفة والمتطرفة، للفائض من الوقت، وانسداد الأفق الذي لا يتيح لهم مجالات لتصريف تلك القوة، واستثمارها في النطاق السياسي أو الاقتصادي أو الثقافي والاجتماعي.

وأبدى خشيته من تكوين جيل من المتطرفين المهيين للممارسات العنيفة

مستقبلاً، في حال تمّ غض الطرف والسكوت عن التعبئة لثقافة متطرفة ومتشددة. وعبر عن أمله بأن تتعافى المناطق العربية والإسلامية مما تعانیه من حالة الفوضى والاضطرابات والإرهاب، الذي قد يكون مرشحاً للتمدد والتوسع. ونوّه الشيخ الصفار إلى ضرورة ألاّ ينام العاقل على (حرير الأمل)، وأن يأخذ أسوأ الافتراضات بعين الاعتبار، فقد تتوسع الاضطرابات، وقد تصل لمناطق جديدة، لا سيّما فيما يخصّ تيارات وتوجهات العنف والتطرف. وشدّد على أهمية عدم الاقتصار على الدعاء والانتظار السلبي، وإثما السعي والعمل نحو تحصين المجتمعات، لمنع امتداد مثل هذه الاضطرابات والمشاكل للمناطق، أو للحدّ منها، وإزالة بعض مسبباتها وعناصرها. وأشار إلى ضرورة الجهد والسعي على هذا الصّعيد، واشترك الجهود الرسمية والأهلية من مختلف الجهات والأطراف.





خلال استقباله أعضاء من دار
الزهراء بالكويت

الشيخ الصفار: تقصيرنا
في استيعاب الشباب
جعلهم فريسة
للتطرف^(١)

دعا سماحة الشيخ حسن الصفار إلى تكثيف الجهود لاستيعاب الشباب في المنطقة الخليجية، وضرورة الالتفات لهم؛ لكونهم يخزنون الطاقات الهائلة، والكفاءات الكبيرة، والولاء لدينهم ووطنهم.

وأشار إلى ضرورة وجود قنوات سليمة لتفجير طاقاتهم في خدمة الدين، وتنمية المجتمع.

جاء ذلك خلال استقبال سماحته لأعضاء من دار الزهراء بالكويت، هم: الأستاذ عمّار كاظم، والحاج عبدالهادي صفر، والحاج حسن بولند، والسيد فاضل سيد إبراهيم، يوم السبت ١١ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ٣١ يناير ٢٠١٥ م.

وحذّر الشيخ الصفار من التقصير في استيعاب الشباب، ومنحهم الفرص للتعبير عن ذواتهم في الاتجاه السليم.

وأبان: أنّ التقصير في استيعابهم يجعلهم فريسة وعرضة لاتجاهات التطرف والتشدّد المذهبي والسياسي.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٠/٢/٢٠١٥ م.

وفي السياق ذاته أشاد الشيخ الصفار بدور اللجان القرآنية، والمنتديات الثقافية، والأنشطة الاجتماعية، التي تمثل أطراً وقنوات لتفعيل طاقات أبناء المجتمع. ودعا إلى تشجيع أبناء المنطقة الخليجية على كسب العلم والمعرفة، وارتداد مجالات العمل الاقتصادي، لتنمية أوطانهم، وتطوير مستقبلهم.

يشار إلى أن الوفد يزور القطيف لحضور الأمسية القرآنية الخليجية العاشرة التي أقامتها لجنة أنوار القرآن بسيهات مساء الجمعة ١٠ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ٣٠ يناير ٢٠١٥ م، بمسجد الإمام الباقر بسيهات، التي شارك فيها قراء من داخل المملكة وخارجها.



الشيخ الصفار:
التوجهات الإرهابية
العنيفة تشكل أعظم
إساءة إلى الإسلام
وللرسول ﷺ^(١)

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إنَّ الإساءات المتكررة للرسول الأعظم ﷺ تهدف بالدرجة الأولى للوقوف أمام الامتداد والتوسع الإسلامي، مضيئاً أن الإسلام أصبح أكثر الأديان انتشاراً في العالم، وهناك إقبال كبير على الإسلام في مختلف القارات، وفي مختلف الدول.

وأشار سماحته أن شعوب العالم أصبحت تننّ تحت وطأة الفراغ الروحي، وأصبحت تتطلع إلى الأفكار والرؤى التي تشعرها بقيمة ومعنى الحياة، وهذا لا يتحقق إلا بالرسالة الإلهية بصورتها الأكمل والأفضل، وهي الإسلام، ومن أجل أن يوقفوا هذا المد الإسلامي، وهذا الإقبال على الإسلام، اتجهوا لتشويه سمعة الإسلام.

جاء ذلك خلال الندوة الحوارية التي شارك فيها سماحته إلى جانب سماحة الشيخ عبدالله النمري في حفل «نصرة الرسول الأعظم ﷺ» الذي أقيم في ساحة الحسينية الفاطمية بالقطيف مساء الجمعة ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ٦ فبراير ٢٠١٥.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١٧/٢/٢٠١٥ م.

وكان الحفل بإدارة الشيخ محمد أبو زيد.

ويبين الشيخ الصفار أنّ من أسباب الإساءة المتكررة للرسول هو تنفيذ برنامج صدام الحضارات؛ لأنّ السياسيين الغربيين ينطلقون من قاعدة وهي «لا بُدّ من عدوّ يوحدون أنفسهم ويستنهضون قدرتهم وطاقاتهم في مقابله».

ومضى يقول: في الماضي كانت هناك معركة بين المعسكرين الغربي والشرقي، لكن المعسكر الشرقي سقط وانهار، فأصبح الغرب بلا عدوّ يجنّد ويستنهض طاقته من أجل مقاومته، وكما كتبت تحليلات وكتابات، أنهم اتّجهوا إلى الإسلام، باعتباره في حالة نهضة، وباعتبار أنّ الأمة الإسلامية في حالة صحوة وعودة إلى الذات.

واعتبر سماحته أنّ الخطر الأكبر يكمن في واقع الضعف والتخلف الذي تعيشه الأمة، مضيفاً أنّ الأمة المتخلفة تشكل إساءة إلى دينها ومبادئها؛ لأنّ تخلفها يُحسب على الدين.

وأرجع جانباً من الإساءات المتكررة للرسول ﷺ وللإسلام، إلى «التوجّهات الإرهابية العنيفة» التي تشكل أعظم إساءة إلى الدين والإسلام، ووجودها دفع بعض الناس في الغرب إلى أن يبحثوا عن مبررات هذه الإساءات، خلال هذا الواقع السيئ الذي يقوم به الإرهابيون، من حالات القتل والتفجير والعنف والإرهاب.

وطالب الشيخ الصفار الأنظمة السياسية التي تحكم العالم الإسلامي، أن تتحمل المسؤولية في الدفاع عن سمعة رسول الله ﷺ، لاتّخاذ الإجراءات، واستخدام كلّ إمكانياتها الإعلامية والسياسية والاقتصادية، في مواجهة هذه الإساءات المتكررة.

وحتّى سماحته العلماء والحوارات العلمية والمؤسسات الدينية على الاهتمام بالتجديد في الفكر والفقّه بما يناسب العصر، لإظهار الإسلام بصورته الصافية النقية، وأنه دين لكلّ العصور والأجيال.



مؤبناً الدكتور راشد المبارك

الشيخ الصفار: قيمة
العالم بما يقدم لدينه
ووطنه ومجتمعه^(١)

قال سماحة الشيخ حسن الصفار: إنما يُقيّم العالم والمثقف بما يقدم لدينه ووطنه ومجتمعه من مشاريع وأفكار نهضوية بناءة. وأن يكون سلوكه انعكاساً لأفكاره، وتطبيقاً لما يدعو له.

وقال مؤبناً الدكتور راشد المبارك «رحمه الله» في مجلسه يوم الخميس ليلة الجمعة ٣٠ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ١٩ نوفمبر ٢٠١٥ م: إن هذه الصفات وغيرها اجتمعت في شخصية الدكتور راشد المبارك «رحمه الله»، الذي كان عالماً وأديباً ومثقفاً، وعرف بتواضعه وسعيه في خدمة الناس، حتى توفاه الله بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٦ هـ الموافق ١٨ فبراير ٢٠١٥ م.

وأشاد الشيخ الصفار باهتمام الراحل بقضايا الأمة الكبرى، وانشغاله بها، دون تخلية عن دوره الثقافي والاجتماعي. وأوضح أن من أهم مميزات الدكتور المبارك خدمته للناس، وسعيه في قضاء حوائجهم، مستعيناً بمكانته الاجتماعية وعلاقاته مع المسؤولين. وأبان أن الدكتور المبارك من الشخصيات المتميزة، فهو عالم في العلوم الطبيعية (الكيمياء والفيزياء)، وله مؤلفات وبحوث في هذا المجال، لكن التخصص لم يحبس

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٤/٢/٢٠١٥ م.

عن الأدب والثقافة، فهو قارئ وكاتب مبدع في مجالات مختلفة.

وأضاف: فإلى جانب تخصصه تراه مهتمًا بالثقافة والأدب والفلسفة، فقد كتب كتاب «فلسفة الكراهية» ناقدًا حالة الكراهية المتفشية في المجتمع، مسلطًا الأضواء على أسبابها وجذورها، وكتب عن «شموخ الفلسفة وتهافت الفلاسفة». وقرأاته الدينية قراءة واسعة، تدلّ على حالة من الحيوية والانفتاح الفكري.

وأشار سماحته لما كان يتحلّى به الراحل من خلق رفيع وتواضع جمّ، «فمع قيمته العلمية، ومكانته الاجتماعية، إلا أنه لم يتعال على أحدٍ، بل كان مجلسه مفتوحًا للقريب والبعيد».

وعن أحديته قال الشيخ الصفار: إنّ من معالم التميّز في حياة الدكتور المبارك هذا الصرح العلمي والثقافي الكبير الذي عرف بـ «أحدية المبارك».

وتابع: هذه الأحدية جسّدت التنوع والتعايش عمليًا، من خلال الحضور والضيوف، من النخب ورجال المجتمع، من مختلف التوجهات والأفكار، مشيدًا بتنوع ما يطرح فيها من مواضيع. فالاستضافات في الأحدية كانت متنوعة، وغير مؤطرة في سياق محصور من الأسماء والشخصيات، والتنوع كان عنوانًا واضحًا للضيوف الرئيسيين - المتحدثين -، وكذلك بالنسبة للضيوف الحاضرين. وسرّد سماحته بعض القصص عن أول لقاء كان بينهما عام ١٤١٧هـ حيث زاره الدكتور المبارك في القطيف، ثم تواصلت اللقاءات في الرياض، فقد كان لسماحة الشيخ الصفار في أحدية المبارك ثلاث مشاركات، كما كانت للدكتور المبارك ثلاث زيارات ومشاركات في مجلس الشيخ الصفار في القطيف.

هذا وقد شارك سماحة الشيخ الصفار في العزاء الذي أقيم للدكتور راشد المبارك من قبل أسرته الكريمة في الأحساء، مساء يوم السبت ١ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ الموافق ٢٢ فبراير ٢٠١٥م، وكان في استقباله عضو هيئة كبار العلماء الدكتور الشيخ قيس المبارك، وبعض أبناء الفقيد، وأعيان الأسرة الكريمة.



المسيري: الجهل بوسائل أمن المعلومات مفتاح الابتزاز والتحرش^(١)

القטיפ اليوم: حكمة الجنوبي

نظم القسم النسائي لمكتب سماحة الشيخ حسن الصفار يوم الاثنين ٤ / ٥ / ١٤٣٦ هـ، محاضرة «أمن المعلومات وأمن الأجهزة الذكية» قدمها الاستاذ نضال حسين آل مسيري، بهدف التوعية والمعرفة بأهمية الأمن المعلوماتي ووسائل الاتصالات الحديثة، حيث يبين المقصود بأمن المعلومات، وهو كيفية حماية أيّ جهاز من التعرض لسرقة معلوماته الخاصة، ومدى ترابط قنوات التواصل، ودقة الحفاظ على المعلومات الخاصة.

ورجّح المسيري بأنّ الجهل هو العامل الرئيس في إهمال الأمن المعلوماتي والإلكتروني مما يؤدي إلى كثير من الأمور السيئة؛ مثل فقدان المعلومات، والابتزاز، والتحرش، واتباعها الخسارة المادية.

بعد ذلك تطرق لتعريف الابتزاز والتحرش وبين الفرق بينهما، وعلاقتها بأمن المعلومات، وأوضح أنّ الراشدين أكثر عرضة للابتزاز، بينما الأطفال والمراهقين هم من يتعرضون للتحرش، ومن بينها ابتزاز المشاهير، وأعطى شواهد لحوادث واقعية

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٦ / ٢ / ٢٠١٥ م.

للابتزاز، قام شخصياً بمساعدة الآخرين في حلّها، ومن ثم استعرض صور الابتزاز التي تكون عبر فيسبوك، سكايب، مواقع طلبات الزواج، قنوات الدردشة والأرقام الدولية.

وشدّد على أنّ وراء هذه الوقائع عصابات تعمل على ابتزاز الأشخاص الجاهلاء في خبايا الإنترنت، وتستهدف الشباب الخليجي الغافل بمختلف الأعمار، علماً بأنّ للابتزاز عدة أنواع: مالي ومعلوماتي ودولي ومحليّ.

وانتقل للحديث عن التحرش، الذي اعتبر ضعف الوازع الديني أحد أسباب انتشاره، مع أهمية التركيز بأنّ الأطفال أكثر فئة تتعرض للتحرش الإلكتروني من عدة جوانب، كالإعلانات التي تظهر في الأجهزة الذكية، والألعاب الإلكترونية وما تحويه من مشاهد.

وأرشد الأستاذ الحاضرات لبعض الإجراءات التي يقوم بها الوالدان لحماية أطفالهم من التحرش، كتفعيل القيود، وتحديد العمر، وتفعيل المراقبة الأبوية على البريد الإلكتروني، واختيار الألعاب والتواصل مع الآخرين.

ونبّه المسيري لأهمّ مواطن الضعف التي يقع فيها الراشدون وتجعلهم عرضة للاختراق، مع التوصية لأهم الحلول المتبعة، وأهمها: الإلمام بكيفية استخدام برامج التواصل الاجتماعي في الأجهزة الذكية، وإعدادات جهاز الجوال، وأجهزة الحاسب، عدم التساهل في الإجراءات الأمنية وكلمات المرور الضعيفة، البعد عن نشر الصور عبر وسائل التواصل المختلفة.



مستقبلًا لجنة «واعصموا»
الشيخ الصفار يطالب
بتحصين المجتمع
ضدّ الخلافات بالالتقاء
والتنسيق^(١)

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار بالعمل على تحصين المجتمع من نموّ حالات النزاعات والخلافات، بالعمل الجادّ على التقاء القيادات، والتنسيق بين المؤسسات. وقال سماحته: لا يكفي أن ننشر ثقافة التعاون، وأن نبثّ روح التقارب في المجتمع، بل نحن مطالبون بإيجاد مظاهر توحى بتعزيز التعاون في المجتمع.

وقال في استقبله لأعضاء من لجنة «واعصموا» بمدينة صفوى في مجلسه مساء الثلاثاء (٦/٥/١٤٣٦ هـ الموافق ٢٣/٢/٢٠١٥ م): نحن مطالبون بصنع أطر وأجواء التعاون والتكامل.

وأشار الشيخ الصفار إلى أنّ المشكلة ليست في أن تختلف الأساليب، المهم أن تتكامل وتتقارب أطر العمل، وأن تسود أجواء التلاقي بين المؤسسات وأبناء المجتمع. وحدّر من الشيطان الذي يركز على الجهات الفاعلة والمؤثرة، فيصنع بينهم الحساسيات، ويغذّي المشاعر السلبية داخل نفس الإنسان، وسوء ظنه بمن حوله، وكذلك عبر التوجّهات الأنانية، وحالة العزلة والاستغناء عن التعاون.

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٦/٢/٢٠١٥ م.

وتساءل سماحته: كيف نحصّن مجتمعنا من نموّ حالة النزاعات والخلافات؟ وكيف نُعزّز حالة المناعة في أوساط الناشطين في العمل الاجتماعي؟

وأجاب: إذا التقت قيادات المجتمع ومؤسّساته، وتم التنسيق بينهم، فإنّ النفوس تكون أقرب للانفتاح على بعضها، وتفويت الفرصة على مساعي الجهلاء المغرضين.

واستنكر الشيخ الصفار بعض الرسائل السلبية التي ترسلها بعض قيادات المجتمع، بابتعادهم عن التنسيق، وتحمل مسؤولية التقارب، وقال: إنّ ذلك يبعث برسالة سلبية تُعزّز حالة العزلة الفرقة.

وأشاد بعمل اللجان المتعاونة بمدينة صفوى، وبلجنة «واعتصموا» التي تبنت منذ عام ١٤٣٤هـ تعزيز الوجه الحضاري الإسلامي للوحدة، ونشر ثقافة التعاون والعمل الجمعي، بإقامة أنشطة دينية وثقافية واجتماعية تجمع كلّ مؤسّسات المدينة ولجانها.

وأوضح للقائمين على اللجنة: أنّ الإنسان قد يواجه عراقيل ومصاعب لكن هذه حالة طبيعية، لا يوجد عمل خير إلاّ وله معوّقات، ولعلّ في ذلك امتحاناً لمعرفة صلابة هذه التجربة وإخلاص القائمين عليها.

جدير بالذكر أنّ لجنة «واعتصموا» هي لجنة أهلية، تنتظم فيها جوامع ومساجد وحسينيات ومنتديات اجتماعية وثقافية، وهيئات منتمية الى مدينة صفوى، وتعمل على الرقيّ بالعمل المجتمعي، وصولاً لصيغة تعكس الوحدة والتميّز.





جميل الحجيلان: الشيخ الصفار عالم رزين صادق في وطنيته^(١)

أشاد الأستاذ جميل الحجيلان بشخصية الشيخ حسن الصفار واصفاً إياه بـ (العالم الشيعي الرزين) وأنه (يحمل صدق المواطنة)، مثنياً على طرحه العقلاني المعتدل في معالجة موضوع التنوع المذهبي.

جاء ذلك ضمن مقال له عن الدكتور راشد المبارك رحمه الله نشرته جريدة الجزيرة السعودية بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٤٣٦هـ الموافق ٣ مارس ٢٠١٥م.

وفي سياق الحديث عن حضوره لبعض أمسيات أحذية الدكتور راشد المبارك، قال الأمين العام السابق لمجلس التعاون الخليجي، والسفير السعودي في فرنسا سابقاً، ما نصّه: «قدّر لي أن أحضر أمسيتين من أمسياته الأحذية، حاضر في الأمسية الأولى منهما الشيخ حسن الصفار، العالم الشيعي الرزين، الذي حمله صدق المواطنة لأن يجعل في تلك الأمسية، من البحث في موضوع متفجر شائك، وسيلة لإجهاض مواقف التشنج، والدفع جانباً بالمبالغة والغلو، ودعوة المتجادلين للالتقاء على حبّ الوطن، وقطع الطريق على الجهالة والنيّة المشبوهة».

هذا وقد استضافت الأحذية سماحة الشيخ الصفار ثلاث مرات ألقى خلالها:

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٨/٣/٢٠١٥م.

- السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته، مساء يوم الأحد ٥ صفر ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٩ أبريل ٢٠٠١ م.
- كيف نقرأ الآخر، مساء يوم الأحد ٢٠ شوال ١٤٢٤ هـ الموافق ١٤ ديسمبر ٢٠٠٣ م.
- القلق من الآخر مساء الأحد ٢٧ شوال ١٤٣٢ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠١١ م.





الشيخ الصفار: الدكتور التركي. نموذج وطني. مشرق

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار ظهر يوم الخميس ٦/٦/١٤٣٦ هـ الموافق ٢٦/٣/٢٠١٥م الدكتور عبدالعزيز بن علي التركي، رجل الأعمال والمؤسسات الخيرية وعدداً من العاملين معه، حيث أقام على شرفهم مأدبة غداء حضرها جمع من الشخصيات الاجتماعية.

وقد بدأ الشيخ الصفار بالترحيب بضيفه الكريم ومرافقيه، مشيداً بجهود الشيخ التركي الخيرية والوطنية، ومؤكداً أنه «نموذج مشرق يحتذى به على مستوى الوطن». ثم تحدث التركي عن دور الجمعية السعودية للسكر والغدد الصماء التي أنشأها ويرعاها، مطالباً المجتمع بالاهتمام بمحاصرة هذا الداء (السكري)، الذي وصلت الإصابة به إلى أرقام مخيفة، حيث احتلت المملكة المرتبة الأولى على مستوى دول العالم، وقد قفز انتشار المرض بين البالغين من نحو واحد من ١٠ أشخاص إلى نحو ربع السعوديين.

وذكر الأمين العام لجمعية السكر والغدد الصماء بالمنطقة الشرقية الدكتور كامل سلامة، سبل مواجهة هذا المرض، والوقاية منه، ومساعدة المصابين به، على ضبطه وتخفيض نسبته.

وتطرق الدكتور التركي للحديث عن مشروع (ديوانية الأطباء) التي تعتبر أول ديوانية طبية تجمع أشهر الأطباء في التخصصات الصحية النادرة، والقيادات الطبية في المنطقة، لتكون الأولى من نوعها على مستوى المملكة.

وأبان التركي أن الديوانية تأسست في مارس ٢٠١٣م، بحضور أكثر من ٥٠ طبيباً، بينهم من حملة شهادة البروفيسور، والماجستير، والدكتوراه، وغيرها من الشهادات العليا.

موضحاً أن هذه الديوانية فرصة للتلاقي بين هذه الخبرات الطبية، مما سيعزز فرص مناقشة الكثير من الأمور الخاصة بالطب في المملكة، وآخر ما تم التوصل إليه من العلم في علاج العديد من الأمراض في حال وجود أي مستجدات في هذا الشأن.

هذا وكان الشيخ الصفار قد شارك في الديوانية في جلسة عنوانها: «المشروع الوطني لمكافحة السكري والسمنة»، وكان المتحدث فيها الدكتور كامل سلامة.

وفي مداخلة له طالب الشيخ الصفار، بأن تتبنى الجهات الدعوية والمؤسسات الدينية في المملكة هذه الاستراتيجية «المشروع»، خاصة وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، وهيئة كبار العلماء، من أجل حث أئمة المساجد والخطباء بالتحذير من مرض السكر والسمنة، والمدعوم عقلاً وشرعاً؛ لأن انكار تفشي هذه الأمراض واجب على كل مسلم، ويندرج تحت إيذاء النفس البشرية، ولا بد أن يكون لهم دور في هذا المشروع الوطني الضخم.

كما كتب لمجلة (ديوانية الأطباء) مقالا بعنوان: ديوانية الأطباء فكرة حضارية رائدة، نشر في العدد الأول.



الشيخ الصفار مؤبناً السيد بحر العلوم

كان موسوعة في العلم ومدرسة في الجهاد^(١)

أشاد سماحة الشيخ حسن الصفار بمسيرة الجهاد الحافلة التي طواها العلامة الراحل الدكتور السيد محمد بحر العلوم في حياته، وبالعطاء العلمي الثري الذي قدّمه لساحة المعرفة.

وقال: إن بحر العلوم كان في طليعة ثلة من العلماء الواعين، الذين عقدوا العزم على مواجهة تحدّي الاستبداد السياسي، وخطر الأفكار والتوجّهات المناوئة للإسلام، منذ منتصف خمسينيات القرن المنصرم في العراق.

جاء ذلك في كلمة ألقاها الشيخ الصفار في المجلس التأبيني الذي عقده في مكتبه بالقطيف، مساء يوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠١٥ م، بمناسبة رحيل العلامة بحر العلوم الذي توفي يوم الثلاثاء الماضي بتاريخ ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٦ هـ الموافق ٧ أبريل ٢٠١٥ م في النجف الأشرف بالعراق.

وتحدّث الشيخ الصفار في المجلس الذي حضره جمع من العلماء والخطباء والمواطنين، عن سمات شخصية الفقيه الراحل، ودوره في الدفاع عن قيم الدين، وحرية وكرامة الشعب العراقي، مستعرضاً دور السيد بحر العلوم في تقديم الفكر

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ١١/٤/٢٠١٥ م.

الإسلامي بلغة عصرية، وخطاب ديني ملائم لتطورات الحياة، مستشهداً بعدد من كتاباته ومؤلفاته.

وأوضح أنه - رحمه الله - مع رفقاء دربه، من العلماء الرساليين، عملوا على جبهة التطوير والإصلاح داخل الحوزة العلمية، ومنظومة الفكر الديني، وجبهة التصدي لسطات الجور في العراق، وحملات الأحزاب الأيديولوجية المناوئة للدين.

وأشار الشيخ الصفار إلى جهود السيد بحر العلوم في إنشاء المؤسسات الإسلامية العلمية والثقافية والاجتماعية، كمتدى النشر، وكلية الفقه في النجف الأشرف، ومركز أهل البيت الإسلامي في لندن، ومعهد العلمين الذي أسسه مؤخرًا كأول معهد متخصص في العلوم السياسية للدراسات العليا في النجف الأشرف.

وعلى صعيد النضال السياسي تحدث الشيخ الصفار عن مسيرة بحر العلوم، التي استمرت لما يزيد عن نصف قرن من الزمن، دفاعاً عن حرية الشعب العراقي وكرامته.

وتابع: لقد وقف إلى جانب مرجعية السيد محسن الحكيم في مواجهة الطغيان، حتى صدر بحقه حكم بالإعدام، فاضطر للخروج من العراق، وتقاذفته البلدان والمنافي، من الكويت إلى إيران ومصر، حتى استقرّ في لندن، فكان قطباً من أقطاب المعارضة العراقية، بمختلف فصائلها واتجاهاتها.

واستعرض الشيخ الصفار بعض المحطات النضالية للفقيد الراحل، إلى ما بعد سقوط الحكم الصدامي في العراق، ودوره في إرساء العملية السياسية القائمة، وتوجيهها نحو تعزيز المشاركة بين مختلف مكونات الشعب العراقي، بعيداً عن العصبية القومية والطائفية.

وقد شارك في المجلس التأسيسي العلامة الدكتور الشيخ محمود المظفر، وهو من زملاء العلامة الراحل بحر العلوم، وألقى كلمة موجزة بسبب ظروفه الصحية، تحدّث فيها عن علاقته الوثيقة بالفقيد، التي استمرّت لعقود من الزمن، منذ زمالته له في مرحلة

الدراسة الابتدائية في مدارس منتدى النشر بالنجف الأشرف، مرورًا بمرحلة الدراسة الجامعية، ومجالات العمل المشترك في خدمة الدين والعلم، والدفاع عن مصالح الشعب العراقي.

كما ألقى الأديب السيد هاشم السيد عبد الرضا الشخص قصيدة تأيينية بالمناسبة، وختم المجلس الخطيب عبد الحي قنبر بمرثية حسينية.

وإلى جانب الدكتور الشيخ محمود المظفر، حضر المجلس السادة العلماء والمشايخ: السيد كامل الحسن، الشيخ فوزي آل سيف، الشيخ عبدالله اليوسف، الشيخ محمود آل سيف، الشيخ أحمد الأبرق، (من المدينة المنورة)، الشيخ إبراهيم الميلاد، الشيخ صادق الرواغة، الشيخ جعفر بناوي، الشيخ حسين رمضان القریش، الشيخ حسين الصويلح، الشيخ حبيب الدهيم، الشيخ علي الزايد، الشيخ حسين القصلة، الشيخ صالح البراهيم، الشيخ حسين جضر، الشيخ حبيب الخباز، الشيخ محمد الجيراني، الشيخ علي النزغة، الشيخ حسن عجاج، الشيخ أحمد الناصر، الخطيب وجدي المبارك، الخطيب عبد الحي قنبر، الشيخ أحمد المشعل.







عائلة الصفر تكرم متقاعديها في القطيف^(١)

أقامت عائلة الصفر في محافظة القطيف والعوائل المرتبطة بها حفل تكريم لمتقاعديها، وذلك في مجلس الشيخ حسن الصفر، ظهر السبت بتاريخ ١١/٤/٢٠١٥م، أداره الأستاذ جعفر العيد، وعبر عن فخره بالاجتماع الذي يحقق أهداف العائلة في تحقيق التماسك والترابط بين أفرادها.

وشدّد الشيخ حسن الصفر خلال الحفل على أنّ استيحاء المتقاعدين بانتهاء دورهم في الحياة عند التقاعد يُعدّ أمرًا سيئًا وضارًا، مشيرًا إلى أهمية أن يشعر الإنسان بأنّ له دورًا ومهمّةً ووظيفةً في هذه الحياة. وقال: لا ينبغي أن يراود المتقاعد الشعور بانتهاء دوره، أو التنازل عن لحظة من لحظات حياته، ما دام به رمقٌ من الحياة بإمكانه المحافظة عليها وعدم التنازل عنها.

وذكر بأنّه لا ينبغي أن ينمّي الإنسان في نفسه شعور التقاعد، وانتهاء دوره ومهامه، منوّهاً لضرورة الحفاظ على حيويته، والسعي لإبداع وابتكار أدوار لنفسه وللمجتمع. وطالب الشيخ الصفر بفتح المجال للكبار في السنّ، لما يمتلكون من خبرة وتجربة، ومشاعر إنسانية دافئة، فهم «بركة الحياة والمجتمع».

(١) جھينة الإخباریة ١٢/٤/٢٠١٥م.

وأشار إلى الأشخاص الذين تقاعدوا من عملهم الروتيني في الشركة والوظيفة، وأخذوا يبحثون عن العمل التطوعي الاجتماعي، وكيفية خدمة المجتمع والناس، والتفرغ لمنفعتهم، مبيّنًا بأنّ ظاهر العمل الاجتماعي هو خدمة الناس، بينما الواقع هو خدمة الإنسان لنفسه، لحفاظه على جذوة الحياة في نفسه، وشعوره بأنّ له قيمة في الحياة. وقال: إنّ تكريم المتقاعدين عن العمل الوظيفي، لا يعني أنّ أدوارهم قد تقلّصت في الحياة، وانحصرت أهمية وجودهم فيها، مؤكّدًا على أنّ بإمكانهم أن يكون لهم دور أكثر وأكبر، عامر بالخير والمشاعر الفياضة، وفيه تفعيل لخبرتهم وتجربتهم. ودعا الشيخ الصفار الآباء إلى أن يكونوا قدوة لأبنائهم، حين يتواصلون مع أرحامهم، ويقومون بخدمة لمجتمعهم، ويشقون الطريق أمام الأبناء ليتجهوا بنفس الاتجاه.

وتطرّق في جانب آخر لتأكيد أهمية التواصل والتلاقي، الذي يعطي للحياة معنى وقيمة، في تواصل الإنسان مع أبناء جنسه، ليشري مشاعره وأحاسيسه، ويطلع على ما لدى الآخرين من أفكار وتجارب ومعلومات ربما لا يكون مطلعًا عليها.

وتحدّث عمّا يقدمه التواصل مع الناس من زاد للإنسان في مواجهة مشاكل الحياة وتحدياتها وصعوباتها في الوقت الذي يحتاج فيه الإنسان للشعور بأنّ هناك من يقف في جانبه ويكون معه. وضرب مثلاً للتواصل بالمتخرجين من المدرسة الأولى في الهفوف، التي تُعدّ أقدم مدرسة في الأحساء، والذين تبلغ أعمارهم فوق الستين وهم يواصلون الاجتماع مرة واحدة في كلّ سنة. ودعا للحرص على تفعيل اللقاءات العائلية كلّ ٣ أو ٦ أشهر، ليستفيد الجميع، وتمتلاً النفوس بالعواطف والمشاعر الإيجابية، وللتقرب لرضوان الله الذي أمر بصلة الرحم، ويعد بالثواب من يقوم به.

وأبدى الشيخ الصفار شكره وثناءه للقائمين على مبادرة الاجتماع، والمتمثلين في كلّ من «عبد السلام أحمد الدخيل، وحسن سعيد الصفار، وجعفر محمد العيد، ومحمد حسن الصفار، وحسن حسين العمير، وجعفر عبد العزيز الصفار، ومحمود محمد الفردان، وصادق حسن الصفار».



الشيخ الصفار يدعو «رحالة البحرين» لنشر المحبة والتآلف والسلم الاجتماعي^(١)

دعا الشيخ حسن الصفار الثنائي الدلموني «حسين ومريم»، إلى ضرورة حمل رسالة المحبة والتآلف والسلم الاجتماعي، ونشرها بين الناس، أثناء توثيقهما لرحلاتهما التاريخية حول العالم.

وجاء حديثه خلال الزيارة التي قام بها رحالتا البحرين «حسين الموسوي، ومريم العرب» برفقة الشاب علي سليس، والشاب البحريني محمد مهدي الصباغ، وزوجته زينب العرب، وذلك ضمن جولة يقوم بها الزوجان تمتد لعدة مناطق في العالم.

وطالب الشيخ الصفار الرحالة «حسين ومريم» بعدم الاستسلام أمام الظروف الأخيرة، التي تريد أن تعكّر الأجواء، وبذل الجهود من أجل تأكيد العلاقة الإيجابية بين أبناء المنطقة الخليجية ومجتمعاتها.

ولفت إلى «أن تاريخ المنطقة الخليجية ومجتمعاتها عامر بالألفة والاندماج والمودة بين الناس، على الرغم من اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم».

وأشار إلى ضرورة توثيق العلاقة بين المجتمعات والشعوب، وتفعيل حالة المثاقفة

(١) جهيئة الإخبارية ١٢/٤/٢٠١٥م.

والتعارف، الذي يُعدّ مبدأً قرآنيًا، والعمل على مدّ الجسور بين الناس خاصة في هذه الظروف التي تمرّ بها المنطقة، من عصفٍ لأمواج الفتن والمشاكل.

وأكد الشيخ الصفار أهمية السعي خلال تجوالهما للتعرف على معالم تلك البلدان، وتوجّهات المجتمعات، والالتقاء بالناس، والتعرف عليهم، وعلى أوضاعهم وأعرافهم، لاكتساب المعلومات والمعارف الجديدة، وإثراء مشاعرهما.

وطالبهما باكتساب الفوائد والمنافع، حتى في خضمّ ما سيلقيانه من مغامراتٍ وعناءٍ وتعبٍ منوّهاً إلى ما تمنحه المغامرة من متعةٍ وشعورٍ بكسب التحديّ أمام المشاكل والعقبات التي تواجهه.

وأبدى عن أمنيته بأن يكونا أنموذجاً «لأخلائهم من الشباب والأبناء والبنات» للسعي نحو تجاوز الحياة الرتيبة والمألوفة، والتفكير في إبداعات في سلوكهم وحياتهم، حتى يثروا حياتهم الفردية، ويضيفوا إلى الحياة العامة في مجتمعاتهم.

من جهة أخرى، شدّد الرحالة «حسين ومريم» على أهمية الابتعاد عن التطرف والتعصب، مشيرين إلى الانفتاح الاجتماعي بين أبناء البلد الواحد، ودعوا إلى تبادل الخبرات والأفكار والتجارب الاجتماعية، عبر التواصل والزيارات.

الجدير بالذكر بأنّ الثنائي الدلموني «حسين ومريم» ابتدأت رحلتها في خوض تجارب وتحديات غير اعتيادية في الحياة، والمحاولة في أن يكونا مصدر إلهام في كيفية تحويل السفر إلى تجارب تسهم في تغيير حياتهم نحو الأفضل، بعد رحلة «شهر العسل» لجبال الهمالايا في الهند عام ٢٠١٢م حيث قضياها بمغامرةٍ وتحديٍّ صعب.

الصفار يدعو إلى زيادة المراكز المتخصصة بمرضى التوحد^(١)

منير النمر

أكد الشيخ حسن الصفار، أهمية مضاعفة الاهتمام بالأطفال من فئة مرضى التوحد، مشدداً على ضرورة إنشاء المزيد من المؤسسات والمراكز الوطنية المتخصصة بهذه الفئة من المرضى.

وذكر الصفار أنّ المراكز المتخصصة بمرضى التوحد تُعدّ قليلة جداً على المستوى الوطني، وتابع «المملكة بحاجة إلى ما بين أربعة وخمسة آلاف مركز متخصص بمرضى التوحد، قياساً على عدد المرضى البالغ نحو ٢٥٠ ألف طفل»، مشيداً بـ «اليوم العالمي للتوعية بمرض التوحد»، وجعله مناسبة جيدة للاهتمام بهذه الشريحة.

ونوّه بإنشاء لجنة أهلية متخصصة منذ وقت مبكر في مدينة تاروت، غرضها الاهتمام بمرضى التوحد، وقال: «بات يستفاد من تجربتها على المستوى الوطني والإقليمي»، مشيراً إلى إنشاء مركز حديث ضمن «خيرية القطيف» لخدمة هذه الفئة من المرضى.

وتابع أمام حشدٍ من الحضور: «إنّ على الأوساط الدينية في المنطقة أن تولي هذه الفئة من الأطفال اهتماماً أكبر إلى جانب الاهتمام بسائر المناشط والفعاليات الدينية».

(١) جريدة الرياض، الأربعاء ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ - ١٥ أبريل ٢٠١٥م - العدد ١٧٠٩٦.



صفوى.. «واعتصموا» تجمع 16 مؤسسة اجتماعية في ملتقى العمل الاجتماعي^(١)

محمد التركي - صفوى

افتتح مساء أمس الأربعاء ملتقى العمل الاجتماعي الموحد، الذي تشرف عليه وتنظمه لجنة «واعتصموا»، بمشاركة ١٦ مؤسسة اجتماعية رسمية وأهلية، وذلك في جامع الكوثر بصفوى.

وبدأ حفل الافتتاح بآيات من القرآن الكريم، رتلها أحد فرسان لجنة تراويل الفجر، الشبل محمد هاشم الشرفا، بعدها كانت كلمة اللجنة المنظمة، وهي عبارة عن روبرتاج توثيقي لفعاليات اللجنة ورسالتها.

جاءت بعد ذلك كلمة الجهات المشاركة، ألقاها بالنيابة عنهم عضو مركز البيت السعيد بصفوى المهندس عادل الأحمد، موضِّحاً رغبة الجهات المشاركة بالتعريف بنشاطها، والتواصل مع الشريحة المستفيدة من خدماتها، والوصول لحالة من التكامل بينها، بما يؤثر من ناحية الرقي بالعمل المنجز.

بعد ذلك شارك الشبل الواعد أحمد سعيد ارهين، بقصيدة تتغنّى بصفوى، لاقت استحسان الحضور.

(١) جبهة الإخبارية ٢٢/٤/٢٠١٥م.

بعدها.. قدّم عريف حفل الملتقى وعضو اللجنة المنظمة أحمد شرف السادة، كلمة الحفل الرئيسة وكانت لسماحة الشيخ حسن الصفار، الذي سلّط الضوء في كلمته على العمل الاجتماعي، وضرورة التعاون في إطاره، رغم الاختلافات في تشخيص بعض المواضيع.

وتساءل الشيخ الصفار في كلمته «كيف لغير المسلمين وبالرغم من اختلافاتهم وتبايناتهم أن يلتقوا على المشتركات، في الوقت الذي يجب أن نكون نحن المسلمون أولى بالتمسك بتعاليم الدين نحو الاعتصام والتوحد والتكامل في العمل الاجتماعي». وأشاد سماحته بفكرة اللجنة المنظمة في جمع مختلف المؤسسات تحت سقف واحد، داعياً الجميع للالتفاف حول بعضهم بعضاً، وأن يلتمسوا لبعضهم العذر في جميع مواطن الاختلاف.

بعدها.. أعلن رئيس لجنة «واعتصموا» حسين علي الداوود افتتاح الملتقى، داعياً الجميع للتجول بين أركان الجهات المشاركة والتعرف على أنشطتهم.





الشيخ الصفار في اللقاء السنوي
لأمانة الحقوق الشرعية:

الحالة الدينية تتأثر
بالواقع الاجتماعي ولم
تهبط من المربخ^(١)

في الملتقى السنوي الذي يعقده مكتب الشيخ حسن الصفار، لعرض تقرير أمانة الحقوق الشرعية، والأنشطة الثقافية والاجتماعية، قدّم الشيخ الصفار رؤية حول تقويم واقع الحالة الدينية في المجتمع، مؤكّداً ضرورة الشفافية والوضوح، في العلاقة بين الجهات الدينية والجمهور، داعياً المتصدّين لقيادة النشاط الديني للتعاون فيما بينهم، وللانفتاح والتكامل مع سائر الجهات والمؤسسات الفاعلة في المجتمع.

وقد استعرضت أمانة الحقوق الشرعية تقريرها السنوي لعام ١٤٣٥ هـ الذي يرصد الوارد من الحقوق الشرعية والتبرعات، والصادر الذي يصرف لمساعدة المحتاجين، ودعم الجمعيات الخيرية، والأنشطة الدينية والثقافية في المجتمع، تلاه تقرير توثيقي لأهم مشاركات الشيخ الصفار الإعلامية والثقافية والاجتماعية لذات السنة.

وقد حضر اللقاء الذي انعقد مساء يوم الجمعة - ليلة السبت - ٥ رجب ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٤ إبريل ٢٠١٥م جمع من العلماء والمثقفين ورجال الأعمال، وفيما يلي مقتطفات مما جاء في كلمة الشيخ حسن الصفار:

تواجه مجتمعاتنا تحديات كثيرة في المجالات المختلفة، وتحفزها تطلّعات وآمال

(١) نشر على www.saffar.org بتاريخ ٢٥/٤/٢٠١٥م.

لتجاوز واقعها المتخلف، في هذا السياق من الطبيعي أن تتعدد الآراء والتوجهات في تلمس طريق الخلاص والنجاة.

والحالة الدينية بما لها من عمق وجود وتأثير في هذه المجتمعات، تجد نفسها في غمرة هذه المساعي ومخاض هذه التحولات، لا تستطيع أن تكون بعيدة منعزلة، ولا يمكنها أن تكون بديلة عن مجتمعاتها، ولا متجاوزة لسلبيات الواقع بحكم بشريتها.

هناك توقعات من الحالة الدينية في مجتمعاتنا بما يفوق إمكاناتها وقدراتها، في كثير من المواقع والأحوال، وتقدمها في مكان بفعل تقدم البيئة التي تعيش فيها، لا يعني امتلاكها لنفس المستوى في سائر الأمكنة، من هنا لا بُدَّ من الواقعية والموضوعية في تحديد دور المؤسسة الدينية، حتى لا تُحمَل فوق قدرتها، ولا تندفع هي أكثر من إمكاناتها، ولا تبالغ في دورها.

الحالة الدينية كسائر قوى المجتمع، تماثلها في حداثة عهدها بالتصدي، وتحمل المسؤولية الاجتماعية، وتفاجئها الأحداث والتحديات، وتفقد المؤسسة والتنظيم، والوحدة والانسجام، وبالتالي تعاني من كل سلبيات الواقع الاجتماعي، فهي ليست من خارجه ولم تهبط من المريخ.

هناك محاولات ومساعي للإصلاح والتطوير، تصارع التحديات، وتعترضها العقبات والنكسات، وتشوبها الأخطاء والثغرات، هذه المساعي بحاجة لوقفات التأمل والمراجعة، وبحاجة إلى التلاقي مع سائر الجهود في المجتمع، لتتكامل وتتقاسم مهمة الإصلاح والتصدي للمسؤولية الاجتماعية.

ونحن في هذا المجتمع، وهذه المنطقة، نعتبر أنفسنا جزءاً من مساعي الإصلاح والتطوير، لا يسمح لنا وجداننا ولا فهمنا للدين بالتراجع والتخلي عن المسؤولية، مهما كانت الصعوبات.

قد ننحني أمام بعض العواصف، وقد نعيد النظر في بعض الاجتهادات، وقد



ننكمش في بعض الأحيان، حينما تفرض علينا الظروف ذلك، وتقتضيها المصلحة العامة، ولكن لا نتخلّى عن مسؤولياتنا الدينية والاجتماعية.

نؤمن بعمق بضرورة التعاون والتكامل مع كلّ القوى والاتّجاهات في مجتمعاتنا، ولا نرى اختلاف الرأي عائقاً ولا مانعاً عن الاجتماع على المشتركات، وخدمة المصالح العامة للمجتمع، كما نشعر بالحاجة لدعم كلّ الواعين، ونفتح على كلّ الطاقات في المجتمع.

لذلك نستعرض تجربة عملنا بكلّ تواضع، معترفين بالتقصير أمام الله وأمام المجتمع، راجين رفقنا بالدعم والملاحظات والمقترحات.





الشيخ الصفار يلقي محاضرات في الحرم الرضوي.

تلقي الشيخ الصفار أثناء زيارته لمشهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام دعوة من إدارة النشاط الثقافي في صحن الغدير بالحرم الرضوي لإلقاء سلسلة محاضرات قرآنية قبل صلاة المغرب في اجتماع الزائرين العرب.

وقد بدأ الشيخ الصفار إلقاء محاضراته من عصر يوم الجمعة ٢ رمضان ١٤٣٦ هـ الموافق ١٦/٦/٢٠١٥م واستمرت لمدة أسبوع، تحدث فيها عن فضل شهر رمضان المبارك، وعطاء فريضة الصيام، وتفعيل ثقافة القرآن في حياة المسلم الفردية والاجتماعية. حيث كان الصحن الكبير يكتظ بالزائرين من مختلف البلدان العربية وخاصة من العراق ودول الخليج العربي.

وفي الليلة السابعة من شهر رمضان المبارك، ألقى الشيخ الصفار كلمة في الحسينية المسقطية، بدعوة من سماحة السيد عبدالكريم القزويني.

وبمناسبة ذكرى ميلاد الإمام الحسن بن علي عليه السلام في الخامس عشر من شهر رمضان المبارك، ألقى الشيخ الصفار كلمة في الحفل الذي أقامه سماحة السيد محمد علي الشيرازي في حسينيته العامرة، تحدث فيها عن حاجة الأمة إلى الاستلham من حلم الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة أجواء التوتر والتشنج الطائفي.

وفي الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك، ألقى الشيخ الصفار سلسلة محاضرات في مجلس للزائرين من أهالي محافظة الحلة في العراق، عصر كل يوم قبل صلاة المغرب، ركزت على أهمية الإصلاح الثقافي. وحاجة الساحة العراقية إلى ثقافة التعايش، والدفع باتجاه التنمية والبناء، لتجاوز آثار عهود التخلف والاستبداد والخلاف. واستقبل الشيخ الصفار خلال فترة اقامته في مشهد التي امتدت من تاريخ ١٩ شعبان ١٤٣٦ هـ الموافق ٦/٦/٢٠١٥ م، إلى تاريخ ١٩ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ الموافق ٣/٩/٢٠١٥ م، عدداً من العلماء والخطباء والزائرين، كما قام بزيارة بعض المراجع والعلماء الأفاضل.





الصفار: كان الفقيه سليم القلب رحب الصدر
لا يحمل حقداً أو ضغينة على أحد

عائلة العلامة العصفور
تُطلق مؤسسة خيرية باسم
الشيخ أحمد في الذكرى
الأولى لرحيله^(١)

أعلنت عائلة الفقيه العلامة الشيخ أحمد خلف العصفور، إطلاق مؤسسة تُعنى بالأعمال الخيرية، وتحمل اسم «مؤسسة الشيخ أحمد العصفور الخيرية»، وذلك في الذكرى الأولى لرحيله، التي أحيتها العائلة بحفل أقيم مساء أمس الأول (الخميس) ٨ أكتوبر ٢٠١٥م الموافق ٢٤ ذي الحجة ١٤٣٦هـ، في مأتم الحاج حسن العالي، بحضور عدد من علماء ورجال دين من داخل البحرين وخارجها.

الحفل الذي قدّمه الإعلامي غازي عبد المحسن، ألقى فيه رجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار، كلمة وصف فيها العلامة العصفور بأنه كان سليم القلب، رحب الصدر، لا يحمل حقداً أو ضغينة في قلبه على أحد.

وتوفي الشيخ العصفور في (١٢ أكتوبر/ تشرين الأول) من العام الماضي (٢٠١٤)، عن عمر ناهز ٩٠ عاماً، وذلك بعد تدهور حالته الصحية، وإدخاله إلى المستشفى العسكري.

وقال الصفار، في كلمته: إن العصفور «رجل حباه الله تعالى نعمًا كبيرة وعظيمة، ومن أبرز تلك النعم سلامة القلب، وطهارة النفس، إذ كانت نفسه نقية من الأحقاد

(١) صحيفة الوسط البحرينية. السبت ١٠ أكتوبر ٢٠١٥م الموافق ٢٦ ذي الحجة ١٤٣٦هـ، العدد ٤٧٨١.

والضعائن، لذلك حريٌّ بنا أن نقف عند هذه الصفة العظيمة، لنستفيد من ذكرى هذا العبد الصالح، العالم الفاضل، ما يفيدنا في حياتنا وسلوكنا، ولآخرتنا».

واعتبر أنه «أنموذج للقلب الطاهر، والصدر الرحب الواسع، له رأي وموقف، ويختلف مع هذا أو ذاك في رأيه أو موقفه، لكن كما يظهر كان قلبه يتسع للجميع».

واستذكر مواقف له مع العصفور، قائلاً: «أذكر أنني جلست معه أكثر من مرة، وحينما يأتي ذكر من يختلف معه في رأي سياسي أو ديني أو اجتماعي، لم يكن يسمح لنفسه أن يسيء إليه، وكان يقول دائماً إن له رأيه ووجهة نظره». وأكد أنه «لم يكن ينال ممن يخالفه ويختلف معه في الرأي».

وتحدّث الصفار عن الخلافات والنزاعات في المجتمعات، مبيّناً أنّ «في العالم العربي تسيرنا الانفعالات أكثر مما يسيرنا العقل، ولذلك كلّ مشكلة وبدلاً من أن تحلّ تتوالد وتتفاقم».

ودعا إلى النظر إلى المجتمعات الأخرى التي لا تمتلك هدياً كما يمتلكه المسلمون، وكيف يديرون خلافاتهم، ويرون أنّ المصلحة تقتضي أن تدار الخلافات بصورة لا يكون فيها حقد أو ضغينة.

ولفت إلى أنّ الضغائن والأحقاد، عندما تتسلل إلى قلب الإنسان وتتوغل فيه، يحتاج الإنسان إلى جهاد لنزع هذه الأحقاد.

وأفاد بأنّ الإنسان في حياته يواجه نزاعات ومشكلات؛ لأنه يعيش مع من يختلف معه في الموقف والرأي، ومن يتضارب معه في مصلحته، معتبراً أنّ هذه الاختلافات أمر طبيعي في المجتمع الذي يعيش الإنسان البشري ضمنه. ورأى أنّ الإنسان لا يستطيع تجاوز الصراعات والنزاعات، وأحياناً تفرض نفسها عليه.

وقال: إنّ «على الإنسان أن يبتعد عن الخصومات والنزاعات مهما استطاع، لكن أحياناً يجد الإنسان نفسه في موقف من أجل فكرة أو قيمة أو حقّ أو مصلحة، قد



يفرض الصراع نفسه عليه، والإسلام يتتهج الواقعية في هذا الجانب، ولا يتعامل مع الإنسان كملاك، يطلب منه ما لا يمكن في حياته».

وأوضح أنّ من أهمّ الضوابط والمبادئ في التعامل مع النزاعات أن يكون الإنسان متنبهاً، حتى لا يتحول النزاع والصراع إلى حقدٍ دفين.

وتابع «أنت تختلف مع أحد حول موضوع سياسي واجتماعي، أدر الخلاف معه حول هذا الإطار، لا أن يتحول إلى حقد وضغينة».

واستشهد بالأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام الذين حملوا رسالات الله سبحانه وتعالى، كيف أنهم كانوا يواجهون الكفار والمشركين، وكانوا يواجهون الخلافات والنزاعات، لكن لم يكونوا يحقدون على الآخرين، بل كانوا يسعون إلى هدايتهم.

وتابع «كان الأئمة عليهم السلام يتعاملون بصفاء قلب وطهارة نفس مع من يختلفون معهم». كما دعا إلى أن يدير الإنسان اختلافه مع أيّ شخص آخر بشأن مسألة سياسية أو اجتماعية، في إطارها، وألا يطوّرها إلى خلافات تخلق الحقد والضغينة.

وأكد الشيخ الصفار أنّ الإنسان حينما يسمح للحقد والغلّ أن يتسلل إلى نفسه فهو يؤذي نفسه، فالحقد والضغينة إيذاء وثقل على قلب الإنسان.

من جانبه، أبّن الشيخ محمد محسن العصفور، العلامة العصفور، قائلاً: «ستبقى خالدًا بعلمك وحسينتك، ومحبة هؤلاء الذين اجتمعوا في ذكرى رحيلك»، مؤكّداً أنّ الشخصية العظيمة لا يمكن لشخصية أخرى أن تسدّ مسدّها، فأبناء العم (أبناء الشيخ أحمد العصفور) على مكانتهم ومعزّتهم، لا يمكن أن يسدّ أحدهم مكانة الشيخ أحمد، إلّا أنهم بتوحد كلمتهم واجتماعهم وتكاتفهم سيقون القامة المستمرة التي تعيش فيها هذه الشخصية العظيمة.

وذكر أنّ العلامة العصفور ارتبط بشكل وثيق بالإمام الحسين عليه السلام، وأصبح اسمه مرتبطاً بالحسين، على رغم ما يحمله من علم.

وحياً العصفور الحضور في حفل التأيين، بقوله: «لكم حقّ علينا بحضوركم الذي يمثل عرفاناً وتبجيلاً واحتراماً لشخصية عزيزة علينا، الفقيه الغالي».

وأضاف «لا إشكال ولا ريب في أننا ممنونون لكم بالشكر والتقدير، النابع من وجداننا لما تجشّمتموه من عناء الحضور من خارج البحرين وداخلها، ولا غرو أن تحظى شخصية كشخصية الأب الغالي الكبير، لما جمع من عناصر المحبة في قلوب المؤمنين، ما يسمح له هذا الامتداد، والاحترام والتقدير».

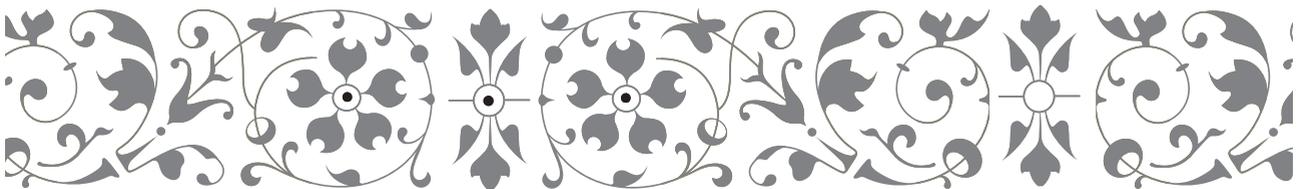
ووصفه بأنه «شخصية علمائية حسينية، إيمانية وولائية، كلنا نحتفل بهذه الشخصية، بمواقف، لكن أكثرها وضوحاً الارتباط الصادق بالحسين عليه السلام، ولا غرو أن نحتفل اليوم مؤبّنين بعد عام، والعام ليس بكثير، لكننا مطمئنون إلى ما بعد ١٠٠ عام وأكثر، بفضل محبّبتكم، واحتضانكم للعلماء، وتبجيلكم لهذه الأسرة التي أنجبت من العلماء على امتداد الأجيال الأبرار».

وألقى الملا السيد عبد الخالق الوداعي قصيدة شعرية بالإنابة عن الشاعر عبدالله القرمزي. فيما ألقى الشاعر عدنان الحلواجي قصيدة شعرية أخرى.

وعُرض خلال الحفل فيلم قصير، تحدث فيه الشيخ العصفور عن بداية مشواره في الخطابة الحسينية، وتلقّيه العلوم الدينية. وضمّ الفيلم مقاطع رثائية وأشعاراً حسينية، وصوراً للقاءاته مع علماء دين، وحضوره في المجالس الحسينية. هذا، وقدمت عائلة الفقيه العصفور قرصاً مدمجاً للحضور في الحفل، يحتوي على خطب الجمعة للفقيه.



حوارات



صديقة المدينة: الشيخ الصفار مؤكِّدًا أن لا

فرق بين حقوق الرجل والمرأة

الحوار الوطني أبرز التنوع الفكري في المملكة وعزّز الوحدة الوطنية

أجرى منير النمر حوارًا مع سماحة الشيخ حسن موسى الصفار حول الحوار الوطني الثالث الذي يعقد في المدينة المنورة، ونشرت صحيفة المدينة هذا الحوار في عددها الصادر يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ، حيث أكد سماحة الشيخ أهمية الحوار والنقاش للباحثين عن اليقين والصواب في أيّ مسألة كانت من خلال تبادل الرؤى مع الآخرين واصفًا ذلك بالمهم جدًّا.

وقال عن الحوار الوطني الحالي أنه يتناول موضوعًا مهمًّا مؤكِّدًا أهمية تناول حقوق المرأة كما يجب.

وفيما يلي نص الحوار:

□ كيف تقيمون الحوار الوطني بشكل عام والمقبل بشكل خاص؟

◀ يجب أن نقسم تقويم الحوار الوطني إلى مستويين:

المستوى الأول: على الصعيد الداخلي للحوار من حيث ما تحقق فيه من تلاقٍ وتعارف بين التوجّهات والمذاهب المتنوعة في المجتمع السعودي.

ومن حيث الأجواء الإيجابية التي سادت لقاءات الحوار، بإصغاء كل طرف للآخر، ونقده وتقويمه له، ومن ثم الوصول إلى نتائج فكرية متقاربة حول قضايا تهم الوطن والمواطنين، تشكلت منها توصيات هامة رائعة.

على هذا المستوى لا ينكر نجاح الحوار الوطني إلا مثالي في نظرتة وتوقعاته، أو مكابر يتجاهل الإيجابيات ويغفلها.

المستوى الثاني: على صعيد نتائج الحوار وانعكاساته الفعلية وهنا يجب الاعتراف بأن توصيات الحوار لا تزال في قاعة الانتظار، ونأمل وجميع المواطنين أن تشق طريقها إلى التنفيذ والتطبيق.

أضيف هنا أنّ هذه التوصيات لها دور تذييل بعض عقبات التنفيذ بخلق أرضية دافعة وتكوين رأي عام وطني مساند.

□ ما أسباب عدم مشاركتكم في الحوار الوطني الثالث؟

◀ ارتأت إدارة مؤتمر الحوار أن يكون هناك تجديد في أسماء المشاركين في الحوار، وألا يقتصر الحوار على أسماء محددة تتكرر في جميع المؤتمرات.

وهذا رأي طيب يتيح الفرصة لإشراك أكبر عدد ممكن من كفاءات المجتمع من مختلف المناطق والمذاهب والشرائح في عملية الحوار مما يوسع رقعته، ويزيد قاعدته، ويعطي المجال لظهور الطاقات والقدرات ومعرفتها أمام المسؤولين والرأي العام الوطني وبين بعضهم بعضاً.

□ في تصورك هل أفرز الحوار الوطني حالة من الشفافية في كسر الحواجز بين مختلف القوى الاجتماعية في المملكة؟

◀ لا شك أنّ الحوار الوطني أبرز واقع التنوع الفكري والمذهبي في المملكة، وشرع الاعتراف به والتعامل معه كحقيقة قائمة.

وقبل الحوار الوطني كان الاتجاه السائد إظهار المجتمع السعودي وكأنه لون واحد ومذهب واحد وذلك بإقصاء سائر الآراء وتجاهلها، وسيطرة الأحادية على السطح العام.

بل كان هناك من يرى أن ظهور وجود آراء أخرى يعني عيباً ونقطة ضعف، وتلك نظره قاصرة متخلفة، بالتنوع صفة كمال وجمال كما يتحدث القرآن الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وما القبول بوجود أهل الكتاب في ظلّ الدولة الإسلامية واحترام حقوقهم وخصوصياته من إلا إشارة إلى الاعتراف بواقع التنوع على الصعيد الديني. أمّا على الصعيد المذهبي والفكري وتنوع المدارس هو الذي أثرى معارف الأمة وكوّن رصيدها الحضاري.

من خلال الحوار الوطني الوطني، حصل الاعتراف بواقع التنوع، بين الأطراف أنفسها وتحت مظلة رسمية، فوفر ذلك فرصة للتعارف والتواصل وانطلاق التعاون بين مختلف الرموز والتوجهات من أجل خدمة الوحدة الوطنية الإسلامية وتعزيزها. لقد انكسر جانب كبير من الحواجز التي كانت قائمة، وبدأت هناك لقاءات مختلفة للحوار والنقاش تتسم بالشفافية والصراحة.

ومن آخر نماذجها الحوار الذي أجرته مجلة (الجسور) في عددها التاسع الصادر في ربيع الأول ١٤٢٥هـ، فلأول مرة يحصل فيها حوار بهذه الدرجة من الصراحة والشفافية بين جهة ضمن تيار الصحوة الإسلامية السلفية وبين جهة من الشيعة.

□ الحوار الثالث يتعلق في أغلبه بحقوق المرأة، فكيف تنظر حسب وجهة نظرك للحقوق التي ينبغي أن تأخذها المرأة والواجبات التي تقابل هذه الحقوق؟

◀ حينما نتحدث عن حقوق الإنسان وعن حقوق المواطنة فإنني لا أجد فرقاً بين

الرجل والمرأة.

ومن خلال الرؤية الإسلامية كما أفهمها وكتبت حولها ضمن بحث مطبوع تحت عنوان (شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين) فإني لا أرى فرقاً في الحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة على مستوى الحقوق والواجبات العامة في العنوان الإنساني والوطني، نعم على مستوى العلاقات الزوجية هناك حقوق وواجبات متقابلة وليست متماثلة بين الزوج والزوجة، يقول عنها تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، ويقول تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.

في إطار الحياة العائلية هناك شيء من الاختلاف في أنماط الحقوق والواجبات، بما يخدم نجاح مؤسسة العائلة، وقيامها بوظيفتها الإنسانية العظيمة. أما اعتبار الحالة العائلية قانوناً ومعيّاراً عامّاً كأن تكون القوامة للرجل مثلاً كرجل على المرأة في كلّ شؤون الحياة السياسية يحتاج إلى إعادة نظر.

□ في رأيك ما هي المحاور الأساسية التي ينبغي أن يركز عليها الحوار في المؤتمر الثالث؟

◀ يبدو لي أنّ هناك قضيتين أساسيتين نحتاج إلى الاستفادة من الحوار حولهما.

الأولى: بلورة الرأي الشرعي على المستوى الفكري والفقهية حول قضايا المرأة ومشاركتها في الشؤون العامة، ذلك أنّ هناك آراء فكرية وفقهية تتسم بالتمييز ضد المرأة وتهميش دورها في المجتمع، وقد نقل فضيلة الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رئيس مؤتمر الحوار الوطني في بحثه (هل يميّز الإسلام ضد المرأة) نقل بعض الآراء عن بعض العلماء الكبار على حدّ تعبيره تنضح بالنظرة الدونية للمرأة والتقليل من شأنها.

كما أنّ هناك آراء تميل إلى التشدّد تجاه حركة المرأة وحرية نشاطها. وفي المقابل هناك آراء وسطية معتدلة تبحث قضايا المرأة بموضوعية واعتدال.

فلا بُدَّ وأن يتحاور المشاركون لبلورة الرأي الشرعي بعيداً عن الإفراط والتفريط والتشدد والتسيب ليقدموا للأمة الآراء الشرعية الأصيلة وليساعدوا الجهات الرسمية في تبني الحلول والمعالجات على ضوء الرأي الشرعي.

الثانية: القراءة الموضوعية لواقع المرأة العالمي والمحلي، وللتحديات التي تواجه المرأة وتعوق حركتها ودورها.

صحيح أن هناك ابتداءً في العلاقات بين الجنسين أفرزته ثقافة الحضارة المادية وأنماط السلوك الغربي، وأن الإسلام يؤكد عفاف المرأة وصيانة المجتمع من الانزلاق الشهواني الذي وقعت فيه المجتمعات المادية وأنتج الكثير من المضاعفات والأضرار القيمية والأخلاقية.

وفي الإسلام أحكام وتعاليم ترتقي بالعلاقات بين الجنسين إلى أرفعها الإنساني، وتحميها من الهبوط إلى المستوى الحيواني الغرائزي.

هذا كله صحيح، لكن ذلك لا يستلزم تهميش المرأة ولا إعاقة دورها، ولا التقليل من شأنها وقيمتها ومكانتها.

بينما واقع المرأة في بعض مجتمعاتنا الإسلامية يعاني من ذلك، فلا بُدَّ أن ندرس هذا الواقع ونأخذ بالاعتبار ما أحرزته المرأة من مكاسب وتقدم في المجتمعات الأخرى، وهو بالتأكيد يترك انعكاساته على توجهات المرأة في مجتمعاتنا، فلسنا مجتمعاً معزولاً والعولمة حولت العالم كله إلى قرية واحدة.

كما أن المرأة في واقعنا المحلي تعاني بالفعل من مشاكل وعوائق لحركتها ولدورها الوطني والاجتماعي بسبب بعض الآراء ولسيطرة التقاليد والأعراف.

والمرجو من المشاركين الكرام في الحوار الوطني دراسة واقع المرأة المحلي (السعودي) بموضوعية بعيداً عن الدفاع والتبرير وبعيداً عن التهويل والتعويم.

□ موضوع حقوق المرأة موضوع مطروح عالمياً، فما هو مدى اعتقادك بعالمية هذا

الموضوع؟ وكيف نستطيع التوفيق بين خصوصية مجتمعاتنا والمطلب العالمي؟

◀ موضوع الحقوق هو بالفعل موضوع عالمي لا يخص مجتمعا دون الآخر، ولا ينبغي أن ننظر إليه من خلال ضغوط الآخرين علينا أو مطالبهم منا، فتأخذنا العزّة بالإثم، بل ينبغي النظر إليه من خلال رؤيتنا الدينية، وبصيرة عقولنا، واهتمامنا بأوضاعنا ومصالحنا.

ويبدو لي أنّ هناك في بعض الأوساط تضخيماً لما يسمى بالخصوصية، فانتماؤنا للإسلام نصرّ عليه بالنواجذ إن شاء الله، لكن ذلك لا يعني الجمود والتخلف عن ركب التطور العلمي والحضاري.

ويجب أن نستفيد من حقّ الاجتهاد بل واجب الاجتهاد على الأمة في كلّ عصر، لمراجعة الآراء والأحكام لتتأكد من توفر الأدلة والبراهين الصحيحة لها.

إنّ فهم علماء السلف الماضين للنصوص الشرعية ليس ملزماً لأجيال علماء الأمة اللاحقين، كما أنّ ثبوت بعض الأحاديث عند بعضهم في الماضي لا يسلبنا حقّ البحث والتأكد من ثبوتها بدراسة السند والمتن على ضوء القواعد العلمية والأصول الشرعية الثابتة.

إننا نقرأ عن الاختلاف في الرأيين العقدي والفقهي بين الصحابة، ثم بين التابعين، ثم بين تابعي التابعين، وأئمة المذاهب، ثم بين العلماء ذوي المكانة في الفكر والفقہ الإسلامي، وهذا يعني مشروعية الاختلاف، وفاعلية النظر والاجتهاد، وهي مشروعية مستمرة، وفاعلية دائمة، لا يصحّ لأحد أن يوقفها عند حدّ زمني معيّن، بحيث يسلب حقّ النظر والاجتهاد من العلماء المعاصرين.

بالطبع لا بُدّ وأن يكون ذلك ضمن مرجعية الكتاب والسنة، ووفق قواعد وأصول العلم الشرعي.

□ على المستوى العملي للحوار الوطني هل تتوقع أن تخرج المرأة بشيء عملي

يعزز مكانتها الاجتماعية بحيث تأخذ حقوقها على أكمل وجه؟

◀ إن مشاركة المرأة في المؤتمر بشكل جيد حيث تمثل حوالي نصف عدد المشاركين، يزيد في توقعاتنا من إحراز المؤتمر لنتائج طيبة تكون في صالح المرأة، وبالتالي لصالح المجتمع كله.

لكننا نعلم أن بين التوصيات والنتائج وبين التنفيذ الفعلي مسافة لا بد أن تتصافر جهود ولاة الأمر وجهود المواطنين وخاصة الشريحة الواعية من أجل تجاوزها. وقد تحتاج بعض القرارات إلى تهيئة المناخ الصالح لتطبيقها بقدر أقل من المشاكل والإشكاليات.

□ ما تقييمك العام لتأثير الحوارات الوطنية على اللحمة الوطنية في المملكة؟

◀ أرى أن تأثير الحوار كان جيداً على مستوى تعزيز اللحمة الوطنية وتصليب الوحدة الوطنية، حيث تجلّت من خلال الحوار حقيقة المصلحة المشتركة والمصير المشترك، فأبى خلل أو ضرر لن يقتصر على طرف دون آخر، كما أصبحت الأخطار التي تحدق بالوطن واضحة للعيان من تهديد للأمن والاستقرار عبر أعمال العنف والإرهاب التي تهدد أمن الجميع، كما رأينا حصول أعمال الإرهاب الفظيعة في مناطق مختلفة، راح ضحيتها أبرياء من مختلف الشرائح، وهناك الضغوط والتحديات الخارجية التي تستهدف كل الوطن والمواطنين، إن الإجراءات المشددة مثلاً التي يتخذها الأمريكيون الآن تجاه السعوديين المسافرين لأمريكا مثلاً لا تميّز بين سعودي وآخر.

كما أن ما يحدث في البلدان المجاورة لنا يجب أن نأخذ منه أفضل الدروس والعبر لصالح الوحدة الوطنية، فالاحتلال الأمريكي للعراق، أصاب سيادة العراقيين واستقلالهم وكرامتهم دون تمييز بين أعراقهم ومذاهبهم، فكما حوصرت الفلوجة انتهكت حرمة الأماكن الدينية في النجف وكربلاء وكما يغتال علماء من السنة تجري تصفية علماء وشخصيات من الشيعة، والعراقيون الذين ذاقوا مرارة التعذيب والإذلال

في سجون أبو غريب هم من مختلف قوميات العراق ومذاهبه.

لذلك فإن الحوار الوطني جاء في الوقت الخطير الذي تتأكد فيه ضرورة الوحدة وواجب التلاحم بين فئات الشعب وبين القيادة والمواطنين.

□ تتعدد الأفكار والرؤى بين المجتمعين في الحوار الوطني وينطلق كل صاحب رأي من مفاهيمه التي يراها صحيحة، فهل تعتقد أن مسألة الحوار الوطني تجمع الأفكار المختلفة أصلاً حول رأي واحد يعالج الأمور بشكل موحد علمًا أن هناك خلافات جذرية بين أكثر من شخصية شاركت في الدوريتين السابقتين؟

◀ الحوار يعطي الفرصة لتوضيح الآراء المختلفة ولمراجعتها، فلو بقي كل صاحب رأي في صومعته، ولم يلتق الآخر ولم يسمع منه، لما عرف حقيقة الرأي الآخر ومنطلقاته وأدلتها، كما أن صاحب الرأي عند اطلاعه على الرأي المخالف، وسماعه للنقد لرأيه قد يجد نفسه مدعوًا للمراجعة رأيه وهذا هو نهج العقل، بخلاف طريقة المتحيزين المتعصبين، وذلك هو أدب القرآن حيث يقول تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

وإلى جانب فرصة التوضيح والمراجعة فإن الحوار يمنح فرصة التكامل والتقارب بين الآراء، فحتى لو بقيت الآراء مختلفة لكن الحوار قد يقلل من درجة الاختلاف، فإذا كانت ١٠٠٪ قد تنخفض إلى ٧٠٪ أو ٥٠٪ أو أقل أو أكثر، وقد نصل إلى مستوى التكامل بأن يصبح هناك رأي متوازن يأخذ إيجابية الرأيين ويتلافى النقاط السلبية فيهما. وأخيرًا فإن الحوار يعيد الاختلاف إلى إطاره العلمي وينزع عنه المضاعفات الانفعالية.

□ ما هي الكلمة التي تودون توجيهها للمشاركين في الحوار بحكم تجربتكم وخبرتكم السابقة من خلال مشاركتكم في اللقاءين السابقين؟

◀ إنني أتح صغير لكل الإخوة الفضلاء والأخوات الكريمات المشاركين

والمشاركات في اللقاء، ولست في موقع تقديم الرأي لهم، فهم نخبة طيبة نأمل فيهم الخير إن شاء الله ونرجو أن يثروا الساحة الفنية بحوارهم المخلص المفيد. لكنني من باب التواصي بالحق والتواصي بالصبر أذكر نفسي وأخواني وأخواتي المشاركين والمشاركات بجعل رضا الله تعالى ومصصلحة الوطن نصب أعيننا جميعاً وفوق أي اعتبار آخر، وأن يعتصر كل واحد من المشاركين ذهنه، ويستفرغ جهده بموضوعية وإخلاص، فهو لا يمثل منطقة أو مذهباً أو فئة وإنما يمثل الهم الوطني والمصلحة الوطنية وهي يجب أن تكون حاکمة على كل الانتماءات.

إن من الضروري الابتعاد عن سوء الظن واتهام النيات عند طرح أي فكرة أو رأي وحمل صاحبها على الصحة والصدق وأن ذلك هو مبلغه من العلم.

كما ينبغي الاستفادة من اللقاء للانفتاح والتأسيس للتواصل الدائم بين المشاركين حتى يكون المؤتمر منطلقاً لتوثيق الروابط بين النخب والشرائح الوطنية.

لقد كانت أجواء الحوار في اللقاءين السابقين تتسم بالحرية الكاملة حيث يعبر المشاركون عن رأيهم بشفافية ووضوح، وأعتقد أنها ستكون كذلك في هذا اللقاء مما يحتمل المشاركين مسؤولية الصدق والصراحة في التعبير عن آرائهم وأفكارهم ضمن إطار آداب الحوار.

وقد لاحظت أن البعض لديهم جرأة في نقد التوجهات الحكومية الرسمية أكثر من جرأتهم على النقد الاجتماعي، بينما لدينا مشاكل وثرعات في واقعنا الاجتماعي تحتاج إلى جرأة ووضوح، ولا يصح أن نكون أبطالاً شجعاناً في نقد الدولة وجناباً مترددين في النقد الاجتماعي.

أسأل الله تعالى أن يوفق المشاركين والمشاركات لخدمة القضية التي اجتمعوا من أجلها على خير وجه، وأن ينفع بآرائهم ويثي بهم على جهودهم، كما أرجو لإدارة اللقاء كل خير وتوفيق.

حوار جريدة عكاظ حول حادثة الأحساء

الأليمة^(١)

جريدة عكاظ، خالد الفارس

أجرى المحرر في جريدة عكاظ الأستاذ خالد الفارس مقابلة مع الشيخ حسن الصفار حول حادثة الأحساء الأليمة، وفيما يلي نصّ إجابات الشيخ الصفار عن أسئلة الجريدة:

□ رغم فداحة الجريمة التي وقعت في الدالوة وأرادت الفتنة بين أبناء الوطن الواحد إلا أنّ النتائج كانت مخيبة لآمال الإرهابيين، كيف تنظر إلى لحمة أبناء الوطن بعد هذه الحادثة؟

◀ حادثة الأحساء الأليمة أيقظت الضمير الوطني، وحركت مشاعر الوحدة في نفوس جميع المواطنين الغياري على أمن الوطن واستقراره.

كانت صدمة عنيفة، أشعرت الجميع بخطورة التحدي الذي يواجهه الوطن، من قبل هذه الجهات الإرهابية التكفيرية، التي تريد إشعال نيران الفتنة الطائفية، فاندفع الواعون من أبناء الوطن من مختلف المناطق والمشارب ليعبروا عن رفضهم لهذه التوجّهات الإجرامية، وليعلنوا تمسّكهم بالوحدة والتلاحم الوطني، مما أظهر بلادنا

(١) نشر الحوار بجريدة عكاظ الصادرة بتاريخ الاثنين ٢٥ / ١ / ١٤٣٦ هـ، الموافق ١٧ نوفمبر ٢٠١٤ م.

وشعبنا في أروع موقف وأجمل صورة، بحمد الله وتوفيقه.

□ كيف تصف لنا مشاعر أهالي الضحايا والالتفاف الشعبي بعد الجريمة؟

◀ الشهداء الذين سقطوا برصاص الغدر هم شباب في مقتبل أعمارهم، وأحدهم يتيم ليس لعائلته وأخواته أخ غيره، وإصابتهم جاءت مفاجئة وغير متوقعة أبداً، فهم يعيشون في قرية هادئة آمنة مطمئنة، وكانوا يؤدون شعائر توارثوها من آبائهم وأجدادهم، لإعلان المودة والمحبة للنبي وآله الكرام، وكانوا يؤدونها كل عام بهدوء وانضباط، لا يسبب أذى ولا إزعاجاً لأحد.

كانوا قد خرجوا من حسينية استمعوا فيها لمحاضرة دينية، فاستقبلهم المجرمون بالرصاص الذي اغتال أحلامهم، وأثكل أمهاتهم، وفجع أهاليهم، لكن هؤلاء الأهالي رغم هول الفاجعة، يمتلكون رصيلاً عالياً من الإيمان بقضاء الله وقدره، ويتوجه في نفوسهم الحبّ والولاء للنبي وآله الطاهرين، فيحتسبون ما أصابهم في سبيل الله، وقد كان لمواساة سمو وزير الداخلية، وسمو أمير المنطقة الشرقية، وسائر المسؤولين في الدولة، وكذلك تعاطف جموع المواطنين من مختلف أنحاء المملكة، كان لذلك أكبر الأثر في تخفيف المصاب على الأهالي المشكولين، وفي رفع معنوياتهم، وإشعارهم بأنّ الوطن بقيادته وشعبه يقف معهم في محتتهم، ويتضامن ويتعاطف مع معاناتهم.

□ عُرِفَت الأَحْسَاءُ بالتسامح الذي يعيشه الأهالي فيما بينهم من مختلف الطوائف، ما هي أسس هذا التسامح الفريد؟

◀ التسامح الذي يعيشه أهالي الأحساء فرضته طبيعة وجود التنوع والتعددية المذهبية؛ لأنّ المناطق التي تعيش الأحادية والانغلاق المذهبي، تكون أقرب إلى أجواء التعصّب والتشدد، أما حين يعيش الناس تنوعاً قائماً في المجتمع، فإنهم يألفون وجود الآخر المختلف، ويتعرفون عليه عن قرب، وليس عبر الإشاعات والصور النمطية، وهذا ما هو حاصل في الأحساء، فأبناء السنة يختلطون بالشيعة،

والشيعية يتداخلون مع السنة، فلا مجال للاتهامات والدعايات المغرضة، فمثلاً يعرف السني في الأحساء أنّ الشيعي يقرأ مثله نفس المصحف الشريف القرآن الكريم، بل بعض أبناء السنة ربما تعلموا القرآن في كتاتيب شيعية، كما تحدث بعض شخصياتهم، وهنا لا تنظلي عليهم فرية أنّ للشيعية قرآناً آخر، أو أنّ قرآنهم محرّف.

وبعض أبناء السنة يحضرون المجالس الدينية للشيعية (الحسينيات) وخاصة في المناسبات الاجتماعية، ويسمعون ما يلقي فيها من مواعظ وخطابات دينية وأخلاقية، وبناءً عليه لا تضللهم الدعايات التي تلصق بمجالس عاشوراء تهماً باطلة.

وهكذا فإنّ تداخلهم الاجتماعي، يعرفهم على بعضهم بعضاً بشكل مباشر، في التزاماتهم الدينية وسلوكهم الاجتماعي، وطباعهم الأخلاقية، كأبناء مجتمع واحد، لا يختلفون إلا في بعض تفاصيل المسائل العقدية النظرية، أو جزئيات المسائل الفقهية، مما يتسع لها الأمر حتى داخل المذهب الواحد، فهناك اختلافات عقدية وفقهية في التفاصيل ضمن أهل السنة، وكذلك ضمن الشيعة، ففي السنة موالك وشوافع وأحناف وحنابلة، واتجاه سلفي، وآخر صوفي، وآخر ليبرالي، وفي الشيعة أصوليون وإخباريون وشيخية، وتعدد في الانتماءات المرجعية، وليبراليون.

□ نوّد أن نتعرف على طبيعة اللقاءات بين علماء السنة والشيعة في محافظة الأحساء، وما مدى استمرار تلك اللقاءات واستثمارها لخدمة الوطن؟

◀ كانت اللقاءات بين علماء السنة والشيعة في الأحساء أكثر انسيابية وحصولاً في الماضي، كما حدثني القاضي الأسبق للشيعة الشيخ باقر أبو خمسين، والسيد إبراهيم بن عبدالله الخليفة من كبار علماء السنة الأحسائيين، وغيرهما، ولكن يبدو لي أنّ اللقاءات الآن أقلّ من الماضي؛ لأنّ بعض العلماء المعاصرين تأثروا بالتيارات المتشددة السائدة، وحتى الواعون المنفتحون من العلماء، يحسبون

حساباً للأجواء المحيطة بهم، التي تشجّع على الفرز المذهبي، وهناك من العلماء السنة والشيعة في الأحساء مخلصون صادقون يسعون لتأكيد التقارب والتآلف، والحفاظ على ميزة التسامح الثمينة في المجتمع الأحسائي. ونأمل أن تشكّل هذه الحادثة الأليمة حافزاً لتكثيف التواصل بين العلماء والدعاة السنة والشيعة في الأحساء، ومجمل المنطقة الشرقية، وعلى مستوى الوطن؛ لأنّ الجهات الدينية هي التي تؤثر في تشكيل الوعي العام باتجاه التسامح أو التشدّد.

□ هذا السؤال يقودنا إلى الحديث عن مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، كيف ترى دوره في المرحلة المقبلة لنشر المزيد من الحوار بين المذاهب؟

◀ كانت الآمال معقودة على مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في تطبيع العلاقات المذهبية، والوقوف أمام اتجاهات التعصّب والتشدّد المذهبي، والتعبئة والشحن الطائفي.

لكنني ألاحظ تجنب المركز ملامسة هذا المشكل الطائفي الخطير الذي يهدّد مستقبل الأمة والوطن. فمقاربات المركز لموضوع التنوع المذهبي ضعيفة خجولة، ليست بمستوى التوقع والطموح.

بالطبع لا نتنكر للجهود التي يقوم بها المركز على صعيد نشر ثقافة الحوار، وجمع ذوي الرأي من مختلف المناطق والتوجهات في ملتقياته، فهي جهود تأسيسية نأمل أن تهيئ المجتمع أكثر لقبول التعددية واحترام الرأي الآخر.

□ بادر سماحة مفتي عام المملكة وهيئة كبار العلماء بإدانة جريمة الدالوة، ماذا يمثل لكم ذلك؟

◀ المؤسسة الدينية الرسمية في المملكة وعلى رأسها سماحة المفتي وهيئة كبار العلماء، ليست مجرد موقع ديني علمي، بل هي جزء من كيان الدولة، وتعلم

أن بقاء هذه الدولة، وقوة نظامها، واستقرار الأمن فيها، يستوجب التصدي للتحديات والأخطار التي تستهدفها، لذلك كانت المسؤولية تفرض على هذه المؤسسة الدينية المبادرة إلى اتخاذ الموقف المسؤول، وبحمد الله لم تتأخر عن ذلك، بل كانت المبادرة سريعة وصريحة لا تقبل اللبس والتأويل، وهذا ما يستحق الإكبار والتقدير، ويزيد ثقة كل المواطنين بمتانة وصلابة مؤسسات الدولة الدينية والمدنية والأمنية في مقابل الإرهاب، ومحاولات الفتنة والفرقة والتخريب.

إن موقف المفتي العام وهيئة كبار العلماء فوّت الفرصة على المغرضين والحاquدين، وأثار الارتياح والاطمئنان في نفوس المواطنين سنة وشيعة، وكان موضع تقدير المرجعيات الشيعية في مختلف أنحاء العالم.

□ أطاحت الأجهزة الأمنية بالمتورطين في الجريمة في وقت قياسي وفي أكثر من مدينة وقدم رجال الأمن أنفسهم شهداء لحماية الوطن والمواطنين. ما هي كلمتكم للشهداء وأسرههم؟

◀ إن رفح أهالي الأحساء لصور شهيدى القوات الأمنية، في مسيرة تشيعهم الحاشدة لشهداء الدالوة التي تجاوزت ٢٥٠ ألف شخص حسب تغطيات وسائل الإعلام، وكذلك ذهاب وفد كبير من علماء الشيعة وشخصياتهم لتقديم العزاء لأهالي شهيدى الأمن في القصيم وحائل، يحمل دلالة كبيرة وواضحة على تقدير الناس لتضحيات رجال الأمن وإنجازاتهم المشهودة في حماية أمن الوطن والمواطنين.

و حين نرى الانفلات والفوضى في بلدان أخرى، تسفك فيها الدماء، وتنتهك الأعراض، وتستباح الحرمات، فإن ذلك يجب أن يدفع لتقوية المؤسسة الأمنية في بلادنا، لتحمي الوطن من شرور الإرهاب، ومن كل عدوان على أمن المواطنين.

ولا درجة أعلى عند الله من الاستشهاد دفاعاً عن الدين وعن حرمة المسلمين، نسأل الله تعالى للشهداء المغفرة والرحمة، وأن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، وحقّ لهم أن يفخروا بأبنائهم المضحّين بحياتهم في خدمة الدين والوطن.

□ ما هو الدور المطلوب من علماء السنة والشيعة لحماية الوطن ومواطنيه من الفتن وشرور الأشرار؟

◀ المطلوب من علماء الأمة ودعاتها سنة وشيعة، توعية أبناء الأمة، وتذكيرهم بالمبادئ الأساسية في دينهم، وفي طليعتها حماية وحدة الأمة من التفرق والتنازع والاحتراب، هذه الوحدة التي اعتبرها الله تعالى مظهرًا لعبادته وتقواه حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾، فمن لا يلتزم نهج الوحدة لا يعبد الله حقيقة ولا يتقيه، وإن أقام الصلاة وسائر العبادات.

وواجب العلماء أن يؤكّدوا التزام نهج العدل والإحسان، فاختلف المذاهب لا يبرّر الظلم والعدوان على الحقوق، فالمواطنون يجب أن يكونوا متساويين في الحقوق والواجبات، والعلاقة فيما بينهم تكون على أساس الإحسان والاحترام المتبادل، وليس القطيعة والإساءة، كما يحرض عليها المتطرفون المتشددون.

وواجب العلماء دعوة الناس للاجتهاد في تطوير حياتهم، وبناء أوطانهم، وإنجاح مشاريع التنمية، ليكونوا نموذجًا مشرفًا لدينهم، بدل أن يعيشوا حياة التخلف والانحطاط، بينما تواصل سائر المجتمعات البشرية تقدمها وتطورها في مختلف الميادين.

□ بوصفكم أحد علماء الشيعة، ما هي كلمتك لإخواننا الشيعة في هذا الظرف؟

◀ أقول لأخواني الشيعة ما أقوله لأخواني السنة، أنّ وطننا أمام تحدّد خطير، حيث تريد قوى معادية تحويل بلادنا إلى ساحة احتراب واضطراب، كما أعلنت

أخيراً بعض قيادات الإرهاب، وعلينا جميعاً أن نعي خطورة المرحلة، وأن نسدّ الثغرات التي يريد الأعداء والمغرضون النفوذ من خلالها، بتنقية أجوائنا من الإثارات الطائفية، ومنابر التحريض على الكراهية، والتعبئة والشحن المذهبي، وألاً نسمح للمعارك والصراعات في البلدان الأخرى أن تمتدّ إلينا، وأن نصلح كلّ خلل في أيّ إدارة أو مؤسسة، لنعيش شعوراً موحّداً بالولاء والانتماء لهذا الوطن، دون أن يشعر طرف فيه بالتعالي، أو آخر بالغبن والإقصاء، فكلنا شركاء في هذا الوطن الغالي، ولا مستقبل لنا إلا في ظل أمنه وعزته وقوته، ولا مصلحة لأحدٍ في إضعاف الدولة أو اهتزاز سلطتها.

□ ظهرت تيارات وجماعات ما أنزل الله بها من سلطان وأنتجت لنا جيلاً يكفّر هذا وذاك دون وازع ديني أو أخلاقي، كيف ترى خروج هذه الجماعات وما هي أسبابها؟

◀ التيارات والجماعات التكفيرية المتطرفة تنطلق من سوء فهم للدين، وحالة يأس وإحباط، وتغذيها قوى سياسية طامحة في السلطة والحكم باسم الدين، وقوى خارجية حاقدة تريد هدر ثروات الأمة في الاحتراب الداخلي، وتعويق مسيرة التنمية في أوطانها، وإضعافها في مواجهة الهيمنة الأجنبية والأطماع الصهيونية. نسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا من كلّ مكروه، وأن يوفق قيادتنا لتحقيق تطلّعات الشعب والوطن.

المحتويات

أول المسار	٧
خُطْبُ الْجُمُعَةِ	١١
تجريم التحريض الطائفي .. متى يتحقق؟	١٣
حتى ننف صفاً واحداً أمام الإرهاب	٢١
معطيات الدعاء ووساوس القنوط	٢٧
التسامح .. القيمة الغائبة في مجتمعاتنا	٣٣
تجليات المروءة في شخصية الإنسان	٤١
كيف نواجه العنف ضد المرأة؟	٤٦
ذوي الاحتياجات الخاصة .. سؤال الأخلاق والتنمية	٥٣
العمل الأهلي .. نحو تطوير الوعي والتشريعات	٥٩
حين تحترم نفسك	٦٧
زيارة الأربعين: التحدي والتعبير عن الهوية	٧٢
أخلاق الرسول بين التأسّي والانبهار	٧٧
استقلالية الرأي والتعايش الاجتماعي	٨٢
أعياد الميلاد والمؤشّر الديني	٨٩
احتضان الأقليات الدينية	٩٥
تشجيع التراجع عن الخطأ	١٠١

- التشجيع ورعاية الانسجام في الأمة ١٠٦
- العلاقات الاجتماعية بين الرحمة والقسوة ١١٣
- منهجية الاستقطاب ومنهجية التنفير ١١٨
- المصلحون لا تزعمهم الاتهامات ١٢٥
- من يؤجج صراع الحضارات ١٣١
- محكمة الضمير والوجدان ١٣٩
- الخطاب المسيء والتبريرات المرفوضة ١٤٤
- المعرفة والالتزام السلوكي ١٤٩
- بشاعة الإرهاب وسمعة الإسلام ١٥٤
- توثيق الحقوق درءاً للنزاعات ١٦١
- المحسوبيات أخطر ألوان الفساد ١٦٧
- كيف نستثمر المال قبل فقده؟ ١٧٣
- اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية ١٧٨
- لا مجال للتنصل أمام الله ١٨٣
- الاستنفار لمواجهة سلوكيات العنف والإجرام ١٨٨
- الالتزام الديني حياة أفضل ١٩٥
- تكريم النبي للزهراء رسالة للآباء ١٩٩
- لتضمنوا بر أبنائكم ٢٠٥
- إعلام الفتنة وصناعة الأكاذيب ٢٠٩
- في عيد الأم .. المجتمع وتقدير دور الأمومة ٢١٥
- اليوم العالمي للسعادة ٢٢١
- المكاسب المعنوية وحمايتها من الآفات ٢٢٧
- خدمة الناس شرف ومثوبة ٢٣٢

٢٣٧	تطلّع الإنسان للخلود
٢٤٢	مكافأة الإحسان
٢٤٩	ذكر الآخرة حافز نشاط ومقوم سلوك
٢٥٣	المؤهلات الذاتية للمرأة وعوائق التقدم
٢٥٩	كسب المعرفة وإدارة الحياة
٢٦٤	تعميم الأحكام على الجماعات والمجتمعات
٢٦٩	كُنْ في موقع العطاء
٢٧٤	الصراعات السياسية وتفجير الأضغان
٢٨١	مواجهة الإرهاب والاستنفار الشامل
٢٨٦	بعد حادثة القديح.. التوكل على الله والإجراءات المطلوبة
٢٩٣	الوعي الاجتماعي في مواجهة الإرهاب
٣٠١	التصدي للشأن العام بين التشجيع والتثبيط
٣٠٩	القيم الإنسانية ميزان الدين
٣١٧	ولاية عليّ عقيدة وسلوك
٣٢٣	جائزة نوبل وإنجازات الدمار في ساحاتنا
٣٣١	كتابات
٣٣٣	ملاحظات ومقترحات للموسوعة العربية العالمية
٣٤٧	الرهان على الخارج خسارة للوطن
٣٤٩	لماذا أصبحوا لقمة سائغة لتيارات الإرهاب؟
٣٥١	تكريم الإنسان
٣٥٧	تصريح بمناسبة الحادث الأليم في قرية الدالوة
٣٥٩	كلمة وفاء في حق الأستاذ الشيخ إبراهيم الغراش
٣٦٣	الشيخ الصفار يُعزّي بخادم الحرمين الشريفين

- ٣٦٥ نعي الشيخ إبراهيم الغراش
- ٣٦٧ تشييع الشهداء رسالة ثبات وصمود
- ٣٦٩ تقديم لتقرير عطاء غير مجذوذ لدار القرآن الكريم
- ٣٧١ ديوانية الأطباء فكرة حضارية رائدة
- ٣٧٣ متابعات**
- ٣٧٥ النجمي يكشف لـ «الوطن» تفاصيل زيارته للقطيف
- ٣٨١ الصفار ينتقد الاصطفاف «الطائفي»
- ٣٨٣ الصفار: الانشغال بالجدل المذهبي مدخل للفتن والتمزق
- ٣٨٩ العبيكان والعلي: نقاط اتفاق مع الشيعة
- ٣٩١ الشيخ الصفار: تجربة الحوار الوطني بدأت تؤتي ثمارها
- ٣٩٣ الصفار: مشروع الحوار الوطني بدأ يؤتي ثماره
- ٣٩٥ الصفار يشيد ببرنامج خادم الحرمين
- ٣٩٧ الشيخ حسن الصفار وأمريكا والورقة الطائفية
- ٤٠١ الصفار يؤكد أهمية الالتفاف حول مشروع التنمية
- ٤٠٥ دعوة لإحباط مساعي الفتنة بين السنة والشيعة
- ٤١١ الصفار: شيعة السعودية لا يريدون شيئاً خاصاً لأنفسهم
- ٤١٣ الشيخ الصفار يستعرض نتائج اللقاء الوطني
- ٤١٧ الأحادية الفكرية
- ٤١٩ الصفار يدين أعمال العنف في القطيف
- ٤٢١ الصفار: «حادث العوامية» يجب أن يؤدي لتعزيز التلاحم الوطني
- ٤٢٣ حسن الصفار.. الولاء لمن: المذهب أم الوطن؟
- ٤٣١ حتى نحمي مؤسساتنا وأمننا الاجتماعي
- ٤٣٣ الصفار: الأمن الاجتماعي مسؤولية الدول والمؤسسات الأهلية

- الصفار ينتقد التطرف ويدعو لتعزيز الحوار الداخلي ٤٣٥
- الشيخ الصفار يعرب عن شكره لخادم الحرمين ٤٣٧
- قراءة في كتاب (الحوار والانفتاح على الآخر) للشيخ الصفار ٤٣٩
- فقيد القطيف ٤٤٣
- الصفار يثني على مبادرة المليك في عقد مؤتمر الحوار ٤٤٥
- الصفار يخالف القرضاوي ويرفض التنكر لدوره ٤٤٧
- الشيخ الصفار: اجتماع لندن «المشيين والبغيض» ٤٤٩
- الصفار لـ «الوطن»: المذهب الشيعي بريء من المسيئين ٤٥١
- تشديد على رفض الطائفية في لقاء سني - شيعي بالرياض ٤٥٣
- أضعف الإيمان - بين حسن الصفار والعريفي ٤٥٥
- الإمام الحسين بين الشيخين: الهاشم والصفار ٤٥٧
- في عقلانية الشيخ حسن الصفار واعتداليته ٤٦١
- في منزل الشيخ حسن الصفار ٤٦٥
- الشيخ حسن الصفار رمز آخر للوحدة الإسلامية ٤٦٧
- شراكة شيعية سلفية.. في الكويت! ٤٦٩
- لقاء القطيف ٤٧١
- حسن الصفار على قناة الإخبارية ٤٧٣
- أربعينية الراحل الكبير «عبدالله الجشي» ٤٧٥
- .. والصفار يدعو الشباب إلى عدم الانجرار لـ (العنف) ٤٧٩
- مدرسة العلامة ابن فهد الحلبي تستقبل الصفار ٤٨١
- حسن الصفار: الحوار وسيلة لتثبيت السلم الاجتماعي ٤٨٥
- مبدأ إسلامي ٤٨٧
- انتشار الجريمة: الأسباب والمعالجات ٤٨٩

- ٤٩٣ الشيخ الصفار في جامع الزهراء
- ٤٩٧ البروسترويكا المذهبية.....
- ٥٠٣ كرامة الإنسان.....
- ٥٠٩ الشيخ الصفار يؤكد لـ«الرياض» أهمية دور الإعلام
- ٥١١ الصفار: نأمل أن يكون المضيف عنوانا لاستيعاب الطاقات
- ٥١٥ الشيخ الصفار: ثمن دماء الشهداء تجفيف منابع الإرهاب
- ٥١٩ الصفار: أرادوا إشعال الفتنة.....
- ٥٢١ الشيخ الصفار يؤكد أنّ منفذي العملية الإرهابية بالأحساء
- ٥٢٣ الصفار: أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي.....
- ٥٢٥ أثنوا على الإنجاز الأمني بالقبض على الإرهابيين.....
- ٥٢٧ الصفار: أرادوا إشعال الفتنة الطائفية.....
- ٥٢٩ الصفار: الإرهابيون استهدفوا قتل حزب النسيج الاجتماعي.....
- ٥٣١ تعزيز التلاحم.....
- ٥٣٣ «الصفار»: منفذو الجريمة النكراء.....
- ٥٣٥ الصفار: رُدُّوا على جريمة الدلوة بالتعاش واللحمة الوطنية.....
- ٥٣٧ الصفار: الجريمة لإشعال الفتنة الطائفية.....
- ٥٣٩ حسن الصفار: الردّ على جريمة الأحساء هو التلاحم.....
- ٥٤١ الصفار: تعزيز التلاحم الوطني هو الردّ.....
- ٥٤٣ الصفار: الحادث أظهر صفاء القلوب.....
- ٥٤٥ الشيخ الصفار يشيد بأهالي الأحساء.....
- ٥٤٧ الصفار: أرادوا تفجير النسيج الاجتماعي الوطني في المملكة.....
- ٥٤٩ الشيخ الصفار أنّ منفذي العملية الإرهابية بالأحساء.....
- ٥٥١ الشيخ حسن الصفار: وطننا مستهدف من قوى الإرهاب.....

- الصفار يدعو لتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة الإرهاب ٥٥٣
- الصفار يدعو لتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة الإرهاب ٥٥٥
- القطيف.. سيدات وفتيات نادي «خطوة واعدة» ٥٥٧
- الشيخ الصفار: مجتمعنا واعد ومليء بالكفاءات ٥٥٩
- ندوة جريدة الرياض ٥٦١
- الصفار: نتظر قانوناً يجرم التحريض ٥٨٣
- الشيخ الصفار: أنشطة «تطوع» تساهم بتنمية المجتمع ٥٨٩
- الأحساء: الشيخ الصفار: كفاءة المعلم وإخلاصه ٥٩١
- الصفار يتشرف بزيارة المدينة المنورة ٥٩٥
- الشيخ الصفار يطمئن على صحة الملك ويلتقي أمير الرياض ٥٩٧
- مدارس الخطابة الحسينية ٥٩٩
- الصفار يدعو لتعزيز حسن الظن بالآخرين ٦٠٥
- الشيخ الصفار: تفعيل الحوار الوطني ٦٠٩
- الصفار: المسجد مظهر للتآخي ومنار للوحدة ٦١١
- الشيخ الصفار: المأمول من مراكز الأبحاث معالجة القضايا الوطنية ... ٦١٥
- الصفار: تلاقي علماء المذاهب أبلغ رسالة ٦١٧
- الشيخ الصفار يشيد بعمل اللجان القرآنية ٦١٩
- الصفار: المبالغة في القلق على الهوية ٦٢١
- الشيخ الصفار: تقصيرنا في استيعاب الشباب ٦٢٥
- الصفار: التوجّهات الإرهابية العنيفة ٦٢٧
- الشيخ الصفار: قيمة العالم بما يقدم ٦٢٩
- المسيري: الجهل بوسائل أمن المعلومات ٦٣١
- الصفار يطالب بتحصين المجتمع ضدّ الخلافات ٦٣٣

- جميل الحجيلان: الشيخ الصفار عالم رزين صادق في وطنيته..... ٦٣٥
- الشيخ الصفار: الدكتور التركي نموذج وطني مشرق..... ٦٣٧
- كان موسوعة في العلم ومدرسة في الجهاد..... ٦٣٩
- عائلة الصفار تكرم متقاعديها في القطيف..... ٦٤٣
- الشيخ الصفار يدعو «رحالة البحرين» لنشر المحبة والتآلف..... ٦٤٥
- الصفار يدعو إلى زيادة المراكز المتخصصة بمرضى التوحّد..... ٦٤٧
- صفوى.. «واعصموا» تجمع ١٦ مؤسسة اجتماعية..... ٦٤٩
- الحالة الدينية تتأثر بالواقع الاجتماعي..... ٦٥١
- الشيخ الصفار يلقي محاضرات في الحرم الرضوي..... ٦٥٥
- عائلة العلامة العُصفور تُطلق مؤسسة خيرية..... ٦٥٧
- حوارات..... ٦٦١**
- صحيفة المدينة: الصفار مؤكّداً أن لا فرق بين حقوق الرجل والمرأة... ٦٦٣
- حوار جريدة عكاظ حول حادثة الأحساء الأليمة..... ٦٧٣